أساطير إغريقية

الجزء الأول

أساطير البشر

تأليف
د. عبد المعطي شعراوي

الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٢

إهـــداء

إلى نبع حنانٍ لا ينْضب
إلى مَعين حُبٍّ لا يغيض
إلى رمْزِ وفـاءٍ لا يفْنى
إلى أمـل غـدٍ لا يخْبو
إلى مَـنْ أُحِـبُّ أبـداً

عبد المعطى شعراوى

تمهيد

تراث ضخم خالد خلفه الاغريق : أدب وفن وعلم وثقافة وفكر . والأسطورة كان لها أهمية خاصة بين ثنايا ذلك التراث الضخم الرائع . وحتى عصرنا هذا فإن القارئ — أى قارئ ، والدارس أى دارس — لايكاد يلتقى بجزء من ذلك التراث إلا ووجد نفسه وجهاً لوجه مع الأساطير الاغريقية . فالأساطير الاغريقية عديدة ، وتفاصيلها متعددة ، ومضامينها مختلفة . ومن أجل فهم التراث الاغريقى أو دراسته أو تذوقه يجب الالمام بالأساطير . إذن ، فالهدف من هذا الكتاب هو مساعدة قارئ الاغريقيات فيما يقرأ ، ومعاونة الدارس فيما يدرس .

بالإضافة إلى ماللأساطير من فائدة بالنسبة لدارسى الاغريقيات ، فإن لها قيمة فنية ضخمة . فالأساطير الاغريقية ذاخرة بعنصر الخيال الذى يستطيع بما يحويه من ثراء وجمال أن يمارس تأثيره على المشاعر الانسانية فى كل عصر وأوان . بل إنها قادرة أيضا على تقديم العون لدارسى الآداب والفنون الإغريقية . فلقد تأثر الكتاب والفنانون على مدى الأجيال بالأساطير الاغريقية ، ولا نكاد نجد عملا أدبياً أو فنياً واحداً يخلو من تأثيرها . وقد لا تستطيع ترجمة الأعمال الأدبية الاغريقية والرومانية أن تحقق نفس الهدف وتحدث نفس التأثير . فالترجمة — مهما كانت دقيقة وجيدة — ليست وسيلة قوية وناجحة — إذا ما قورنت بالأسطورة — لتصوير تلك الثروة الأدبية والخيالية التى امتاز بها عصر ذهبى مثل العصر الاغريقى . بالطبع ،

لايستطيع أحد أن ينكر مالهذه الترجمة من فوائد جمة وخاصة فى مجال نقل الأفكار والأحاسيس الاغريقية إلى جمهور كبير من غير الملمين بلغة الاغريق . ومع ذلك ، فان فهم هذه الترجمات وتذوقها يتطلب معرفة تامة بالأساطير الاغريقية ، تلك المعرفة التى لا يمكن الحصول عليها عن طريق جمع فتات الأساطير المتناثرة هنا وهناك فيما كتبه شعراء الاغريق وكتابها .

الهدف من هذا الكتاب — إذن — هو : أولا ، عرض التفاصيل الرئيسية للأسطورة فى صورة بسيطة تدخل البهجة فى نفس القارئ الذى لا يرغب سوى أن يعرف بعض المعلومات العامة عن الأساطير الاغريقية ، أو أن يقرأ كتاباً مسلياً ذاخراً بالقصص الخيالية . ثانياً ، تقديم دليل عملى لمن يريد أن يدرس الأساطير الاغريقية دراسة أدبية وفنية دقيقة تساعده على ارتياد الميادين الفنية والأدبية وفهم الأعمال الأدبية والفنية التى ظهرت منذ العصور الاغريقية حتى عصرنا الحاضر . ثالثا ، تقديم دراسة وافية كاملة للمتخصص الأكاديمى من خلال مقدمة علمية وحواش توضيحية وقائمة مراجع مختارة .

ولكى يتحقق الهدف المرجو من هذا الكتاب ، فقد حاول المؤلف فى صياغته للأساطير أن يعرضها فى أسلوب أدبى جذاب ، وأن يمنحها صبغة درامية ، وأن يهتم كذلك بعنصر التشويق والإثارة ، وبذلك يتحقق الجانب الأول من جوانب هدف الكتاب . كما حاول المؤلف أيضا أن يربط بين كل أسطورة والأعمال الفنية والأدبية التى تأثرت بها فيما بعد ، وأن يبرز مدى تأثر الأدباء والفنانين القدماء والمحدثين بتلك الأساطير ، وبذلك يتحقق الجانب الثانى من جوانب هدف الكتاب . ويواصل المؤلف محاولاته فيقدم لهذا الكتاب بمقدمة مسهبة يستعرض فيها العلاقة بين الأسطورة الإغريقية والشعائر التى كان يمارسها الاغريق ، وبين الأسطورة الاغريقية والديانة الاغريقية ، كما يستعرض مصادر الأساطير الاغريقية والنظريات المختلفة التى نشأت حول تفسيرها ودراستها ، مشيراً فى حواشى المقدمة

إلى أغلب تلك المصادر وإلى الأعمال التى تحتوى على تلك النظريات. ولا يفوت المؤلف أيضا أن يذيل كل أسطورة بحواش توضيحية شاملة ، كما يختتم الكتاب بقائمة من المراجع العلمية التى قد يحتاج الدارس المتخصص إلى الرجوع إليها لمواصلة البحث والحصول على مزيد من المعلومات ، كما لم يفت المؤلف أيضا أن يختتم كل جزء من أجزاء الكتاب بثبت بأسماء الشخصيات الأسطورية وأسماء الأماكن والأشخاص حتى يسهل متابعة موضوعات الكتاب المتعددة . وبذلك يتحقق الجانب الثالث من جوانب هدف الكتاب .

لقد قضى المؤلف أكثر من عشرين عاماً هائما فى عالم الاغريقيات ، سابحاً فى محيط الأدب الاغريقى ، سابراً أغوار فكر الاغريق والرومان ومن تأثروا بهم . ولقد نشأت لديه فكرة تأليف هذا الكتاب منذ عشرين عاماً ، لكنه لم يجرؤ على تنفيذ هذه الفكرة على الفور . فالفكرة جريئة ، والتنفيذ صعب ، والهدف بعيد . مجال الأساطير الأغريقية شائك ؛ ومصادرها متعددة ، ومادتها غزيرة ، والمراجع العلمية فى هذا المجال صعبة المنال ، والآراء التى نشأت حول أساطير الأغريق متعارضة متناقضة متشابكة . لكن الرغبة الجامحة انتصرت على التردد والحرص . وأدى ذلك الانتصار إلى ظهور هذا الكتاب . ونظراً لضخامة الموضوع ، وتحقيقا للهدف المرجو من هذه الدراسة ، فقد رئى تقسيم هذا الكتاب إلى ثلاثة أجزاء . يضم الجزء الأول أساطير البشر ، والثانى أساطير الأبطال والآلهة الصغرى ، والثالث والأخير الآلهة الكبرى . ولعل ذلك التقسيم يثير بعض التساؤلات ، إذ قد يقول قائل إن الآلهة الكبرى أجدر بالجزء الأول ، أو قد يسأل سائل عن الفرق بين البشر والأبطال ، أو عن الفرق بين الآلهة الصغرى والآلهة الكبرى ، إلى غير ذلك من تلك الأقوال والتساؤلات التى قد يثيرها القارئ الذكى حول عمل علمى ضخم . لكن المرجو من القارىء الكريم أن يقبل هذا التقسيم على علاته فى بادىء الأمر ، على أمل أنه قد يقتنع بصحة ذلك التقسيم وضرورته عندما يفرغ من قراءة الأجزاء الثلاثة ، وخاصة خاتمة الجزء الثالث .

عالم الأساطير عالم غامض، والأسطورة كتلة من التفاصيل المتشابكة والمتناقضة فى أغلب الأحيان . كما أن الأسطورة الاغريقية بوجه خاص غالباً ما تشمل أسرة بأكملها ، أو مجتمعاً بأكمله ، وقد تشمل أيضا الكون كله . لذلك فإن من يتعرض للأساطير الاغريقية يجد نفسه أمام أحد أمرين : إما أن يتناول الأسطورة كاملة ، أو يتناول كل شخصية أسطورية على حدة . ولقد أثبتت التجارب أن المنهج الثانى أكثر فائدة وأقل تعقيداً . فلو ذكرنا — على سبيل المثال — قصة ولدىْ أتريوس فسوف نجدها تبدأ بالإله زيوس ، ثم ابنه تانتالوس ، ثم ابنه بلوبس وشقيقته نيوبى ، ثم أتريوس وصراعه مع شقيقه ثويستوس ، ثم أجاممنون وزوجته كلوتمنسترا ، ثم كلوتمنسترا وولدها أورستيس ، ثم أورستيس وأخته الكترا ، ثم الكترا وأورستيس واختهما إيفيجينيا ، ثم هناك أيضا منيلاووس شقيق أجاممنون وزوجته هيلينا . هذا بالاضافة إلى شخصيات أخرى ، لا حصر لعددها . وإن من يريد أن يتعرض لأسطورة ولدى أتريوس ككل، عليه أن يروى كل أساطير الاغريق تقريباً . إذ عليه أن يتناول — بالاضافة إلى كل ما سبق ذكره — الحروب الطروادية وموقف كل إله من آلهة الأولومبوس من تلك الحروب الطاحنة والأسباب التى دفعت كل إله إلى اتخاذ موقف معين ... وهكذا . ولقد أدرك معظم الكتاب الاغريق والرومان هذه الحقيقة ، لذا حاول كل منهم أن يكتفى بتناول جزء من الأسطورة أو شخصية أسطورية . ولقد فضل المؤلف المنهج الأخير فتناول كل شخصية أسطورية على حدة — كما يظهر فى الجزء الأول من الكتاب — أو يتناول كل جزء من أجزاء الأسطورة على حدة — كما يظهر فى الجزءين الثانى والثالث .

أما فيما يتعلق بمصادر الأساطير الاغريقية ومدى التزام المؤلف بما ورد فيها من تفاصيل ، فلقد حاول المؤلف أن يلتزم — إلى أقصى حدود الالتزام — بالتفاصيل الدقيقة للأسطورة . وعندما توجد روايات مختلفة — وما أكثر وجودها — فلقد حاول المؤلف أن يجمع بين تلك الروايات

المختلفة أو يؤلف بينها أو يتحاشى ذكر بعضها فى متن الأسطورة مع الإشارة فى الحواشى إلى ما تحاشى ذكره . وزيادة على ذلك فقد حاول المؤلف أن يصوغ الأساطير صياغة أدبية ، وأن يهيىء للقارىء العربى الجو الأسطورى الاغريقى ، وإن ظهرت — رغم كل ذلك — شخصية المؤلف وأسلوبه الخاص أثناء العرض .

وإن المؤلف إذ يمهد لتقديم « أساطير إغريقية » لا يفوته أن ينبه إلى أن الأساطير العشرين التى يحتويها الجزء الأول من هذا الكتاب قد سبق نشرها فى صورة مبسطة — دون حواش أو مقدمات — فى اثنين وعشرين عدداً من مجلة «الجديد» التى تصدر عن الهيئة العامة للكتاب— القاهرة — فى الفترة من يناير ١٩٧٣ إلى يناير ١٩٧٦ .

ولإن وفق المؤلف فى كل محاولاته أو بعضها فالفضل لله سبحانه وتعالى ولأساتذته وزملائه وتلاميذه ، وإن لم يحالفه التوفيق فالتبعة عليه وحده ، والله ولى التوفيق .

د . عبد المعطى شعراوى

القاهرة ١٩٨٢

مقدمة
مصادر الأسطورة الإغريقية

لا يكاد يخلو عمل من أعمال الكتاب الاغريق والرومان من إشارات مباشرة أو غير مباشرة إلى الأساطير الاغريقية . لذا فإن مصادر الأسطورة عند الاغريق متعددة ومتباينة . لكن هناك بعض الأعمال التى يشير فيها مؤلفوها إشارات عابرة أو يذكرون تفاصيل مبتورة لإحدى الأساطير ؛ لذا ، فإنه من العبث محاولة ذكر كل تلك المصادر ، بل من الضرورى الاكتفاء بالتعرض للأعمال التى تعتبر المصادر الرئيسية للأساطير الأغريقية(١) .

أول هذه المصادر وأقدمها وأهمها الإلياذة والأوديسا ،هاتان الملحمتان الرائعتان اللتان تنسبان إلى شاعر إغريقى أعمى يدعى هوميروس . لقد ظلت هذه الفكرة سائدة حتى بداية عصر المسيحية . ثم ظهرت آراء متناقضة حول شخصية مؤلف هاتين الملحمتين(٢) . أنكرت فئة من الدارسين وجود شاعر يعرف باسم هوميروس . اعترفت فئة أخرى بوجود هوميروس تاريخياً ، لكنها اختلفت حول العلاقة بينه وبين هاتين الملحمتين . فمن قائل أن هوميروس لم ينظم الإلياذه والأوديسا ، بل جمع أناشيد غيره ، إذ كان يقوم بإنشادها فى حضرة الملوك والنبلاء . ثم نسق بين فقراتها وربط بين أجزائها ، وبذلك ظهرت ملحمتان رائعتان هما الإلياذة والأوديسا. هناك أيضا من يقول إن هوميروس لم ينظم سوى الإلياذة فقط ، بينما نظم الأوديسا

١ – Hamilton, Mythology, pp. 21 — 23.

٢ – Murray, Rise of Greek Epic, pp. 240 sqq.

شخص آخر حاول أن يسير على نهج هوميروس (٣) . ومهما اختلفت الآراء حول ناظم الإلياذة والأوديسا ، فإن ذلك لا يغير من الأمر شيئاً . فالإلياذة والأوديسا هما ـــ دون شك ـــ أقدم الأعمال الأدبية التي وصلتنا من التراث الاغريقي . ومن المحتمل أنهما قد ظهرتا في الوجود أثناء القرن العاشر قبل الميلاد . ولسنا هنا بصدد الحديث عن روعة هاتين الملحمتين وجمالها (٤) . إن الإلياذة والأوديسا مليئتان بالأساطير الاغريقية، فهما كنز لا يفنى ومعين لا ينضب ، نهل منه الشعراء والكتاب الاغريق فيما بعد . وربما يقصد ذلك المعنى المؤرخ الاغريقي هيرودوتوس حين يقول إن هوميروس وهيسيودوس هما اللذان أثبتا لليونانيين أنساب الآلهة وأطلقا عليها ألقابها وفصّلا عباداتها واختصاصاتها ، وبيّنا أشكالها (٥) . إن هذه النقطة بالذات هي التي تهمنا في هذا الصدد . فلقد أصبحت الإلياذة والأوديسا فيما بعد دستوراً للاغريق، وهادياً لهم ، ومركزاً للمعلومات التي يحتاجون إليها في مجال علاقاتهم بالآلهة (٦) . فالآلهة والبشر يختلطون اختلاطاً تاماً ويشكلون عالماً واحداً في الإلياذة والأوديسا .

نحن نعلم أن الآلهة في عصر هوميروس كانت لها شخصيات محددة وصور ناسوتية . لكن هذه الصورة الناسوتية لم تكن قد استطاعت بعد أن تطمس تماماً تلك الصور اللاناسوتية التي تشير إلى أصل تلك الآلهة ونشأتها (٧).

٣ ـــ راجع كتاب Butler, The Authoress of the Odyssey, Passim
يرى المؤلف : ا . أن الإلياذة والأوديسا ليستا من نظم شاعر واحد .
ب . أن تاريخ نظم الأوديسا يرجع إلى عام ١٠٥٠ ق . م . وأنه يجئ بعد تاريخ نظم الإلياذة بحوالى مائة عام .
جـ . أن هوميروس لم ينظم الأوديسا بل نظمتها امرأة شابة من صقلية عاشت في ترابانى Trapani . أنظر مقدمة المرجع المذكور ، ص ٧ .

٤ ـــ أنظر كتابنا « هوميروس » حيث توجد دراسة لكل من الإلياذة والأوديسا .

٥ ـ Herod. II. 53.

٦ ـ Earp, The Way of the Greeks, p. 134.

٧ ـ Spence, An Introduction to Mythology, pp. 257 — 9.

إن الأساطير الاغريقية ـــ كما صورها هوميروس في ملحمتيه الإلياذة والأوديسا ـــ هي وحدها التي تظهر في صورة أقل بدائية وخشونة عن الأساطير التي يرويها هيسيودوس عن الآلهة (٨) . فالإله زيوس والربة هيرا والإله أبوللون والربة أرتميس ، وكل هؤلاء الآلهة التي تحددت سماتهم التقليدية في كل العصور التالية لعصر هوميروس قد صورهم شاعر الإلياذة والأوديسا في صورة نبيلة فاضلة (٩) ـــ إذا ما استثنينا بعض الصفات اللاناسوتية أو الشريرة التي كانت توصف الآلهة بها في بعض الأحيان والتي تعتبر في حد ذاتها بقايا العنصر البربري للاعقلانية التي هي مظهر من مظاهر الأسطورة في مراحلها البدائية (١٠) .

إن زيوس عند هوميروس هو السلطان الذي يحكم مجتمع الآلهة ، وقد صوره هوميروس إلهاً عادلاً رحيماً ، والداً لشعبه ، منتقماً للضعفاء . يتجمع من حوله بقية الآلهة والربات تماماً مثلما تفعل الطائفات الناسوتية العقلانية . تشكل هذه الحكومة المقدسة دولة ذات حكم فردى ، وهي صورة مأخوذة من نظام الحكم الاغريقي في ذلك الوقت (١١) . يسود كلا من البشر والآلهة مسحة من الصداقة والثقة المتبادلة التي تمنح العقيدة الاغريقية ـــ كما صورها هوميروس ـــ طابعاً سائغاً تلقائياً قد لا يظهر عادة بوضوح في العصور التالية لهوميروس . لقد كانت الإلياذة والأوديسا ـــ وما زالتا حتى الآن ـــ

٨ ـ Earp, Op. Cit., pp. 143-5

٩ ـــ بالرغم من ذلك فقد اعترض بعض الكتاب الاغريق على طريقة كل من هوميروس وهيسيودوس في حديثهما عن الآلهة . إذ يقول كسينوفانيس (شذرة رقم ١) : « إن البشر العاقلين ينشدون عن الآلهة أشعاراً وقصصاً ذات فأل حسن وكلمات نقية . . . ولا يتحدثون عن معارك التيتان والعمالقة والقناطير التي هي من نسج خيال القدماء» . كما يقول أيضا (شذرة رقم ١١) : « لقد نسب هوميروس وهيسيودوس إلى الآلهة كل ما يجلب العار على البشر : السرقة والفحشاء والخداع . أنظر أيضا بنداروس مجموعة القصائد الاولومبية ، القصيدة الأولى ، سطور ٣٠ ـــ ٣٥ .

١٠ ـــ قارن : Rose, Greek Mythology, p. 176 — 7 حيث يعتقد مؤلفه أن الاغريق تخيلوا آلهتهم في صور ناسوتية منذ فجر حياتهم .

١١ ـ Earp, Op. cit., p. 140.

السجل الرسمي لعقيدة الاغريق والمرجع الاساسي لدارسي أساطيرهم [١٢] . ولعل من بين مامنح هاتين الملحمتين أهمية فائقة هو أن هوميروس قد صور في ملحمتيه مرحلة التحول من العصر الأسطوري الهمجي أو الشبه همجي إلى العصر الكلاسيكي المزدهر بالمدنية والتقدم .

لم تصلنا معلومات كافية عن شخصية هوميروس ، ولا نستطيع أن نسد هذا النقص عن طريق دراسة أعماله التي وصلتنا . إذ أن طبيعة الملحمة بوجه عام لا تجعل من السهل التعرف — عن طريق دراستها — على شخصية ناظمها . لكن من المعروف أن هوميروس قد صور في ملحمتيه عصر الملكية المستبدة . يلي هوميروس — كمصدر من مصادر الأساطير الاغريقية — الشاعر التعليمي[١٣] هيسيودوس ، الذي يصور عصر حكم الأرستقراطية في بلاد الإغريق . ولقد أمدتنا الأشعار التي نظمها هيسيودوس ببعض المعلومات الضئيلة عن نسبه وأصله وشخصيته [١٤] . كان والده يدعى ديوس[١٥] ، وهو مواطن من كوس في أيوليس ، كان يعمل بالتجارة وربما أيضا بالزراعة . دفعه الفقر إلى الهجرة إلى أسكرا الواقعة بالقرب من ثسبياى Thespiae في إقليم بيوتيا [١٦] . وكان له شقيق يدعى برسيس ، كان عاطلا مسرفاً . حاول برسيس — بعد موت والده — أن يستأثر بما ترك الوالد من ثروة ضئيلة . ولما رفع هيسيودوس الأمر للقضاء ، وقف

١٢- Bowra, The Greek Experience, p. 119.

١٣- Idem, Landmarks In Greek Literature, p. 60. يقول هيراكليتوس (شذرة رقم٥٧) متهكما: διδάσκαλος δέ πλείστων ‘Ησίοδος .

١٤- يثير بعض مؤرخي الأدب غبار الشك حول صحة ما جاء في أعمال هيسيودوس عن أصله ونسبه وحياته الشخصية . إذ يرون أن هيسيودوس إنما ابتكر قصة الصراع بين الأخوين ليخلق مجالا مناسبا لمناقشة فكرة العدالة وعلاقة البشر بالآلهة. راجع: Evelyn — White, Hesiod, pp. xiv — xv; Murray, Ancient Greek Literature, pp. 53-54 . أنظر الحاشية التالية .

١٥ – يذكر هيسيودوس في السطر ٢٩٩ من قصيدة الأعمال والأيام اسم شقيقه برسيس περσῆς ووالدهما ديوس (πέρση, Δίου γένος) .

١٦ – نفس القصيدة ، سطر٦٣٦ ومابعده .

« السادة الفاسدون » في صف برسيس بعد أن تقاضوا منه رشوة [١٧] . أنفق شقيقه كل ما ورثه على ملذاته وبدأ يذوق مُرَّ السؤال . كتم هيسيودوس غضبه وبدأ حياته من جديد مزارعاً بسيطاً حتى قابلته الموسيات [١٨] فوق جبل هيليكون حيث كان يرعى أغنامه « ولقنته أنشودة رائعة » [١٩] . كما نعلم أيضا أن هيسيودوس انتصر على الشاعر أمفيداماس في مدينة كولخيس التابعة لاقليم يوبويا في مباراة في الشعر ، وأنه وهب الجائزة التي فاز بها إلى الموسيات [٢٠] .

كل ما يهمنا أن نستخلصه من ذلك العرض السريع للمعلومات الضئيلة التي نعرفها عن حياة هيسيودوس هو أنه قد ذاق مر الفاقة وقاسى من الظلم والفساد ، وأنه بكفاحه وصبره أصبح جديراً بأن تمنحه الموسيات القدرة على كتابة الشعر . يظهر أثر ذلك في قصيدتيه « الأعمال والأيام » « وأنساب الآلهة »[٢١] . فالقصيدتان ذاخرتان بالأساطير ، حتى أنهما أصبحتا من أهم مصادر الأساطير الاغريقية في العالم القديم والحديث .

تتكون قصيـــــدة الأعمال والأيام Ἔργα καὶ ἡμέραι من أربعة أجزاء : في الجزء الأول يشير هيسيودوس من خلال قصص مجازية إلى الصراعات والخصومات ، ثم يشرح كيف نشأ بين البشر الشر والحاجة

١٧ – نفس القصيدة ، سطر ٣٤ ومابعده .

١٨ – عن الموسيات Μοῦσαι أنظر حاشية رقم ٦٨ أدناه .

١٩ – أنساب الآلهة ، سطر ٢٢ – ٢٣ .

٢٠ – الأعمال والأيام ، سطر ٦٥١ – ٦٥٩ .

٢١ – هناك أعمال أخرى تنسب إلى هيسيودوس : κατάλογοι ، Ἀστρονομία ، Γάμος ، Κῆϋκος ، Αἰγίμιος ، Ἰδαῖοι ، Δάκτυλοι ، Μελαμπόδεια ، Χείρωνος ὑποθῆκαι ، Μεγάλαι ἠοῖαι ، Ὀρνιθομαντεία وغيرها . وكلها ذاخرة بالأساطير Evelyn-White, Op. Cit., pp. xix-xx; pp. xxi-xxiii.

هناك أيضا من يعتقد أن قصيدة الأعمال والأيام ليست من نظم هيسيودوس بل نظمت بعد أن نظم هيسيودوس قصيدة أنساب الآلهة بمائة عام . انظر حاشية رقم ٢٤ أدناه .

إلى العمل وذلك من خلال أسطورة باندورا (٢٢) ، ثم يستطرد إلى وصف العصور الخمسة التى مر بها العالم (٢٣) وكيف ظل الشر يتزايد على وجه الأرض حتى أصبح العالم فى عصره يقاسى من سوء الأحوال وأصبح الصراع من أجل الحياة شيئا لا مفر منه . ثم يدين سياسة العنف والظلم وذلك من خلال أسطورة الصقر والعندليب ، ثم يستطرد إلى تبيان الثواب الذى تناله الأمة التى يتصف أهلها بالعدل ، والعقاب الذى تفرضه السماء على الأمة التى يمارس أفرادها العنف ، ثم يختتم هذا الجزء بمجموعة من الملاحظات عن الصناعة والسلوك القويم بوجه عام . وفى الجزء الثانى يشرح هيسيودوس كيف يستطيع المرء أن يتقى شر الفاقة والعوز عن طريق الاهتمام بالصناعة ومباشرة الزراعة والتجارة فى البحر . ويبدو واضحاً أن الشاعر لم يوفِّ هذا الجزء حقه من الدراسة . يتضمن الجزء الثالث ملاحظات حول بعض الأعمال المنزلية والأعمال العامة والسلوك بوجه عام . ويبدو واضحاً أن ما جاء فى هذا الجزء غير متناسق أو مترابط . وفى الجزء الرابع والأخير يتحدث هيسيودوس عن أيام الشهر من كل عام ويحدد ما يراه ملائما للزراعة أو الأعمال الأخرى . وقد اكتسبت القصيدة عنوانها مما جاء فى الجزء الثانى « الأعمال » والجزء الرابع « الأيام » ، والقصيدة فى مجموعها ليست سوى مجموعة متباينة من الأساطير ، والملاحظات الأخلاقية ، والنصائح الفنية والأمثال الشعبية (٢٤) .

أما قصيدة أنساب الآلهة Θεογονία — كما يبدو من عنوانها — فهى عرض مفصل للمراحل التى مر بها العالم من آلهة وبشر ، ففيها يتناول هيسيودوس البدايات الأولى للكون وبداية تكوين العائلة المقدسة ، ثم يتتبع سلالات الآلهة على اختلاف درجاتها حتى يصل إلى مجموعة عائلات

٢٢ — راجع ص ٨١ أدناه .

٢٣ — Guerber, Myths of Greece And Rome, p. 22.

٢٤ — لعل ذلك قد دفع بعض النقاد نحو الاعتقاد أن هذه القصيدة ليست من نظم شاعر واحد بل هى مجموعة من الأشعار المتفرقة جمعها شخص قد يكون هيسيودوس أو غيره . راجع: Evelyn-White, Op. Cit., pp. xviii-xix; p. xxvi.

الأبطال . وينقص هذه القصيدة أيضا الوحدة وترابط الموضوع ، وإن كان من الممكن ملاحظة وجود ترابط بسيط بين أجزائها المختلفة . فقد قسم هيسيودوس مجموعات الآلهة والربات حسب الترتيب الزمنى . فحالما ينتهى الشاعر من حديثه عن جيل من الآلهة يبدأ مباشرة فى الحديث عن الجيل الذى يليه — وإن كان يخرج أحيانا عن هذه القاعدة (٢٥) . يبدأ هيسيودوس قصيدته بثلاث مقدمات بسيطة ، ثم يقدم لنا ثلاثة آلهة أزلية متناهية فى القدم : خاؤوس ، الأرض ، الحب . تنجب الأرض السماء الذى (٢٦) ينجب منها بدوره التياتن والكوكلوبيس والمسوخ ذوات المائة يد (٢٧) . وعندما يشعر التياتن بظلم والدهم واستبداده يثورون ضده بتحريض من والدتهم الأرض وتحت قيادة كورونوس . ونتيجة لهذه الثورة تنفصل الأرض عن السماء ، ويصبح كرونوس (الزمن) حاكما للكون . ويعلم كرونوس أن نهايته سوف تكون على يد واحد من أبنائه ، لذلك يبتلع كل طفل تنجبه له زوجته ماعدا الطفل زيوس الذى تنقذه والدته ريا . وعندما يكبر يقهر والده كرونوس ويقصيه عن العرش (٢٨) . ويضطر كرونوس إلى أن يتقيأ أطفاله الذين ابتلعهم من قبل ، ويتقاسمون العالم مع زيوس ، كما يحدث تماماً بين البشر . ثم يروى هيسيودوس حادثين كان لهما كبير الأثر فى تثبيت ملك زيوس : معركة التياتن (٢٩) والقضاء على التيفويس (٣٠) . ومادام زيوس هو الحاكم الحالى ، فان الشاعر يستطرد إلى ذكر قائمة من الآلهة أنجبها زيوس من مجموعة من الربات . ثم أخيراً يودع هيسيودوس آلهة الكون وآلهة أولومبوس ويعدد أسماء أبناء أنجبتها ربات « لرجال من بين أفراد

٢٥ — كما يظهر فى تناوله لأسطورة أبناء يابيتوس : أنظر القصيدة سطر ٥٠٧ — ٦١٦ .

٢٦ — أى السماء ، إذ أن السماء ذكر فى الأساطير الاغريقية .

٢٧ — راجع ص ٦٨ أدناه .

٢٨ — راجع ص ٧٢ أدناه .

٢٩ — راجع ص ٧٣ أدناه.

٣٠ — Graves, Greek Myths, I. pp. 133-4.

البشر . ثم يختتم الشاعر قصيدته بدعاء إلى الموسيات لتنشدن عن « عشيرة النسوة » (٣١) .

هكذا قدم لنا القروى الاغريقى البسيط هيسيودوس فى القرن التاسع قبل الميلاد (٣٢) تساؤلات وملاحظات حول كيفية حدوث كل شيء وحاول أن يصل إلى تفسير لكل ظاهرة أو عادة أو شعيرة أو تقليد . ولعله أول إغريقى يفعل ذلك ، إذ أن هوميروس لم يفعل فى الإلياذة والأوديسا مثلما فعل هيسيودوس فى قصائده . ومن هنا جاءت أهمية هيسيودوس « كصانع » للأساطير الاغريقية .

بالاضافة إلى أعمال كل من هوميروس وهيسيودوس ، هناك مجموعة من القصائد مجهولة المؤلف والزمان والمكان . لكن مؤرخى الأدب قد درجوا على وضعها ضمن أشعار الملاحم ، كما اعتادت أغلب المصادر تسميتها « بالأناشيد الهومرية » (٣٣) . إنها مجموعة من الأناشيد تضم ثلاثة وثلاثين نشيداً ، أقدمها قد يرجع تاريخ نظمه إلى أواخر القرن الثامن أو أوائل القرن السابع ق . م . وأحدثها قد يرجع تاريخه إلى القرن الخامس أو الرابع ق . م (٣٤) . تعتبر هذه المجموعة من القصائد مصدراً هاماً من

---

٣١ – دفعت هذه الخاتمة إلى الاعتقاد فى أن هيسيودوس قد ألحق بهذه القصيدة قصيدة أخرى لم يصلنا منها سوى بعض شذرات قليلة – أسماها κατάλογοι كتالوج النساء . قيل إن هيسيودوس أرجع أصل الاغريق جميعا إلى جد واحد . ولقد فضل هيسيودوس أن يكون ذلك عن طريق ذكر الأمهات لا عن طريق ذكر الآباء لسببين : أولهما أن أغلب القبائل والعشائر تدعى أنها تنتمى إلى إله ، لذلك من الأسلم أن يتتبع أصل كل عشيرة أو قبيلة عن طريق امرأة من البشر أحبها ذلك الإله الذى تدعى القبيلة أو العشيرة الانتماء إليه . وثانيهما أن المجتمعات الواقعة فى شمال بلاد الاغريق كانت مجتمعات تعترف بأن الأم – وليس الأب – هو مصدر النسب وأن آثار هذه العادات كانت وما زالت قائمة فى الأزمنة التاريخية : راجع

Evelyn—White, Op. Cit; pp. xxi—xxii.

٣٢ – Bowra, Landmarks In Greek Literature, pp. 61—62.

٣٣ – Lesky, History of Greek Literature, p. 84.

٣٤ – Evelyn-White, Op. Cit., pp. xxiv sqq; Hamilton, Mythology, p. 22;

مصادر الأساطير الاغريقية . ويبدو أن بعض هذه الأناشيد قد نظمت لتنشد بمثابة مقدمة قبل أن يبدأ المنشد فى إنشاد أجزاء من الإلياذة والأوديسا (٣٥) . كما أنه من الممكن أيضا أن يكون البعض الآخر قد نظم لينشد أثناء احتفالات دينية خاصة بآلهة معينة (٣٦) . إن كل نشيد من هذه الأناشيد موجه إلى إله أو ربة . فمثلا ، نشيد ديميتر ، نشيد أبوللون ، نشيد هرميس ، نشيد ديونوسوس ... وهكذا . فى أغلب هذه الأناشيد يروى المنشد أسطورة الإله الذى نظم النشيد لينشد تكريما له . ففى نشيد ديميتر – على سبيل المثال – يذكر المؤلف كيف اختطف هاديس برسيفونى ، وكيف حزنت والدتها ديميتر من أجل فراقها ، ثم كيف اعتكفت الربة الأم فى قرية إليوسيس وانتقمت من الآلهة والبشر بأن نشرت القحط وقضت على الزرع . وفى النهاية اضطر زيوس إلى إعادة الابنة المخطوفة إلى والدتها . لكن الابنة لم تعد فانية بعد ، فقد تجرعت كأس الخلود . أصبحت ربة من ربات العالم السفلى لفترة معينة من كل عام – وذلك بعد محاولات متكررة من الإله هاديس (٣٧) . وفى ذكرى اختطاف برسيفونى تحيى الربة ديميتر فى كل عام أعياد إليوسيس الصوفية . ومن هنا يتضح أهمية هذه المجموعة من الأناشيد كمصدر من مصادر الأساطير الاغريقية. بالإضافة إلى هذه المجموعة ، فإن لدينا مجموعة أخرى من القصائد مجهولة المؤلف والزمان والمكان سار ناظموها على نهج هوميروس وحشدوا تلك القصائد بأساطير الآلهة والأبطال (٣٨) .

---

٣٥ – يشير ثوكوديديس (الكتاب الثالث ، فصل ١٠٤) إلى أحد هذه الأناشيد – نشيد أبوللون – بلفظ προοίμιον أى المقدمة التى تسبق إنشاد الملاحم . مما يعضد هذا الرأى ما نجده فى نهايات بعض هذه الأناشيد : فى أنشودة هيليوس (الشمس) يختم الشاعر النشيد قائلا « سطور ١٧ – ١٩ » : وداعاً أيها السيد ، امنحنى بلا حدود ما يدخل البهجة على القلب . لقد بدأت بمديحك . والآن سوف أنتقل إلى تكريم جماعة من البشر هم أنصاف آلهة أظهرت الموسيات مآثرهم لأفراد البشر » .

٣٦ – Evelyn—White, Op. Cit., pp. xxxiv—xxxv.

٣٧ – أنظر الشكل رقم ١

٣٨ – Sinclair, History of Classical Literature, pp. 61.



شكل (١)

هاديس يختطف برسيفوني ابنة ديميتر

وإذ نواصل جولتنا بين مصادر الأساطير الاغريقية نجد أنفسنا وجهاً لوجه مع واحد من أشهر الكتاب الاغريق الذين قاموا بتسجيل تلك الأساطير. إنه بنداروس **Pindaros** ، أشهر شعراء الشعر الغنائى عند الاغريق . ولد بنداروس فى كينوسكفالاى الواقعة غرب مدينة طيبة ولا تبعد عنها بأكثر من نصف ميل . وبذلك فهو مواطن من إقليم بيوتيا . ولد بنداروس فى الفترة ما بين عامى ٥٢٢ و ٥١٨ ق . م . (٣٩) عاش حوالى ثمانين عاماً ، وتوفى بين عامى ٤٤٢ و ٤٣٨ ق . م. تنسب إليه المصادر القديمة مجموعات ضخمة من القصائد ملأت سبعة عشر مجلداً فى عصر الاسكندرية . لم يصلنا من أعماله سوى الأربعة كتب الأخيرة كاملة (٤٠) . كما وصلنا أيضا أجزاء لا بأس بها من بقية كتبه على شكل شذرات مختلفة الحجم . قيل إنه فى بداية حياته الأدبية تجاهل استخدام الأساطير فى أشعاره ، مما دعا شاعرة بيوتية معاصرة له أن تلفت نظره إلى ذلك (٤١) . عندئذ اندفع بنداروس نحو الأساطير اندفاعاً منقطع النظير ، وبدأ فى استخدامها بشكل لافت للنظر حتى انتقده أحد النقاد قائلا: «على مَنْ يبذر الحَبَّ أن يبذره بيده لا بالكيس كله » (٤٢) . ظل بنداروس يملأ قصائده بالأساطير حتى أصبحت مصدراً من أهم مصادرها . كان بنداروس مغرماً برواية الأساطير أو الإشارة إليها . كان يشعر بالسعادة وهو يتحدث عن أساطير الآلهة وخاصة أبوللون والتوأمين بوللوكس **Pollux** وكاستور Castor وهيراكليس وآل أياكوس.

---

٣٩ – Sandys, Pindar, pp. vii—viii; p. xv.

٤٠ – المجلد الأول أناشيد للآلهة ὕμνοι ، الثانى أناشيد للإله أبوللون παίανες ، الثالث والرابع ديثوراميات διθύραμβοι ، الخامس والسادس أغانى موكبية προσόδια ، السابع والثامن والتاسع أغانى العذارى παρθένεια ، العاشر والحادى عشر أغانى راقصة ʽΥπορχήματα ، الثانى عشر Ἐγκώμια ، الثالث عشر مراثى راقصة Θρῆνοι ، ومن الرابع عشر إلى السابع عشر أناشيد النصر Ἐπινίκια . لكن الشاعر الرومانى هوراتيوس يذكر أعمال بنداروس ويرتبها ترتيباً مختلفاً (Horace Carmina, iv, 2) . أنظر : Sinclair, Op. Cit., pp. 134—5; Sandys, Op. Cit., p. 510 .

٤١ – الشاعرة كورينا **Corinna** .

٤٢ – Plutarch, De Gloria Atheniensium, 4.

يقول بنداروس فى إحدى قصائده : إن قلبى لا يستطيع أن يتذوق قصيدة لا تروى قصة آل أياكوس (٤٣) . الكتب الأربعة التى وصلتنا كاملة من أعمال بنداروس هى أربع مجموعات من القصائد تعرف باسم أناشيد النصر Ἐπινίκια . إنها قصائد كان ينظمها الشاعر تكريما واحتفالا بالأبطال الفائزين فى الألعاب القومية الاغريقية . اعتاد الاغريق إقامة أربعة احتفالات كبرى للألعاب كانت تعرف باسم : الألعاب الأولومبية ، الألعاب البوثية ، الألعاب النيمية ، والألعاب الإسثمية . لذا ، لدينا الآن أربع مجموعات من القصائد تضم كل مجموعة عدداً من القصائد التى نظمها بنداروس تكريماً للأبطال الفائزين فى كل من الاحتفالات الأربعة . سميت كل مجموعة من القصائد باسم الألعاب التى يحتفل الشاعر بفوز أبطالها ، فجاءت كما يلى : مجموعة القصائد الأولومبية ، مجموعة القصائد البوثية ، مجموعة القصائد النيميه ، ومجموعة القصائد الإسثمية . (٤٤)

ابتكر بنداروس بناء خاصاً لقصائد مجموعاته الأربع المعروفة بأناشيد النصر . (٤٥) فلنذكر — على سبيل المثال — القصيدة الأولى من مجموعة القصائد النيمية : نظمت القصيدة لتكريم خروميوس الذى فاز فى سباق العربات ، وموطنه أيتنا Aetna . تبدأ القصيدة بمدح سيراكوز — إذ أن ملك سيراكوز هو الذى أسس مدينة أيتنا — ، ثم بمدح خروميوس ، ثم بإشارة أسطورية إلى جزيرة صقلية — حيث توجد المدينتان سيراكوز وأيتنا — التى منحها زيوس إلى برسيفونى ووعد أن يجعل أرضها دائما خصبة ، وأن يجعلها دائما موطن الرجال الشجعان . ثم يعود بنداروس مرة أخرى إلى مدح خروميوس ، فيعدد صفاته الحميدة حتى يصل إلى الصفة πολυπόνων « الذى يتحمل المتاعب » (٤٦) فينتقل فجاة إلى أسطورة

٤٣ — مجموعة القصائد الإسثمية ، القصيدة الخامسة ، سطر ٢٠ .

٤٤ — Lesky, History of Greek Literature, pp. 198—199.

٤٥ — Bowra, Landmarks In Greek Literature, p. 109.

Rose, Greek Literature, pp. 119—120.

٤٦ — سطر ٣٣ من القصيدة .

هيراكليس . ويستمر بنداروس فى رواية أسطورة هيراكليس فيتعرض لمولده ، وكيف أرسلت إليه هيراحيتين لتباجاه فى مهده ، وكيف قضى عليهما بيديه القويتين ، وكيف استشار والداه العراف تيرسياس فأخبرهما عن مستقبل الطفل الباهر ووصوله إلى مرتبة الخلود(٤٧) .

لقد ملأ بنداروس قصائده بمثل هذه الأساطير (٤٨) . قد تكون الأسطورة فى بعض الأحيان مناسبة لموضوع قصيدته . لكن هناك بعض القصائد التى يظهر فيها بنداروس وقد أقحم الأسطورة على موضوع القصيدة . بل قد تناقض الأسطورة التى يذكرها ما جاء فى بقية القصيدة . ففى القصيدة العاشرة من مجموعة القصائد البوثية — على سبيل المثال — يذكر بنداروس أنه لا يمكن لأى شخص أن يصل إلى أرض الهوبربريوى Hyperboreioi . لكنه يواصل قصيدته قائلا إن البطل برسيوس قد وصل إلى تلك الأرض ، ثم يصف العجائب التى شاهدها برسيوس أثناء وجوده هناك . وفى القصيدة الثانية من مجموعة القصائد الأولومبية يروى بنداروس أسطورة ثم يتحول فى بقية القصيدة إلى موضوع يختلف كل الاختلاف عن الموضوع الذى تهدف إليه تلك الأسطورة(٤٩) .

إن بنداروس ليس إلا واحدا من مجموعة ضخمة من ناظمى الشعر الغنائى الاغريقى . ولقد دأب الشعراء الغنائيون الاغريق على استخدام الأساطير ورواياتها والاشارة إليها والاستشهاد بها (٥٠) . لكننا أسهبنا فى الإشارة إلى بنداروس لأن أشعاره التى وصلتنا أكثر من الأشعار التى وصلتنا لأى

٤٧ — راجع ص ص ٣٧٦ — ٣٧٨ أدناه .

٤٨ — Bowra, Greek Experience, pp. 129—30.

٤٩ — أنظر مزيداً من الأمثلة التى تشرح العلاقة بين موضوع القصيدة والأسطورة التى تحتويها القصيدة فى Bowra, Landmarks In Greek Literature, pp. 111-12.

٥٠ — من أشهر الشعراء الغنائيين الذين تناولوا الأساطير : باخيليديس ، أرخيلوخوس ، ألكايوس وغيرهم .

شاعر غنائى آخر ، ولأن بنداروس كان أعظم وأفضل هؤلاء الشعراء جميعاً (٥١) .

علمنا أن بنداروس قد ولد فى الربع الأخير من القرن السادس ، وتوفى بعد منتصف القرن الخامس . بذلك يكون بنداروس قد عاصر نشأة التراجيديا الاغريقية وشاهدها وهى فى طريقها نحو الازدهار على يد أيسخولوس وسوفوكليس . من المعروف أن التراجيديا الاغريقية قد ارتبطت منذ نشأتها بعبادة الإله ديونوسوس . فقد تطورت التراجيديا من رقصات الديثورامبوس التى كانت تقدم تكريماً لذلك الإله . وظلت العروض المسرحية منذ نشأتها تقام فى معبد الإله وأثناء احتفالاته السنوية (٥٢) . ولقد أثرت هذه النشأة فى موضوع التراجيديا . تناول الكتاب المسرحيون الاغريق قصة الإله ديونوسوس موضوعاً لتراجيدياتهم . بعد ذلك تناولوا قصص الآلهة الأخرى ثم اتجهوا إلى قصص الأبطال . وظل موضوع التراجيديا الاغريقية مستمداً من الأساطير سواء أثناء مراحلها الأولى أو أثناء فترة إزدهارها فى القرن الخامس قبل الميلاد على يد كل من أيسخولوس وسوفوكليس ويوريبيديس (٥٣) . وقد سجل لنا التاريخ عناوين أكثر من أربعماية تراجيديا اغريقية تتناول كلها الأساطير كموضوعات لها . كما وصلتنا حوالى اثنتين وثلاثين تراجيديا كامله كلها تستمد موضوعاتها من الأساطير الاغريقيه(٥٤) .

---

٥١ – امتدحه النقاد القدامى والمحدثون . راجع على سبيل المثال :
Horace, Carmina, iv, 2; Quintilian, x,i, 61; Dionysius Halicarn., De Compositione Verborum, 22; Sinclair, Op. Cit., p. 139.

٥٢ – أنظر كتابنا « المأساة اليونانية » ، ص ٣٣ ومابعدها ، وانظر أيضا :
Lesky, Greek Tragedy, pp. 30—39.

٥٣ – عاش أيسخولوس فى الفترة من ٥٢٥ – ٤٥٦ ق . م . ، سوفوكليس ٤٩٦ – ٤٠٦ ، يوريبيديس ٤٨٥ – ٤٠٦ .

٥٤ – من بين كل ذلك العدد الضخم من التراجيديات الاغريقية لا نعرف سوى ثلاث تراجيديات فقط استمدت موضوعاتها من أحداث تاريخية معاصرة . الأولى « سقوط ميليتوس » والثانية « الفرس » أو « الفينيقيات » لفرونيخوس ، والثالثة « الفرس » لأيسخولوس . ولم يصلنا منها سوى الثالثة فقط كاملة . أنظر كتابنا « النص الكامل لتراجيديا الفرس » ، ص ص ٢٧ – ٣٠ ، انظر **Baldry, Ancient Culture And Society, p. 75.**

لذا كان من الطبيعى أن يمثل ما كتبه الشعراء التراجيديون الاغريق الثلاثة الكبار – أيسخولوس وسوفوكليس ويوريبيديس – مصدراً هاماً من مصادر الأساطير الاغريقية(٥٥). ولا يتسع المجال لحصر الأساطير التى تناولها هؤلاء الشعراء التراجيديون أو كيفية تناولها عند كل منهم . فلقد تعرض هؤلاء الشعراء لجميع الأساطير الاغريقية تقريباً ، وإن اختلف كل منهم عن الآخر فى طريقة روايتها (٥٦) . وإن دراسة مفصلة للتراجيديات الاغريقية لتظهر بوضوح مدى تطور الفكر الاغريقى أثناء القرن الخامس قبل الميلاد وموقف الرجل الاغريقى من أساطير قومه التى سبق أن تعرض لها كل من هوميروس وهيسيودوس والشعراء الغنائيين وكتاب التاريخ والفلاسفة الأوائل (٥٧) .

بالاضافة إلى شعراء التراجيديا الاغريقية ، فان كتاب الكوميديا أيضا قد استخدموا فى كوميدياتهم الأساطير الاغريقية . بين هؤلاء الشعراء الكوميديين يقف أريستوفانيس عملاقاً ، إذ أنه يعتبر الممثل الوحيد للكوميديا الاغريقية أثناء مرحلتها الأولى . إن أريستوفانيس هو الشاعر الكوميدى الاغريقى الوحيد الذى وصلنا من أعماله عدد لابأس به من المسرحيات(٥٨) .

---

٥٥ – كتب أيسخولوس حوالى تسعين مسرحية ، وصلنا منها سبع تراجيديات فقط : الفرس ، المستجيرات ، سبعة ضد طيبة ، بروميثيوس مغلولا ، أجا ممنون ، حاملات القرابين ، ربات الرحمة .

كتب سوفوكليس حوالى ١٢٠ مسرحية ، وصلنا منها سبع تراجيديات فقط : أياس ، أنتيجونى ، نساء تراخيس ، أوديب ملكا ، الكترا ، فيلوكتيتيس ، أوديب فى كولونوس . كتب يوريبيديس أكثر من ٩٠ مسرحية ، وصلنا منها ثمان عشرة هى : ألكستيس ، ميديا ، هيبولوتوس ، هيكابى ، أندروماخى ، أطفال هيراكليس ، المستجيرات ، الطروايات ، جنون هيراكليس ، إيفجينيا بين التاوريين ، إيون ، هيلينا ، الكترا ، الفينيقيات ، أورستيس ، إيفيجينيا فى أوليس ، عابدات باخوس ، كوكلوبس .

٥٦ – أنظر كتابنا « المأساة اليونانية » ، ص ص ٤٧ – ٥٧ ، وأنظر أيضا :
Baldry, Ancient Greek Literature, pp. 77—81.

٥٧ – **Bowra, Greek Experience, pp. 128—9.**

٥٨ – عاش أريستوفانيس فى الفترة من ٤٤٥ – ٣٨٥ ق . م . كتب أربعا وأربعين كوميديا لم يصلنا منها سوى إحدى عشرة هى : أهل أخارناى ، الفرسان ، الزنابير ، السحب ، السلام ، الطيور ، ليسيستراتا ، النساء فى عيد الثسموفوريا ، الضفادع ، برلمان النساء ، بلوتوس .

عاصر أريستوفانيس كلا من سوفوكليس ويوريبيديس ، كما أنه درس تراجيديات أيسخولوس . عاصر أيضا الفيلسوف سقراط وجماعة السوفسطائيين . كان على اتصال وثيق بالأحداث السياسية والاجتماعية والفكرية المعاصرة . لم تعد الكوميديا فى عصره تعتمد فى موضوعها اعتماداً كلياً على الأساطير ، بل كانت تعالج الأحداث المعاصرة وتناقش الافكار السائدة (٥٩) . مع ذلك ، لم تكن الأحداث المعاصرة لأريستوفانيس أو الأفكار السائدة فى عصره قادرة على أن تبعده كثيراً عن الأساطير . لذا نجد كوميدياته مليئة بالأساطير زاخرة بالإشارات والتلميحات الأسطورية . فى كوميديا الضفادع – على سبيل المثال – يتعرض أريستوفانيس لتسعة من الآلهة الأولومبية الاثنى عشر : زيوس ، بوسيدون ، ديمتر ، أبوللون ، أرتميس ، هرميس ، أفروديتا ، آريس ، وديونوسوس (٦٠) ، كما يتعرض أيضا لأربعة آلهة صغرى : پان ، برسيفونى ، بلوتو ، وهيراكليس (٦١) . كما يتعرض أيضا للعبادات الصوفية التى كان يمارسها الاغريق : أسرار إليوسيس ، وأسرار أورفيوس (٦٢) . وإن جولة سريعة فى كوميدياته الإحدى عشرة التى وصلتنا تؤكد أننا لانتردد فى اعتبارها مصدراً من مصادر الأساطير الاغريقية .

إن كان الشعر الإغريقى – كما رأينا – يشكل مصدراً رئيسيا من مصادر الأساطير الاغريقية ، فإن النثر أيضا يشكل مصدراً لا يقل فى أهميته عن مثيله الشعر . هنا يبرز كاتب رائد من كتاب النثر الاغريقى ، هيرودوتوس ، الذى أطلق عليه لقب والد التاريخ (٦٣) . ولد هيرودوتوس فى مدينة

٥٩ – Norwood. Greek Comedy, pp. 23 sqq.

٦٠ – Stanford, Aristopanes. The Frogs. pp. xviii-xx.

٦١ – اختلف الكتاب والمعلقون حول هيراكليس هل كان بطلا أم إلهاً . راجع حاشية رقم ١٣٢ ص ٤١٧ أدناه .

٦٢ – راجع نشيد الكورس ، سطر ٣٢٤ وما بعده .

٦٣ – أول من أسماه والد التاريخ هو الكاتب والخطيب والسياسى الرومانى شيشرون Cicero, de legg. i, 5. وإن كان بعض النقاد والمحدثين ينكر عليه ذلك . راجع Toynbee. Greek, Historical Thought. p. xix; Bowra, Landmarks In Greek Literature, p. 163.

هاليكارناسوس فى إقليم كاريا الواقع فى الجنوب الغربى من آسيا الصغرى (٦٤) . لكنه اضطر للهجرة من وطنه لأسباب سياسية إلى جزيرة ساموس ، حيث أتقن هناك اللهجة الأيونية . ثم تغيرت الظروف السياسية فى هاليكارناسوس فعاد إليها ، لكنه ما لبث أن هجرها مرة أخرى إلى مدينة ثوريوى وتوفى هناك (٦٥) . زار هيرودوتوس أماكن كثيرة فى العالم القديم . وعندما وصل إلى أثينا أحبه أهلها ، وربما منحوه حق المواطنة . أصبح من الشخصيات المعروفة هناك . قيل إنه كان صديقا للشاعر التراجيدى سوفوكليس (٦٦) . قيل أيضا إن أريستوفانيس قد أشار فى كوميدياته إلى ما كتبه هيرودوتوس (٦٧) . كتب هيرودوتوس تاريخ الحروب الفارسية . وعندما قامت حركة النشر فى عصر الاسكندر الأكبر ، قسم علماء الاسكندرية أعماله إلى تسعة كتب جعلوا عنوان كل كتاب اسم واحدة من الموسيات التسع (٦٨) . أقام هيرودوتوس فى أثينا ، اكتسب خبرة واسعة وعلما ودراية بالأساطير الاغريقية وبالتاريخ الاغريقى (٦٩) ، كما أقام فترة فى أيونيا . هذا بالإضافة إلى أن مسقط رأسه هاليكارناسوس كان مركزا للتأثيرات الفارسية . فإذا

٦٤ – لا نعرف تاريخ مولده ، إذ اختلفت المصادر القديمة اختلافاً بيناً حول هذه النقطة . فمثلا يروى أوليوس جيلليوس (Aul. Gel., Noctes Atticae. xv, 23, 2) أنه ولد عام ٤٨٤ ق . م . لكن هذه الرواية لم تثبت صحتها ، وإن كان من المحتمل أن يكون قد توفى عام ٤٢٥ ق . م . راجع : Godly, Herodotus, vol. I, pp. viii sqq. Selincourt, Herodotus, The Histories, p. 7 sqq.

٦٥ – Rose. Greek Literature, p. 299.

٦٦ – Plutarch. An Seni Respublica Gerenda sit., 785 b.

٦٧ – د . وهيب كامل ، هيرودوت فى مصر ، ص ٧ .

٦٨ – الموسيات هن ربات الفنون والآداب التسع ، وهن كما يلى : يوتربى ، ثاليا ، ملبوميني ، ترسيخورى ، إراتو ، بولومنيا ، أورانيا ، كالليوبى ، (هيسيودوس ، أنساب الآلهة ، سطر ٧٥ وما بعده) . أنظر أيضا : Zimmerman. Dictionary of Mythology. s.v. Musae.

٦٩ – كما أنه شاهد أيضا عروض المسرح التراجيدى واطلع على الأشعار الملحمية : راجع . Bowra. Op. Cit., pp. 168-9.

تذكرنا كل ذلك ، وأضفنا إليه أيضا أنه زار مصر وبلاد أخرى ، نستطيع أن نتخيل مدى الخبرة الواسعة والمعلومات الغزيرة التى كانت لدى هيرودوتوس .

الغرض من كتابة هيرودوتوس لتاريخه هو التاريخ للحروب الفارسية التى قامت بين الفرس وبلاد الاغريق (٧٠) . لكنه لم يسرد الأحداث ويصف المعارك والحروب فقط ، بل حاول فى كل كتاب من كتبه التسعة أن يتتبع نشأة الشعوب التى اشتركت فى الحرب وأن يتناول آلهتها وعاداتها ومظاهر مجتمعاتها ووسائل معيشتها . لذا ، جاء تاريخ هيرودوتوس مليئاً بالأساطير ذاخراً بقصص الآلهة والأبطال والملوك . فالكتاب الأول — على سبيل المثال — يتناول العصور المبكرة لتاريخ الفرس . لذلك فهو يتتبع العلاقة بين الفرس والاغريق منذ العصور الاسطورية . يشرح لناهيرودوتوس كيف أن مجموعة من الفينيقيين اختطفوا إيو IO من أرجوس ، فما كان من الاغريق إلا أن اختطفوا يوروبا من صور ، ثم اختطفوا ميديا من كولخيس ، عندئذ اختطف باريس هيلينا زوجة منيلاووس . عندئذ نهب الاغريق كل ما استطاعوا أن ينهبوه من آسيا إنتقاما لاختطاف هيلينا . ومن هنا نشأت الكراهية وازداد العداء بين الاغريق والآسيويين . ثم ينتقل بعد ذلك إلى قصة الملك كرويسوس ، ويخلط أثناء روايته للقصة بين العنصر التاريخى والعنصر الأسطورى ، ثم يواصل روايته فيصف عادات أهل بابل ، ويستطرد فى وصفه استطراداً فيأتى وصفاً تفصيلياً رائعاً يدل على سعة أفق الكاتب (٧١) .

ينتقل هيرودتوس إلى الكتاب الثانى فيجد القارىء نفسه فوق أرض الفراعنة ، بناة الأهرام ، على ضفاف النيل الخالد . ويستغرق وصف هيرودوتوس للعادات والتقاليد والآلهة والديانات المصرية أكثر من نصف

٧٠ — Herodot., I, 1

٧١ — Sinclair History of Classical Literature, pp. 166-175.

الكتاب الثانى (٧٢) . ثم يعود مرة أخرى ليصف عهد مينا ، وخلفائه (٧٣) ، لكننا نجده فجأة يبدأ فى رواية جزء من أسطورة هيلينا ، وتستمر رواية هذا الجزء من الأسطورة تسعة فصول كاملة من الكتاب . (٧٤) ثم ينتقل إلى قصة رامبسينيتوس (٧٥) . ثم يتحدث عن بناة الأهرام ، ثم عن وضع الأحباش بالنسبة للمصريين ، ثم يتناول عهد الآلهة ، ثم يواصل روايته فيتناول الآلهة الاثنى عشر ، ثم يتحدث عن أسرة بسماتيك ، ثم يعود — كعادته — للأساطير فيتعرض لأسطورة أوزوريس ووصف قبره ، ثم يتناول فى خاتمة الكتاب قصة أمازيس . هكذا يمتلىء تاريخ هيرودوتوس بالأساطير الأغريقية ، ويجد القارىء نفسه عاجزاً عن التمييز بين التاريخ والأسطورة . وغالباً ما دخلت — بمثل هذه الطريقة — أساطير كثيرة من أبواب التاريخ ، ودخلت الأحداث التاريخية من أبواب الأساطير .

بينما كان هيرودوتوس يسجل خواطره وملاحظاته ويدون التراث الأسطورى والتاريخى فى أثينا ، كان هناك كاتب آخر يصغره بحوالى ربع قرن من الزمان يجمع مادة تاريخية استعداداً لكتابة نوع آخر من أنواع التاريخ. إنه الكاتب المؤرخ ثوكوديديس ، الذى اشتهر منهجه فى كتابة التاريخ فى العصور القديمة والحديثة ، والذى أثر تأثيراً واضحا فى علم كتابة التاريخ منذ العصور المسيحية حتى عصر توينبى Toynbee (٧٦). ولد ثوكوديديس ابن أولوروس من أسرة أثينية نبيلة فى حوالى عام ٤٦٠ ق . م. (٧٧) تولى بعض المناصب حتى أصبح واحداً من القادة المسئولين أثناء حروب البلوبونيس. لكنه لم يوفق فى الدفاع عن مدينة أمفيبوليس ، فكان جزاؤه النفى إلى تراقيا ،

٧٢ — يستمر هذا الجزء حتى الفصل التاسع والتسعين بينما يتكون الكتاب من مائة واثنين وثمانين فصلا.

٧٣ — الفصول ٩٩ — ١١١ .

٧٤ — الفصول ١١٢ — ١٢٠ .

٧٥ — الفصول ١٢١ — ١٢٢ .

٧٦ — Bowra, Landmarks In Greek Literature, pp. 188—9.

٧٧ — Rose, Greek Literature, p. 302.

حيث مكث هناك حتى انتهت الحرب . عاد بعد ذلك إلى أثينا حيث توفى عام ٤٠٠ ق م . ودفن فى ترابها (٧٨) . وبالرغم من الفرق البسيط بين عمرىْ كل من هيرودوتوس وثوكوديديس إلا أن من يقرأ تاريخ كل منهما يشعر بفرق شاسع بينهما . فاللهجة التى استخدمها كل منهما فى كتابة تاريخه مختلفة (٧٩) . كما أن منهج كل منهما يختلف عن الآخر (٨٠) . وبينما تناول هيرودوتوس الحروب الفارسية فقط تناول رفيقه الأصغر ثوكوديديس الحروب البلوبونيسية . وبالرغم من هذه الاختلافات واختلافات أخرى لا يتسع المجال لذكرها فهناك صفة مشتركة بينهما ، وهى وجود الأساطير الاغريقية بين ثنايا التاريخ . فى الكتاب الأول — مثلا — يتعرض ثوكوديديس لنشاة القومية الأتيكية ويتتبع الهجرات المتعددة ، ويتعرض للحروب الطروادية ، وذلك ليصل إلى أسباب الصراع الحقيقية بين أثينا وجيرانها .

لاحظنا أن ما كتبه شعراء الاغريق ومؤرخوهم ذاخر بالأساطير . فإذا ما تركنا الشعر والتاريخ واتجهنا إلى الفلسفة فسوف نجد أنفسنا فى مجال شاسع ، وطريق متعرج ، ملىء بالمتاهات ، وذاخر بالأفكار والتأملات . لكن مهمتنا هنا تجعلنا نعبر بسرعة فائقة ذلك المجال الفلسفى . وبالرغم من ذلك نجد أنفسنا فى نفس الوقت مضطرين إلى وقفة قصيرة عند مؤلفات واحد من أشهر المفكرين الاغريق ، الذى يعتبر واحداً من أعظم رواد الفكر فى الشرق والغرب . لا نستطيع أن نعدد مؤلفات أفلاطون ، فإن مؤلفاته تفوق الحصر . ولا نستطيع عرض جميع الموضوعات التى تناولها فى مؤلفاته . فقد كتب فى كل فروع المعرفة تقريبا . كتب أفلاطون فى السياسة

٧٨ — اختلفت الروايات حول مكان وفاته. قيل إنه مات فى إيطاليا أو تراقيا ، أو أثينا. أنظر
Rose, Op. Cit., p. 303 n. 165.

٧٩ — استخدم هيرودوتوس اللهجة الأيونية بينما استخدم ثوكوديديس اللهجة الأتيكية القديمة التى تشبه لغة التراجيديا وإن ظهرت بعض التراكيب الأيونية فى أجزاء متفرقه وقليلة من تاريخه .

٨٠ — لعل من أدخل مايعرف الآن باسم «فلسفه التاريخ» هو المؤرخ ثوكوديدس ، بينما نهج هيرودوتوس فى كتابته لتاريخه منهج كتاب « القصة التاريخية »

والدين ، والاجتماع والأدب والفن والنقد والعلوم والخطابة ، ولم يترك فرعاً من فروع المعرفة دون أن يتعرض له . لذلك جاءت محاوراته موسوعة فكرية (٨١) . وبالطبع لم تخل هذه الموسوعة من الأساطير الأغريقية .

ضمّن أفلاطون عدداً ضخما من الأساطير الاغريقية فى محاوراته الشهيرة (٨٢). فمثلا ، يلتقى سقراط وفايدروس فيروى الأول لمحدثه أسطورة الجنادب (٨٣) . عندما وجدت الموسيات وظهر الشعر لأول مرة استولى حب الشعر على بعض أفراد البشر ، فظلوا يغنون وينشدون طول الوقت غير عابئين بالجوع أو العطش . وذبل عودهم ، فماتوا . عندئذ ، حولتهم الموسيات من بشر إلى جنادب . ومنذ ذلك الوقت أصبح الجندب يقضى حياته مغنيا ، لا يشعر بالجوع أو العطش . وعندما يموت أحد الجنادب فإنه يذهب إلى الموسيات فى السماء ويخبرهن بأسماء من يبجلونهن على وجه الارض . فى محاورة أخرى (٨٤) ، يستشهد أفلاطون بإحدى أساطير الخلق : كيف طلب كبير الآلهة من بروميثيوس وأخيه إبيميثيوس أن يخلقا البشر على وجه الارض وأن يمنحاهم صفات بشرية مناسبة (٨٥) . ثم يشير إلى نفس الأسطورة فى محاورة أخرى عندما يروى كيف كان الموتى يحاسبون وهم يرتدون ملابسهم بينما كان القضاة الذين يحاسبونهم أيضا يرتدون ملابسهم . ثم يشرح كيف جعل زيوس — بناء على طلب من إله العالم السفلى بلوتو — الموتى والقضاة يتجردون من ملابسهم أثناء الحساب ، وكيف عين زيوس ثلاثة من أبنائه قضاة يحاسبون الموتى : مينوس ، ورادامانثوس من آسيا ،

٨١ — ولنفس السبب اختلف النقاد والدارسون حول تواريخ أعماله المتعددة ، بل تطرق الشك أيضا حول نسبة أغلبها إلى أفلاطون . راجع على سبيل المثال :
Taylor, Plato, The Man and His Work, pp. 10-22.

٨٢ — Bowra, Greek Experience, p. 132.

٨٣ — الجنادب : جمع جندب وهو نوع من الحشرات يشبه الجراد يعيش بين المزارع الخضراء . راجع أفلاطون ، محاورة فايدروس ، ٢٥٩ .

٨٤ — محاورة بروتاجوراس ، ٣٢٠ وما بعده .

٨٥ — راجع ص ٨٤ أدناه .

وأياكوس من أوروبا (٨٦) . ثم يذكر فى محاورة ثالثة (٨٧) قصة البطل إر Er بن أرمينيوس البامفيلى ، الذى استشهد أثناء القتال ثم عاد مرة أخرى إلى الحياة . ووصف البطل لرفاقه ما رآه فى العالم الآخر ، كيف يعيش أورفيوس، ثاموراس ، أياس ، أجاممنون ، أودوسيوس وغيرهم . والأمثلة متعددة تفوق الحصر ، لكن المجال لا يسمح بذكر أكثر من ذلك .

بعد ما ساد الجيش المقدونى بقية بلاد الاغريق ، اتجه جنوباً نحو الشاطىء الشمالى لإفريقيا . استولى القائد المقدونى الشاب الاسكندر على مصر . وقع اختياره على مكان مطل على البحر المتوسط . هناك أسس مدينة سميت من بعده بالاسكندرية . إننا لا نعلم إن كان الاسكندر قد أراد — أو لم يرد — أن تكون المدينة الجديدة عاصمة لحكمه . لكنها سرعان ما أصبحت ذات أهمية كبيرة فى عهده ، وظلت أهميتها تزداد حتى أصبحت عاصمة حكم البطالمة — بدلا من ممفيس — فى عهد بطليموس الأول . واصلت مدينة الاسكندرية ازدهارها حتى أصبحت مركزا للعلم والأدب والثقافة فى عهد بطليموس الثانى والثالث . انتزعت الاسكندرية الزعامة الأدبية من كل مدن بلاد الاغريق . أصبح كل عمل أدبى ظهر أثناء فترة ازدهارها ينسب إليها حتى لو كان صاحبه لا يعيش فيها ولا ينتمى إليها . هنا ظهر ما يعرف بالعصر السكندرى للأدب . عاش فى العصر السكندرى أدباء وشعراء نالوا شهرة واسعة .

ولد أبوللونيوس الرودى Appollonius Rhodius عام ٢٩٥ ق.م. تقريبا ، وعاش فى مدينة الاسكندرية أو فى مدينة ناوكراتيس . لكنه سمى بالرودى لأنه اعتكف فى جزيرة رودوس Rhodus بعض الوقت لكى يتفرغ لنظم قصيدته الملحمية الخالدة رحلة السفينة أرجو Argonautica . ثم عاد مرة ثانية إلى رودوس وبقى بها حتى نهاية عمره (٨٨) . ووصف

٨٦ — محاورة جورجياس ، ٥٢٣ وما بعده .

٨٧ — محاورة الجمهورية ، ٦١٧ وما بعده .

٨٨ — Rose, Op. Cit., pp. 323-326.

أبوللونيوس تلك الرحلة الشاقة التى قطعتها السفينة أرجو إلى كولخيس ، بحثاً عن الفروة الذهبية ، مارة ببحر مرمرة Propontis والبحر الأسود (الكتاب الأول والثانى) ثم الحصول على الفروة الذهبية بمساعدة ميديا (الكتاب الثالث) ، ثم العودة من كولخيس مارة بنهر الدانوب ، ثم نهر البو ، ثم نهر الرون ، ثم البحر المتوسط ، ثم شمال أفريقيا (الكتاب الرابع) . تعرض أبوللونيوس بالتفصيل فى ذلك القصيد الملحمى لقصة البحث عن الفروة الذهبية ، والعقبات التى اعترضت طريق ركاب السفينة أرجو ، والمحاولات اليائسة التى بذلها ياسون من أجل تحقيق الهدف من البعثة ، وكيف وقعت ميديا فى حب البطل ياسون ، ومساعدته على الحصول على الفروة الذهبية ، والفرار من كولخيس . بالإضافة إلى ذلك ، فقد تعرض أبوللونيوس أثناء روايته لأسطورة ميديا لأساطير إغريقية متعددة ، مما يجعل قصيدته مصدراً رئيسيا من مصادر الأساطير الإغريقية .

إلى أعمال أبوللونيوس الرودى ، يمكن أن نضيف أيضاً أعمال ثلاثة شعراء آخرين من عصر الاسكندرية : ثيوكريتوس Theocritos ، بيون Bion ، موسخوس Moschos .

ثيوكريتوس السيراكوزى هو الذى بعث فن كتابة الميمية(٨٩) فى صورة جديدة ، والذى يعتبر أفضل من نظم الأشعار الرعوية والمليحات (٩٠) . بدأ ثيوكريتوس نظم الشعر فى مسقط رأسه سيراكوز ، لكنه لم يجد تشجيعا هناك . هاجر إلى شرق البحر المتوسط . عاش فترة فى جزيرة كوس Kos ثم زار الاسكندرية حيث قامت بينه وبين أهلها صداقة ومودة . بالرغم

٨٩ — الميمية μῖμος ، نوع من الأشعار التمثيلية الغنائية الراقصة ،التى كانت تنظم فى هيئة حوار .

٩٠ — المليحمة ἐπύλλιον (وهى تصغير لكلمة ملحمة ἔπος) أى الملحمة الصغيرة.هى قصيدة روائية ظلت نوعاً معروفا من أنواع الأدب منذ عصر الشاعر السكندرى ثيوكريتوس حتى عصر الشاعر الرومانى أوفيديوس . يتراوح طول القصيدة بين مائة وستمائة بيت . كان موضوعها فى العادة مستمداً من حياة شخصية أسطورية وغالباً ما كان الحب هو الفكرة التى يدور حولها موضوع القصيدة .

من أن ثيوكريتوس كان يكتب فى موضوعات متعددة ، إلا أن أعماله مليئة بالأساطير والإشارات الأسطورية . تناول فى اثنين من مليحماته مثلا — حادثين من الأحداث التى ذكرها أبوللونيوس الرودى فى الأرجوناوتيكا : فقدان هولاس Hylas ، والقتال مع أموكوس Amykos [٩١] . كما نظم أيضا مليحمة ، وصف فيها زواج هيلينا ، وأخرى تعرض فيها لطفولة هيراكليس ، وثالثة وصف فيها صراع هيراكليس مع أسد نيميا[٩٢] . وهناك ميمية — على سبيل المثال — يصور فيها ثيوكريتوس كيف تحدى دافنيس الربة أفروديتا وكان مصيره الموت [٩٣] ، وأخرى يصور فيها الكوكلوبس بولوفيموس وقد وقع فى حب حورية الماء جالاتيا[٩٤] . ونختتم هذه الأمثلة القليلة بميمية أخرى تشير إلى أسطورة أدونيس وأفروديتا [٩٥] .

لم تصلنا أغلب أعمال الشاعر السكندرى موسخوس ، لكن القدر الضئيل الذى وصلنا يؤكد أن موسخوس قد عالج الأساطير إلى حد ليس بقليل . فى إحدى مليحماته — بعنوان يوروبى Europe — يروى كيف أحب زيوس الفتاة يوروبى ، وكيف صمم على اغتصابها وكيف أنه — من أجل تحقيق غرضه — اتخذ هيئة ثور جميل ، وظل يقترب منها شيئا فشيئا . عندئذ ، أعجبت يوروبى بالثور ، وركبت فوق ظهره فانطلق الثور بالفتاة حتى وصل كريت ، وهناك اغتصبها . ويصور فى مليحمة أخرى حوارا بين ميجارا — زوجة هيراكليس — وألكمينى — والدته . ويصف ، عن طريق ذلك الحوار ، الآلام التى قاساها كل من ميجارا وألكمينى وهيراكليس وقلق المرأتين على مستقبل هيراكليس وشقيقه إيفيكليس .

وصلنا أيضا قدر ضئيل من أشعار الشاعر الثالث بيون . من أهم ما وصلنا

٩١ — Epyllion no. xiii and no. xxii respectively.

٩٢ — Epyllion no. xviii; xxiv; no. xxv respectively.

هناك شك حول صحة نسب الثالثة إلى شاعرنا ثيوكريتوس ، كما أنها وصلتنا غير كاملة .

٩٣ — mime no i.

٩٤ — mime no xi.

٩٥ — mime no. xv.

قصيدة عن أدونيس[٩٦] ، وأخرى عن أخيليس . هذا بالإضافة إلى عدد لا بأس به من الشذرات والقصائد القصيرة لشعراء آخرين ينتمون إلى عصر الاسكندرية مثل كاليماخوس ولوكوفرون وأراتوس .

أثناء جولتنا يستوقفنا كاتب سكندرى ولد عام ١٨٠ ق . م . تقريباً . لكنه ترك الاسكندرية وهو فى الثلاثينات إلى برجامون ، ثم إلى أثينا ، حيث قضى بقية حياته . ذلك الشاعر هو أبوللودوروس Apollodorus . من بين مؤلفاته[٩٧] يبرز كتاب بعنوان « المكتبة Bibliotheca » كمصدر هام من مصادر الأساطير الاغريقية . فالكتاب بأكمله دراسة للأساطير الاغريقية . كما يبرز أيضا كتاب بعنوان « عن الآلهة » حيث يقوم أبوللودوروس بدراسة مستفيضة لعقيدة الاغريق .

ثم يستوقفنا أيضا فى القرن الثانى الميلادى كاتب إغريقى يحتمل أنه من مواليد منطقة لوديا ، وهو باوسانياس Pausanias . كان باوسانياس رحالة مهتما بالجغرافيا ، فخلف وراءه مؤلفاً ضخما بعنوان « وصف بلاد الاغريق »[٩٨] تناول فيه بالدراسة مناطق أتيكا وميجارا وأرجوليس ولاكونيا وميسينيا وإليس وأولوميا وأخايا وأركاديا وبيوتيا وفوكيس ودلفى وغيرها . يستعرض باوسانياس فى كتابه تاريخ كل منطقة وجغرافيتها والمناطق المجاورة ، ثم يتناول العبادات والعادات والأساطير التابعة للمنطقة . لقد كان باوسانياس مغرماً بوصف الأطلال التاريخية والدينية مما جعل كتابه مصدراً رئيسياً من مصادر الأساطير الاغريقية .

تستمر جولتنا بين أهم مصادر الأساطير الاغريقية أثناء القرن الثانى الميلادى حيث نقابل كاتباً ليس إغريقى المولد ، لكنه أتقن اللغة اليونانية ، ودرس الفكر الاغريقى ، وعاش فترة فى بلاد الاغريق ، كما زار مصر

٩٦ — راجع ص ١٥٩ أدناه .

٩٧ — من أعمال أبوللودوروس : الترتيب الزمنى χρονική σὺνταξις ، المكتبة βιβλιοθήkη ، عن الآلهة περὶ θεῶν ، عن الأرض περὶ γῆς

٩٨ — وصف بلاد الاغريق περιήγησις τῆς ‘Ελλάδος

وبلدان أخرى . لذا نجده قد استخدم لغة الاغريق فى كتاباته . إنه لوكيانوس الساموساتى Lucianus الذى تأثر بتفكيره بالفكر الاغريقى (٩٩) . كتب لوكيانوس فى موضوعات متعددة : بلاغية وفلسفية وتاريخية ، كما حاول كتابة الشعر والتراجيديا . استخدم لوكيانوس فى أعماله المتباينة أساطير إغريقية متعددة كما أشار إشارات سريعة إلى أساطير أخرى .

لا نستطيع أثناء جولتنا بين مصادر الأساطير الاغريقية أن نتجاهل ذكر روائى عاش فى القرن الثانى الميلادى وصاغ أفكاره باللغة اللاتينية ، إنه المؤلف الأفريقى أبوليوس Apuleius . ولد فى مدينة مادورا ، وهى مستعمرة رومانية كانت واقعة داخل حدود مراكش (١٠٠) . درس أبوليوس فى كورنثا وأثينا وروما ، كما طلب العلم فى مناطق متعددة مثل آسيا الصغرى ومصر . اشتهر أبوليوس بروايته التى كتبها بعنوان « التغيرات » أو « الحمار الذهبى »(١٠١) . استخدم أبوليوس فى هذه الرواية أساطير إغريقية متعددة ، كما ضمنها قصة كيوبيد وسايكى ، وهى أسطورة شهيرة يعتبر أبوليوس المصدر الوحيد الذى رواها بالتفصيل (١٠٢) .

هناك مجموعة أخرى من الأعمال الأدبية التى صاغها مؤلفوها الرومان باللغة اللاتينية ، والتى لاغنى عنها أيضا كمصدر من مصادر الأساطير الاغريقية . فالفكر الرومانى يقوم إلى حد كبير جداً على الفكر الاغريقى . ولعلنا لا ننسى فى هذا المجال الشاعر الرومانى هوراتيوس حين يعترف صراحة أن الرومان هزموا الاغريق عسكريا فى الوقت الذى هزم الاغريق الرومان فكرياً وأدبياً (١٠٣) .

٩٩ — عاش فى الفترة من ١٢٠ إلى ١٨٠ م تقريبا، ويحتمل أنه كان من أصل آسيوى، أو سورى على وجه التحديد : Rose, Greek Literature, pp. 417—18.

١٠٠ — Apuleius, The Golden Ass, p. 15.

١٠١ — أنظر مقالنا عن هذه الرواية فى العدد ١٥١ من مجلة « المجلة » الصادر فى أول يوليو ١٩٦٩ ، ص ص ٥٢ — ٦٤ ، القاهرة (المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر) .

١٠٢ — أنظر مقالنا عن هذه القصة فى العدد ١٥ من مجلة « الجديد » الصادر فى ١٥ أغسطس ١٩٧١ ، ص ص ٨ — ١١ القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب) .

١٠٣ — Horace, Carmina, II, 3, 136.

على رأس قائمة الشعراء الرومان يقف الشاعر الرومانى فرجيليوس بأعماله الخالدة ومقدرته الفائقة . ولد فرجيليوس عام ٧٠ ق . م . فى إحدى قرى إقليم مانتوا (١٠٤) . تلقى دراسته فى مدارس كريمونا وميلانو ، ثم انتقل فى صدر شبابه إلى روما . فى عام ٣٧ ق م. نشر فرجيليوس مجموعة قصائده الأولى تحت عنوان الرعويات Bucolica . فى عام ٢٩ ق .م . نشر مجموعته الثانية تحت عنوان الزراعيات Georgica . ثم اعتكف فرجيليوس عن الحياة الاجتماعية وبدأ فى نظم أروع أعماله ، بل أروع عمل أدبى خلفه الاغريق والرومان بعد الإلياذه والأوديسا . ذلك العمل الضخم هو ملحمة الأينيدة التى ظل يعمل فيها مدة إحدى عشرة سنة(١٠٥) ، ثم توفى عام ١٩ ق . م. قبل أن يراجعها(١٠٦) . يقول الشاعر الرومانى بروبرتيوس — بعد أن قرأ بعض فقرات من الأينيدة قبل أن ترى النور — : إنه (فرجيليوس) الآن يبعث الحياة فى قوات آينياس الطروادية ، وفى أسوار المدن التى أقامها على شواطىء لافينيوم . فلتستسلموا أيها الكتاب الرومان ، ولتستسلموا أيها الكتاب الاغريق ، فإن شيئا أضخم من الإلياذة على وشك أن يولد (١٠٧) إن أعمال فرجيليوس — وخاصة الأينيدة — ذاخرة بالأساطير الاغريقية. فلقد جمع فرجيليوس فى هذه الملحمة بين ماجاء فى كل من الإلياذة والأوديسا . يروى فيها أساطير إغريقية متعددة عن الحروب الطروادية وآلهة الأغريق والربات والحوريات والأبطال والبطلات . كما أنه قدم فيها عرضاً مفصلا للعادات والتقاليد والمعتقدات الدينية حتى كادت تضارع الإلياذة والأوديسا كمصدر من مصادر الأساطير الاغريقية .

إن ماكتبه الشاعر الرومانى أوفيديوس (١٠٨) لايقل أهمية عن ماكتبه

١٠٤ — أنظر مقدمتنا للإنيادة ، الجزء الأول ، ص ٢٤ وما بعدها .

١٠٥ — Donatus, Vita Vergili, 25 : Aenida XI perfecit annis.

١٠٦ — أنظر مقدمتنا للأنيادة ، الجزء الأول ، ص ٣١ .

١٠٧ — Propertius, II, 34, 63-6.

١٠٨ — عاش فى الفترة من ٤٣ ق . م . إلى ١٧ م .

معاصره فرجيليوس فيما يتعلق بموضوع الأساطير الاغريقية (١٠٩) . ولد أوفيديوس فى بلدة سولمو Sulmo ، وتلقى تعليمه فى روما ، ثم أكمله فى أثينا . نظم مجموعات كثيرة من قصائد متعددة الأغراض (١١٠) . كل مجموعات أوفيديوس زاخرة بالأساطير الأغريقية (١١١) ، بل إن أغلبها يقوم فيه الموضوع الرئيسى على الأسطورة . فمجموعة قصائد البطلات Heroides — على سبيل المثال — هى مجموعة رسائل بعثت بها مجموعة من النساء أغلبهن يعشن فى عصر الأساطير . ومجموعة قصائد فن الحب Ars Amatoria تحتوى على عدد كبير من الإشارات الأسطورية (١١٢) . ومجموعة قصائد التغيرات Metamorphoses (١١٣) ليست سوى مجموعة من الأساطير الأغريقية — وبينها بعض قصص رومانية — تروى التغير الذى طرأ على هيئة عدد من الكائنات . ينقل أوفيديوس الأساطير التى وردت فى هذه المجموعة عن الشعراء وكتاب التراجيديا الاغريق وعن فرجيليوس (فيما يختص بالجزء الأخير من المجموعة) . ومجموعة التقاويم Fasti ذاخرة أيضا بالأساطير وخاصة الجزء الثانى وهو الجزء التاريخى والثالث وهو الجزء الدينى .

تستمر جولتنا بين المصادر الرومانية للأساطير الاغريقية فنلتقى بشاعرين :

---

١٠٩ — لم يكن أوفيديوس معاصراً لفرجيليوس بالمعنى الحرفى للكلمة ، إذأن الأول كان يصغر الثانى بحوالى سبعة وعشرين عاماً . لكن أوفيديوس يقول (Tristia, 4, 10, 51) إنه رأى فرجيليوس .

١١٠ — من أعمال أوفيديوس : faciei femineae, Heroides, Amores. Remedia Amoris , Ars Amatoria ، Medicamina, Ibis. Epistulae ex ponto, Tristia, fasti, Metamorphoses Nux, Halieutica وغيرها من قصائد لم تصلنا .

١١١ — نقل أغلب الكتاب والشعراء الأوربيون (شكسبير ، شيلى ، تنيسون وغيرهم) الأساطير الاغريقية عن أوفيديوس .

١١٢— ظهرت لهذه المجموعة ترجمة عربية تحت عنوان « فن الهوى » ترجمة د . ثروت عكاشة .

١١٣ — ظهرت لهذه المجموعة ترجمة عربية تحت عنوان « مسخ الكائنات » ترجمة د . ثروت عكاشة .

هوراتيوس (١١٤) Horatius الذى ولد عام ٦٥ ق.م. فى أبوليا ، وكاتوللوس (١١٥) Catullus الذى ولد عام ٨٤ ق.م. فى فيرونا . لقد استخدم كلاهما الأساطير الاغريقية ، ووردت فى أعمالها إشارات أسطورية كبيرة العدد ، وإن كانت أعمالها كمصدر من مصادر الأساطير الاغريقية لاتصل فى أهميتها إلى ماتصل إليه أعمال كل من فرجيليوس وأوفيديوس .

لقد طالت جولتنا بين مصادر الأساطير الاغريقية ، ومع ذلك لم يكن من الممكن أن نطوف بكل المصادر . فلقد وصلتنا أيضا مجموعة هائلة مما كتبه المعلقون وكتاب الموسوعات والناشرون والمحققون القدامى فى العصور الاغريقية والرومانية . كما وصلتنا أيضا مجموعة من الأعمال الفنية من نقوش وتماثيل وفسيفساء يمكن عن طريقها الحصول على تفاصيل ذات فائدة عظيمة فى مجال الأساطير . لذا ، مهما طالت جولتنا ، فلن نستطيع — فى هذا المجال — أن نطوف بجميع مصادر الأساطير الاغريقية .

---

١١٤ — من أهم اعمال هوراتيوس : , Satirae , Carmina (Odes) Iambi (Epodes), Carmen Saeculare, Ars Poetica (Epistula ad pisones), Epistulae.

١١٥ — أهم أعماله مجموعة من قصائد فى الحب وإبجرامات وقصائد غنائيه يبلغ ماوصلنا منها حوالى ١١٦ قصيدة . أنظر : Cornish, Catullus, passim; Havelock, Lyric Genius of Catullus, passim.

النظريات المختلفة حول تفسير الأسطورة الاغريقية

تعرضت الأسطورة الإغريقية للنقد والدراسة منذ فجر الحضارة الإغريقية . أنبرى من بين الكتاب الأغريق من حاول دراسة الأسطورة : ماهى ؟ ما أصلها ؟ ماذا تعنى ؟ تعددت الآراء واختلفت النظريات وتباينت التفسيرات . ولعلنا الآن نبدأ جولة أخرى بين مَنْ حاولوا تفسير الأساطير الاغريقية (١١٦) بعد أن انتهينا من جولتنا بين من سجلوا تلك الأساطير .

مع بداية جولتنا نلتقى بأول ناقد إغريقى للأساطير وهو كسينوفانيس الكولوفونى Xenophanes (٥٧٠–٤٧٩ ق.م.) الذى ينتمى إلى أيونيا ، والذى قضى حياته منفياً فى صقلية ثم فى إيليا الواقعة فى جنوب شبه الجزيرة الإيطالية . نظم كسينوفانيس مجموعة من القصائد لم يصلنا منها سوى بضع شذرات . هاجم فى أشعاره ظاهرة تعدد الآلهة التى سادت الأساطير الإغريقية ، كما أنه لم يرض عن ناسوتية الآلهة الاغريقية (١١٧) . يقول كسينوفانيس هناك إله واحد ، عظيم بين الآلهة والبشر ، لايشبه البشر فى هيئته أو تفكيره ... ومع ذلك فإن البشر يتخيلون أن الآلهة قد ولدت ذات ملابس بشرية وأصوات بشرية وأجساد بشرية . وهكذا ، فلو كان للثيران أو للأسود أو للخيول أياد يرسمون بها لرسموا آلهتهم فى صور تشبه صورهم وصوروها ذات أجساد تشبه أجسادهم (١١٨) . هكذا لايرضى كسينوفانيس عن الهيئة الناسوتية التى ينسبها الأغريق لآلهتهم .

---

١١٦ – Spence, Introduction to Mythology. pp. 40 sqq.

١١٧ – Bowra, Landmarks In Greek Literature, pp. 160—61.

١١٨ – Xenophanes, frag. 24.

هناك أيضا ثياجينيس الريجى Theagenes الذى يعتبر صانع نظرية هامة من النظريات التى نشأت حول تفسير الأساطير . نادى ثياجينيس بضرورة معالجة الأسطورة كقصة مجازية لا كرواية أدبية . يرى ثياجينيس مثلا — أن المعارك التى دارت بين الآلهة من أجل اكتمال خلق الكون ليست إلا تصويراً مجازياً للصراع الدائر بين العناصر المختلفة التى يتكون منها الكون . فالإله هيفايستوس وأبوللون — مثلا — فى نظر ثياجينيس — يمثلان عنصر النار ، وهيرا زوجة زيوس تمثل عنصر الهواء ، وبوسيدون إله البحر يمثل عنصر الماء ، وأرتميس تمثل القمر . كما حاول ثياجينيس أيضا إثبات أن بعض الآلهة الاغريقية تمثل قيما أخلاقية أو عقلانية وذلك عن طريق دراسة لغوية لأسماء تلك الآلهة .

هناك أيضا فريكوديس السورى(١١٩) Pherekydes (القرن السادس ق . م .) الذى خلط بين الأسطورة والقصة المجازية والعلم حين كتب عن الطبيعة والآلهة . يرى فريكوديس أن عناصر النار والهواء والماء نشأت من كرونوس Cronos وهو الزمن ، ثم نشأت الآلهة فيما بعد من تلك العناصر الثلاثة . هكذا نرى أن الزمن — فى رأى فريكوديس — هو أصل العناصر التى منها اكتسب الآلهة وجودهم ، وهى فكرة جريئة إذا ماقورنت بالأفكار التى كانت سائدة بين إغريق القرن السادس قبل الميلاد (١٢٠) .

نقابل أثناء جولتنا مجموعة أخرى من مفسرى الأساطير . هيكاتايوس الميليتى Hecataeus (٥٥٠ — ٤٧٦ ق.م. تقريباً) الذى قد يعتبر أول من ميَّز بين الأسطورة والحقيقة التاريخية(١٢١) . الفيلسوف سقراط (٤٧١ — ٣٩٩ ق.م. تقريباً) الذى حاول أن يوضح كيف يمكن التوصل إلى كنه طبيعة الكائنات المقدسة عن طريق تحليل أسمائها . السوفسطائى بروديكوس Prodicus (ولد عام ٤٦٥ ق. م. تقريباً) الذى يرى أن فى البداية

١١٩ — نسبة إلى جزيرة سوروس Σῦρος (سورا Σῦρα الحديثة) وهى إحدى جزر الكوكلاديس .

١٢٠ — Spence, Op. Cit., pp. 41—2.

١٢١ — Bowra, Op. Cit., pp. 162—3.

ظهرت القوى العظيمة ذات النفع العظيم للجنس البشرى — كالنيل مثلا — ثم ظهر بعد ذلك الأشخاص المقدسون الذين أسدوا خدمات جليلة للجنس البشرى . فريكوديس اللبرى Pherekydes (منتصف القرن الخامس ق.م.) الذى حور بعض الأساطير الاغريقية كى تتلاءم مع المعتقدات الشعبية عند الاغريق (١٢٢) . إفوروس Ephoros (٤٠٠ — ٣٣٠ ق.م.) الذى تناول الأساطير كأحداث تاريخية .

لكننا نجد أنفسنا مضطرين إلى وقفة أطول عند واحد من أهم من فسروا الأساطير فى العصور الاغريقية ؛ إنه يوهيميروس Euhemeros الذى عاش فى القرن الرابع قبل الميلاد أثناء حكم الملك المقدونى كاساندر Cassander. إنه يشبه — إلى حد ما — إفوروس فى اعتقاده أن الأسطورة ليست إلا تاريخاً مقنعاً . فالآلهة كانت فى بادىء الأمر رجالا ، ومع مرور الزمن وبعد فترات من التمادى فى الخيال اكتسب هؤلاء الرجال عظمة وجلالا وتغيرت أشكالهم حتى تحولوا إلى أرواح مقدسة (١٢٣) . هكذا كانت الآلهة شخصيات عظيمة بين أفراد جيلهم ثم قدسهم أفراد الأجيال التالية . ولقد اعتنق عدد ضخم من الكتاب والدارسين مذهب يوهيميروس ، ونالت نظريته شهرة واسعة . روج لهذه النظرية بين الرومان الكاتب المعروف إنيوس Ennius (٢٣٩ — ١٦٩ ق.م.) فأصبحت على درجة كبيرة من الشهرة (١٢٤) .

ألقى الفلاسفة الرواقيون والأفلوطينيون بدلوهم أيضا . فلقد حاول بلوتارخوس (٤٦ — ١٢٠ م) جاهداً أن يجعل الأساطير تبدو فى صورة

١٢٢ — لذلك يمكن استبعاده من قائمة الكتاب الذين فسروا الأساطير الاغريقية . أنظر : Spence, Op. Cit.; p. 42.

١٢٣ — Highet, The Cassical Tradition, p. 520.

١٢٤ — Rose, Latin Literature, p. 39.

١٢٥ — Idem, Greek Literature, pp. 407-8.

أكثر وضوحاً وجلاء وذلك عن طريق تفسيرها « ذرائعياً » (١٢٦) . كما رأى بلوتارخوس أيضا أن آلهة الاغريق كانت فى بادىء الأمر ملوكا أو رجالا عاديين . حاول البعض الآخر من هؤلاء الفلاسفة تفسير الأساطير تفسيرا سيكولوجيا (أى نفسياً)،إذ اعتقدوا أن الأسطورة تمثل المراحل المختلفة التى يجب أن تمر بها النفس البشرية . رأت فئة ثالثة من الفلاسفة الرواقيين فى الأساطير إشارات إلى الظواهر الطبيعية . على ذلك يمكن القول أن المجموعة الأولى من الفلاسفة (الذين يتبعون المذهب الذرائعى) تجد فى شخص الربة أثينة — مثلا — شخصية معظمة لملكة من ملكات البشر ، بينما يعتقد أفراد المجموعة الثانية (الذين يتبعون مذهب التفسير النفسى) أن أثينة تمثل « الفهم » بينما يرى أفراد المجموعة الثالثة (الذين يتبعون مذهب التفسير الطبيعى) أنأثينة تمثل الطبقة الهوائية السميكة الواقعة بينالأرض والقمر (١٢٧).

انتهت العصور الأغريقية ، انتشرت المسيحية وعمت أرجاء العالم الأغريقى والرومانى . وعندما ضاقت دائرة المسيحية حول البقية الباقية ممن كانوا يؤمنون بما جاء فى الأساطير الاغريقية حاول هؤلاء الخروج من مأزقهم عن طريق المناداة بضرورة تفسير الأساطير تفسيراً مجازياً (١٢٨). لذا ، روج الآباء المسيحيون الأوائل — وعلى رأسهم القديس أوجسطين St. Augustin (٣٥٤ — ٤٣٠ م) — نظرية يوهيمبروس التى رأوا فيها تخليص الأساطير من الصفات الكريهة على يد مفكر وثنى مثل يوهيمبروس ؛ كما رأى بورفيرى Porphyry (٢٣٣ — ٣٠٤ م) أن الأسطورة تحتوى على معنى أخلاقى ، بينما اعتقد غيرها أنها تحتوى على قدر ضئيل من صدق عقائدى . بعد ذلك ، نعبر بسرعة مايسمى بالعصور الأوربية المظلمة فنصل أثناء جولتنا بين مفسرى الأساطير الإغريقية إلى العصور الوسطى الأوربية . هنا لاتستوقفنا آراء

١٢٦ — أى طبقاً للمذهب «الذرائعى» Pragmatism . وهو مذهب فلسفى أمريكى يتخذ من النتائج العملية مقياساً لتحديد قيمة الفكرة الفلسفية وصدقها. ولقد استخدمنا هذا الاصطلاح الحديث إذ وجدناه أقرب لفظ يمكن أن يعبر عن طريقة بلوتارخوس فى تفسير الأساطير .

١٢٧ — Spence, Op Cit., p. 43.

١٢٨ — Highet, Op. Cit., p. 701, n. 2.

هامة أو تفسيرات لافتة للنظر . لكننا نلاحظ بوجه عام أن الاعتقاد السائد حينذاك هو أن الآلهة والربات الاغريقية تنتمى إلى أصل شيطانى أو أنها على الأقل ليست سوى مجموعة من الأوثان التى ألقى بها فى غيا هب الجحيم فور ظهور المسيحية (١٢٩). ثم نبدأ بعد ذلك جولتنا فى عصر النهضة الأوربية : فى القرن السادس عشر ثم السابع عشر ثم الثامن عشر حيث يصل العقل البشرى إلى مرحلة من الرقى والازدهار تفوق بكثير ماوصله أثناء القرون السابقة .

أثناء تلك القرون الثلاثة ظهرت مجموعة من الأعمال حاول مؤلفوها تقديم دراسة جادة — إلى حد كبير — للأساطير الاغريقية . ففى القرن السادس عشر حاول فرنسيس بيكون Francis Bacon (١٥٦١ — ١٦٢٦) أن يفسر الأساطير تفسيراً مجازياً : نركسوس — مثلا — هو حب النفس (١٣٠) ، ديو نوسوس هو المعاناة ، أبو الهول هو العلم (١٣١) . أما نتاليس كوم Natalis Comes (مات عام ١٥٨٢) فإنه يرى فى الأساطير جوانب مجازية لفلسفة طبيعية وأخلاقية . فى القرن الثامن عشر نلاحظ أن دى بروس De Brosses (١٧٠٩ — ١٧٧٧) هو أول من اقترب نحو الواقع العلمى فى تفسير الأساطير إذ أشار إلى أن عبادة الحيوانات عند قدماء المصريين هى بقايا عادات قديمة مثل تلك العادات التى تمارسها الشعوب البدائية حتى الآن (١٣٢) . كما اشار لافيتو Lafitau أيضا فى عام ١٧٢٤ إلى أن عنصر الشراسة الذى ظل باقياً فى الأساطير الاغريقية قد لوحظ وجوده بين بعض القبائل الهندية فى أمريكا الشمالية حين كان لافيتو عضواً فى البعثة اليسوعية هناك . بعد ذلك بسنوات قليلة حاول القديس بانيه

١٢٩ — Ibid., p. 150; p. 521.

١٣٠ — راجع ص ١٥٧ أدناه .

١٣١ — راجع ص ٢٤٨ أدناه .

١٣٢ — من أهم مؤلفات دى بروس De Brosses كتاب بعنوان De Culte de .... (أنظر قائمة المراجع) صدر فى باريس عام ١٧٦٠. ويعتبر هذا الكتاب أول دراسة علمية جادة الأساطير .

Abbé Banier أن يتتبع لأصول التاريخية للأساطير ظنا منه أن كل أسطورة لابد أن تكون قد أستمدت أصلها من واقع تاريخى (١٣٣) . بعد ذلك بأربعين عاماً تقريباً أعلن بريانت Bryant أن الأساطير إنما أستمدت أصولها من الكتاب المقدس أو القصص المتعلقة به (١٣٤) . أما توماس تايلور Thomas Taylor الذى عاش فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر (١٧٥٨ — ١٨٣٥) فقد عبر عن اعتقاده فى أن كل الأساطير ليست سوى روايات مجازية (١٣٥) . كما أن معاصره فريدريك شيلنج Friedrich Schelling (١٧٧٥ — ١٨٥٤) هو أول من اعتقد فى وجود علاقة بين تشكيل الأسطورة والتطور القومى . هناك ايضاً العالم الألمانى كروزر Creuzer الذى اهتم بالجانب الدينى فى الأسطورة(١٣٦) . يعتقد كروزر أن الأسطورة نوع من أنواع التعاليم الدينية ، نشأت نتيجة وحى دينى أصيل ، ثم تم نقلها إلى الأجيال التالية فى صورة رمزية بواسطة جماعة من رجال الدين . كما يعتقد كروزر أيضا أن هذه الحكمة الخافية قد انتقلت من الشرق إلى بلاد اليونان وأصبحت نواة لجميع الأساطير التى كانت تتضمن حكمة الأجيال السحيقة فى صورة مجازية . (١٣٧) ومن أجل فك رموز تلك الأساطير يجب الاستعانة بمتخصص فى الأساطير ،

١٣٣ — صدر كتاب القديس بانيه Abbé Banier فى باريس عام ١٧٣٨ (أنظر قائمة المراجع) .

١٣٤ — صدر كتاب بريانت Bryant (١٧١٥— ١٨٠٤) فى بريطانيا عام ١٧٧٤ (أنظر قائمة المراجع) .

١٣٥ — صدر كتاب توماس تايلور Thomas Taylor (١٧٥٨ — ١٨٣٥) فى بريطانيا عام ١٨٠٥ وهو ترجمة لباوسانياس .

١٣٦ — صدر كتاب كروزر Creuzer فى ليبزج عام ١٨١٠ — ١٨١٢ (أنظر قائمة المراجع .) قوبل الكتاب فور صدوره بعاصفة شديدة من الاحتجاج والهجوم الشديد من علماء ألمانيا أنظر : Highet, Op. Cit., p. 701 n. 6.

١٣٧ — Highet, Op. Cit., p. 322.

فهو الوحيد الذى يقدر على ذلك بطريقة إيحائية . وبالتالى فإن المتخصص فى تفسير الأساطير — كما يعتقد كروزر — يشبه الشاعر ، فكلاهما يولد موهوباً وإذا لم يولد موهوباً فلن تنفعه الصنعة (١٣٨) .

فى أوائل القرن التاسع عشر أيضا ظهرت أول دراسة علمية حقيقية للأساطير . قام بهذه الدراسة الواعية العالم الألمانى ك . أ . موللر K. O. Müller(١٣٩) . اكتشف موللر أن الأسباب الحقيقية التى أدت إلى انتشار الفوضى بين علماء الأساطير يمكن القضاء عليها بعدة طرق لابطريقة واحدة . رأى موللر أن شرح الأسطورة يجب أن يسبقه شرح لأصلها ، وأن معرفة الحياة والعادات الشعبية فى العصور السحيقة شيء ضرورى للغاية . كما نادى أيضا بضرورة التمييز بين الأسطورة الحقيقية الأصلية والأسطورة التى حرفها الشعراء والفلاسفة . ورأى موللر أيضا أن المادة الأسطورية يجب تحليلها إلى عناصرها الأصلية . بذلك يكون موللر أول من توصل إلى منهج علمى فى دراسة الأساطير . ولايكاد ينتصف القرن التاسع عشر حتى يظهر عالم آخر من علماء الأساطير وهو ماكس موللر Max Müller (١٤٠) . رحل ماكس موللر — وهو فى الثالثة والعشرين — من ألمانيا إلى بريطانيا لترجمة الكتب الدينية الهندية القديمة . قضى وقتاً طويلا فى الدراسات اللغوية المقارنة وتوصل إلى نتائج رائعة . طبق ماكس موللر النتائج التى توصل إليها على الأساطير . لقد اعتبر ماكس موللر اللغة شرطاً ضرورياً للتفكير وليست مجرد وسيلة جبرية للتعبير عنه ، وبذلك رأى أن الكلمات تحتوى على مفتاح (أى رموز) للأفكار (١٤١) . وإن كانت اللغة تتحدد بالأفكار فإن الأفكار أيضاً تتحدد باللغة . الأساطير . — إذن فى رأى ماكس موللر —

١٣٨ — Spence, Op. Cit., pp. 45—46.

١٣٩ — صدر كتاب موللر O. K. Müller (١٧٩٧ — ١٨٤٠) فى ألمانيا عام ١٨٢٥ (أنظر قائمة المراجع) ، وقام بترجمته إلى الأنجليزية لايتش Leitch فى بريطانيا عام ١٨٤٤ .

١٤٠ - صدر كتابان لماكس موللر Max Müller (١٨٢٣—١٩٠٠) فى بريطانيا (أنظر قائمة المراجع) .

١٤١ — Highet, Op. Cit., p. 522.

هى صورة من صور الفكر تحددت تحديداً جوهرياً بواسطة اللغة لدرجة أنه من الممكن أن تسمى الأسطورة علة اللغة a disease of language . وهكذا فإن المصطلحات الأسطورية سابقة لتفكير أسطورى ، كما أن خصوصيات اللغة التى تؤدى إلى تشكيل أسطورة هى جنس الكلمات المستخدمة (أى كون الكلمة مؤنثة أو مذكرة أو جماد) واستخدام كلمة تحمل معانى مختلفة (Polyonymy) واستخدام كلمات مختلفة تحمل جميعها معنى واحداً (Synonymy) والاستعارة الشعرية وغير ذلك من خصوصيات اللغة . لكن منهج ماكس موللر لم يقتصر على ذلك فقط . فالأسطورة — فى رأى ماكس موللر — يجب أن تُفهم من خلال اللغة قبل كل شىء آخر ، لكن لايجب أن تفهم من خلال اللغة وحدها . إذ من خلال اللغة يمكن فهم معظم الظواهر الأسطورية وليس جميعها . (١٤٢)

يعتبر ماكس موللر مؤسس المدرسة اللغوية فى تفسير الأساطير . لكنه لم يكن أول من حاول ذلك . فلقد ظهر قبله آخرون مثل ج . هرمان G. Herman الذى حاول تفسير الأساطير عن طريق الإتيمولوجيا (أى دراسة أصل اللغات وتاريخها) . ظهر أيضا فرانز بوب Franz Bopp (١٤٣) الذى وضع أصول الدراسات اللغوية المقارنة . لقد اعتمد ماكس موللر اعتماداً ملحوظاً على النتائج التى توصل إليها هؤلاء . انقسم تلاميذ ماكس موللر من بعده إلى فريقين . يطلق على آراء الفريق الأول المذهب الشمسى Solar ، إذ أنهم يرون أن جميع الأساطير تحتوى على آلهة لها علاقة بالشمس (١٤٤) . يطلق على آراء الفريق الثانى المذهب الأرصادى Meteorological ، إذ أنهم يرون أن جميع الأساطير تحتوى على آلهة

---

١٤٢ — Spence, Op. Cit. pp. 46—9

١٤٣ — صدرت ترجمة انجليزية لكتاب فرانزبوب Franz Bopp (١٧٩١—١٨٦٧) فى بريطانيا بعنوان Comparative Grammer قام بها Eastwick الطبعة الثالثة فى عام ١٨٦٢ .

١٤٤ — صاحب المذهب الأول هو ماكس موللر نفسه يسانده جورج ويليام كوكس Sir George William Cox. (١٨٢٧ — ١٩٠٢) الذى نشر أفكاره فى كتابين (أنظر قائمة المراجع) .

لها علاقة بالرعد والبرق (١٤٥) . لكن لم يكتب النجاح لنظرية ماكس موللر لفترة طويلة ، إذ نرى واحداً من أخلص أنصارها — مانهارت — يقول : أما فيما يتعلق بنظرية ماكس موللر فإننى أستطيع فقط أن أقول إنها ذات قيمة محدودة ، ذلك إن كانت لها أية قيمة على الاطلاق (١٤٥) .

تستمر جولتنا بين مفسرى الأساطير الاغريقية أثناء القرن التاسع عشر فنجد أنفسنا أمام مؤسس مدرسة ضخمة من مدارس تفسير الأساطير ودراستها ، إنه إ . ب. تايلور (١٤٧) ، صاحب مدرسة التفسير الانثروبولوجى (١٤٨) . يرى أتباع هذه المدرسة أن وجود عنصر الشراسة والتفاهة فى الأسطورة يعنى أن هذه الأسطورة قد نشأت بين شعب بدائى شرس تافه ؛ وعندما يوجد هذا العنصر فى أسطورة انتشرت بين شعوب متحضرة ومثقفة فإن ذلك يعنى أن عنصر الشراسة والتفاهة ليس إلا بقية من بقايا ماض شرس تافه انتشر فيه معتقد شرس تافه . اعتمد اتباع هذه المدرسة فى دراساتهم على دراسة تاريخ الإنسان وأصله وعاداته الاجتماعية ومعتقداته الدينية . انبرى أتباع هذه المدرسة للهجوم على أتباع المدرسة اللغوية وتفنيد آرائهم — وإن كانوا فى نفس الوقت قد استخدموا بعض النتائج التى توصل إليها أتباع المدرسة اللغوية واعترفوا بصحة بعض آرائهم . نالت مدرسة التفسير الانثروبولوجى شهرة واسعة وانضم تحت لوائها عدد ضخم من علماء العالم ، وبقيت آراؤها ومازالت باقية حتى الآن .

---

١٤٥ — صاحب المذهب الثانى هو كون Kuhn (١٨١٢ — ١٨٨١) يسانده دارمشتير Darmesteter ، ويمكن أيضا أن يضاف إليها لايسترين Laestrin الذى صدر له كتابان (أنظر قائمة المراجع) .

١٤٦ — Mannhardt, Antike Wald-und Feldkulte, p. 20. (apud Spence; Op. Cit. p. 53)

يعترف مانهارت فى كتابه سالف الذكر والذى صدر فى عام ١٨٧٧ بقصور نظرية ماكس موللر، كما يعترف أيضا بقصور آرائه (أى آراء مانهارت نفسه) التى سبق أن نشرها فى مؤلفاته السابقة مثل كتاب German Myths (أنظر قائمة المراجع) .

١٤٧ — صدر كتابان لتايلور فى هذا الموضوع (أنظر قائمة المراجع) .

١٤٨ — Spence, Op. Cit. pp. 51 sqq.

عبر إ. ب. تايلور فى مؤلفيه اللذين صدرا فى عامى ١٨٦٥ و ١٨٧١ عن موقف مدرسة التفسير الانثروبولوجى بدقة ووضوح . يرى تايلور ضرورة تجميع الأساطير المتشابهة فى مجموعات ، وكلما زاد عدد تلك المجموعات أصبح من السهل الحصول على برهان يساهم فى تكوين علم حقيقى للأساطير . إن جمع أساطير متشابهة من مناطق متباينة ، وتصنيفها فى مجموعات ، والمقارنة بين تلك المجموعات ، كل ذلك يساعد على تتبع فعالية عملية خيالية تتكرر بتناسق واضح مع قانون فكرى ؛ وبالتالى فبعد أن كانت قصة معينة تبدو معزولة غريبة صعبة التفسير فإنها — بعد تجميعها مع قصص أخرى فى مجموعة واحدة — تصبح قادرة على أن تأخذ مكانها بين تركيبات العقل البشرى المحددة المتناغمة . إن الحصول على مثل ذلك البرهان سوف يدفعنا تدريجيا إلى ترديد العبارة الآتية : و« كما أن الحقيقة أغرب من الخيال ، فكذلك الأسطورة أكثر اتساقاً من التاريخ » (١٤٩) . يشترط إ. ب. تايلور عند دراسة الأساطير أن يبدأ الدارس بدراسة المجتمعات المتخلفة ، ثم المجتمعات أقل تخلفاً ، ثم المجتمعات المتحضرة ، وبذلك يمكن تفسير كل أنواع الأساطير بما فيها تلك التى تتصف بالخيال الشاعرى الرائع والذى يمكن أن نسميه بأساطير الطبيعة Nature Myths (١٥٠) . لاينكر تايلور فائدة اللغة بالنسبة لتفسير الأساطير ، لكنه يرى فى نفس الوقت أن المادة الأسطورية لها الفضل الأول فى تشكيل الأسطورة ثم تليها فى الأهمية الأسطورة الفعلية (١٥١) . كما يرى أيضا أن دارس الأساطير قد لايستغنى عن اللجوء إلى التفسيرات المجازية فى بعض الأحيان وخاصة عند تناول أساطير الطبيعة (١٥٢) ، أو الأساطير الخيالية مثل أسطورة باندورا كما ترد عند هيسيودوس أو قصة اختيار هيراكليس بين طريقى المتعة والفضيلة . يؤدى كل ذلك فى النهاية إلى إمكان تناول الأسطورة كنتاج عضوى للجنس البشرى عامة حيث

١٤٩ — Taylor, Primitive Culture, p. 282.

١٥٠ — Ibid., p. 284.

١٥١ — Ibid., p.320.

١٥٢ — Ibid., p. 408.

تتلو الاختلافات الفردية والقومية والعنصرية من ناحية الأهمية الخصائص العامة للعقل البشرى (١٥٣) . بالإضافة إلى ذلك فإن إ.ب. تايلور لايرفض النظرية الأرواحية Animistic theory التى ترى أن الروح هى المبدأ الحيوى المنظم للكون وأن كل شىء فى الكون له روح .

يعتبر هربرت سبنسر Herbert Spencer (١٥٤) من أكبر مؤيدى المدرسة الانثروبولوجية . يحاول هربرت سبنسر أن يلقى مزيداً من الضوء فيقول إن أساطير الطبيعة هى نوع من عبادة الأسلاف نشأت نتيجة لما نسمية « سوء الفهم » . ويضرب مثلين لذلك . هناك بعض القبائل التى تسمى أفرادها أسماء مأخوذة من الطبيعة مثل فجر وشمس وقمر ونور ...إلخ . فلو أن هناك أسطورة تتناول قبيلة من تلك القبائل ، فإن أفراد القبيلة — بمرور الزمن — سوف يخلطون بين الشخص الحقيقى والظاهرة الطبيعية ، وبذلك تكتسب الظاهرة الطبيعية روحاً وتصبح شخصاً : كالقمر أو الشمس مثلا . هناك بعض الأفراد يهاجرون إلى قبائل مجاورة ، فيقال عن أحدهم إنه جاء « من عند الشمس الحارقة » أو « من ضفة النهر سريع الجريان » . وبمرور الزمن يعتقد أحفاد الشخص الأول أن جدهم قد انحدر من الشمس وأحفاد الثانى أن جدهم قد انحدر من النهر . مع مرور الزمن أيضاً تكتسب كل من الشمس والنهر — فى نظر القبيلة — روحاً وتصبح شخصاً . أما عن الأساطير التى تتناول الحيوانات فإن هربرت سبنسر لايعجز أيضاً عن إيجاد تفسير لأصلها متبعاً نفس المنهج . هناك قبائل تسمى أفرادها أسماء حيوانات مثل فهد ونمر .. إلخ . وبمرور الزمن ينسى أفراد القبيلة الحقيقة أو يسيئون فهمها فيعتقد الأحفاد أن جدهم الأكبر كان فهداً أو نمراً . (١٥٥)

١٥٣ — Spence, Op. Cit., pp. 57—58.

١٥٤ — صدر كتاب هربرت سبنسر Herbert Spencer (١٨٢٠ — ١٩٠٣) فى لندن عام ١٨٩٨ (أنظر قائمة المراجع) .

١٥٥ — Spence, Op. Cit., p. 60.

مؤيد آخر للنظرية الأنثروبولوجية هو وليام روبرتسون سميث William Robertson Smith (١٥٦). يعتقد سميث أن الأسطورة تحتل مكان التعاليم فى جميع النظم الدينية القديمة، لكنها غير ذات وازع مقدس أو قوة ملزمة للعابدين. بالتالى فالأسطورة ليست جزءاً جوهريا من أجزاء الديانة. فالعابد ملزم بأداء الشعيرة، لكنه غير ملزم بتصديق ماجاء فى الأسطورة. الشعيرة ثابتة، والأسطورة متغيرة. لذا، فإن الدارس الواعى للأساطير عليه بدراسة الشعائر كى يصل إلى تفسيرات للأساطير. فالشعيرة ظهرت أولا، ثم تلاها فى الظهور الأسطورة. ينضم أيضاً إلى نفس المدرسة بروفسور كورنيليوس بتروس تيل Cornelius Petrus Tiele (١٥٧) الذى يعلن صراحة فى مقدمة كتابه الشهير: إننى حليف، أكثر من أن أكون خصما، للمدرسة الجديدة سواء سميت بالمدرسة الأثنولوجية أو الأنثروبولوجية (١٥٨). يوضح تيل سبب تأييده لمنهج تلك المدرسة حين يقول: إن هذا المنهج وحده يكشف عن سبب كل تلك التغييرات التى تطرأ على صور الآلهة فيتحولون إلى حيوانات أو نباتات أو حتى أحجار ... (١٥٩). لكن تيل يرى فى نفس الوقت أن المنهج الأنثروبولوجى لا يستطيع أن يجيب عن كل التساؤلات التى يثيرها علم الأساطير أو يناقشها على الأقل.

١٥٦ – ويليام روبرتسون سميث William Robertson Smith (١٨٤٦ – ١٨٩٤) هو واحد من أشهر العلماء فى القرن التاسع عشر. كان استاذاً للدراسات العبرية فى جامعة أبردين – بريطانيا. حوكم من أجل مقال كتبه فى موضوع الدين العبرى، وظهرت براءته. ثم طرد بعد ذلك من وظيفته بسبب مقال آخر كتبه فى الموسوعة البريطانية عام ١٨٨٠. لكنه أصبح (فى عام ١٨٨١) مساعدا لرئيس تحرير الموسوعة، ثم أصبح رئيسا للتحرير (عام ١٨٨٧)، ومن ناحية أخرى كان قد عين أستاذاً للغة العبرية (عام ١٨٨٣) فى جامعة كمبردج. بالرغم من أنه اهتم بدراسة الأديان المقارنة إلا أن آراءه عن الأساطير لايمكن تجاهلها (انظر قائمة المراجع).

١٥٧ – بروفسور كورنيليوس بتروس تيل Cornelius Petrus Tiele (١٨٣٠ – ١٩٠٢)، أستاذ تاريخ الأديان بجامعة ليدن Leyden، صدر له كتاب معروف (أنظر قائمة المراجع) فى عام ١٨٧٦ ثم صدرت له ترجمة إنجليزية فى لندن عام ١٨٧٨.

١٥٨ – أنظر مقدمة كتاب تيل (الترجمه الانجليزية)، ص ١٢.

١٥٩ – المرجع السابق، ص ٢٣٥.

يأتى الآن دور عالم بريطانى معروف منح تأييده للمدرسة الأنثروبولوجية فازدادت قوة واكتسبت شهرة أوسع. إنه أندرو لانج Andrew Lang، عاش فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر كما شهد أوائل عشرينات القرن العشرين (١٦٠). يلاحظ لانج وجود اختلاف بين الأسطورة والديانة، بل إنه يعتقد فى وجود صراع بينهما. وجود مثل ذلك الصراع شىء عادى فى جميع الأديان. ففى المسيحية مثلا توجد الصلوات والترانيم «والضوء الخافت» فى الكنائس من ناحية، كما يوجد التهريج المنتشر فى مسرحيات المعجزات والادعاءات الفظة التى تملأ القصص الشعبية من ناحية أخرى. وبالمثل كانت الشعوب البدائية تفرق بين ديانتها وأساطيرها. على ذلك، فإن عنصر الشراسة فى الأسطورة ليس إلا بقية من بقايا العصور البدائية (١٦١). ويهتم لانج اهتماماً بالغاً بتبيان الفروق بين الأسطورة والديانة. فالمفهوم الدينى – فى رأيه – ينشأ نتيجة لمرور الادراك البشرى بحالة معينة وهى حالة خضوع وتأمل روحى جاد بينما تنشأ الأفكار الأسطورية نتيجة لمرور الإدراك البشرى بحالة مختلفة وهى حالة خيال عابث شارد. لكن لانج يعترف بأن الأسطورة قديمة جداً، معقدة جداً، ذاخرة بالعناصر المتباينة لدرجة تجعل من العبث محاولة إيجاد سبب لكل ظاهرة فى الأسطورة (١٦٢). يرى لانج أن كل التفسيرات التى توصل إليها سابقوه ومعاصروه قد تمت صياغتها تبعاً للأفكار السائدة فى عصر مفسر الأسطورة (١٦٣). وعندما يتعرض لعنصر الشراسة فى الأسطورة فإنه يشير إلى أن المعتقدات البدائية الشرسة – رغم كونها خاطئة، ورغم كونها قائمة بفعل الخداع والخيال – تعتمد على أساس من ملاحظة واقعية لظاهرة حقيقية. يعتقد لانج أيضاً أن فكرة الإله بين الشعوب البدائية لم تكن أرواحية ولم تتطور من فكرة

١٦٠ – أندرولانج Andrew Lang (١٨٤٤ – ١٩١٣) صدر له أربعة مجلدات (أنظر قائمة المراجع) كان ومازال لها أثر كبير فى مجال الأساطير والعقائد.

١٦١ – Lang, Myth, Ritual. and Religion. Vol. I. p. 5.

١٦٢ – Ibid., p. 8.

١٦٣ – Ibid.; p. 22.

وجود الروح بل نشأت أولا طبقاً لفكرة النشوء وبالتالى فقد كانت فكرة « الرجل اللاطبيعي المعظم » . فلقد وجد ذلك «الرجل اللاطبيعي المعظم » — فى رأى لانج — قبل أن يأتى الموت على وجه الأرض وظل حياً حتى بعد وصول الموت(١٦٤) . بالإضافة إلى ذلك ، يرى لانج أن مثل هذه العبادات تتضمن أفكاراً خلقية ومعنوية لانكتشف وجودها عادة فى الديانات الأرواحية .

تستمر جولتنا بين مفسرى الأساطير الإغريقية أثناء أوائل القرن الحالى فنقابل واحداً من أعظم وأشهر علماء الديانات البدائية — السير جيمس جورج فريزر Sir James George Frazer (١٦٥) . اعتمد فريزر إلى حد ما — على ماتوصل إليه ما نهارت من مبادئ ، ربط فى دراساته ربطاً تاماً بين علم الأساطير ودورة النباتات والآلهةالمرتبطة بها . رأى فريزر آلهة النباتات فى كل مكان ، تماماً كما سبق أن رأى ماكس موللر آلهة الشمس فى كل مكان (١٦٦) . يروى فرجيليوس أن آينياس — عندما أراد الهبوط إلى عالم الموتى لمقابلة والده أنخسيس — نصحته العرافة أن يذهب إلى أجمة مقدسة ؛ هناك ، وراء شجرة كثيفة الظلال ، يختفى الغصن الذهبي ، بجذعه اللدن وأوراقه . إنه كما يقولون — مقدس لدى مليكة العالم الآخر ، تغطيه كل الأحراش ، وتخفيه الظلمات فى وديان سحيقة ... وعندما ينتزع هذا الغصن ، ينبت مكانه غصن آخر مثلة تماماً — ذهبي ولهذؤابات ذهبية—ومن ثم إقتفأثر هذا الغصن بناظريك ، فإن عثرت عليه ، فاقطعه بيديك ... ؛ » (١٦٧) . يذهب آينياس إلى هناك حيث يرى الغصن الذهبي « وعلى الفور يختطف آينياس الغصن الذهبي ، ينتزعه

١٦٤ — Lang, The Making of Religion, p. 106.

١٦٥ — صدر للسير جيمس جورج فريزر Sir James George Frazer مؤلفات ضخمة متعددة كانت ومازالت من أخصب المصادر العلمية (أنظر قائمة المراجع) .

١٦٦ — Highet, The Classical Tradition p. 523.

١٦٧ — فرجيليوس ، الانياده ، الكتاب السادس ، سطر ١٣٦ ومابعده ، الترجمة العربية د . عبد المعطى شعراوى (وآخرون) ، الجزء الأول ، ص ص ٢٨٢ — ٢٨٣ .

أنتزاعاً فى شغف ، ويحمله هدية إلى معبد العرافة سيبولا » . (١٦٨) هناك رواية أخرى تروى قصة « الكاهن الشبح » . اعتادت بعض الشعوب البدائية أن تتبع طقوساً معينة عند تنصيب كاهن جديد لمعبد من المعابد .. كان الكاهن القديم يظل فى خدمة المعبد حتى يأتى شخص آخر فينتزع غصناً من أغصان شجرة واقعة بالقرب من المعبد . ثم يهاجم ذلك الشخص — وهو يحمل الغصن — الكاهن القديم فيقتله . عندئذ يتولى خدمة المعبد بدلا منه . ويظل فى منصبه حتى يأتى من يخلفه متبعاً نفس الطريقة . من هنا نشأت العبارة المعروفة « الكاهن الشبح » أو « الكاهن القاتل » . بعد ڤرجيليوس بحوالى أربعة قرون علق سرفيوس على قصة الغصن الذهبي كما جاءت عند فرجليوس فربط بينها وبين قصة « الكاهن الشبح » وروى أن مكان الشجرة التى انتزع منها آينياس الغصن الذهبي هو أجمة أريكيا Aricia حيث كان يوجد معبد الربة ديانا (١٧٠) ، الذى كان يقوم على خدمته الكاهن الشبح . اتخذ فريزر الروايتين السابقتين والتعليق الذى يربط بينهما أساساً لنظريته . يرى فريزر فى « الكاهن الشبح » شخصية مقدسة ، ويخلص إلى أن عبادة أجمة أريكيا كانت من الناحية الجوهرية عبادة « الشجرة — الروح tree-spirit » أو « الإله الأجمى » Sylvan deity . لكن فحص العادات الشعبية الأوربية قد أثبت أن شخصا حيا غالباً ما كان يمثل الشجرة — الروح ، إذ كان ذلك الشخص الحى تجسيداً للشجرة—الروح وله قدراتها الإخصابية (١٧١) . ولقد لاحظ فريزر أن شعوباً بدائية كثيرة كانت تنتهج نفس العادة . كما لاحظ أيضاً أن الشخص الذى كان تجسيداً للشجرة — الروح كان يلقب غالباً بالملك ، وإنه كان يقتل بنفس الطريقة التى كان يقتل بها الكاهن الشبح فى أريكيا . هنا يخلص فريزر إلى أن حياة ذلك الكاهن أو الملك والشخصية المقدسة كانت فى سلام وأمان طالما أن غصن الشجرة لم

١٦٨ — المرجع السابق ، ص ٢٨٥ (سطر ٢٠٨ وما بعده) .

١٦٩ — Servius on Vergil's Aeneid ; VI; 136.

١٧٠ — ديانا Diana الاسم الرومانى للربه الاغريقية Αρτεμις (Artemis) .

١٧١ — Frazer, The Golden Bough, Vol. I. p. 231.

بمسه سوء ، وبالتالى فإن حياته كانت مرتبطة بحياة الشجرة . هكذاحاول فريزر أن يطبق نظريته على كل ماجاء فى الأساطير الاغريقية فربط كل شخصياتها بدورة النبات (١٧٢) .

بالرغم من غزارة المادة العلمية وبراعة المناقشة والإصرار فى الدفاع عن نظريته فقد تعرض فريزر لعديد من النقد . من بين من هاجمه هجوماً لاذعاً أندرو لانج (١٧٣) ولويس سبنس (١٧٤) وفارنل (١٧٥) وجين هاريسون (١٧٦) ، وإن كان كل منهم قد اعترف بفضل فريزر فى مجال دراسة الأديان القديمة والأساطير وأخذ ببعض آرائه فى معظم الأحيان .

قد لايسمح المجال بإطالة جولتنا بين مفسرى الأساطير أثناء الربع الأول من القرن الحالى ، لكننا لانستطيع أيضاً أن نتجاهل بعضاً منهم . ففى هذه الفترة القصيرة ظهر عدد غفير من الدارسين الذين اهتموا بدراسة الديانات القديمة وعلم الأجناس وتاريخ الديانات والآثار . بالطبع ألقت كل هذه الدراسات مزيداً من الضوء على علم الأساطير ، وإن كانت فى نفس الوقت سبباً فى ظهوره الآن فى تلك الصورة الغامضة المحيرة التى تدفع بالدارس الحديث إلى متاهات لاحصر لها وطرق متعرجة ضيقة مظلمة أغلبها مسدود أو مؤد إلى طرق متعرجة ضيقة مظلمة أخرى . ولعلنا الآن نكتفى بالإشارة العابرة إلى مجموعة من أصحاب الآراء التى ظهرت أثناء الربع الأول من القرن الحالى . سالومون ريناش Salomon Reinach

١٧٢ – Highet, Op. Cit., p. 523.

١٧٣ – راجع حاشية رقم ١٦٠ أعلاه .

١٧٤ – لويس سبنس Lewis Spence هو صاحب عدد ضخم من الكتب التى تناولت الأساطير بوجه عام (أنظر قائمة المراجع) .

١٧٥ – نقد فارنل Farnell آراء فريزر كما جاءت فى كتابه The Golden Bough فى مقال نشر فى Quarterly Review (April 1915) التى كانت تصدر فى بريطانيا . وللدكتور فارنل مجموعة من المؤلفات تركت أثراً كبيراً بين الدارسين (أنظر قائمة المراجع) .

١٧٦ – جين هاريسون Jane E. Harrison هى إحدى الدارسات للديانات القديمة ولها مؤلفات كثيرة فى ذلك المجال وفى مجال علم الانثروبولوجيا (أنظر قائمة المراجع) .

الذى نشر فى فرنسا آراء المدرسة الأنثروبولوجية الإنجليزية ، والذى اتهم مواطنيه الفرنسيين بالجهل فى ميدان تاريخ الأديان والأساطير (١٧٧) . دكتور ف . ب . جيفونس Dr. F. B. Jevons الذى يعلن أنه يعضد آراء لانج فيمايتعلق بالأساطير ، ويؤكد ضرورة عدم الفصل بين علم الأساطير وعلم تاريخ الأديان (١٧٨) . لكنه يؤكد أيضا أن الرأى القائل بأن علم الأساطير هو علم الأديان إنما نشأ عن عادة خاطئة مضللة هى رؤية أفكار معاصرة فى أديان قديمة (١٧٩) . وبالرغم من ذلك فإنه يؤكد أيضا أن الدين لايمكن وجوده دون وجود شروح لشخصية الآلهة وطبيعتهم وموقفهم بالنسبة للبشر والجو الإلهى المحيط بهم ، مثل هذه الشروح هى الأساطير . دكتور ماريت Dr. R. R. Marret الذى ميز بين الأرواحية والأشكال الدينية التى سبقتها (١٨٠) ، وهو أيضا يؤيد الآراء التى تعتقد فى وجود أساطير سببية aetiological myths ، إذ أنه يرى أن « الشعيرة هى التى تخلق الأسطورة ، وليست الأسطورة هى التى تخلق الشعيرة » (١٨١) . بروفسور ا . ب . كوك A. B. Cook الذى يعتقد أن كل شعوب أوروبا كانت تعبد الإله – السماء Sky-god ، ومن أجل إثبات ذلك جمع أساطير العالم المتناقضة وحاول أن يؤلف بينها فى براعة فائقة (١٨٢) . ولا يفوتنا أن نشير أيضا إلى آراء بعض العلماء الذين لم يقوموا بدراسات متخصصة فى الأساطير

١٧٧ – سالمون ريناش Salomon Reinach الذى صدر له كتابان هامان فى باريس (أنظر قائمة المراجع) .

١٧٨ – ف . ب . جيفونس Dr. F. B. Jevons صدر له فى لندن كتاب هام فى موضوع تاريخ الأديان Introduction to the History of Religion

١٧٩ – المرجع السابق ، ص ٢٦٦ .

١٨٠ – ماريت Dr. R. R. Marret هو صاحب كتاب The Threshold of Religion (أنظر قائمة المراجع) .

١٨١ – المرجع السابق ، ص ١٤٩ .

١٨٢ – ا. ب . كوك A. B. Cook صاحب الكتاب المعروف بعنوان Zeus, ... (أنظر قائمة المراجع) .

لكنهم تناولوها بطريقة غير مباشرة مثل جاكوب لودفيج جريم Jacob Ludwig Karl Grimm (١٧٨٥–١٨٦٣) وشقيقه ويلهلم كارل جريم Wilhelm Karl Grimm (١٧٨٦ – ١٨٥٩) ، السير جورج لورانس جوم Sir George Laurance Gomme ، دكتور رندل هاريس Dr. Rendel Harris ، البروفسور إيليوت سميث Professor Elliot Smith (١٨٣) .

قبل أن نختتم جولتنا بين مفسرى الأساطير يجدر بنا أن نتوقف قليلا عند مجموعة من المفسرين أطلق على آرائهم مذهب «التحليل النفسى» Psychological Analysis . يرى أغلب علماء الأساطير أن أصحاب ذلك المذهب قد تمادوا فى تفسيراتهم التى لاتعتمد على أى أساس من الصحة . يقول لويس سبنس فى مقدمة أحد مؤلفاته : «إن نظريات فرويد وزملائه حول الدين وأصل الأساطير قد استُبْعدت ، إذ أنها – فى نظر المؤلف – لايجب أن تؤخذ مأخذ الجد» (١٨٤) . ويقول روز أثناء عرضه للنظريات المختلفة فى تفسير الأساطير : أما بالنسبة لمذهب التحليل النفسى «فإننى لاأجد فى كتاباته تفسيراً واحداً لأى أسطورة ، أو أى تفصيل لأى أسطورة يمكن أن يبدو ممكنا أو قادراً – ولو بدرجة ضئيلة جداً – على تفسير تطور القصة كما وصلت إلينا . لذلك فإننى أكتفى بمجرد الإشارة إلى المذهب دون أن أتناوله بالشرح .» (١٨٥) . بالرغم من أننى مؤيد لرأى كل من سبنس وروز والآراء المماثلة لرأيهما ، فقد وجدت من الأفضل أن نقف وقفة قصيرة لمناقشة هذا المذهب حتى تصبح لدى القارىء فكرة سريعة حول هذه النقطة .

يرى علماء النفس أن الأسطورة تعبير عن ميول وقوى نفسية دائمة غير معترف بها . أول من توصل إلى هذا التفسير هو سيجموند فرويد

١٨٣ – راجع آراء هؤلاء فى Spence, Indroduction to Mythology, pp. 89—100.

١٨٤ – Spence, Op. Cit., p. 7.

١٨٥ – Rose, Greek Mythology, p. 10.

Sigmund Freud (١٨٦) . أشار فرويد إلى وجود أوجه شبه متعددة بين أساطير معروفة ورموز تظهر فى الأحلام لتمثل دوافع غريزية قوية . لذا ، أطلق على هذه الدوافع أسماء شخصيات أسطورية إغريقية . بدأ فرويد بأقوى دافع غريزى فى الإنسان وهو عشق الابن لأمه وغيرته من أبيه ، فسماه عقدة أوديب (إذ أن أوديب قتل والده وتزوج والدته) (١٨٧) . ثم انتقل إلى دافع مواز للدافع الأول وهو عشق الابنة لأبيها وغيرتها من أمها ، فسماه عقدة الكترا (إذ أن الكترا ساعدت أخاها فى اغتيال أمهما كلوتمنسترا انتقاماً لوالدها الذى سبق أن قتلته كلوتمنسترا) (١٨٨) . ثم انتقل إلى دافع ثالث وهو الغرور أو الافتنان بالنفس وهو أن الغرور يتملك المرء فيعجب بجماله ورشاقته ويعشق طلعته البهية فيكون مصيره الموت مثل نركسوس ، ولقد سمى ذلك الدافع عقدة النرجسية (نسبة إلى نرجس – نركسوس) (١٨٩) .

وجدت تفسيرات فرويد النفسية قبولا لدى مجموعة من الدارسين ، فواصلوا دراساتهم النفسية المتطرفة ، فتناولوا العلاقة بين الأسطورة والشعيرة والرمزية النفسية (١٩٠) . لكن أبرز أتباع فرويد هو العالم النفسى يونج C. G. Jung (١٩١) . مضمون رأى يونج هو أن الأساطير ترمز إلى

١٨٦ – سيجموند فرويد Sigmund Freud (١٨٥٦ – ١٩٣٩) . لمناقشة آرائه راجع كتابه A General Introduction to Psychoanalysis (الترجمة الإنجليزية (أنظر قائمة المراجع) وخاصة المقال العاشر بعنوان Symbolism in Dreams .

١٨٧ – راجع ص ٢٥٤ أدناه .

١٨٨ – راجع ص ٣٣٤ أدناه .

١٨٩ – راجع ص ١٥٧ أدناه .

١٩٠ – ظهرت هذه الدراسات فى دورية بعنوان Imago أصدرها أتباع فرويد وتلاميذه وخاصة ساكس Sachs ورانك Rank . كما اصدر تيودور رايك Theodor Reik عدداً من المؤلفات الجريئة ناقش فيها الأساطير والشعائر أنظر Highet, The Classical Tradition, p. 702 n. 9.

١٩١ – ولد يونج C. G. Jung فى عام ١٨٧٥ وله مجموعة ضخمة من المؤلفات ترجم أغلبها إلى الانجليزية (أنظر قائمة المراجع) كما نشر آراءه فى دورية بعنوان Eranos كان يشرف عليها ويساهم فى ميزانيتها أنظر : Highet, Op. Cit., p. 523.

الرغبات والانفعالات التى يشعر بها كل فرد من أفراد البشر على وجه الأرض والتى لايعترف بها . فالفتاة تتمنى أن تكون على أكبر درجة من الجمال وأن تتزوج من أثرى وأنبل وأوسم رجل فى العالم ، وأنه سوف يعثر عليها بالرغم من إهمال أسرتها وعداوتها لها وبالرغم من عدم وجود وفاق بينها وبين الظروف المحيطة بها . هنا تتخيل الفتاة أنها قادرة على التخلص من متاعب تلك الرغبة قائلة إن ذلك من الممكن أن يحدث فعلا كما حدث لسندريلا. عندئذ تبدأ الفتاة فى رواية قصة ساندريلا أو فى قراءتها . وبالمثل ، فإن الصبى يريد أن لا ينافسه أحد فى حب والدته ويتمنى القضاء على منافسيه فى حبها — ومن بينهم والده —. لذا فإنه يشعر بالسعادة عندما يقرأ قصة أوديب ، ذلك الشاب المغامر الذى قتل رجلا عجوزاً ثم اكتشف بعد ذلك أنه والده وتزوج امرأة حسناء ثم اكتشف أنها والدته . إن أوديب ، ساندريلا ، هيلينا ، أودوسيوس ، هيراكليس ، كل هؤلاء ليسوا شخصيات تاريخية بقدر ماهم صور لرغبات وانفعالات وآمال يشعر بها كل فرد من أفراد البشر على وجه الأرض . إن الأساطير العظيمة ، بل حتى الرموز العظيمة — مثل الزهرة التى يعترى الغموض شكلها ، والأرقام الغامضة مثل رقم ثلاثة ورقم سبعة ورقم إثنى عشر — دائماً وأبداً واردة عبر تاريخ البشر وآدابه فى جميع أنحاء العالم . قد تبرز أحيانا كخرافات ، أو كأسس لعقائد عظيمة ، أو كنماذج عامة للفن أو للشعيرة . يسمى يونج تلك الأساطير أو الرموز « النماذج الأصلية للاشعور الجماعى » . وبسبب هذه الشمولية فإن الأساطير أو الروايات العظيمة — كما يعتقد يونج — لايمكن بأية حال من الأحوال نسبتها إلى مؤلف معين ، كما يمكن أن يعاد كتابتها مرة بعد أخرى دون أن تفقد قدرتها على التأثير أو رونقها وجمالها . إن العمل الذى يقوم به كاتبو هذه الأساطير أو المستمعون إليها أو القارئون لها على مدى الأجيال المتتالية هو عمل « جماعى » حقاً . إنها تصور أعمق أفكار الجنس البشرى وأحاسيسه ، لذلك فإنها — حسب المقاييس البشرية — خالدة (١٩٢) .

١٩٢ — Highet, Op. Cit., pp. 523—4.

لم يكن يسمح المجال بأن نقابل أثناء جولتنا بين مفسرى الأساطير الإغريقية أكثر ممن قابلنا ، ولم يكن يسمح أيضا بأن تطول وقفتنا أكثر مما وقفنا . ذلك بالرغم من أن هذه الجولة — لو أريد لها أن تكون جولة كاملة — لأصبحنا فى حاجة إلى عشرات من المجلدات الضخمة . لذا علينا الآن أن ننهى جولتنا ونحن مازلنا راغبين فى مواصلتها (١٩٣) .

بعد نهاية الجولة ، يجدر بنا أن نجمل فى إيجاز شديد أهم مناهج تفسير الأساطير . هناك ثلاثة مبادىء رئيسية تتبع فى هذا الشأن .

الأول : أن نقول إن الأساطير تصف حقائق تاريخية فذة .

الثانى : أن نعتبرها رموزاً لحقائق فلسفية دائمة .

الثالث : أن نتناولها كانعكاسات لعملية طبيعية تحدث مرة بعد أخرى وإلى الأبد .

لكن هذه المبادىء الثلاثة يمكن أن تؤدى إلى فروع أو مناهج فرعية :

المنهج المجازى : الأسطورة هى قصة مجازية ، الهدف منها إخفاء معنى عميق ملىء بالثقافة ، أخفاه الحكماء القدامى فى هذه الصورة حتى يمنعوا تسرب حقائق عظيمة إلى أيدى أفراد جاهلين أو عاقين فيسيئون استخدامها ،

١٩٣ — من الملاحظ أننا لم نتناول آراء كل من حاول تفسير الأساطير الاغريقية، كما أنه من الملاحظ أيضا أننا توقفنا فى جولتنا عند منتصف القرن الحالى تقريبا. فيما يتعلق بالملحوظة الثانيه فقد ظهر عدد لاحصر له من المفسرين المعاصرين لكن لم يحاول واحد منهم أن يخرج بنظرية كاملة ، بل يتبنى كل منهم جانبا معيناً من نظرية سبق أن توصل إليها غيره من قبل (راجع على سبيل المثال قائمة المراجع تحت أسماء : Lewis Spence ، Hamilton ، Rose ، Graves , أما فيما يتعلق بالملاحظة الأولى فيمكن القارئ أن يعود إلى المراجع التالية :

Gruppe, Geschichte der klassischen Mythologie und Religionsgeschichte.

Nilsson, Geschichte der Griechischen Religion, Vol. I.

Lang, Myth, Ritual and Religion, Vol. I.

Spence, Introduction to Mythology, pp. 40—100.

Rose, Greek Mythology, pp. 1-14.

أو لكى يجذبوا بهذه القصص الأفراد الذين قدلا ينصتون إلى مناقشة جافة ومنهجية .

المنهج الرمزى : الأسطورة هى قصة رمزية تعبر عن فلسفة كاملة وجدت فى عصور متناهية فى القدم . لذا من الواجب دراسة تلك العصور المتناهية فى القدم ومحاولة فك رموز القصة فى ضوء هذه الدراسة .

المنهج العقلى : الأسطورة هى قصة نشأت نتيجة سوء فهم أو خطأ مجموعة من الأفراد لحادثة أو رواية أخذت مكانها بين جيل من الأجيال السابقة .

المنهج اليوهيميرى : الأسطورة هى قصة فرد من أفراد البشر قام بأعمال مجيدة فاستحق أن يتحول إلى إله .

المنهج الطبيعى : الأسطورة هى قصة تتناول إحدى الظواهر الطبيعية ثم تحولت هذه الظاهرة الطبيعية بعد ذلك إلى شخصية مقدسة ثم إلى إله أو ربة .

منهج التحليل النفسى : الأسطورة هى رمز للرغبات الغريزية والانفعالات النفسية التى يشعر بها الفرد ولا يعترف بها .

هكذا يبدو واضحاً أن علماء الأساطير المعاصرين قد وصلوا الآن إلى طريق شبه مسدود . فكل منهج من تلك المناهج له إيجابياته وسلبياته . كما أن هذه المناهج يبدو أنها قد استنفذت أغلب الاحتمالات الممكنة . لذلك لم تظهر مناهج جديدة منذ أوائل القرن الحالى . لكن لابأس إذا وجدنا أن أسلم الطرق وأحسنها هو أن يتتبع مفسر الأسطورة فى العصر الحديث عدة خطوات هى (١٩٤) .

الخطوة الأولى : فحص مصدر الأسطورة ومحاولة تحديد تاريخها . فى هذه الخطوة يجب ملاحظة أنه ليس من السهل تحقيق ذلك . إذ قد يرد نص الأسطورة عند كاتب من كتاب القرن الخامس قبل الميلاد ونص آخر لنفس الأسطورة عند كاتب من كتاب القرن الثانى الميلادى . وبعد الفحص

---

١٩٤ – Rose, Op. Cit., pp. 9—10.

الدقيق قد نكتشف أن الكاتب الثانى قد التزم بنص الأسطورة الأصلية بينما أضاف الكاتب الأول تفاصيل أخرى من عنده . أول من نادى بذلك هو ك . ا . لوبك C. A. Lobek (١٩٥) .

الخطوة الثانية : تحديد المكان الذى نشأت فيه الأسطورة الأصلية : هل نشأت فى إحدى المناطق الاغريقية ، أو نشأت بين شعوب إغريقية خارج بلاد الاغـريق ، أو ظهرت قبل عصر الاغريق ، أو ظهرت بين شعوب غير إغريقية ثم وصلت فى عصور متأخرة إلى بلاد الاغريق . أول من حاول ذلك هو ك . ا . موللر K. O. Muller (١٩٦) .

الخطوة الثالثة : تحديد النوع الذى تنتمى إليه الأسطورة : هل هى أسطورة خالصة ، أورواية تاريخية ، أوقصة خيالية . أشهر من لاحظ ضرورة هذه الخطوة هما الشقيقان جاكوب جريم وويلهلم جريم (١٩٧) .

الخطوة الرابعة : مقارنة الأسطورة بأساطير أخرى نشأت بين شعوب أخرى . وقد أشار بذلك كل من مانهارت (١٩٨) وأندرو لانج (١٩٩) .

---

١٩٥ – ك . ا . لوبك C.A.Lobeck. و (١٧٨١ – ١٨٦٠) أهم مؤلفاته : Aglaophamus الذى صدر فى ليبزج عام ١٨٢٩ .

١٩٦ – راجع حاشيه رقم ١٣٩ أعلاه .

١٩٧ – راجع ص ٥٨ أعلاه .

١٩٨ – راجع حاشيه رقم ١٤٦ أعلاه .

١٩٩ – راجع حاشيه رقم ١٦٠ أعلاه .

أطلس

.. وانتهت المعركة بهزيمة كرونوس وأنصاره تحت قيادة التيتن العنيف أطلس .. انتهت المعركة بانتصار أعداء كرونوس تحت قيادة ابنه الشاب الثائر زيوس. انتهت المعركة ، أصبح زيوس حاكم الأرض والسماء ، قضى على أعدائه جميعا . لم يعد أحد يعرف شيئا عنهم ، لكن أطلس هو الذى بقى اسمه خالدا . أطلس ، هو الذى ظل مثار حديث الجميع . أطلس ، هو الذى أبقى عليه زيوس : إذ عاقبه عقابا يليق بجبروته ومكانته . حكم عليه أن يحمل قبة السماء فوق كتفيه ، فمنح اسمه الخلود والبقاء .

أطلس

منذ أزمنة غابرة . منذ عهود سحيقة . منذ عصور بعيدة . ساحقة البعد . حيث لم يكن هناك شيء ، حيث لم يكن قد تكوّن شيء ، منذ فترة — لا ولم ولن يعرف العقل البشرى مداها — منذ فترة زمنية غير خاضعة للقياس وجد أول كائن : خاؤس . خاؤس هو الهيولى أو اللاتكوّن (١) . ثم مضت فترة على وجود خاؤس . أنجب بعدها نوكس — الليل الحالك — وأنجب أريبوس — الظلام العميق الدامس (٢) ، حيث يسكن الموت . أنجب خاؤس نوكس وأريبوس بطريقة ما ، لايستطيع أن يتخيلها خيال بشر .

مضت فترة زمنية أخرى غير خاضعة للقياس . بعدها ارتمت الأنثى نوكس بين أحضان الذكر أريبوس . التقى الذكر بالأنثى . لكن ، كيف حدث ذلك ؟ لايستطيع خيال بشر أن يتخيله . التقت نوكس بأريبوس ؛ تعددت اللقاءات بينهما . كانت نتيجة هذه اللقاءات بيضة وضعتها الأنثى نوكس . أين ؟ وكيف ؟ ومتى ؟ ذلك أيضا شيء لايستطيع أن يدركه عقل بشر . تعاقبت الفصول . وتوالت الأجيال . حتى آن الأوان . فقست

---

١ – Genest, Myths of Ancient Greece And Rome, pp. 12—22.

٢ – Guerber, Myths of Greece And Rome, p. 2.

البيضة . خرج منها مخلوق لطيف . ذو جناحين لونهما لون الذهب الخالص . لم يكن ذلك المخلوق اللطيف سوى إروس . إله الحب (٣) .

* * *

هكذا ولد الحب . نتيجة لقاء تم بين نوكس وإريبوس . بين الظلام والموت . لكن الحب – مهما قيل عن مولده – هو الحب .

هكذا وجد الليل والنهار . هكذا وجد الضوء والظلام . هكذا وجد الجمال والنظام . وهكذا يكون الحب وراء كل وجود . عندئذ كان من الطبيعى أن توجد جايا – الأرض – وأورانوس – السماء . وليس هناك مايدعو للعجب لوقلنا إن عدة لقاءات تمت بين جايا وأورانوس . لكن كيف تم ذلك ؟ ! جايا . تلك الرقعة الفسيحة الصلبة السمراء الممتدة هنا وهناك . أورانوس . ذلك الأفق الأزرق العريض الشاهق اللانهائى . كيف يمكن أن تلتقى جايا وأورانوس . كيف يمكن أن تلتقى الأرض بالسماء . لم يسأل الاغريقى فى بادىء الأمر كيف حدث ذلك . السبب بسيط . رأى الاغريقى فى كل من الأرض والسماء . والليل والنهار . والضوء والظلام – فى كل شىء وجد الاغريقى شخصا يسلك سلوكا قد يشبه سلوك أفراد البشر . ويتصف بصفات قد لاتختلف كثيرا عن صفات أفراد البشر . كانت جميع الأشياء – فى نظر الاغريق – أشخاصا . ولاعجب فى ذلك . فلقد تخيل الاغريقى آلهته وأربابه فى هيئة مثل هيئته .

التقت الأنثى جايا بالذكر أورانوس . تعددت لقاءاتهما . أنجبا جماعة من المسوخ والكوكلوبيس والتياتن . جايا هى الأرض . الأم الحنون . التى تبسط صدرها ليمرح عليه جميع أبنائها وبناتها . أورانوس هو السماء . الأب المتعالى . الذى يسىء معاملة ذريته . ولا يعدل بين أفرادها . عامل الأب أورانوس بعض أبنائه معاملة سيئة . عامل البعض الآخر معاملة طيبة . ألقى بجماعة من المسوخ – تعرف بجماعة الهيكاتونخيرى – فى أعماق الأرض . ثلاثة مسوخ ، لكل منهم مائة يد . وخمسون رأسا . ألقى بهم والدهم

٣ – Hamilton, Mythology, p. 63.

أورانوس فى أعماق الأرض المظلمة . ثم أصدر أوامره المشددة . وكان له ما أراد . سوف لايرون الضوء . سوف لايذوقون طعم الحرية . لكنه ترك أبناءه وبناته الآخرين أحرارا طليقين . يروحون ويغدون . يالهم من محظوظين ! ! هؤلاء أفراد الجماعات الأخرى . الكوكلوبيس والتياتن (٤) .

لكن جايا . الأم الحنون . من أفسحت صدرها لكل أبنائها . ضاقت بتصرفات أورانوس . الأب . الذى لم يكن يعرف العدل . ظلت تحرض أبناءها ، تبث العزم فى نفوسهم (٥) . لم يستجب لدعائها سوى واحد فقط من أبنائها – كرونوس – . وكرونوس هو الزمان . ولا عجب فى ذلك . فالزمان وحده هو الذى قد يستطيع أن يتحدى ظلم السماء (٦) . ظلت جايا تحرض ابنها كرونوس . ثارت ثائرته . صمم على الانتقام من والده أورانوس . أخذ يرقب حركاته ، يحصى عليه غدواته وروحاته ، حتى كان يوما محسوبا . يوما سعى فيه أورانوس إلى حتفه . كان يسير متبخترا . مزهوا بجلاله وسلطانه . أعد له كرونوس كمينا . خرج كرونوس فجأة من مكمنه . فاجأ أورانوس بطعنة قاتلة بعد أخرى . فاضت دماء أورانوس على الأرض . غزيرة مثل مياه جدول منحدر المجرى . سالت دماؤه على وجه جايا . نفذت إلى جوفها . هكذا تم اللقاء الأخير بين جايا وأورا نوس . وأنجبت جايا الجيل الرابع من ذريتها . جماعة المردة (٧) .

٤ – Hamilton, Op. Cit., p. 65.

٥ – Guerber, Op.. Cit., pp. 6—7

٦ – اعتقد القدماء ان اسم كرنوس kρòνος صورة محرفة من Χρòνος بمعنى الزمان لكن روز (Rose, Greek Mythology, p. 69 n. 1.) يرى أن الخلط بين حرف k ، χ فى بداية الكلمة كان مستحيلا. كما يرى أيضا أن تسمية إله باسم معنوى أو فلسفى لم يكن شائعا بين الشعوب البدائية . قد يكون اسم كرونوس kρòνος مشتقا من kραινω ومن ثم يعنى «المكمل» أو «المنضج» وهو اشتقاق ليس من المستحيل. أنظر أيضا Farnell, Cults, of the Greek States, Vol. I, p. 23. لذلك يعتقد روز (Ibid., p. 43) أن كرونوس إله كان موجودا قبل عهد الاغريق ثم دخلت عبادته فيما بعد إلى بلاد الاغريق .

٧ – Hamilton, Op. Cit., p. 65.



شكل (٢)

مولد زيوس (ابن كرونوس)

انتصر كرونوس على أورانوس ، زال حكم السماء على الأرض . الزمان هو الحاكم الأعظم . اتخذ لنفسه زوجا – شقيقته ريا . تعددت اللقاءات بين الحاكم الجديد وزوجته . بين كرونوس وريا . أنجبت له ذرية لاحصر لها .

لم يكن كرونوس أفضل من أورانوس . بل كان أظلم منه وأكثر طغيانا . تنبأت له مصادر النبوءات أن واحدا من أبنائه سوف يقضى عليه . سوف يغتصب عرشه . أراد كرونوس أن يتفادى تحقيق هذه النبوءة المروعة . فكر فى إقامة حصن أمان حوله . يحميه من هجمات أبنائه . لم يستطع التوصل إلى فكرة صائبة . مضمونة العاقبة . أخيرا لجأ إلى حيلة . رآها ناجحة . أكيدة الفائدة . أصدر أوامره إلى زوجته ريا . كان على ريا أن تطيع أوامره . مهما كانت تلك الأوامر . أمرها أن تسلمه كل مولود فور ولادته . سلمت ريا إلى كرونوس كل مولود ولدته . ابتلع كرونوس كل مولود تسلمه من ريا [٨] . اختفى كل مولود فى جوف الزمان . تكرر ذلك الحدث . أصبح فى جوف الزمان خمسة مواليد . خمسة من أبناء ريا [٩] .

أدرك ريا المخاض للمرة السادسة . أخذت تصرخ وتتألم . لم يكن كرونوس يتألم لألمها . لم يكن يصرخ لصراخها . لكنه كان ينتظر بفارغ الصبر نتيجة آلامها وصراخها . كان ينتظر المولود كى يبتلعه . كى يضيفه إلى المواليد الخمسة التى سبق أن ابتلعها .

---

٨ – Guerber, op. cit., pp. 8-9.

٩ – يروى هيسيودوس هذه القصه فى قصيدة أنساب الآله (سطر ٤٥٣وما بعده) . يروى ابو للودوروس نفس القصه تقريبا (Appollodorus, I; 4 sqq) ، لكنه فى مكان آخر (I, 6) يروى أن الربه ميتيس Metis هى التى أرغمت كرونوس على ان يعيد أطفاله من جوفه . هناك مصدر قديم آخر (Hyginus, fabula 139, 1) يروى قصه مختلفه : إن كرونوس لم يبتلع أطفاله لكنه ألقى ابنه بوسيدون Poseidon فى البحر وابنه الآخر هاديس Hades فى العالم السفلى Tartarus . لكن يبدو أن هوميروس (Iliad, XIV, 295) لم يكن يعرف رواية ابتلاع كرونوس لأطفاله ، أو أنه قد عرفها وتجاهلها . وهناك مصدر متأخر (Pausanias, VIII, 8, 2) يروى أن بوسيدون هرب من كرونوس ونجا من الابتلاع إذ ابتلع كرونوس مهراً حديث الولادة بدلا منه .

وضعت ريا مولودا . جميلا . رقيقا . نظرت إليه . إلى وجهه البرىء . كان يصرخ . وكأنه يعرف مصيره المحتوم . أشفقت ريا على مولودها . أحست بكراهية شديدة نحو كرونوس . صممت على إنقاذ مولودها . قررت أن تخدع زوجها . أتت بحجر ضخم مستطيل [١٠] . ألبسته أردية كانت قد أعدتها لمولودها من قبل . لفت حوله أقمطة خاصة . جعلت الحجر الصلب يبدو كما لو كان مولودا حقيقيا [١١] . بعثت به على الفور إلى كرونوس . ابتلعه . أحس بالسعادة . شعر بالاطمئنان . لن يعزله أحد من أبنائه . فأبناؤه فى جوفه . لايرون الضوء . لايستطيعون الحركة [١٢] .

نقلت ريا مولودها على الفور إلى كهف جبل مهجور . سلمته إلى حوريات الجبل [١٣] . تعهدنه بالرعاية . اعتنين به . نما الطفل . أصبح شابا يافعا . ظل يراوغ والده ويحاوره . حتى لايدرك وجوده . حتى لايكتشف حقيقة أمره . نصحه رفاقه ورفيقاته . زار والدته بناء على نصيحة واحدة منهن . طلب من والدته أن تساعده . يريد أن ينتقم من والده . رحبت ريا بالفكرة . قدمت إليه كل ما يحتاج من معلومات . سوف تقدمه إلى كرونوس ساقيا . لم تكن تلك فكرة الأم . كانت فكرة الابن . قبله كرونوس ساقيا له . يصب له الشراب . يقدمه إليه . قدمت إليه الأم ريا كل معونة . أعدت له نبات الخردل وكمية من الملح . أضافهما إلى شراب كرونوس المحلى بعسل النحل . شرب كرونوس دون أن يكتشف أمر ساقيه . أفرط فى الشراب . أحس بدوار شديد . شعر بألم يسرى فى أمعائه . أحس بمحتويات معدته وقد فارت فجأة حتى كادت تتدفق من فمه .

---

١٠ - Rose, Greek Mythology, p. 44.

١١ - يقول باوسانياس (Pausanias, X, 24, 5) إن زيوس ذهب بنفسه إلى دلفى ووضع الحجر – الذى ابتلعه كرونوس ظنا منه أنه المولود زيوس – هناك حيث ظل موجوداً حتى عصر باوسانياس ، وكان الاغريق يدهنونه بالزيت ويقدمون إليه الأضاحى على هيئة خيوط صوفية مجدولة .

١٢ - Hamilton, Op. Cit., pp. 65—66.

١٣ - Euripides, Bacchae, 120 sqq.

أفرغ على الفور كل ما فى معدته . تقيأ أولا الحجر المغطى بالأردية . ثم أبناءه الخمسة . واحدا بعد الآخر [١٤] .

* * *

اندفع أبناء كرونوس الخمسة إلى الهواء الطلق . لم يكن قد مسهم ضر أثناء وجودهم فى جوف والدهم . خرجوا ساخطين عليه . راغبين فى الانتقام منه . طلبوا من شقيقهم الأصغر أن يقودهم . أن يرسم لهم خطة الانتقام . علم التياتن والمردة بأمر كرونوس . تجمعوا تحت قيادة واحد من أقوى وأعنف التياتن . إستعدوا للدفاع عن كرونوس أسرعت جايا – الأم الأرض – لتقدم العون إلى ابن كرونوس الثائر . أشارت عليه أن يفتح أبواب السجون ويخرج من سجنهم والده كرونوس من قبل [١٥] . استعد كل فريق [١٦] . تسلح كل من الجانبين . اعتلى أعداء كرونوس قمة جبل أولومبوس . اعتلى أنصاره قمة جبل أورثروس . استمرت المعركة عشر سنوات . استخدم المتحاربون أسلحة فتاكة مروعة : الصواعق الرعدية . الصواعق البرقية ، السحب المتحركة الهادرة . العواصف الكاسحة . الشوكة الثلاثية الضخمة المثيرة لأمواج المحيطات والبحار . كاد الدمار يغطى الوجود بأكمله [١٧] . شمل الخراب كل أرجاء الكون ، لم تشهد الأساطير الاغريقية معركة أعنف وأشرس من تلك المعركة . التى عرفت فيما بعد باسم معركة التياتن . فقد وقف جميع التياتن والمردة فى صف كرونوس ماعدا التيتن بروميثيوس وشقيقه إبيميثيوس [١٨] .

انتهت المعركة بهزيمة كرونوس وأنصاره تحت قيادة التيتن العنيف أطلس . انتهت المعركة بانتصار أعداء كرونوس تحت قيادة ابنه الشاب

---

١٤ - Hyginus, fabula 139; Apollodorus, 1, 7; Hesiod, Theogony, 453 sqq.

١٥ - Hesiod, Op. Cit., 501 sqq. Apollodorus, 1, 6-7,

١٦ - Guerber, Op. Cit., 11—13,

١٧ - Graves, Greek Myths, Vol. I, pp. 40-41,

١٨ - Hamilton, Op. Cit., p. 66.

الثائر زيوس . هكذا وقف كل من أطلس وزيوس وجها لوجه . هكذا هزم زيوس أطلس شر هزيمة . انتهت المعركة . أصبح زيوس حاكم السماء والأرض . عاقب كل من دافع عن الظلم والطغيان . قضى على أعدائه جميعا . لم يعد أحد يسمع عنهم . أو يعرف شيئا عن حياتهم . أطلس هو الذى بقى اسمه خالدا . أطلس هو الذى ظل مثار حديث الجميع . أطلس هو الذى أبقى عليه زيوس . إذ عاقبه عقابا يليق بجبروته ومكانته (١٩). حكم عليه أن يحمل قبه السماء فوق كتفيه (٢٠) . فمنح اسمه الخلود والبقاء .

* * *

أطلس . أنجبه التيتن يابيتوس من حورية الماء كلومينى (٢١) . هو الشقيق الأكبر لكل من هيسبيروس وإبيميثيوس وبروميثيوس ومينويتوس (٢٢) . عرف أطلس أسرار البحر العميق ، كان على علم بكل خبايا أعماق اليم . قبل أن يلقى أطلس ذلك العقاب الأليم ، عاش فى سلام وطمأنينة . حكم مملكة شاسعة . ذات حدود ساحلية طويلة شديدة الانحدار . حكم مملكة واسعة . مترامية الأطراف . تزيد مساحتها على مجموع مساحة كل من قارتى أفريقيا وآسيا . حكم مملكة عرفت باسم مملكة أطلانتيس . نسبة إلى أطلس . قيل إن مملكة أطلانتيس كانت تقع فيما وراء المنطقة المعروفة باسم أعمدة هيراكليس . تفصلها عن قارتى أوربا وآسيا سلسلة من الجزر . مليئة بأشجار الفاكهة (٢٣) .

حكم أطلس شعبا متحضرا . عرف ذلك الشعب كيف يشق القنوات .

---

١٩ – Ibid., p. 66—7.

٢٠ – Homer, Odyssey, I. 52-4; Hesiod, Theogony, 507 sqq.; Hyginus, fabula 150.

٢١ – لذلك كان الاغريق يعتبرون يابيتوس الوالد الأكبر لجميع البشر . أنظر : Zimmerman, Dictionary of Classical Mythology, s.v. Iapetus

٢٢ – Eustathius, On Homer, 987; Hesiod, Op. Cit., 504 sqq.; Apollodorus, I. 2, 3.

٢٣ – Plato, Timaeus, 6 ; Critias, 9—10.

عرف الزراعة ، زرع سهولا واسعة . كانت المياه وفيرة فى مملكة أطلانتيس . غمرت الحقول والمزارع . أكسبت الأرض خصوبة شديدة . أقام أهل المملكة المنازل للسكنى . شيدوا القصور الفاخرة . والقلاع المنيعة .

أطلس هو ابن بوسيدون — هكذا قال المصريون القدماء — ، أطلس هو ابن سيد البحار والمحيطات (٢٤). له خمسة أزواج من التوائم الذكور ، حلفوا جميعا أغلظ الايمان أن يظل كل منهم مخلصا للآخر إلى أبد الآبدين ، وأن يخلص الجميع لشقيقهم أطلس . ذبحوا ثورا ضخما . وقفوا حوله . أقسموا والدماء تسيل من الثور . ظل الإخوة على عهدهم . ظلوا مخلصين أوفياء إلى حين . لكن سرعان ما تأثروا ببريق الذهب والفضة . سرعان ماشد الثراء انتباههم . ودون أن يشعروا ، تنصلوا من عهدهم . تفرق الإخوة . تشتت جمعهم . أصبح من السهل هزيمتهم . هزمهم الشعب الأثينى شر هزيمة . حارب كل شقيق على حدة . هزمهم واحدا بعد الآخر . شجعهم زيوس على ذلك . أتى الأثينيون على جميع الإخوة . أرسلت الآلهة طوفانا قضى على المملكة بأكملها . أتى على الموانى . خرب المعابد والأماكن المقدسة . دمر القصور والقلاع . أغرق المملكة بأكملها تحت أكوام هائلة من الطين . جعل البحار من حولها غير صالحة للملاحة . بذلك أصبح من العسير الوصول إليها . وهكذا اختفت قارة أطلانتيس ، التى عرفت فيما بعد باسم القارة المفقودة . (٢٥) .

نجا من الطوفان أطلس وشقيقه مينويتوس . كان ذلك قبل قيام معركة التياتن بفترة قصيرة . لذلك انضم أطلس وشقيقه إلى جانب كرونوس أثناء المعركة . كانت هزيمته ساحقة فى المرة الثانية . وكان عقابه أليما مريرا .

* * *

لكن أطلس ارتبط اسمه أيضا بالبطل هيراكليس . أعمال هيراكليس

---

٢٤ – Graves, Op. Cit., p. 146,

٢٥ – Ibid., pp. 143-4.

الاثنى عشر لايجهلها أحد (٢٦) . هي أعمال كلفه بها الملك يوروسثيوس ، وقام بها هيراكليس خير قيام . العمل الحادى عشر من أعمال هيراكليس هو الحصول على التفاحات الذهبية التى تملكها هيرا (٢٧) :

بمناسبة زواج هيرا من رب الأرباب زيوس . قدمت الأم جايا إلى هيرا هدية . تذكارا رمزا للحب والاعزاز . كانت الهدية شجرة تفاح . لم تكن شجرة تفاح عادية . كانت شجرة تثمر ثماراً من الذهب الخالص . فرحت هيرا بالهدية .غرستها بعناية شديدة فى حديقتها الخاصة ، كانت تقع بالقرب من جبال أطلس . حيث تكمل عجلة إله الشمس دورتها اليومية . حيث يلتقى الليل والنهار . حيث ترعى مواشى وأغنام أطلس دون أن يشاركها أحد (٢٨) .

أحبت هيرا شجرة التفاح حبا جما . كان لأطلس ثلاث بنات —عرفن باسم : الهيسبيريديات . اكتشفت هيرا أن الهيسبيريديات يسرقن ثمار التفاح . أو هكذا اعتقدت هيرا . لذا خصصت تنينا ضخما . ساهرا أبدا لحراسة شجرة التفاح . التف لادون حول شجرة التفاح — قال البعض إن لادون هو ابن التيتن توفون . الذى فاق جميع التياتن قوة وضراوه . أنجبه من زوجته إخدنى . قال البعض الآخر إنه أصغر أبناء رجل البحر العجوز المهاب فوركس من حورية الماء كيتو . رأى فريق ثالث أن لادون واحد من أبناء الأرض.أنجبته انجابا ذاتيادون أن يمسها ذكر.فليكن لادون مايكون.(٢٩) المهم أنه كان تنينا ضخما . ثعبانا مروعا له مائة رأس . ويتحدث لغات البشر المختلفة . ذلك هو لادون الذى كان يحرس شجرة تفاح هيرا .

كان أطلس فخورا . هو الذى كان يتعهد شجرة التفاح . كان يشعر

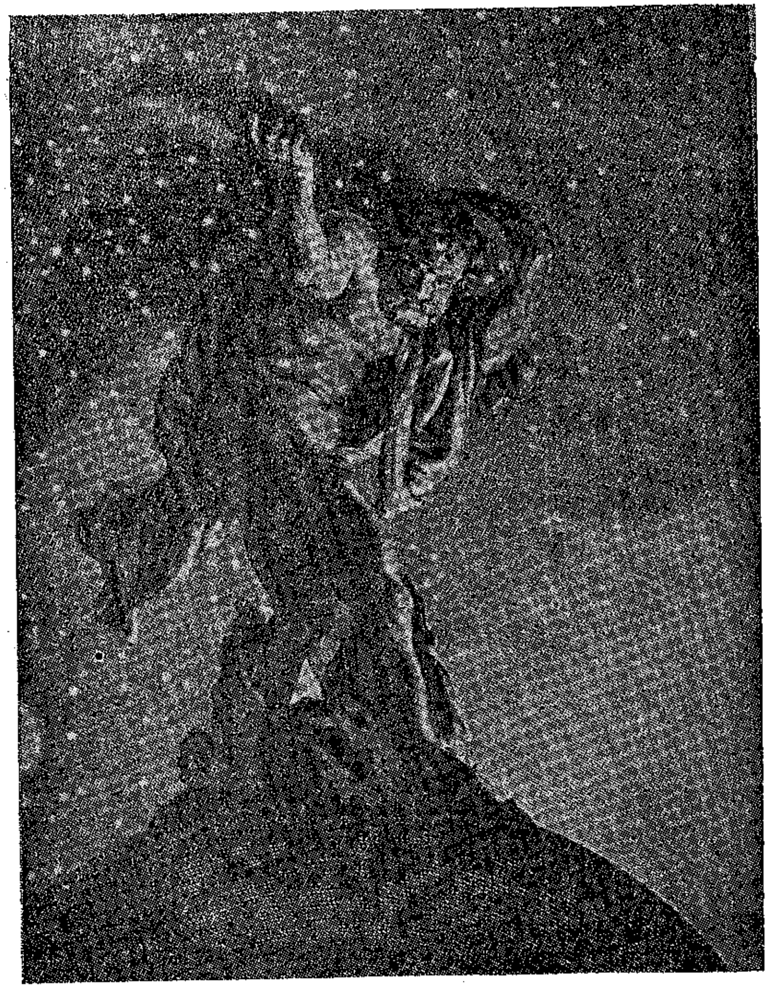
---

٢٦ — أنظر أعمال هيراكليس الاثنى عشر ، ص ٣٨٥ ومابعدها .

٢٧ — راجع ص٤٠٧ أدناه .

٢٨ — Graves, Op. Cit., Vol, II, pp. 145-6.

٢٩ — Apollodorus, II, 5. 11; Hesiod, Op. Cit., 333 sqq.



شكل (٣)

أطلس يحمل العالم فوق كتفيه

بالزهو . مثله فى ذلك مثل بستانى يرعى نوعا نادرا من أنواع الزهور . ذات يوم نصحته الربة ثميس :

أيها التيتن . سوف يأتى واحد من أبناء زيوس . وسوف ينتزع ثمار هذه الشجرة .

لم يكن أطلس فى ذلك الوقت قد وقع بعد تحت سطوة زيوس . كان حرا طليقا ينعم بالسلام والطمأنينة . حينئذ أسرع أطلس نحو الحديقة .أقام حولها أسوارا عالية . سميكة . قوية . طرد جميع الأجانب من مملكته . بل هناك من يقول إن أطلس نفسه هو الذى خصص لادون لحراسة الشجرة . عندما طلب يوروسثيوس من هيراكليس أن يحضر إليه بعض تفاحات من شجرة هيرا . انطلق البطل يبحث عن الشجرة . علم هيراكليس أن عليه الذهاب إلى أطلس . وبعد عناء وجهد . وصل هيراكليس إلى حيث يوجد أطلس . عندئذ وجده يرزح تحت عبء ثقيل . وجده يحمل قبة السماء الهائلة فوق كتفيه (٣٠). سأله هيراكليس عن التفاحات الذهبية .كان أطلس على وشك الرفض فى أول الأمر . لكنه تذكر على الفور . إن ذهب ليحضر التفاحات الذهبية فسوف يحمل هيراكليس قبه السماء بدلا منه. سوف يشعر أطلس حينئذ بالراحة. ولو لفترة قصيرة ، وافق أطلس على الفور (٣١) . لكنه طلب من هيراكليس أن يتخلص أولا من لادون . تخلص هيراكليس من لادون . قتلة بسهامه التى لاتخيب . أوأرسله فى سبات عميق بعقار من عقاقيره قوية التأثير(٣٢) .

* * *

شعر أطلس بالسرور والراحة وهو يناول هيراكليس قبة السماء . حملها هيراكليس على كتفيه . أسرع أطلس نحو الحديقة حيث توجد شجرة التفاح المقدسة .انتزع ثلاث تفاحات ذهبية . ثم عاد إلىحيث ترك هيراكليس .

٣٠ - Hamilton, Op. Cit., p. 165.

٣١ - Diodorus Siculus, IV, 27.

٣٢ - Rose, Greek Mythology, p. 216.

اقترب أطلس من هيراكليس . ظل يقترب شيئا فشيئا . نظر أطلس إلى علامات البؤس والشقاء التى تعلو جبين هيراكليس . لاحظ العذاب الذى يقاسيه وهو يحمل قبة السماء . تحسس أطلس كتفيه . أخذ يحرك ذراعيه فى حرية تامة . فجأة تذكر أنه سوف يحمل قبة السماء على كتفيه بدلا من هيراكليس. استولى عليه الحزن . سيطر عليه الفزع . تقدم نحو هيراكليس ، سأله أن يتركه ليذهب إلى يوروسثيوس ويقدم له التفاحات الذهبية بنفسه . كان أطلس سعيدا بذلك العرض. سوف يريحه من حمل قبة السماء لفترة أطول. فطن هيراكليس إلى مقصد أطلس . تظاهر بالموافقة . طلب من أطلس أن يحضر له وسادة لينة . سوف يضعها على كتفيه حتى لاتؤلماه، وحتى يستطيع أن يحتمل ذلك الثقل الهائل . فرح أطلس . تقدم نحو هيراكليس . ألقى بالتفاحات الذهبية على الأرض . ثم اقترب منه . تناول قبة السماء من على كتفى هيراكليس . وضعها فوق كتفيه (٣٣) . حتى يستطيع هيراكليس أن يضع الوسادة على كتفيه . وما أن فعل أطلس ذلك حتى انحنى هيراكليس فى خفة والتقط التفاحات الذهبية من على الأرض . ثم ودع أطلس فى سخرية وتهكم . تاركا إياه يزرح تحت ذلك العبء الهائل (٣٤) .

* * *

ارتبط اسم أطلس بالبطل برسيوس أيضا(٣٥) . كان الجميع يعرفون أن برسيوس سوف يقتل ميدوسا ، ويفصل رأسها عن جسدها . ولقد كان له ذلك . وكان أطلس يعرف ذلك أيضا . وكان ينتظره بفارغ الصبر . وكان يعرف أيضا أن الربة أثينة قد حولت ميدوسا من فتاة رائعة الجمال إلى مسخ مجنح مخيف ذى أسنان ضخمة ولسان بارز ومخالب برونزية وخصلات من الحيات بدلا من الشعر . كما جعلت من ينظر إلى وجه ميدوسا يتحول إلى حجر فى التو واللحظة . كان أطلس يعرف ذلك

٣٣ - راجع ص ٤٠٨ أدناه .

٣٤ - Guerber, Myths of Greece And Rome, pp. 197-99.

٣٥ - Ibid., pp. 213-14.

تمام المعرفة . لكنه كان يضيق أيضا بذلك العبء الثقيل الذى يحمله على كتفيه . وكان ينتهز الفرصة للتخلص منه . لذا ، عندما لاحظ أطلس مرور برسيوس ومعه رأس ميدوسا ، طلب منه أن يكشف له عن وجهها . نظر أطلس إليها ، وتحول على الفور إلى حجر (٣٦) . تحول إلى جبال عرفت من بعده بجبال أطلس . وهى التى تمتد فى شمال افريقيا . إن جبال أطلس منحنية خشنة مجعدة . مثل كتفى أطلس . تعلو قممها الثلوج البيضاء . تماما كما تعلو الشعيرات البيضاء رأس أطلس . تنطح قممها الشاهقة السحاب فتبدو وكأنها تحمل قبة السماء وتمنعها من السقوط . تماما كما كان يفعل أطلس (٣٧) .

٣٦ - Ovid, Metamorphoses, IV, 630.

٣٧ - Graves, Op. Cit., p. 145.

پاندورا

نَهَرَ باندورا . وجَّه إليها أقذع العبارات . ثارت باندورا . أحست بالغضب . شعرت بالتعب . تشاجرت معه . أراد أن يضربها . وقفت أمامه متحدية . صفعها على وجهها . علا صراخها . تجمع أفراد البشر حولهما . انقسم الجمع بين مؤيد ومعارض . دب الشقاق بين الإخوة . فرق الطمع بين الأشقاء . انتشرت الأمراض والعلل . أتت الشيخوخة على الرجال . لم يكن يحدث شيء من ذلك على الأرض قبل أن تفتح باندورا الصندوق . . ليتها لم تفتحه ! !

باندورا

زيوس . رب الأرباب. ملك الملوك . حاكم الأرض والسماء وما بينهما : صانع أقدار الآلهة والبشر . لم يصل زيوس إلى هذه المكانة دون عناء أو نصب . اضطر إلى خوض معركة ضارية ضد والده الذى أنجبه . حارب جماعات المسوخ والمردة والتياتن والكوكلوبيس . انتصر عليهم جميعا . بفضل قوته وجبروته ، وبفضل مساعدة بروميثيوس (١) .

بروميثيوس (٢) . تيتن معروف بالمكر والدهاء . صانع ماهر . مفكر بارع . سريع البديهة . واسع الحيلة . بعيد النظر . عرف باسم بروميثيوس ومعناه المتروى (٣) . أدرك بذكائه الثاقب أن النصر سوف يكون حليفا لزيوس فى صراعه ضد التياتن . انشق عن صفوف زملائه التياتن .

---

١ — بروميثيوس **Prometheus** ابن التيتن يابيتوس **Iapetus** من الحورية كلومينى **(Hesiod, Theogony, 510) Clymene**

٢ — فيما يتعلق بشخصية بروميثيوس راجع تراجيديا بروميثيوس مغلولا للشاعر الاغريقى أيسخولوس ، وخاصة سطور : ٢١٨، ٢٢٨–٢٣٦، ٢٥٢، ٤٤٥ ومابعده ، ٤٧٨ وما بعده.

٣ — لفظ برميثيوس προμηθεὺς مشتق من الاسم προμηθία وبالتالى فهو يعنى «ماقبل المعرفة أو «الذى يعرف كل شىء» . قبل أوانه «ولقد فضلنا هنا أن نستخدم لفظ المتروى لما قد يقدمه لنا هذا اللفظ من دلالة بالنسبة لشخصية بروميثيوس . وبالقياس فإن لفظ Επιμηθεὺς يعنى «مابعد المعرفة» ولقد استخدمنا هنا لفظ المتسرع . من ناحية أخرى يرى بعض الدارسين أن كلمة برو ميثيوس يمكن إرجاعها إلى الأصل السنسكريتى **Pramantha** وبذلك يربط هؤلاء الدارسون بين اسم التيتن وبين سرقته للنار . راجع :

Rose, Greek Mythology, p. 72 n. 53.

وقف فى صف زيوس . قدم له كل مساعدة ومعونة . أصبح ساعد زيوس القوى . وعقله المفكر . منحه زيوس ثقته . جعله الأقرب إليه . أحب بروميثيوس أخاه إيبميثيوس .

* * *

إيبميثيوس تيتن معروف باخلاصه الشديد وولائه الكامل لشقيقه الأكبر بروميثيوس . لكنه لايشبهه فى شيء . ساذج . بسيط . مشتت الفكر . لايعرف المكر أو الخداع . يطلق الكلمات سريعة من فمه . ثم يفكر فيما قال . يتحمس للقيام بعمل فيعمله . ثم يفكر فى نتيجة ذلك العمل . وغالبا ما يندم على ما فعل . عرف باسم إيبميثيوس ومعناه المتسرع . اختار جانب زيوس وحارب ضد زملائه التياتن . لأن أخاه بروميثيوس أشار عليه بذلك. أولاه زيوس ثقته . لكنه لم يعتمد عليه اعتمادا كاملا (٤) .

استوى زيوس على العرش . طهر الكون من شرور المسوخ والمردة والتياتن . وضع حدودا للماء . حدد معالم اليابسة . نظم حياة الآلهة فوق قمة الأولومبوس. خصص مكانا للجحيم . وآخر للنعيم . أسند إلى كل إله وظيفة تليق بمكانته وقدرته . لم يبق حينئذ سوى خلق البشر وما يتبعهم من مخلوقات وكائنات على وجه الأرض . فكر فيمن يستطيع أن ينوب عنه فى القيام بهذه المهمة . لم يجد أفضل من بروميثيوس ، وشقيقه إيبميثيوس (٥) .

* * *

فرح إيبميثيوس . بما أسند إليه من قبل زيوس . طلب من أخيه بروميثيوس أن يعتمد عليه فى إنجاز تلك المهمة. بدأ أولا فى خلق الحيوانات والطيور (٦) . منحهم أطيب المزايا وأفضل الصفات والكفاءات . منحهم

٤ — Oxford Classical Dictionary, s.v. Prometheus.

٥ — Graves, Op. Cit., Vol. I; p. 144-45.

٦ — Genest, Myths of Ancient Greece And Rome, pp. 170—72.

قوة الجسم . سرعة الحركة . الشجاعة والدهاء . الفراء والرياش . الأجنحة والأصداف . وغير ذلك من المزايا والصفات التى تتميز بها الكائنات الحية على اختلاف أنواعها . ثم جاء دور خلق الرجل (٧) . لم يجد إيبميثيوس شيئا يمنحه له كى يميزه عن بقية الكائنات الحية . عندئذ أدركه شقيقه بروميثيوس — لكن بعد فوات الأوان . لم يجد بروميثيوس أمامه سوى صفات الآلهة (٨) .

خلط بروميثيوس التراب بالماء (٩) . شكل منه مخلوقا لايختلف فى صورته عن الإله فى شيء . جعله يسير قائما على اثنتين . منحه بشرة ملساء غير ذات فراء أو ريش . منحه القدرة على الكلام . بل كان على وشك أن يمنحه الخلود — لولا تدخل زيوس فى اللحظة الأخيرة (١٠) . أنهى زيوس مهمة بروميثيوس . لذا نجد فى الميثولوجيا أن لافرق بين الرجل الاغريقى وآلهته فى الشكل ، والمظهر، والسلوك والتصرفات . لافرق بينهما سوى أن الإله خالد لايموت والرجل زائل ذائق الموت . لذلك أيضا نجد الصراع دائما أبدا بين الرجل الاغريقى وآلهته . فالإله يريد أن يفرض سلطانه على الرجل ويصنع له قدره . والرجل يريد أن يتحرر من سيطرة الإله ويصنع قدره بنفسه .

* * *

عاش الرجل على الأرض فى سلام . عاش فى مجتمع من الرجال . حيث لافساد ولاظلم . لاألم ولا مرض . لانزاع ولا وقيعة . وعاشت الآلهة فوق قمة الأولومبوس الشاهقة . ترقب سعادة الرجل وهناءه . فالسماء ترسل إليه أمطارها . والهواء النقى يملأ صدره . والأرض تجود عليه بكل خيراتها . والبحر يحتويه ويرحب به فتكمل سعادته . . وبروميثيوس . . لم يكن

٧ — Rose, Op. Cit., p. 54.

٨ — Hamilton, Mythology, pp. 68—9.

٩ — قيل إن بروميثيوس خلق البشر من الطين (Pausanias, X, 4. 4) وقيل أيضاً إنه خلط الطين بأجزاء من الحيوانات (Horace, Carmina, I. 16; 13 sqq).

١٠ — Guerber, Myths of Greek And Rome, pp. 14-15.

يسمح له بالحياة بين الآلهة فوق قمة الأولومبوس . إذ لم يكن إلها مثلهم . لم يكن يستطيع الحياة بين البشر على وجه الأرض . إذ لم يكن بشرا مثلهم. هو نصف إله — مثله فى ذلك مثل شقيقه إبيميثيوس — يعيش متنقلا بين مملكة الآلهة ومملكة البشر . تخشاه الآلهة . لما امتازبه من تفكير سليم ودهاء شديد . يحبه أفراد البشر . ويعتبرونه مدافعا عنهم ومعلما لهم .

* * *

رغب أفراد البشر ذات يوم أن يعبروا عن إخلاصهم لرب الأرباب . أرادوا أن يؤكدوا ولاءهم لزيوس حاكم الأرض والسماء . قرروا إقامة وليمة وتقديم هدية لحاكمهم الأعظم . أحضروا ثوراً ثمينا . قوى البنية . شديد البأس . تكاتفوا من حوله وكتفوه . أجهزوا عليه بأسلحتهم البدائية . تجمعوا فى شكل دائرة حول الثور المذبوح . ردددوا فى صوت واحد دعاء خالصا إلى ملك الملوك . انشرح صدر الحاكم الأعظم لنداء عباده المخلصين . لبى دعاءهم على الفور . نزل إليهم من عليائه . انتهت مرحلة الدعاء وتبادل عبارات المديح والثناء . جاء دور الأكل والشراب . اختلف الحاكم الأعظم وأفراد البشر على تقسيم الذبيحة . رأى أفراد البشر أن الهدف من إقامة الوليمة هو مشاركة الإله لهم . فلا بأس من أن يكون نصيبه من الذبيحة مثل نصيب كل منهم . رأى زيوس أن الذبيحة هدية له وقربان إليه . فلا شك أنها من نصيبه وحده . أخيرا . اتفق الطرفان على أن يحكما فيما بينهما التيتن بروميثيوس(١١).

أصدر بروميثيوس حكمه على الفور (١٢) . زيوس يمثل طرفا . وأفراد البشر يمثلون طرفا آخر . والهدف من الوليمة هو المشاركة . فلا بأس من تقسيم الذبيحة بالتساوى بين الطرفين . رضى زيوس بحكم بروميثيوس . ولم يكن أمام أفراد البشر سوى الخضوع والرضا . وبدأ القاضى فى تنفيذ الحكم . سلخ الذبيحة بمهارة بارعة . وقطعها فى سرعة فائقة . فصل العظام

١١ — Hamilton, Op. Cit., p. 70.

١٢ — Hesiod, Theogony, 521-64; Lucian; Dialogues of the gods, I; Idem, Prometheus On Caucasus, 3.

عن اللحم ووضعها على شكل كومة على يمينه . جاء بالأمعاء وبقية الأجزاء الداخلية الرديئة ولفها — فى غفلة من زيوس — حول اللحم الخالص . ووضعها على شكل كومة على يساره . ثم أتى بشرائح من اللحم ولفها — فى غفلة أيضا من زيوس — حول العظام . نظر زيوس أمامه فوجد كومتين . إحداهما أكبر من الأخرى. صاح قائلا :

بروميثيوس . لقد رضيت بحكمك فكن إذن عادلا فى التقسيم .رد بروميثيوس فى دهاء ومكر — قائلا :

ملك الملوك . ياحاكم الأرض والسماء .لك الخيار . فأنت صاحب الأمر . فرح زيوس . اختار الكومة الأكبر . حملها معه إلى قمة الأولومبوس . هنالك فقط اكتشف خداع بروميثيوس (١٣) . اكتشف أن الكومة الأكبر ليست سوى العظام مع قليل من شرائح الشحم . لذا نجد فى الميثولوجيا أن الاغريقى اعتاد أن يأكل الأجزاء الطيبة من الذبيحة . ويترك العظام والشحوم فى المعبد قربانا للإله (١٤) .

لم يجرؤ زيوس على أن يرد الكومة أو يطلب استبدالها . لقد اختارها بنفسه . ترك له بروميثيوس حرية الاختيار . كان زيوس يعرف مكر بروميثيوس ودهاءه . كان يعلم أنه يدافع دائما عن البشر ويقف فى جانبهم . لم يستطع زيوس أن يكتم غضبه . طل على البشر من عليائه . رآهم يستعدون لإشعال النار ، كى ينضجوا لحم الذبيحة الطرى اللذيذ . ثارت ثورته . نفرت عروقه من شدة الغيظ. كشر عن أنيابه ناصعةالبياض . سرت فى جسده رعشة قوية وهو يصرخ ويقول :

لن يهنأ واحد منكم بذلك اللحم الطرى . لن تنجحوا فى إشعال النار .

١٣ — Rose, Op. Cit., p, 55,

١٤ — ربما تكون هذه الرواية من ابتكار هيسيودوس ، إذا أنهاقصةطريفة مضحكة لتبرير عقاب زيوس لبروميثيوس (Grases, Op. Cit., p. 149) .وقدتكون أيضاأسطورة من الأساطير السببية aetiological راجع المقدمة ص٧ وأعلاه إذ أنها تفسر السبب فى تقديم الجزء الردئ من الذبيحةقربانا للالهة : Bowra, Greek Experience, pp. 116-7.

تناولوا اللحم الطرى نيئا إن أردتم . تحملوا البرد القارص إن استطعتم (١٥) .

حاول أفراد البشر إشعال النار . ففشلوا فشلا ذريعا . حاولوا مرات عديدة أن يقدحوا الصخور أو عيدان النباتات الجافة بعضها ببعض . لم تنطلق الشرارة أبدا . أنهوا الوليمة دون أن يتناولوا اللحم الطرى . باتوا ليلتهم فى البرد القارص . اختفت النار من مجتمع الرجال . أصبح الدفء حلما لذيذا بعيد المنال . لا أحد ينكر فائدة النار للبشر . لا أحد يستطيع أن يتخيل إنسانا يعيش بلا نار . عدم وجود النار معناه عذاب فى الليل وحسرة فى النهار .

لم يرض بروميثيوس أن يترك البشر يقاسون ذلك العذاب الأليم . هو الذى خلقهم ومنحهم صفة العناد . هو الذى تسبب فى غضب زيوس منهم . عليه أن يدافع عنهم . ويقف بجانبهم . ويعوضهم بحنانه وحبه مايلاقونه من عذاب على يد زيوس. فكر بروميثيوس . ولم يطل تفكيره . كان سريع البديهة . واسع الحيلة . شجاعا لايعرف الخوف . صعد خلسة إلى السماء(١٦) . انتهز فرصة انشغال زيوس فى تصريف شئون مملكته الإلهية. حمل قبسا من اللهب (١٧) . هبط به فى خفة إلى عالم البشر (١٨) . أشعل أفراد البشر جذوع الأشجار . انتشر الدفء على وجه الأرض . عادت السعادة إلى الجميع . لم ينس أفراد البشر فضل بروميثيوس عليهم . لم يشاءوا أن يفقدوا عطف زيوس إلى الأبد . أقاموا المحاريب تكريما لرب الأرباب . قدموا الأضاحى على المذابح المقدسة . أشعلوا النيران المقدسة

١٥ – أراد زيوس بذلك تحطيم الجنس البشرى نهائيا. Aeschylus, Prometheus Vinctus, 233 sqq.

١٦ – Guerber, Op. Cit., p. 16.

١٧ – سرق بروميثيوس النار من السماء. (Hesiod, Opera et Dies, 50 sqq)
أو سرقها من إله الشمس (Servius, Scholia to the Bucolics, VI, 42).
أو سرقها من دكان الحدادة الخاص بالإله هفايستوس (Aesch., Prom, Vinct., 7) .
فيما يتعلق بهذه النقطة بصفة عامة راجع Hyginus, fabula 31, 54; 142 and 144; Apollodorus, I, 45 ; II, 85 ; III, 169.

١٨ – Servuis on Vergil's Eclogues; VI; 42.

فى معابد أقاموها تكريما له . ظلوا على عنادهم يأكلون اللحم الطرى من الذبيحة ثم يتركون للآله عظاما وشحما .

استولى الغضب على زيوس كلما رأى سعادة الرجل على وجه الأرض . أكلت نار الحقد قلبه كلما شاهد ألسنة النيران ترتفع عالية نحو السماء تتحدى سلطانه وجبروته وتشهد بانتصار بروميثيوس . لم يندفع ثائرا فى هذه المرة كعادته . بل فكر فى طريقة ينتقم بها من بروميثيوس اللعين ومخلوقه العنيد . قرر أن يصب على البشر فى هذه المرة جام غضبه . أن يصيبهم بكارثة أبدية لايستطيع واحد منهم أن يتخلص من شرها أبدا (١٩) .

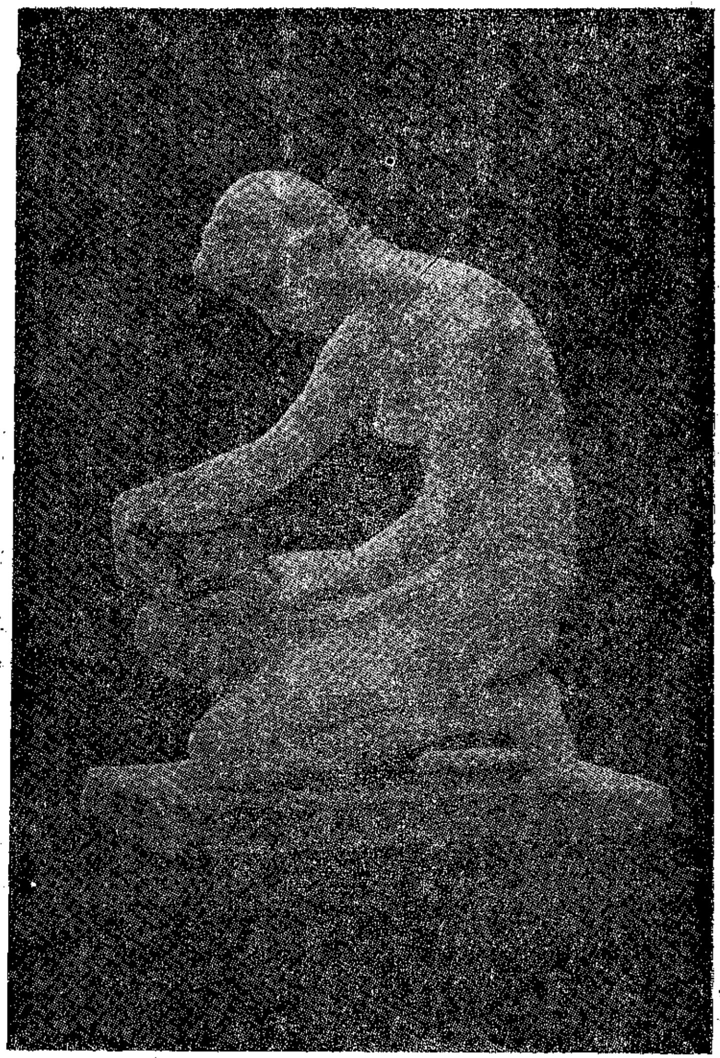
استدعى زيوس ابنه هيفايستوس الإله القمىء الأعرج . الفظ . مَن اعتاد أن يصنع للآلهة الدروع والحراب والأسلحة المدمرة المهلكة . . أصدر إليه أوامره . نفذ الابن على الفور أوامر والده . خلط حفنة من التراب بقليل من الماء . شكّلها فى صورة إنسان . نفخ فى صدرها فتنفست . وضع الكلمات فى حلقها . فنطقت . مر بكفه على وجهها فظهرت ملامح وجه نسائى مشرق جذاب . ثم جمع زيوس مجلس الآلهة — آلهة الأولومبوس — طلب من كل إله أن يمنح مخلوقة هيفايستوس صفة من صفاته . طلب من كل ربة أن تنعم على مخلوقة الإله القمىء بنعمة من نعمها (٢٠) . لم تكن تعرف الآلهة والربات حقيقة مقصد زيوس . ظنوا أنه يريد أن يرسل إلى الرجل على الأرض نصفه الآخر كى تكتمل سعادته . سارعوا إلى تحقيق إرادة زيوس (٢١) .

تقدمت الربة أثينة . ذات العينين البراقتين . ألبست مخلوقة الإله القمىء

١٩ – أنظر قصة باندورا كاملة عند هيسيودوس : الأعمال والأيام، سطور ٤٢ – ١٠٥ ، أنساب الآلهة ، سطور ٥٦٥ – ٦١٦ . يعتقد روبرت جريفس (Graves; Greek Myths, Vol. I, p. 148) أن قصة بروميثيوس وإبيميثيوس وباندورا ليست من التراث الأسطورى الأصيل بل قصة من القصص التى يرويها واحد من أعداء المرأة وربما يكون هيسيودوس هو مبتكرها .

٢٠ – Rose, Op. Cit., p. 55.

٢١ – Hamilton, Op. Cit., pp. 70–72.



شكل (٤)

باندورا وبين يديها الصندوق

أحسن الثياب . ألبستها ثيابا مطرزة بخيوط من الذهب والفضة الخالصة . تقدمت الربة أفروديتا . ربة الجمال والرغبة . لمست مخلوقة الإله القمىء ، فبعثت فى جسدها أنوثة صارخة . وجعلت الدفء صفة مميزة من صفاتها. تقدمت ربات البهجة والسرور . أحطن بمخلوقة الإله القمىء . بعثن بأنفاسهن اللذيذة فى وجهها(٢٢)، فاكتسبت ظلا خفيفا وروحا مرحة ظلت جزءا من طبيعتها عبر الأجيال والعصور . تقدمت ربات النعيم . ذوات الجدائل الذهبية . وضعن فوق رأس مخلوقة الإله القمىء إكليلا من الزهور اليانعة . تقدم كل إله . تقدمت كل ربة . منحها كل منهم صفة من صفاته أو جانبا من طبيعته . حتى جاء دور هرميس ، رسول الآلهة الماكر اللبق . تقدم هرميس . فمنح مخلوقة الإله القمىء الكذب اللذيذ . والخداع الحلو . والصوت العذب .

لم يكتف الحاكم الأعظم بكل تلك الصفات والطباع التى منحها لمخلوقة الإله القمىء . أعد صندوقا فاخرا مزخرفا بالعاج والذهب الخالص ، مرصعا باللآلىء والجواهر . محفورا على جدرانه بأجمل المناظر . قاعدته من الفضة الخالصة . غطاؤه مغلف بصفائح من الذهب اللامع . ملأ زيوس الصندوق بالهدايا — هدايا زيوس — سلمه إلى هرميس . رسول الآلهة . أمره أن يصطحب مخلوقة الإله القمىء إلى الأرض وأن يسلمها الصندوق الفاخر هناك . ذهبت مخلوقة الإله القمىء مع هرميس . ومنذ تلك اللحظة عرفت هذه المخلوقة باسم باندورا ،ومعناه هدية الجميع . فهى هدية من جميع آلهة السماء إلى جميع رجال الأرض (٢٤) .

علم بروميثيوس بأمر باندورا . لم يكن يخفى عنه شىء فى الأرض أو فى السماء . أرسل فى طلب شقيقه إبيميثيوس على الفور . نصحه بعدم قبول

٢٢ – Zimmerman, Dictionary of Classical Mythology, s.v. Pandora.

٢٣ – Guerber, Op. Cit., pp. 17—21.

٢٤ – من هنا جاءت التسمية باندورا ، أى جميع الهدايا وهى مركبة من كلمتين πάν بمعنى كل و δώρον بمعنى هدية . أى أنها تمثل هدية من كل إله أو ربة .

هدايا من زيوس . كان بروميثيوس بعيد النظر . حريصا متيقظا أبدا .
اخترق هرميس الهواء فى سرعة فائقة متجها نحو الأرض . نحو مجتمع الرجال حيث لا فساد ولاظلم . لا ألم ولا مرض . لانزاع . ولا وقيعة . لم يشأ زيوس أن يقدم باندورا إلى بروميثيوس . كان يعرف تماما حرصه الشديد . أمر هرميس أن يقدمها إلى إبيميثيوس . كان واثقا من سذاجته وبساطة تفكيره .

وصل هرميس إلى عالم البشر . حيث قابل إبيميثيوس . كانت باندورا بصحبته . وقع نظر إبيميثيوس على باندورا . مادت به الأرض من شدة الإعجاب . توقف لسانه عن الحركة . وانعقد عن الكلام . لم يستطع أن يقاوم سحرها وفتنتها . أخذ يدور حولها . يحملق فى قوامها . يتفرس فيها الفتنة والأنوثة . اقترب منها . ملأ صدره بعبيرها العبق . فرح هرميس . هنأ نفسه بنجاح مهمته . سوف يقبل إبيميثيوس على الفور هدية زيوس . لكن — ما أن علم إبيميثيوس أنها هدية من زيوس حتى ثاب على الفور إلى رشده . تذكر نصيحة أخيه . رفض الهدية فى أدب جم واحترام شديد . ثار زيوس ثورة عارمة . ازداد غضبه واحتد . لم يكن يتوقع أن تفشل خطته . وتضيع ثمرة تدبيره . هدد وتوعد . لكن إبيميثيوس كان يطيع أخاه . فأصر على رفض الهدية ، عندئذ قرر زيوس الانتقام من بروميثيوس ، أسّ الفساد والفتنة على وجه الأرض .

قبض على بروميثيوس . صلب على صخرة فى منطقة نائية جرداء (٢٥) . سلط عليه عقاب ينتزع كبده فى الصباح ، حتى إذا ما أدركه صباح اليوم التالى نما فى صدره كبد آخر فينتزعه العقاب من جديد (٢٦) . وهكذا . أشفق إبيميثيوس على شقيقه . لم يحتمل رؤيته وهو يتعذب من أجل البشر

٢٥ — يرى أيسخولوس أن سبب عقاب زيوس لبروميثيوس هو سرقة النار (أيسخولوس ، بروميثيوس مغلولا ، سطر ٧ وما بعده) بينما يرى هيسيودوس أن السبب هو خداع بروميثيوس لزيوس وتقديمه له الأجزاء الرديئة من الذبيحة (هيسيودوس ، أنساب الآلهة ، سطر ٥٣٤ ومابعده) .

٢٦ — Hamilton, Op. Cit., pp. 72—3.

ذلك العذاب الأليم . كان يحب أخاه . فقرر أن يقبل الهدية (٢٧) استقبل إبيميثيوس باندورا فى منزله . أوصلها إليه هرميس . سلمها صندوق الهدايا الذى أعطاه زيوس إياه . وقبل أن يتركهما هرميس قدم إليهما نصيحة عابرة .

إن أردتما أن تعيشا فى سعادة وسلام لاتحاولا فتح هذا الصندوق أو معرفة محتوياته .

عاشت باندورا فى مجتمع الرجال حيث لافساد ولاظلم . لاألم ولامرض لانزاع ولا وقيعة . عاشت زوجة مخلصة لإبيميثيوس . نشرت البهجة من حولها . أشاعت السرور والمرح على وجه الأرض . لم يندم إبيميثيوس فى هذه المرة على ما فعل . لم يندم على قبول هدية زيوس . بل توجه إليه بالشكر والثناء . لم يكن على وجه الأرض من هو أسعد منه . وجد نصفه الآخر . نصفه الحلو . نسى كل شيء فى حياته قبل أن يعرف باندورا — حتى صندوق الهدايا الذى سلمه هرميس إلى باندورا — . لم يكن لباندورا ماض لتنساه . لم يكن يشغل بالها شيء سوى سعادة إبيميثيوس . لكنها كانت تفكر دائما فى صندوق الهدايا . تسأل إبيميثيوس — أحيانا — لِمَ نصحهما هرميس بعدم فتح الصندوق . كان يرد عليها إبيميثيوس فى بساطة قائلا إنه يفضل السعادة على فتح الصندوق ومعرفة محتوياته . كانت باندورا تسأل نفسها — دائما — نفس السؤال . لم تكن تجد لنفسها إجابة عليه . كثيرا ما حاولت أن تفتح الصندوق . وكثيرا ما اكتشف إبيميثيوس أمرها فأفسد محاولاتها المتكررة .

لم تستطع باندورا أن تصمد وتقاوم أكثر من ذلك . كان حب الاستطلاع يؤرقها فى الليل ويقلقها فى النهار . كانت تتسلل إلى ذلك المكان القصى — الذى أخفى فيه إبيميثيوس الصندوق — وتقف أمام هدية زيوس ساعات طويلة . حتى كانت لحظة لم تستطع أن تتغلب على غريزة حب الاستطلاع . فلقد أراد زيوس أن يكون حب الاستطلاع من مقومات — شخصية باندورا . استولى عليها الفضول . سحقتها رغبة جارفة لمعرفة محتويات الصندوق . اقتربت منه . مدت ذراعيها نحوه . حملته

٢٧ — Kupfer, Legends of Greece And Rome, pp. 20—23.



شكل (٥)

باندورا تفتح الصندوق

بين يديها . وضعته بين قدميها . انتصبت فى تردد . ثم فجأة انحنت إلى الأمام . أمسكت غطاء الصندوق بيديها . رفعت الغطاء بكل قوتها . انفتح الصندوق .. لكن إبيميثيوس كان فى تلك اللحظة قد وصل إلى مكان الصندوق . كان يعرف رغبة باندورا . وكثيرا ما أفسد محاولات من ذلك النوع .

أسرع إبيميثيوس بإغلاق الصندوق . أحس بالغضب . أحس بضيق شديد . شعر بالنصب . نهر باندورا . وجه إليها أقذع العبارات . ثارت باندورا . أحست بالغضب . شعرت بالتعب . تشاجرت معه . أراد أن يضربها وقفت أمامه متحدية . صفعها على وجهها . علا صراخها . تجمع أفراد البشر حولهما . انقسم الجمع بين مؤيد ومعارض . دب شقاق بين الأخوة . فرق الطمع بين الأشقاء . انتشرت الأمراض والعلل . أتت الشيخوخة على الرجال . لم يكن يحدث شيء من ذلك على الأرض قبل أن تفتح باندورا الصندوق . ليتها لم تفتحه ! ! ! .

حاول إبيميثيوس أن يعرف سبب انتشار ذلك البلاء على وجه الأرض . عرف السبب . بطل عجبه . عرف أن زيوس كان قد سجن فى الصندوق الفاخر جميع الشرور والأوبئة والمتاعب — جميع الأرواح الشريرة المؤذية . فإذا فتحت باندورا الصندوق انطلقت تلك الأرواح تعيث فسادا على وجه الأرض (٢٨) . ترتع بين البشر . تلهب بسياطها قلوبهم . وتقضى بشرورها عليهم . كان زيوس واثقا من أن باندورا سوف تفتح الصندوق . لكنه الحاكم الأعظم . ملك الملوك . رب الأرباب . حاكم الأرض والسماء وما بينهما . حقا أراد زيوس أن ينتقم من عباده الظالمين . لكنه كان رؤوفا رحيما . أضاف إلى محتويات الصندوق فى آخر لحظة روحا خيرة واحدة . لكنه كان يعلم أنها قادرة على القضاء على جميع الشرور . سجن زيوس روح الأمل مع الأرواح الشريرة فى الصندوق . عندما فتحت باندورا الصندوق انطلقت الأرواح الشريرة . وعندما أغلقه إبيميثيوس بسرعة

---

٢٨ – **Hesiod, Theogony, 570 sqq.; Opera et Dies, 50 sqq.**

سجن الأمل داخل الصندوق ، أصبح البشر يحسون العذاب ولا يعرفون الأمل .

عاد إبيميثيوس إلى باندورا . وجد اليأس قد تسرب إلى نفسها . وجدها تحاول الانتحار . تريد أن تتخلص من الحياة . فلم تعد تتحمل الحياة بعد . أسرع إبيميثيوس نحو الصندوق ، رفع الغطاء . انفتح الصندوق . انطلق الأمل بين البشر على وجه الأرض . عادت البسمة إلى الوجوه . دب الأمل فى النفوس . أصبح أفراد البشر قادرين على احتمال متاعب الحياة .

هذه هى أسطورة باندورا (٢٩) . أول امرأة على وجه الأرض . هذه قصة ظهور النصف الحلو لأول مرة على وجه الأرض . قد يبدو فى هذه الأسطورة — شأنها فى ذلك شأن بقية الأساطير الإغريقية — أن الإغريق كانوا يسخرون من آلهتهم . ويحطون من قدرهم . . ولايكنون لهم الاحترام . لكن . إذا اعتقدنا فى ذلك ضاعت قيمة الأسطورة الاغريقية وجمالها . كان الرجل الاغريقى يؤمن بنظرية التطور — حتى بالنسبة للآلهة . حتى زيوس تطور . كان فى أول عهده قاسيا . مندفعا . جشعا . أنانيا . ثم حنكته التجارب . وصقلته الأجيال . وعلمته الحوادث . وظل يتطور ويتطور . حتى أصبح جديرا بلقب رب الأرباب . فنحن نعلم أن أسطورة الصراع بين بروميثيوس وزيوس قد انتهت بالصلح بينهما . عفا زيوس عن بروميثيوس وعاد بروميثيوس إلى إخلاصه وولائه لزيوس . أما عن حادثة تقسيم الذبيحة وإرسال باندورا فقد وردتا لأول مرة عند الشاعر الاغريقى هيسيودوس . ويحتمل أنها من بنات أفكاره . ابتكر الأولى ليبرر عادة تقديم عظام الذبيحة قربانا للإله . وابتكر الثانية ليهاجم المرأة ويتهكم من تصرفات بعض الزوجات .

مهما يكن الأمر. لايستطيع الانسان أن يستمتع بالحياة إلا إذا تمسك بالأمل .

٢٩ — أحدثت أسطورة باندورا تأثيراً على أدباء أوروبا فى القرون الوسطى . ارتبطت هذه الأسطورة بشخصيتى بروميثيوس وإبيميثيوس . راجع على سبيل المثال :
Highet, The Classical Tradition, p. 703 n. 121.

ديوكاليون

انتهى ديوكاليون من تجهيز صندوقه الخشبى العجيب . لم يكن يعبأ بتساؤلات الناس . لم يبح بالسر الذى اؤتمن عليه . جلس فى صندوقه الخشبى العجيب . جلست بجواره زوجته . ظلاّ داخل الصندوق العجيب لايفارقانه أبدا . بدا مظهرهما مثيرا للدهشة والتساؤل. طالت فترة جلوسهما داخل الصندوق . بدا مظهرهما يثير السخرية والضحك . أصبح ديوكاليون وزوجته بورا مثار ضحك الجميع وسخريتهم . بدأ الشك يتسرب إلى نفس بورا . بدأت هى الأخرى تتساءل . لكن ديوكاليون لم يبح بالسر الرهيب حتى لزوجته . ثم كان الطوفان . تفرقت الجماعات . تشتتت القبائل . انهارت القصور . تهدمت الأكواخ . تقابلت السيول المائية الآتية من أعلى ومن أسفل . انزلق الصندوق الخشبى العجيب . بدأ يطفو فوق سطح الماء . ظلت تتقاذفه الأمواج . حتى رآه زيوس من بعيد . فأصدر أوامره أن يحتفظ الصندوق بتوازنه .

ديوكاليون

منذ بدء الخليقة ، لم يكن الشر قد وجد على وجه الأرض بعد . عاش الإنسان الأول حياة هادئة . لم يعرف العمل أو التعب . كانت الأرض غاية فى الكرم . قدمت لأفراد البشر كل ما احتاجوا إليه . قدمت لهم الفواكه والخضروات والبقول والحبوب . أمدتهم الحيوانات باللحوم والألبان . جادت عليهم البحار والأنهار بالأسماك . لم يكن الانسان يحمل هم قوت غده .

لم يكن يفكر إلا فى يومه . أما مستقبله فكان مضمونا . لم يعرف الإنسان الثروة أو حيازة الأرض . لم يعرف النزاع أو الشجار . لم تكن له أطماع أو تطلعات . لم ير إلا الوجه الطيب الحلو للحياة . لذا . عاش الإنسان هادئا . وديعا . قرير العين . منشرح الصدر . لم تكن للانسان وظيفة سوى اللهو والانجاب .

ظل الانسان يلهو وينجب . إزداد عدد أفراد البشر . زاد استهلاكهم لخيرات الأرض . أحس بعضهم بالحاجة . بينما كان لدى البعض الآخر فائض . شعر البعض بالتخمة . بينما شعر البعض الآخر بالجوع . أصبح العالم فى حاجة إلى إعادة توزيع خيرات الأرض و ثرواتها . ظهر على وجه الأرض لأول مرة القوى والضعيف . الغنى والفقير . الظالم والمظلوم . الحاكم والمحكوم . الجانى والمجنى عليه . الخاضع والمتمرد . الكافر والورع . اختلفت الرؤية . وتضاربت الآراء . ساءت معاملة الانسان لأخيه الانسان . توترت العلاقات بين أفراد البشر والآلهة . كان كبير الآلهة زيوس يرقب

كل ذلك من بعيد . أحس بالمرارة . استولى عليه الغضب . أخذ يهدد أفراد البشر فردا فردا . أنزل عقابه بالفرد تلو الفرد . لكنه سئم الانتقام والعقاب . فلقد انتشرت الجريمة انتشارا واسعا . وأصبح الشر علامة مميزة على طريق البشرية وأخذت شعوب بأكملها تتمادى فى ارتكاب الجرائم (١) .

قرر زيوس أن ينتقم من الجنس البشرى كله . فلقد يئس من تعليم أفراد البشر وتثقيفهم . قرر أن يقضى على جميع الناس . أن يمحو كل الملامح البشرية . بذلك يكون قد قضى على الشر والفساد . ثم قرر أن يخلق أناسا آخرين لم يعرفوا الشر والفساد بعد . بذلك يصبح من السهل تلقينهم مبادىء الفضيلة والخير (٢) . لكن زيوس خشى أن يكون جائرا فى حكمه ظالما فى قراره . فلقد كان كبير الآلهة زيوس — فى أغلب المواقف — يكره الجور ويمقت الظلم . دعى زيوس آلهة الأولومبوس . عقد جلسة ربانية عصيبة . انبرى من فوق عرشه يشرح لأعضاء المجلس كيف ضل الجنس البشرى طريقه . وكيف تمرد على من خلقه . ثم عرض عليهم قراره . عقب أعضاء المجلس على حديث كبيرهم الموقر . أخبروه أنهم يلاحظون فى صمت فساد الجنس البشرى وضلاله . أيدوه فى قراره العادل . دارت المناقشة بينهم . عرض كل منهم رأيه . ليس هناك طريقة واحدة تكفل الأمان المطلق لمملكة الأولومبوس وتضمن سلامتها . فجأة . طرأت فى ذهن زيوس فكرة رأى فيها السلامة والأمان . هلل وصرخ بأعلى صوته : الطوفان . . الطوفان . . تهلل وجه أعضاء مجلس الآلهة . باركوا الفكرة بلا تردد . بدأ زيوس فى تنفيذها على الفور .

صدرت الأوامر الربانية إلى الرياح والعواصف . انطلقت الرياح من معاقلها . اندفعت تسابق بعضها البعض . تقابلت ريح الشمال مع ريح الجنوب . اندفعت الرياح من ناحية الغرب لتتقابل مع الرياح الآتية من ناحية الشرق (٣) .

---

١ — Guerber, Myths of Greece And Rome, pp. 22—24.

٢ — Hamilton, Mythology, p. 74.

٣ — Warner, Men And Gods, pp. 51-2.



شكل (٦)

مملكة الآلهة فوق جبل الأليمبوس

انتشرت العواصف فى كل اتجاه . تجمعت السحب المثقلة ببخار الماء فوق سطح الأرض . حجبت أشعة الشمس عن سكان المعمورة . اصطدمت السحب الداكنة بالرياح الشمالية الباردة . انهمرت الأمطار غزيرة فى كل مكان . فى نفس الوقت . صدرت الأوامر الربانية إلى المحيطات والبحار . إلى الأنهار والبحيرات . إلى جميع المجارى المائية الكائنة على وجه الأرض . أسرعت الرياح المندفعة تضرب سطوح المياه . ارتفعت الأمواج عالية تضرب الشواطىء والضفاف . فاضت المياه فى جميع الاتجاهات . غمرت الشواطىء والأراضى المتاخمة . اندفعت فى سرعة رهيبة نحو المناطق المجاورة والمحيطات . تقابلت مياه الأمطار الغزيرة المندفعة من أعلى مع مياه المحيطات والبحار والأنهار والبحيرات والمجارى المائية الفياضة . لم يعد هناك شبر من الأرض بعيدا عن الفيضانات . لم تعد هناك قمة جبلية واحدة لم تدركها المياه .

صحا أفراد البشر من غفوتهم . تنبهوا إلى ما يحيط بهم من أخطار . حاصرتهم المياه من كل جانب . اندفعت السيول نحوهم من كل اتجاه . اقتحمت المياه القصور الشاهقة والمعابد الضخمة . غمرت الأراضى الزراعية والمراعى والمنازل والأكواخ . أتت على جميع ممتلكات البشر . تدفق أفراد البشر جماعات خارج القصور والمنازل والأكواخ . تركوا ممتلكاتهم التى حصلوا عليها بعد جهد ومشقة . غادروا قصورهم التى شيدوها بعرق جباههم وقوة سواعدهم . نسوا أبناءهم وبناتهم . تركوا وراءهم صغارهم . لم يعد كل فرد يفكر إلا فى نفسه . لم يعد يرى كل منهم سوى الموت أمامه وخلفه . سيطر الرعب والفزع على جميع النفوس . أغرقت المياه أعدادا لاتحصى من الأجساد . توقف نبض الحياة فى شرايين الأرض . أصبح البشر فى خبر كان .

كان زيوس يرقب فى عليائه ما يدور على وجه الأرض . ظل يحث الرياح والعواصف كى تواصل اندفاعها الرهيب . ظل يصدر أوامره للسحب الداكنة أن تلقى بأحمالها وأثقالها . استمر فى توجيه تعليماته إلى المحيطات

والبحار . إلى الأنهار والبحيرات والمجارى المائية . امتزجت قهقهات زيوس بهدير المياه . بصفير الرياح . بصرير العواصف . بصيحات أفراد البشر اليائسة . دوت فى الفضاء جلبة صاخبة أشبه بسمفونية حزينة . ظل كبير الآلهة يجول بنظراته الثاقبة فوق السهول والوديان و المرتفعات . لم يعد يرى سهولا أو وديانا أومرتفعات . رأى بركة هائلة بلا ضفاف أو حدود . رأى تلالا من الأمواج الهادرة تندفع بشدة من مكان إلى مكان . وجد أشلاءاً وجثثا وحطام أكواخ وقصور تتقاذفها الأمواج . لم يعد يعرف القوى من الضعيف . الغنى من الفقير . الظالم من المظلوم . الحاكم من المحكوم . الجانى من المجنى عليه . الخاضع من المتمرد . الكافر من الورع . أصبح جميع البشر سواء . أصبحوا جثثا وأشلاء . ظل زيوس يقهقه . انطلقت قهقهاته تدوى فى الأفق البعيد . ثم استوى على عرشه المهيب . وأصدر أوامره الربانية أن يعود كل شىء إلى ما كان عليه . لقد أتى الطوفان على الإنسان . أتى على الخير والشر معا . خلا وجه الأرض من كل شىء حى . عندئذ . بدأ زيوس يفكر — وهو يتأمل وجه الأرض من عليائه — كيف يخلق جيلا آخر من البشر لايعرف الشر .

فجأة بدا أمام ناظرى زيوس شىء لفت نظره . رأى بين الحطام الطافية فوق الماء كتلة ضخمة . داكنة اللون . تتقاذفها الأمواج . لاحظ أن تلك الكتلة الداكنة ذات شكل خاص . لم يكن شكلها مألوفا لدى كبير الآلهة زيوس . أخذ يدقق النظر . يبعث بنظراته الثاقبة . يحملق ويحملق . فلقد غلبه حب الاستطلاع . ولم يعد قادرا على الانتظار حتى تقترب منه تلك الكتلة الضخمة . بدأت الكتلة الغريبة تقترب نحو كبير الآلهة شيئا فشيئا . بدأ ذهوله يزداد ويعظم شيئا فشيئا . كانت الكتلة أشبه بصندوق خشبى ضخم . مجوف . يحوى بداخله أشياء لم يتبينها كبير الآلهة من بعيد . لم يستطع زيوس أن يحتفظ بهدوئه ووقاره لفترة أطول . تحرك فى عليائه . اتجه نحو الكتلة الغريبة . ازدادت دهشته . واشتد ذهوله. لمح فى داخل الصندوق الخشبى أشباحا تتحرك . رأى رجلا وامرأة يكافحان من أجل الاحتفاظ

بتوازنهما في داخل الصندوق . حاول أن يتعرف عليهما، لكن الأمواج العالية والأمطار الغزيرة لم تمكنه من ذلك . أصدر أوامر مشددة للرياح أن تهدأ . وللأمطار أن تتوقف وللصندوق أن يحتفظ بتوازنه . عندئذ . أخذ يتفرس ملامح الشبحين . وبصعوبة بالغة تعرف عليهما : إنهما ديوكاليون وزوجته بورا .

تساءل زيوس . كيف استطاع ديوكاليون أن يظل حيا وسط ذلك الطوفان الشامل ! ! ! كيف استطاع أن يصنع ذلك الصندوق الخشبي الهائل ! ! ! كيف علم بأمر الطوفان قبل حدوثه فتحاشى الغرق ! ! ! كيف استطاع أن يجمع في صندوقه الخشبي كل الضروريات التي ساعدته على الحياة داخل الصندوق ! ! ! لم يستطع زيوس أن يكتم تساؤلاته . انطلق يصيح بأعلى صوته . يسأل ديوكاليون . وسرعان ما وجد زيوس إجابات سريعة لجميع تساؤلاته .

ديوكاليون هو ابن بروميثيوس [٤] . التيتن المتمرد العنيد . كان لبروميثيوس مواقفه البطولية المعروفة لدى الآلهة والبشر . قدم للبشر خدمات جليلة . لم يعبأ بغضب كبير الآلهة . بل تمرد على سلطانه . عاقبه زيوس عقابا أبديا . مازال بروميثيوس مقيدا في الأغلال . مشدودا إلى صخرة جرداء . في منطقة قاحلة فوق جبل كاوكاسوس . كان بروميثيوس قادرا على معرفة الغيب والتنبؤ بالمستقبل . ذلك هو السبب في عناده وثقته الزائدة في نفسه . كان يعلم مصير الآلهة والبشر . يرى بوضوح الأحداث قبل وقوعها . يعلم مصير كبير الآلهة نفسه . يقرأ أفكاره . يعرف مشروعاته المقبلة . لذا . كان من الطبيعي أن يعلم بالطوفان قبل حدوثه . ولم تكن زوجة ديوكاليون سوى بيرا ابنة إبيميثيوس . كان إبيميثيوس الشقيق الأصغر لبروميثيوس . ولكنه كان على نقيض منه . كان مسالما . مطيعا . لايعرف العنف . أرسلت إليه الآلهة هدية — امرأة جميلة — رقيقة . مطيعة مثله . عرفت باسم باندورا . تزوج إبيميثيوس باندورا . فأنجبت له بورا . لم يكن ديوكاليون — إذن — سوى ابن

٤ — فيما يتعلق بالتيتن بروميثيوس وشقيقه إبيميثيوس أنظر أعلاه ص ٨٣ وما بعدها .

بروميثيوس . ولم تكن زوجته بورا سوى ابنة أخيه إبيميثيوس [٥] . لذا . كان من الطبيعي أن يهتم بروميثيوس بأمر ولده ديوكاليون [٦] . كان من الطبيعي أن يحرص على مستقبله . بل كان من الواجب عليه أن يحذره . وأن يحيطه علما بالطوفان الشامل قبل حدوثه [٧] .

علم ديوكاليون أن زيوس سوف يغرق العالم . سوف يمحو الجنس البشري من على وجه الأرض . انزعج ديوكاليون . سيطر عليه الحزن والفزع . اشتدت به الحيرة . أصبح لايدري ماذا يفعل . لم يستطع أن يخبر أحدا بأمر الطوفان المنتظر . تلك كانت أوامر بروميثيوس له . لذا . كان عليه أن يلجأ إلى بروميثيوس نفسه . يسأله العون . ويطلب منه المشورة . نصحه بروميثيوس . عمل على الفور بنصيحته . ذهب إلى أعلى قمة في بلاد الاغريق . قمة جبل بارناسوس . أخذ يجمع جذوع الأشجار وسيقان النباتات . بدأ يشق الجذوع ويحولها إلى ألواح خشبية سميكة . جمع الألواح الخشبية . وضعها جنبا إلى جنب . صنع منها صندوقا ضخما . نصحه بروميثيوس أن يصنع صندوقا ذا شكل خاص . أطاع ديوكاليون والده . صنع صندوقا متوازي الجانبين انسيابي المقدمة والمؤخرة . فرش الصندوق من الداخل بسيقان النباتات والقش الجاف . كدس فيه أكواما من المواد الغذائية وجمع فيه كل صنف من أصناف الأطعمة . وضع فيه كل ما يؤنس وحدته أو يمده بالغذاء اللازم . جهز أردية وملابس تقيه وزوجته البرد القارص وتحميهما من حرارة الشمس الحارقة . شاهد الناس ديوكاليون وهو يفعل ذلك . استولت عليهم الدهشة . سألوه . رفض أن يجيبهم [٨] .

انتهى ديوكاليون من تجهيز صندوقه الخشبي العجيب . لم يكن يعبأ

٥ — Zimmerman, Dictionary of Classical Mythology, s.v. Pondora.

٦ — Rose, Greek Mythology, p. 257.

٧ — Graves, Greek Myths, Vol. I, p. 139.

٨ — ديوكاليون — كما يقول Zimmerman, (Op. Cit., s.v. Deucalion) — هو «نوح» في الأساطير .

بتساؤلات الناس . لم يبح بالسر الذى اؤتمن عليه . جلس فى صندوقه الخشبي العجيب . جلست بجواره زوجته . ظلا داخل الصندوق العجيب لايفارقانه أبدا . بدا مظهرهما مثيرا للدهشة والتساؤل . طالت فترة جلوسهما داخل الصندوق . بدأ مظهرهما يثير السخرية والشك . أصبح ديوكاليون وزوجته بورا مثار ضحك الجميع وسخريتهم . بدأ الشك يتسرب إلى نفس بورا . بدأت هى الأخرى تتساءل . لكن ديوكاليون لم يبح بالسر الرهيب حتى لزوجته . ثم كان الطوفان . تفرقت الجماعات . تشتتت القبائل . انهارت القصور . تهدمت الأكواخ . تقابلت السيول المائية الآتية من أعلى ومن أسفل . انزلق الصندوق الخشبي العجيب . بدأ يطفو فوق سطح الماء . ظلت تتقاذفه الأمواج حتى رآه زيوس من بعيد . فأصدر أوامره أن يحتفظ الصندوق بتوازنه .

قهقه زيوس . ظلت قهقهاته تدوى فى الأفق البعيد . ضحك كثيرا . لقد أتت الأقدار بما لم يكن فى الحسبان . لم يكن زيوس يقصد انقاذ ديوكاليون وزوجته . لكن ديوكاليون كان ورعا . لم يكن متمردا على سلطان زيوس(٩) لم يكن يظلم شعبه . كان مثالا للإنسان الطيب الوديع . كذلك كانت زوجته بورا . فكر زيوس فى أمرهما : يستطيع أن يصدر أوامره للرياح والعواصف . يستطيع أن يقلب الصندوق رأسا على عقب . يستطيع القضاء على ديوكاليون وزوجته . لكنه لم يفعل شيئا من ذلك . لقد شاءت الأقدار . ولا مناص من تنفيذ مشيئتها(١٠) .

هدأت العواصف شيئا فشيئا . بدأت الرياح تتباطأ فى سيرها . توقفت الأمطار عن الهطول . انحسرت مياه المحيطات والبحار . تجمعت فى القاع . بدأت ضفاف الأنهار والمجارى المائية تعلو شيئا فشيئا حتى استوعبت كل المياه المحيطة بمجاريها . بعد تسعة أيام وتسع ليال ، عاد كل شىء إلى ما كان عليه . توقف الطوفان نهائيا . رسى الصندوق

٩ — Warner, Op. Cit., p. 53.

١٠ — Guerber, Op. Cit., pp. 24-51.

الخشبي العجيب على شاطىء البحر فى أمان وسلام . نزل ديوكاليون وزوجته على الشاطىء المهجور(١١) . لقد قام ديوكاليون وزوجته بورا بأول رحلة بحرية فى العالم . أصبح الصندوق الخشبي العجيب — فيما بعد — سفينة يستخدمها أفراد البشر فى رحلاتهم البحرية .

سار ديوكاليون وزوجته بورا على الشاطىء المهجور . لم يكن ذلك الشاطىء سوى قمة جبل بارناسوس . انحدرا نحو قاعدة الجبل . توغلا فى السهل الممتد الفسيح . قضيا وقتا غير قصير فى عزلة قاتلة . استمر تجوال ديوكاليون وزوجته بورا . وصلا فى النهاية إلى أطلال معبد عريق . معبد دلفى الشهير . لجآ إليه ينشدان المأوى والأمان . تقدم الزوجان الصالحان نحو قدس الأقداس المتهدم . أخذا يدعوان الآلهة أن تعمر الأرض من جديد . الأرض بلا بشر كالبحر بلا ماء . كالحياة بلا هواء . الوحدة قاتلة . لابد من وجود البشر على وجه الأرض . أخذا يناديان الآلهة والربات ويوجهان دعواتهما إلى ساكنى المعبد العتيق :

لإن عَمُرَتْ الأرض من جديد لنقدمَنَّ القرابين والأضاحى . ولنحرقَنَّ البخور . ولنحكمن بالعدل . ولنعلِّمن الناس الحكمة . ولننهينَّهم عن الشر ولنأمرنَّهم بالمعروف .

إن عين زيوس لاتغفل ولاتنام . كان كبير الآلهة يراقب كل شىء . ويتابع كل حركة . أعجب زيوس بدعوات ديوكاليون وزوجته بورا . أحس بالرضا والسرور . دب فى نفسه الأمل والتفاؤل . يستطيع الآن أن يخلق جيلا آخر يسير على هدى ديوكاليون . يأتمر بأمره . يخضع له .

١١ — لم يكن ديوكاليون وزوجته فقط هم اللذان كتبت لهما النجاة بعد هذا الطوفان . قيل إن ميجاروس Megarus أحد أبناء زيوس صحا من نومه على صرخات طائر الكركى فلجأ جبل جيرانيا Gerania . قيل أيضا إن كيرامبوس Kerambus من بيليون Pelion قد حولته الحوريات إلى خنفساء سوداء فاستطاع أن يصل سالما إلى قمة جبل بارناسوس أنظر : Pausanias, I, 40. Ovid, Metamorphoses, VII, 352-6.

نجا أيضا سكان مدينة بارناسوس (وهى مدينة أنشأها أحد أبناء بوسيدون يدعى بارناسوس (Parnassus إذ أيقظهم صياح مجموعة من الذئاب . أنظر Pausanias, X, 6, 1—2.

يستطيع الآن أن يخلق جيلا نظيفا ، ويتركه أمانة فى عنق ديوكاليون . سوف يعلمه ديوكاليون الورع والحكمة ، سوف ينمى فيه الخير المطلق ويحجب عنه الشر والفساد .

تحرك زيوس فى عليائه . اتجه إلى حيث توجد أطلال معبد دلفى العتيق ، إلى حيث لجأ ديوكاليون وزوجته بورا . وصل إلى قدس الأقداس . ظهر أمام ديوكاليون وزوجته . لبى دعاءهما ، أخبرهما بمقصده . لقد قرر زيوس أن يخلق جيلا نظيفا لايعرف الشر أو الفساد . قرر أن يعمر الأرض من جديد بشعوب صالحة . أصدر أوامره اليهما .

أى ديوكاليون الورع . أخرج أنت وزوجك الوقور من المعبد . ضع نقابا على وجهك ونقابا على وجهها . ألقيا بعظام أمكما من فوق ظهريكما وأنتما تسيران الهوينا . هكذا بمشيئة زيوس سوف تعمر الأرض .

سمع ديوكاليون وزوجته كلمات زيوس . سرت رعشة خفيفة فى جسديهما . انطلقت البهجة تغمرهما . شعرا بسرور بالغ . لقد بارك كبير الآلهة نجاتهما . وشمل برعايته وجودهما . جعل منهما خالقين لأجيال البشر القادمة . قائمين على أمورها . حارسين عليها . مثقفين لها . إنه لشرف كبير أسبغه عليهما زيوس . ما أسعدهما ! انطلقا خارج المعبد على الفور . وهما لايلويان على شىء . انطلقا يبحثان عن عظام أمهما . فجأة .. توقف كل منهما فى سيره . استدار كل منهما نحو الآخر . طفق كل منهما يقول لزوجه(١٢) :

لم تنجبنا أم واحدة .

إن أمى ليست أمك .

إذن . من يقصد زيوس بحديثه ؟

هل يقصد أمى أم أمك ؟

ولماذا قال أمكما وهو يعلم أننا لم نولد من أم واحدة ؟

١٢ — Warner, Men And Gods, pp. 54—55.

تاه الزوجان الصالحان فى بحار الشك والحيرة . أخذ يقلب كل منهما مالديه من معلومات . حاول كل منهما أن يدرك مقصد زيوس . إن نبوءات الآلهة لاتخرج إلى البشر صريحة مباشرة . إنها تتحدى دائما الذكاء البشرى . فجأة . هتف ديوكاليون قائلا :

فهمتها . فهمتها .

الأرض هى أمنا التى أنجبتنا .

والأحجار الصلبة هى عظام أمنا . فَلْنُلْقِ بالأحجار من فوق ظهرينا ونحن نسير الهوينا .

عندئذ . دوت فى الأفق البعيد قهقهات زيوس . وانطلقت الكلمات هادرة من فمه .

فهمتما مقصدى .

فلتبدآ عملكما على الفور .

تأبط ديوكاليون الورع ذراع زوجته الورعة بورا . بدآ يلتقطان الأحجار من الأرض ، ويلقيان بها من فوق ظهرهما . وحدثت المعجزة . كان كل حجر يلقيه ديوكاليون يتحول إلى رجل عند ملامسته للأرض(١٣) . وكان كل حجر تلقيه بورا يتحول إلى امرأة عند ملامسته الأرض(١٤) . وطال تجوال ديوكاليون وزوجته بورا وهما يلقيان بالأحجار من فوق ظهريهما (١٥) .

هكذا عمرت الأرض من جديد . هكذا خلق جيل نظيف لايعرف

١٣ — يبدو أن فكرة خلق البشر من الأحجار وصلت إلى بلاد الاغريق من الشرق . أنظر : Graves, Greek Myths, Vol. I, p. 142.

١٤ — من هنا حاول بعض العلماء أن يربطوا بين كلمة λαός وتعنى شعب وكلمة λᾶας وتعنى حجر . أنظر : Graves, Op. Cit., 139.

١٥ — Apollodorus, I, 7. 2; Ovid, Metamorphoses, I, 260-415.

الشر أو الفساد . لكنه سرعان ما عرف الشر والفساد . وسرعان ما أصبح الشر والفساد علامة مميزة على طريق البشرية .

تلك قصة ديوكاليون والطوفان . تناولها كتاب كثيرون (١٦) . لكنها وردت بشيء من التفصيل عند الكتاب المتأخرين وخاصة أبوللودووس وأوفيديوس . يرى أوفيديوس أن سبب الطوفان هو جريمة ارتكبها لوكاؤون ملك أركاديا (١٧) . إذ فعل ذلك الملك ما فعله تانتالوس ذات مرة (١٨) . ذبح ولده وقدم لحمه طعاما لزيوس في وليمة أقامها له في منزله (١٩) . اختلفت الروايات حول تسمية الجبل الذى لجأ إليه ديوكاليون: جبل بارناسوس . أوأتنا . أو آتوس . أو أوثروس (٢٠) .

تروى الروايات أن ديوكاليون أنجب من بورا طفلا أسماه هيللين (٢١)، وأن هيللين أصبح — فيما بعد — الجد الأكبر للشعب الهلليني (أى الاغريقى) (٢٢). تروى الأساطير أيضا أنه قد انحدر من هيللين أبناء من بينهم أيولوس

١٦ — يقول أرسطو (Meteorologica, I, 14) إن فيضان ديوكاليون حدث فى منطقة بلاد اليونان القديمة أى فى المنطقة الواقعة حول دودونا ونهر أخيلوس .

١٧ — أسس لوكاؤون **Lykaon** ، مدينة أركاديا **Arcadia** حيث أدخل عبادة زيوس لوكايوس **Lycaeus** لكنه أغضب زيوس إذ ذبح صبيا وقدمه قربانا للإله . لذلك مسخ الإله زيوس الملك لوكاؤون إلى ذئب ، وبعث بصاعقة أحرقت منزله . قيل إن عدد أبناء لوكاؤون كانوا اثنين وعشرين ، وقيل أيضا إنهم كانوا خمسين . راجع Apollodorus, III, 8, 1; Pausanias, VIII, 2-1; Ovid, Metamorphoses, I, 230 sqq.

١٨ — Rose; Op. Cit., p. 208 n. 8.

١٩ — Apollodorus, Loc. Cit.; Ovid, Loc. Cit.; Pausanias VIII, 3, 1; Tzetzes, Lychophron, 481.

٢٠ — Ovid, Loc Cit., I, 317; scholiast on Euripides Orestes, 1095; Hyginus, fabula 153; Servius on Vergil's Eclogues VI, 41; scholiast on Pindar's Olympian Odes, IX, 42.

٢١ — Guerber, Op. Cit., pp. 25-26; Graves, Op. Cit., p. 140.

٢٢ — Graves, Op. Cit., p. 158.

ودوروس . ثم أحفاد من بينهم أيون وأخيوس . من هؤلاء الأبناء والأحفاد تكونت الشعوب والأجناس الهيللينية (الاغريقية) المعروفة : الأيونيون والدوريون والأيوليون والآخيون .

يبدو أن أسطورة ديوكاليون والطوفان أسطورة غير إغريقية الأصل . ربما وصلت إلى بلاد الاغريق من آسيا . يقال إنها تشير إلى طوفان حدث فى بلاد ما بين النهرين أثناء الألف الثالثة قبل الميلاد (٢٣) . ويقال أيضا إن لها علاقة بقصة أعياد العام الجديد عند شعوب بابل وسوريا وفلسطين . وإن كان لنا أن نأخذ ببعض الآراء الحديثة فإن بورا الإغريقية هى عشتار فى الأسطورة الشرقية . كما يقال أيضا إن قصة طوفان ديوكاليون ذات أصل فينيقى أو عبرى . لكن، مهما اختلفت الآراء وتباينت الروايات (٢٤)، فإن ذلك لايطمس جمال الأسطورة أو يبطل تأثيرها فى النفوس .

٢٣ — أنظر تفسيرات مختلفة أخرى فى : Graves, Op. Cit., p. 141.

٢٤ — لا بأس هنا من الإشارة إلى الشاعر فلتشر **Fletcher** حيث يقول فى إحدى قصائده :

Who does not see in drown Deucalion's name,
When Earth her men and sea had lost her shore old Noah !!

أنظر : Guerber, Op. Cit., p. 26.

تانتالوس

. . وهكذا يعيش تانتالوس — منذ بدء الخليقة حتى اليوم . وهكذا سيعيش إلى أبد الآبدين . ظمآن والماء من حوله زلال . جوعان والطعام بين يديه ناضج . خائفا والأمان مكفول له . هكذا يعيش تانتالوس دائما وأبدا : يغمر الماء الزلال جسده ولايستطيع أن يشربه . تداعب الثمار الحلوة عينيه ولايتمكن من أن يذوقها . تميل الصخرة الضخمة فوق رأسه ولاتصيبه بسوء . مازال تانتالوس يعيش على الأمل . قد يأتى يوم يروى فيه ظمأه . ويشبع جوعه . ويتخلص من خوفه .

إن تانتالوس واحد من المعذبين على الأرض . . من السعداء الذين يعيشون على الأمل المخادع .

تانتالوس

أجاممنون . مَنْ قاد الحملةالإغريقية ضد مدينة طروادة. كلوتمنسترا . من قتلت زوجها فور عودته ظافرا من ميدان القتال ، إيفيجينيا . من فقدت حياتها فى سبيل إنجاح الحملة الإغريقية . الكترا . من تحملت ظلم والدتها القاتلة . أورستيس . من قتل أمه انتقاما لأبيه . منيلاووس . من كان زوجا لهيلينا الفاتنة التى قامت من أجلها الحروب الطروادية .

كل هؤلاء ينتمون إلى بيت واحد هو بيت أتريوس — وهو من أشهر البيوتات التى تناولتها الأساطير الإغريقية (١) .

تروى الأساطير أن لعنة الآلهة كانت ترفرف فوق رأس كل فرد من أفراد بيت أتريوس . كانت تجعله يرتكب الخطيئة — لاعامدا ولامتعمدا . كانت تصب الهلاك والبلاء فوق رأس كل فرد من أفراد بيت أتريوس — مذنبا كان أو غير مذنب . كانت لعنة يتوارثها أفراد الأسرة جيلا بعد جيل . قيل إن سبب هذه اللعنة المتوارثة هو سلوك تانتالوس — جد أتريوس (٢) .

اختلفت الروايات حول أصل تانتالوس ونسبه (٣) . قيل إن والده هو زيوس — رب الأرباب — أو تمولوس — روح جبلية كانت تحكم منطقة

١ — أنظر أدناه ص ٢٧٥ ومابعدها .

٢ — Euripides, Alcestis, 4 sqq.

٣ — Sandys, Dictionary of Classical Antiquities. s.v. Tantalus.

لوديا — لكن الرأى الأول هو الأكثر انتشارا . والدته تدعى بلوتو (٤) . قيل إنها ابنة كرونوس من الربة ريا . أو ابنة أوكيانوس من تيثوس . قيل إنه من أصل لودى . وقيل إنه كان ملكا على أرجوس، أو كورنثا (٥) . وقيل أيضا إنه ترك منطقة سيبولوس الجبلية فى لوديا وأصبح حاكما على مملكة بافلاجونيا (٦) .

اختلفت الرويات أيضا حول زوجة تانتالوس . قيل إنها يورياناسا ابنة إله النهر باكتولوس . وقيل إنها يوروثميستا ابنة إله النهر كسانثوس . وقيل إنها كلوتيا ابنة أمفيدامانتوس . وقيل أيضا إنها الحورية السماوية ديونى . وبالرغم من اختلاف الروايات حول تسمية زوجته . فإن أغلبها يؤكد أن تانتالوس أنجب ابنة واحدة هى نيوبى وولدين هما بلوبس وبروتياس (٧) .

أنجب رب الأرباب زيوس ذرية لاتعد ولاتحصى . أنجبتها له ربات وحوريات وجنيات ونساء من بين أفراد البشر . لذا كان من بين ذرية زيوس أرباب وربات ، تياتن وعمالقة . مردة ومسوخ . أنصاف آلهة وأفراد بشر فانون . من بين أبناء زيوس الفانين كان تانتالوس الأقرب إلى قلب أبيه . أحاطه زيوس بحبه ورعايته . أولاه اهتماما منقطع النظير . منحه الجاه والمجد والسلطان . سمح له أن يروح ويغدو بين آلهة السماء . أن يرافقه فى روحاته وغدواته . أن يكون بجواره فى السراء والضراء . كان تانتالوس على علم بأسرار مملكة الأولومبوس . كان يعرف ما يدور بين

٤ — بلوتو πλουτώ : Hyginus, Fabula 82

٥ — يروى استرابون (Strabo, XII, 8, 21) أن تانتالوس كان من منطقة فروجيا Phrygia .

٦ — Hesiod, Theogony, 355; Pausanias, II, 22-4; Hyginus, fabula 124; Apolodorus, II, 6, 3; Ovid, Metamorphoses, II; 156; Diodorus Siculus, IV, 74. راجع : Graves, Op. Cit., Vol. II, p. 25

٧ — قيل أيضا إن بلوبس ليس ابناً لتانتالوس ، بل هو ابن أطلس من الحورية لينوس. كما قيل أيضا إنه لقيط مجهول الوالدين . أنظر مزيداً من المعلومات ومصادرها فى : Graves, Op. Cit., p. 25; p. nn. 4 and 5.

الآلهة الأولومبوس من أحاديث . وما يتخذونه من قرارات . كان يشاركهم احتفالاتهم ومسراتهم . بل أكثر من ذلك . كان له أن يشاركهم طعامهم الإلهى وشرابهم الإلهى (٨) .

أحيانا كانت الآلهة تتغذى كما يتغذى أفراد البشر . تأكل ما يأكله أفراد البشر . وتشرب ما يشربونه . لكن للآلهة نوعا خاصا من الطعام والشراب تتناوله بالإضافة إلى الطعام والشراب الذى يتناوله أفراد البشر. ذلك النوع الخاص من الطعام والشراب هو الذى يمنح الآلهة الخلود . يقول هوميروس إن طعام الآلهة الخاص هو الأمبروسيا . وتحضره إلى زيوس يوميا جماعات اليمام من مناطق واقعة فى أقصى الغرب . أما شراب الآلهة الخاص فهو النكتار . والنكتار هو نوع من النبيذ الأحمر تنتجه ربة الشباب — هيبى — خصيصا من أجل الخالدين . كان تانتالوس هو الوحيد من بين سكان الأرض الذى سمح له أن يشارك الآلهة طعامهم الخاص وشرابهم الخاص .

* * *

لم يكن تانتالوس يعترف بفضل زيوس عليه . لم يكن يحمد تانتالوس والده على ما منحه من جاه ومجد وسلطان . لم يصن ذلك الابن العاق نعم أبيه عليه . كان الحقد يملأ قلب تانتالوس . كان الحسد يعذبه دائما . كان لايحترم الآلهة . ولايقيم لهم وزنا . يخاطبهم فى صفاقة وصلافة . يستهزىء بهم . ويتعالى عليهم . يوجه إليهم الإهانات المختلفة . كانت الآلهة تصفح عنه . لم تكن تحيط زيوس علما بشىء من تصرفات ولده تانتالوس .

ظل تانتالوس يتمادى فى حماقته كلما ازداد حب زيوس له . داخلته فكرة جريئة صمم على تنفيذها . أراد أن يزيل الفارق بين الإله والإنسان . الإله خالد لايموت . والإنسان زائل ذائق الموت . جرعة واحدة من الأمبروسيا والنكتار كافية لإزالة ذلك الفارق الجوهرى العظيم بين الإله

٨ — Hamilton, Mythology, p. 237.

والإنسان . لو سرق تانتالوس كمية من طعام الآلهة وشرابهم الخاص وقدمه للإنسان لأصبح تانتالوس بطلا ذائع الصيت بين أفراد البشر . أعجبته الفكرة . وسيطرت عليه الرغبة فى تنفيذها . بدأ يسرق كميات من الأمبروسيا ويدخرها . بدأ يجمع كميات من النكتار . كانت الكميات المسروقة تزداد يوما بعد يوم . كان يختار أشخاصا معينين من بين أفراد البشر . ويقدم إليهم جرعات من الأمبروسيا والنكتار (٩) . لم يفطن زيوس فى بداية الأمر إلى ما قام به تانتالوس . ظل سر جريمته خافيا إلى حين . ظن السارق أنه استطاع أن يخدع الآلهة . لم يساوره شك فى أن الآلهة غافلة عن ما يفعله أفراد البشر . تغيرت نظرة تانتالوس إلى كبير الآلهة زيوس . كان زيوس يلقب بألقاب التعظيم والإكبار . كان يناديه أفراد البشر والآلهة بألقاب متعددة : رب الأرباب . العالم بكل شيء . المحيط بالأسرار . القاهر . القوى . وها هو تانتالوس يكتشف أن زيوس ليس قادرا على عمل شيء . لم يفطن زيوس إلى ما قام به تانتالوس . لم يكتشف أن تانتالوس لايحترم الآلهة . لم يكتشف أنه يعاملهم باحتقار . لم يكتشف أنه سرق كميات من الأمبروسيا والنكتار . عندئذ . ملأ الزهو نفس تانتالوس — إلى حد الغرور . قويت ثقته فى نفسه إلى حد الخداع .

بالرغم من سلوك تانتالوس . ظلت الآلهة تظهر له الحب والإعزاز . أراد تانتالوس أن يتأكد من استمرار حب الآلهة له . طلب منهم أن يعبروا عن تكريمهم وحبهم . دعاهم إلى منزله المتواضع — إذا ماقورن بقصورهم الفاخرة — قبلوا دعوته دون تردد . جاء اليوم الموعود . نزل الأرباب والربات من عليائهم — على رأسهم زيوس العظيم . توجهوا نحو قصر تانتالوس . أقام لهم تانتالوس وليمة هائلة . تحدث جموع سكان الأرض عن تانتالوس . أحس جميع أفراد البشر بالسرور والفرح . لقد لبت الآلهة دعوة واحد منهم . ونزلت من عليائها وشرفت داره . أحس شعب تانتالوس بالفخر والزهو . أقام كل فرد من أفراد الشعب وليمة فى منزله . أقيمت الاحتفالات

٩ — Pindar, Olympian Odes, I, 60 sqq.

فى كل مكان . وجاء وقت اعداد الطعام والشراب . أعد تانتالوس للآلهة أشهى أنواع الأطعمة . أتى بأفخر أنواع الشراب . امتدت الموائد . حملها الخدم بالصحاف الزاخرة بالأطعمة والأباريق المليئة بالشراب . تقدم تانتالوس نحو الآلهة فى أدب واحترام . طلب منهم أن يتوجهوا نحو الموائد العامرة . وزعت عليهم كؤوس الشراب . شربوا نخب تانتالوس وتكريمه لآلهة الأولومبوس . ثم جاء دور الطعام . صمم تانتالوس أن يتولى بنفسه تقديم الصنف الأول . لحم مشوى أشرف تانتالوس على شوائه بنفسه . وزع تانتالوس كميات اللحم فى الصحاف . وضع الصحاف بنفسه أمام الضيوف الأعزاء . طلب منهم فى أدب واحترام أن يبدأوا فى تناول الطعام .

مدّ كل ضيف يده فى صحفته . تناول قطعة الشواء . وضعها فى فمه . فجأة حدث شيء لم يكن فى الحسبان . أخرج كل ضيف على الفور قطعة اللحم من فمه . ألقى بها على الأرض فى ذعر شديد واشمئزاز واضح . فعل ذلك كل ضيف — إلا الربة ديميتر (١٠) . التهمت كمية اللحم التى وضعها تانتالوس أمامها . لم تكن ديميتر — حينئذ — حاضرة الذهن . كانت فريسة للهمّ والقلق (١١) . تفكر فى مصير ابنتها برسيفونى بعد أن اختطفها إله العالم السفلى (١٢) . لذا . لم تميز الربة ديميتر نوع اللحم الذى قدمه اليها (١٣) .

بهت تانتالوس عندما شاهد كل الآلهة تلقى باللحم على الأرض فى وقت واحد . كان يعرف تانتالوس أى نوع من اللحم قدمه إلى ضيوفه . لكنه لم يكن يتوقع على الاطلاق أنهم سوف يكتشفونه بهذه السهولة المذهلة . كان واثقا أنهم لن يكتشفوه على الاطلاق . كان قد أعماه الغرور وخدعته ثقته الشديدة فى نفسه . كان يعرف تانتالوس نوع اللحم الذى أشرف على

١٠ — Hyginus, fabula 83; Ovid, Metamorphoses, VI; 406.

١١ — Guerber, Op. Cit., p. 143.

١٢ — أنظر ص ١٩ أعلاه

١٣ — قيل أيضا إن حورية الماء ثيتس – Thetis وليست الربة ديميتر – هى التى أكلت كتف بلوبس. راجع Scholiast on Pindar's Olympian Odes, I, 37.

شوائه بنفسه وقدمه لضيوفه بيده . كان يعرف أنه لحم بشر ! ! بل كان يعلم ما هو أقسى وأفظع من ذلك . كان يعرف أنه لم يقدم لضيوفه سوى لحم ولده بلوبس ! ! (١٤)

انتاب زيوس غضب شديد . ساد الهرج والمرج قاعة الاحتفال . غادرت الآلهة قصر تانتالوس دون رجعة . تنبه زيوس إلى حقيقة شعور تانتالوس نحوه ونحو بقية الآلهة. قرر الانتقام من تانتالوس الححود — وإن انتقام كبير الآلهة لشديد .

اختلفت الروايات فى تبرير ذلك العمل المريع الذى أقدم عليه تانتالوس الحسور . حاول البعض الدفاع عن تانتالوس . حاول البعض الآخر اتهامه بأفظع الاتهامات . لذا اختلفت الأسباب وتعددت الروايات (١٥) .

قيل إن تانتالوس كان حسن النية فيما فعل . أراد أن يحتفى بضيوفه . رغب أن يعبر عن سروره البالغ بتشريفهم لقصره . لم يجد عملا يقوم به أعظم من أن يذبح ولده ويقدم لحمه طعاما لهم . لكن هذا القول مرفوض من أساسه . فلم يكن حاتم الطائى قد ولد بعد . ولم يكن الإغريق معروفين بذلك النوع من الكرم .

قيل إن تانتالوس وجد فى اللحظة الأخيرة أن الطعام الذى أعده الخدم والطهاة ليس كافيا . لاحظ أن الأصناف التى أعدت لاتليق بفخامة الوليمة وعظمة المناسبة . لذا أراد أن يضيف صنفا آخر من أصناف الطعام إلى بقية الأصناف التى كان قد تم إعدادها . لكنه قول مرفوض أيضا . فلم يكن أحد يعتقد فى ضآلة موارد تانتالوس ، الذى عرف بوفرة الموارد وشدة الثراء .

قيل إن تانتالوس أراد أن يثبت — بطريقة عملية — أن الآلهة لاتعلم كل شىء . أراد أن يثبت لأفراد البشر والآلهة على حد سواء أن زيوس لايحيط بكل الأسرار . أراد أن يبرهن أن من السهل خداع الآلهة

١٤ — Hamilton, Op. Cit., pp. 237-8.

١٥ — Graves, Op. Cit., p. 25.

وأن الآلهة لاتفوق أفراد البشر . فى التفكير . أو المعرفة . أو قوة الملاحظة . قول يتناسب مع سلوك تانتالوس تجاه الآلهة . ويتلاءم مع نظرته إليهم — خاصة بعد أن سرق الأمبروسيا والنكتار وقدمهما إلى البشر دون أن تكشف الآلهة ما فعله تانتالوس .

قيل إن تانتالوس أراد أن يسبب للآلهة حرجا شديدا . أراد أن يظهرها أمام البشر فى صورة آكلى لحم البشر (١٦) . قول لايتعارض مع شعور تانتالوس بالكراهية نحو الآلهة وحقده عليها .

اختلفت الأسباب . وتعددت الروايات . لكن جريمة تانتالوس لم تكن تفارق خيال كبير الآلهة زيوس . ظل يفكر فى عقاب يليق بما أقدم عليه تانتالوس الحسور . تناول الابن العاق الأمبروسيا والنكتار . أصبح خالدا لايقدر عليه إله الموت . إذن . لابد أن يعيش تانتالوس ذليلا . كسيرا . دون جاه أو سلطان . لكن ذلك العقاب ضئيل لايتناسب مع فظاعة جريمة تانتالوس .

بينما كان زيوس يفكر فى طريقة ينتقم بها من تانتالوس وصلت إليه أخبار جرائم أخرى ارتكبها ذلك الابن العاق (١٧) . علم زيوس بجريمة سرقة الأمبروسيا والنكتار وتقديمهما لبعض أفراد البشر (١٨) . بل اكتشف أيضا جريمة سرقة من نوع آخر (١٩) . عندما كان زيوس طفلا رضيعا ،

١٦ — Hamilton, Op. Cit., p. 237.

١٧ — اختلفت الروايات حول سبب عذاب تانتالوس (١) سرق الأمبروسيا والنكتار وأعطاهما إلى أصدقائه من البشر . (٢) أفشى أسرار الآلهة . (٣) طالب بأن يكون خالداً لا يموت مثل الآلهة. (٤) أنكر وجود تمثال الكلب الذهبى لديه. (٥) اغتصب الصبى جانيميديس . (٦) أنكر ألوهية الشمس وقال بأنها ليست إلهاً . راجع : Rose, Greek Mythology, p. 81.

١٨ — Zimmerman, Dictionary of Classical Mythology, s.v. Tantalus.

١٩ — Antonius Liberalis, Metamorphoses, 36 and 11; Eustathius and scholiast on Homer's Odyssey XIX, 518; Pausanias, X, 3,1 and VIII, 7, 3.

كانت تخفيه أمه فى كهف مهجور فى جزيرة كريت عندئذ صنعت الآلهة تمثالا من الذهب يمثل كلبا ضخما من كلاب الحراسة . وضعت والدة زيوس التمثال الذهبى فى الكهف ليقوم بحراسة الطفل الرضيع أثناء غيابها . كبر زيوس . وغادر الكهف . نقل التمثال الذهبى فيما بعد إلى معبد زيوس . أصبح التمثال حارسا للمعبد كما كان حارسا للرضيع زيوس من قبل . تسلل شخص يدعى بنداريوس إلى معبد زيوس واستولى على الكلب الذهبى . خشى أن يضبط متلبسا بجريمته . ذهب على الفور إلى تانتالوس . سلمه التمثال . تركه أمانة لديه . لما نسى الناس حادث السرقة . أطمأن بنداريوس . ذهب إلى تانتالوس . طلب منه أن يرد الأمانة . كانت دهشة بنداريوس شديدة ، عندما أنكر تانتالوس وجود التمثال لديه . استحلفه بنداريوس بزيوس . أقسم تانتالوس بزيوس أنه لم ير طول حياته كلبا من ذهب . علم زيوس بقصة النزاع بين تانتالوس وبنداريوس . علم أن تانتالوس يسرق . ويخفى أشياء مسروقة . ويرفض أن يردها . ثم يحلف بزيوس زورا . إزداد غضبه واشتد . وأرسل رسول الآلهة هرميس كى يحقق فى الأمر . اكتشف هرميس صحة أقوال بنداريوس . طلب من تانتالوس إعادة التمثال الذهبى إلى المعبد. أصر تانتالوس على الإنكار . أضطر هرميس إلى استخدام القوة . إستعاد التمثال . أعاده إلى المعبد . لقى بنداريوس جزاءه . ثم عاد زيوس مرة أخرى يفكر من جديد فى عقاب يليق بجرائم تانتالوس المروعة المتكررة .

ارتكب تانتالوس ثلاث جرائم . كل منها أشنع من الأخرى . لذا حكم عليه زيوس بثلاثة أنواع من العقاب يقاسيها فى وقت واحد [٢٠] . وقبل أن ينفذ الحكم فى تانتالوس . كان عليه أن يذهب إلى العالم السفلى . بعد أن يعيش فترة من الزمن ذليلا . كسيرا . دون جاه أو سلطان . بدأ

---

٢٠ – يروى هوميروس .Iliad, XI, 582 sqq قصة عذاب الجوع والعطش، ويذكر بنداروس (Isthmian Odes, VIII, 10; Olympian Odes, I, 57 sqq.) قصة عذاب الخوف ، كما يرويها أيضا يوريبيديس (Orestes, 4 sqq)

زيوس بتدمير مملكة تانتالوس وتشتيت شعبه [٢١] . أذهب عنه الجاه والمجد والسلطان . جعله يعيش ذليلا كسيرا . ثم أزهق روحه . لم يرسل إليه إله الموت . فلم يعد إله الموت قادرا على إزهاق روح تانتالوس بعد أن تناول الأمبروسيا والنكتار اللذين يمنحان الخلود [٢٢] . لذلك تولى زيوس الأمر بنفسه . هو الذى أزهق روح تانتالوس . بعدئذ انتقل الإبن العاق إلى العالم السفلى . وأفسح له إله العالم السفلى مكانا بين المعذبين . ثم بدأ زيوس فى تنفيذ الحكم فى تانتالوس [٢٣] . قرر زيوس أن يعيش تانتالوس فى العالم السفلى إلى الأبد وهو يقاسى ثلاثة أنواع من العذاب . العطش الأبدى . الجوع الأبدى . الخوف الأبدى .

يقف تانتالوس وسط بركة غير عميقة . تغطى المياه جسده حتى الخصر . ترتفع المياه أحيانا حتى تصل إلى ذقنه . لكنه يقضى حياته عطشانا ظمآنا . لايبتل حلقه بالماء أبدا . كلما اشتد به الظمأ يميل بوجهه إلى الأمام . يفتح فمه . يحاول أن يملأه بالماء . لكن الماء ينحسر بسرعة مذهلة حتى يختفى تماما . ويظهر قاع البركة . ولايبقى سوى الطمى الذى يغطى قدمى تانتالوس العاريتين . يرفع تانتالوس وجهه إلى أعلى فى يأس وحسرة . فتعود المياه إلى البركة فى سرعة شديدة . وترتفع حتى تغطى خصره . عندئذ . يضم تانتالوس أصابع يده يغرف الماء بكفه . يرفع كفه نحو فمه فى لهفة وشوق . لكن الماء يتسرب بسرعة شديدة من بين أصابعه . تصل كفه إلى فمه خالية من الماء . يمر تانتالوس بأصابعه المبللة فوق شفتيه المشققتين فيزداد ظمؤه وعطشه .

---

٢١ – يروى بلينيوس (Pliny, Nat. Hist., II, 93) أن مملكة تانتالوس دمرت بواسطة زلزال ، كما يروى أيضا (Ibid., V, 31) أنه قد أعيد بناء المملكة ثلاث مرات فى نفس الموقع قبل أن يصيبها فى النهاية طوفان ويأتى عليها نهائياً .

٢٢ – Pindar, Olympian Odes, I, 60 sqq.

٢٣ – Diodorus Siculus, IV, 74; Plato, Cratylus, 28; Homer; Odys., XI, 582-92; Ovid, Metamorphoses, IV, 456; Pindar, Op. Cit., 60 ; Hyginus fabula 82 ; Pausanias, X, 31, 4.

بالقرب من البركة التى يقف فيها تانتالوس شجرة ضخمة باسقة . محملة بأنواع مختلفة من الثمار : الكمثرى. التفاح اللامع . التين الحلو.الرمان الناضج . حبات الزيتون الناضجة . تتدلى هذه الثمار الحلوة الناضجة من أغصانها حتى تصل إلى مستوى كتفى تانتالوس . وتقترب منه حتى تصبح فى متناول يديه . لكنه يقضى حياته جوعان . لايذوق الثمار ولا يصل شيء إلى جوفه . تقترب الثمرة منه . يمد يده نحوها فى شوق ولهفة . يحاول أن يقطفها . عندئذ تهب ريح شديدة على الفور .وتقذف بالغصن الذى يحمل الثمرة بعيدا عنه . يعيد تانتالوس يده إلى جانبه فى حسرة وألم وقد أصبح أكثر جوعا عن ذى قبل .

تقع البركة التى يقف فيها تانتالوس عند حافة سفح جبل شاهق شديد الانحدار . على قمة ذلك الجبل الشاهق صخرة ضخمة . فى وضع مائل غير ثابت . تبدو هذه الصخرة لتانتالوس وكأنها ستنهار فوق رأسه فى التو واللحظة . بين لحظة وأخرى تهب عاصفة شديدة على قمة الجبل . تزحزح الصخرة المائلة . وتصبح على وشك الانهيار والسقوط فوق رأس تانتالوس . وفجأة تهدأ العاصفة وتأخذ الصخرة فى التوقف عن الحركة شيئا فشيئا . إن تانتالوس يعيش فى رعب دائم . يخشى أن تنهار الصخرة فوق أم رأسه فتهشمها . إن الصخرة باقية فى هذا الوضع . ولا تسقط أبدا . لكن تانتالوس يقضى حياته فى رعب أبدى . ولا يغفل عن مراقبتها لحظة واحدة .

هكذا يعيش تانتالوس منذ بدء الخليقة حتى اليوم . وهكذا سيعيش إلى أبد الآبدين . ظمآن والماء من حوله زلال. جوعان والطعام بين يديه ناضج. خائفا والأمان مكفول له . هكذا يعيش تانتالوس دائما وأبدا . يغمر الماء الزلال جسده ولايستطيع أن يشربه . تداعب الثمار الحلوة عينيه ولا يتمكن من أن يذوقها . تميل الصخرة الضخمة وتتأرجح فوق رأسه ولا تصيبه بسوء. مازال تانتالوس يعيش على الأمل . قد يأتى يوم يروى فيه ظمأه . قد يأتى يوم يتخلص فيه من خوفه. إن تانتالوس واحد من المعذبين على وجه الأرض . من السعداء الذين يعيشون على الأمل الخداع .

* * *

تلك هى أسطورة تانتالوس . قصة العذاب الأبدى (٢٤) . وردت هذه القصة لأول مرة عند هوميروس . ثم تناولها أغلب الكتاب والأدباء الإغريق والرومان . ولقد حاول البعض الدفاع عن تانتالوس . كما حاول البعض الآخر الدفاع عن الآلهة . نحن نعلم — مثلا — أن الشاعر الإغريقى المعروف بنداروس ينكر بشدة أن واحدة من الربات قد أكلت اللحم البشرى الذى قدمه إليها تانتالوس . بل يؤكد الشاعر نفسه أن تلك الرواية ليست إلا كذبا وافتراءاً على الآلهة المبجلة .

اشتهرت قصة تانتالوس فى العصور القديمة (٢٥) . وأصبحت تبريراً لنشأة عقيدة هامة من عقائد الاغريق (٢٦) . اعتقد الاغريق فى توارث اللعنة . اعتقدوا أن الإنسان يرث أعماله وتصرفاته . إن ارتكب أحد الأشخاص جريمة أنزلت عليه الآلهة لعنة أبدية تظل تلاحقه وتلاحق أبناءه وأحفاده وأحفاد أحفاده . روت الأساطير أن بروتياس كان ضحية تلك اللعنة التى ورثها عن والده تانتالوس (٢٧) ، وأن مصير نيوبى السيىء ليس إلا نتيجة حتمية لنفس اللعنة التى ورثتها عن والدها تانتالوس أيضا (٢٨) . بل تذهب الروايات إلى أبعد من ذلك . لقد أعادت الآلهة بلوبس إلى الحياة. وجعلته يتعذب ويقاسى من اللعنة التى أنزلتها الآلهة على والده . بل ظلت اللعنة تطارد أتريوس بن بلوبس . ثم أحفاد أتريوس أيضا .

قد تصور قصة تانتالوس الطموح الإنسانى الذى لاحدود له . لقد وصل

---

٢٤ — أنظر تفسير هذه الأسطورة من وجهة نظر المفسرين الطبيعيين الذين يعتقدون أن كل الأساطير الاغريقية تنتمى الشمس Guerber, Myths of Greece And Rome, p. 353. أنظر المقدمة ص ٤٨ .

٢٥ — أصبح يضرب المثل بعذاب تانتالوس فى العصور القديمة والحديثة
Pindar, Isthmian Odes, VIII, 10 : Plato, Protagoras, 310
لاحظ أيضا الفعل tantalize ومشتقاته فى اللغة الإنجليزية .

٢٦ — راجع Graves, Greek Myths, Vol. II, pp. 29-30.

٢٧ — Ibid., p. 27.

٢٨ — Rose, Greek Mythology, p. 144.

تانتالوس إلى أقصى درجات المجد والجاه والسلطان . وكان يتمتع بثقة الآلهة والبشر وينعم بحبهم . لكنه يريد أن يصل إلى أبعد من ذلك [29] . يريد أن يثبت أنه لايقل عن الآلهة فى شىء . قد تصور أيضا الطمع الإنسانى الذى لاحدود له والشر الذى لايعرف الكفاية . وتؤكد أن نتيجة الطمع والشر ظمأ أبدى وجوع أبدى وخوف أبدى . وقد تصور أيضا قصة عذاب الإنسان على وجه الأرض . قصة كفاحه الدائم من أجل لقمة العيش وجرعة الماء والإحساس بالطمأنينة . قصة الأمل الذى يداعب الإنسان فلا يقع فريسة لليأس . فمازال تانتالوس يعيش على الأمل . . يكافح ويناضل كى يتخلص من الظمأ ويهرب من الجوع ويقهر الخوف .

٢٩ – يروى أفلاطون (Plato, Cratylus, 28) أن الاسم تانتالوس Ταντάλος مشتق من صفة مبالغة التفضيل Ταλαντατος بمعنى « الأتعس » ، وكلاهما من الجذع τλα بمعنى « التحمل » أو « المعاناه ». . أما فعل Ταλαντευειν – ويعنى « يزن » أو « يقدر الأموال » – فهو يشير إلى مدى الثراء الفاحش الذىوصل إليه تانتالوس قبل أن يلقى مصيره المؤلم .

سيسيفوس

. . حمل سيسيفوس الصخرة الهائلة على كتفه .
تسلق – فى عناء ومشقة – جانب الجبل الوعر المنحدر.
وصل إلى القمة . حاول أن يضع الصخرة فوق القمة.
لكنها اندفعت بقوة رهيبة . تدحرجت حتى وصلت إلى سفح الجبل . هبط سيسيفوس إلى سفح الجبل بين ذرات الغبار وحبات العرق – ليحمل الصخرة على كتفه ويصعد بها من جديد . مازال سيسيفوس – حتى الآن – يحاول أن يضع الصخرة فوق قمة الجبل الشاهق . ومازالت الصخرة الضخمة – حتى الآن – تندفع بقوة رهيبة من القمة حتى تصل إلى سفح الجبل . . .
فهل يعلم سيسيفوس أنه لن يضع أبدا الصخرة الضخمة فوق قمة الجبل الشاهق ؟

سيسيفوس

جايا زوجة أورانوس . أنجبت له عددا ضخما من المردة والتياتن . يابيتوس أحد أبناء أورانوس وجايا . تزوج كلوميني . أنجبت له منيثيوس . أطلس . هسبروس . إبيميثيوس . وبروميثيوس . أنجب بروميثيوس إبنا يدعى ديوكاليون . أنجبت باندورا لإبيميثيوس ابنة تدعى بورا . تزوج ديوكاليون ابنة عمه بورا . أنجبت له هيللين . الذى سمى من بعده الجنس الهلليني . أنجب هيلين بدوره ثلاثة أبناء . كسوثوس . دوروس . وأيولوس — الذى سمى من بعده الجنس الأيولى . تزوج أيولوس إناريتى . أنجب منها ولدين هما سالمونيوس وسيسيفوس . أما أطلس فيقال إنه كان أبا لسبع بنات هن : ألكيونى . كيلاينو . الكترا . مايا . ميروبى . ستيروبى. تايجيتى .

أعجب سيسيفوس بن أيولوس بواحدة من بنات أطلس — ميروبى . تزوج سيسيفوس ميروبى ، أنجبت له ثلاثة أبناء : جلاوكوس. أورنوتيون. وسينون . كان سيسيفوس يملك قطيعا هائلا من الماشية. أطلق ذلك القطيع الهائل يرعى فى المناطق الرعوية الشاسعة الواقعة حول ذلك المضيق المعروف الآن باسم مضيق كورنثا (١) . عاش سيسيفوس فى سعادة وهناء . يتجول فى المروج الخضراء . ينعم بالمناظر الطبيعية الخلابة . يرعى ماشيته — مصدر هنائه وسعادته — لم يكن يقلقه جار سىء . أو يؤرقه صديق حقود . لم يكن

١ — Apollodorus, I, 9, 3; Pausanias, II, 4, 3; Servius on Vergil's Aeneid, II, 79.

هناك شيء يعكر صفوه أو ينغص عليه حياته . حتى كان ذلك اليوم المشؤوم — يوم أن استقر فى منطقة مجاورة له صاحب قطيع آخر يدعى أوتولوكوس .

أوتولوكوس هو ابن خيونى . وخيونى هى ابنة دايداليون . عشق الإله أبوللون خيونى . وعشقها فى الوقت نفسه الإله هرميس . قيل إن خيونى أنجبت توأمين للإلهين ! أنجبت فيلامون لأبوللون . وأنجبت أوتولوكوس لهرميس ! ! قيل أيضا إن خيونى أشاعت أنها أجمل من الربة أرتميس . انتقمت الربة منها وقضت عليها . حزن والدها دايداليون . ألقى بنفسه من فوق جبل بارناسوس . لكن الإله أبوللون أنقذه من الموت بأن حوله على الفور إلى صقر . فهبط إلى سفح الجبل فى سلام .

ذلك هو أوتولوكوس الذى اشترك فى إنجابه كل من أبوللون — صاحب نبوءة دلفى الشهيرة — وهرميس — رسول الآلهة الماكر اللبق (٢) . لذا . نشأ أوتولوكوس ماكرا . مخادعا . مضللا . لا يحفظ العهد . ولا يفى بالوعد . عنيفا بالفطرة ، قيل إنه هو الذى درب الإله هيراكليس على المصارعة والقتال . كان أوتولوكوس لصا بارعا . تخصص فى سرقة الماشية . وهبه والده هرميس قدرة غير عادية . كان قادرا على أن يغير من صفات الحيوانات التى يسرقها . يستطيع أن يحولها من ثيران ذات قرون إلى نعاج ذات فراء ، من بقرات سمان إلى عجول هزيلة . كان قادرا على تغيير ألوانها . إن سرق حيوانا أسمر . حول لونه إلى أبيض . وإن سرق حيوانا أبيض حول لونه إلى أسمر وهكذا . . . (٣) .

شاءت الأقدار أن يكون أوتولوكوس جارا لسيسيفوس . لاحظ سيسيفوس أن عدد ماشيته يتضاءل ، كما لاحظ أن عدد ماشية جاره فى تزايد مستمر . كان يعرف أن جاره هو الذى يسرق الماشية . لم يستطع أن يضبطه متلبسا بجريمته . إذ كان السارق ضالعا فى السرقة . لم يستطع أن يتعرف على

٢ — Hyginus, fabula 200.

٣ — Hyginus, fabula 201; Polyainos, Strateg., VI, 52. (quoted by Rose, Greek Mythology, p. 283 n. 53).

ماشيته المسروقة . إذ كان السارق ساحرا بارعا . لكن الظلم يثير الحمية فى النفوس . والاضطهاد يقدح زناد العقول . لم يقدر سيسيفوس أن يصبر على ظلم جاره . لم يطق أن يقف مكتوف الأيدى أمام تحدياته . قرر أن يتصدى للخديعة بالخديعة . هداه تفكيره إلى تدبير خطة محكمة ، نفذها على الفور ، أمسك بأرجل كل حيوان من القطيع . حفر على أسفل كل حافر حرفين (S. S.) (س . س .) . وهما اختصار لعبارة معناها . سرق بواسطة أوتولوكس (٤) . أطلق سيسيفوس لماشيته الحبل على الغارب . انطلقت ترعى هنا وهناك . حتى إذا ما جن الليل . قضى سيسيفوس الليل ساهرا . يراقب الماشية فى مأواها .

أشرق الصباح . بعثت الشمس بخيوطها الذهبية نحو الأرض . بدأ سيسيفوس يحصر ماشيته ويحصيها عددا . اكتشف أن عددها قل عما كانت عليه فى اليوم السابق . نظر إلى الأرض . إلى الأرض الترابية . المبتلة بقطرات الندى . فرح وتهلل . صاح بأعلى صوته ، تجمع أفراد البشر والآلهة من حوله . أشار ببنانه نحو الأرض المبتلة . رأى الجميع عجبا . رأوا آثار الحوافر واضحة فوق التربة المبتلـة . تبينوا الحرفين بوضوح وسط كل حافر مرسوم على سطح التربة . تتبع سيسيفوس آثار الحوافر . تبعه أفراد البشر والآلهة . كانت الآثار تتجه نحو المنطقــة التى يسكن فيها أوتولوكوس . كانت تتجه نحو حظيرة من حظائر مواشيه . دخل سيسيفوس الحظيرة . تبعه أفراد البشر والآلهة . ادعى أوتولوكوس أن كل ما فى الحظيرة ملكه الخاص . أنكر السرقة بشدة . كان واثقا من أن سيسيفوس لن يستطيع أن يتعرف على مواشيه المسروقة . أمسك سيسيفوس بحوافر كل حيوان فى الحظيرة . نظر إلى أسفل حوافره . تعرف بسهولة على حيواناته . بهت أوتولوكوس . لقد غير من معالم الحيوانات المسروقة وأوصافها ولكنه لم يفطن إلى ما فعله سيسيفوس بحوافرها (٥) .

٤ — أنظر التفسيرات المختلفة والمتعددة لوجود هذين الحرفين فى ؛
Graves, Greek Myths, Vol. 1, p. 220.

٥ — Oxford Classical Dictionary, s.v. Sisyphus.

قرر سيسيفوس أن يقابل الشر بالشر. صمم أن يعالج الجريمة بالجريمة. خطرت له فكرة على الفور. فوض أمر تأديب أوتولوكس إلى أفراد البشر والآلهة. تركهم فى الحظيرة يتشاورون فى أمره. أخذ يتجول حول منزل اللص. تسلل من الباب الخلفى. وصل إلى مخدع أنتيكليا – ابنة أوتولوكوس (٦). كانت شابة رائعة الجمال. متزوجة من شاب يدعى لائرتيس. اغتصبها سيسيفوس. أنجبت لزوجها لائرتيس طفلا أصبح – فيما بعد – له شأن كبير بين أبطال الاغريق. أنجبت له طفلا أصبح اسمه رمزاً للمكر والخداع. أنجبت: أوديسيوس (٧). بطل أوديسيا هوميروس. وصاحب فكرة الحصان الخشبى. منذ ذلك اليوم. تأصل الشر فى نفس سيسيفوس. تدفق المكر والخداع فى شرايينه. منذ ذلك اليوم صارت الجريمة هوايته. أصبح الشر لعبته (٨).

أسس سيسيفوس مدينة أسماها إفورى (٩). عرفت فيما بعد باسم كورنثا. أنشا مملكة واسعة الأرجاء. لم يكن سيسيفوس ملكا عادلا. كان قد أصبح لايعرف الشرف ولايتمسك بالمبادىء. لايدين بعرف أو تقليد. ينهب المسافرين الآمنين الذين ينزلون عليه ضيوفا. يسرق ممتلكات شعبه الذى يدين له بالولاء. لم تزدهر مملكته سوى فى ناحيتين اثنتين : الملاحة والتجارة الخارجية. لأنهما كانتا تعتمدان فى ذلك الوقت على القرصنة(١٠).

كان أيولوس ملكا على تساليا. توفى أيولوس. استولى ولده سالمونيوس

---

٦ – Graves, Op. Cit., p. 216.

٧ – Zimmerman, Dictionary of Classical Mythology, s.v. Sisyphus.

٨ – بالرغم من أن سيسيفوس كان شريراً خطيراً وسارقاً ماكراً، إلا أنه كان يتصف بالحكمة بين بعض الاغريق، أو كان – كما يسميه روز (Rose, Op. Cit., p. 270) The Master Theif! اللص السيد.

٩ – Homer, Iliad, VI, 154-55.

١٠ – Ovid, Metamorphoses, VII, 393, Pausanias, II, 3, 8; Ovid, Heroides, XII, 203; Horace, Satires, II, 17, 12.

على العرش (١١). هضم حق أخيه سيسيفوس. نشط عنصر الشر – كالعادة – فى نفس سيسيفوس. ذهب إلى نبوءة دلفى. عاد من النبوءة وفى ذهنه فكرة شريرة. نفذها على الفور. تظاهر بالتنازل عن حقه فى عرش تساليا. تقرب إلى سالمونيوس. كان فى الحقيقة لايتقرب إليه نفسه، بل إلى ابنته تورو (١٢). كانت ابنة سالمونيوس فتاة غريرة. سحرها عمها سيسيفوس بعذب الحديث. تظاهر لها بالحب. طارحها الغرام والعشق. ضاجعها. أنجب منها طفلين. خطط. فأجاد التخطيط. دبر. فأحسن التدبير. سوف يكبر الطفلان. سوف يلقنهما والدهما سيسيفوس كيف ينتقمان من جدهما سالمونيوس. اكتشفت تورو خطة عمها الشرير. ثارت ثورتها. قتلت الطفلين. أفشلت الخطة. أو هكذا بدا لها. لكن سيسيفوس لم يكن يتعب من ممارسة الشر. خرج إلى الساحة العامة. صاح بأعلى صوته. تجمع أفراد البشر والآلهة من حوله. أشاع أن نبوءة دلفى نصحته أن ينجب ذرية من ابنة شقيقه سالمونيوس. وها هو قد عمل بنصيحة النبوءة. إدعى أن سالمونيوس هو الذى قتل الطفلين رغبة منه فى القضاء على ذرية ابنته. أعلن أن سالمونيوس قد تحدى نبوءة دلفى المقدسة خوفا على مملكته من الضياع. أدان أفراد البشر والآلهة سالمونيوس. صدر الحكم ضده بالنفى. انتصر الشر إلى حين (١٣).

توالت شرور سيسيفوس. وتعددت جرائمه. بل استفحلت. واتسع نطاقها. لم تقتصر على أفراد البشر العاديين. امتدت حتى شملت السادة والملوك. وصلت إلى مملكة الآلهة. فألصقت بها التهم الباطلة (١٤). لم

---

١١ – لمعرفة المزيد من المعلومات عن سالمونيوس أنظر : Graves, Op. Cit., pp. 220-21.

١٢ – Ibid., P. 221.

١٣ – Hyginus, fabula 60.

١٤ – سيسيفوس Σισυφος (الاسم المركب من الصفة σοφός) أى الماكر أو واسع الحيلة. يصفه هوميروس (Iliad, VI, 153) بأنه أمكر الرجال. ونظراً لشدة ذكاء سيسيفوس ومكره فقد وصفته المصادر الأدبية التى جاءت بعد هوميروس بأنه والد البطل الاغريقى الماكر الشهير أودوسيوس. أنظر على سبيل المثال : =

يسلم بشر أو إله من شرور سيسيفوس وجرائمه . لم يكن سيسيفوس يخشى أحدا — حتى ولو كان كبير الآلهة زيوس نفسه (١٥) .

ذات يوم جلس سيسيفوس فوق سطح قلعة إفورى كعادته . يرنو بنظره الثاقب فى الفضاء الممتد . يراقب الأبراج السماوية . يتجسس على حركات النجوم والكواكب . لم يكن هناك من يؤنس سيسيفوس فى وحدته سوى قطعان الماشية . التى تروح وتغدو . أو جماعات الطير . التى تحلق فوق سطح مياه البحر بحثا عن صيد تسد به رمقها . شاهد سيسيفوس فجأة فى الفضاء البعيد كتلة ضخمة . داكنة اللون . تنطلق بسرعة هائلة . أخذت الكتلة تقترب شيئا فشيئا . استطاع سيسيفوس أن يتبين معالم تلك الكتلة الداكنة . نسر ضخم . أضخم من جميع النسور التى يعرفها . نسر ضخم يرفرف بجناحين يفوقان فى الحجم والقوة كل أجنحة النسور الأخرى مجتمعة . كان نسرا ضخما لم ير سيسيفوس مثله من قبل . أدرك بعقله المفكر أن ذلك النسر ليس إلا واحدا من الآلهة يقوم بمغامرة غير عادية . مر النسر فوق قلعة إفورى . حجب بجسمه الضخم وجناحيه الكبيرين ضوء الشمس عن القلعة بأكملها . لم يجرؤ سيسيفوس على أن يرفع وجهه إلى أعلى . لكنه سمع صرخات استغاثة . أنثى تستغيث وتطلب النجدة . رفع وجهه فجأة إلى أعلى شاهد بين مخالب النسر فتاة تبكى فى حرقة وتصرخ فى فزع . انقشعت الغمامة . عاد ضوء الشمس إلى القلعة . فر النسر فى سرعة هائلة ناحية البحر . أرسل سيسيفوس نظراته الثاقبة تلاحق النسر الهائل وهو يخترق الفضاء . ظل يتابعه بنظراته . حط النسر فوق جزيرة مهجورة غير بعيدة عن الشاطىء . ذهب سيسيفوس فى غيبوبة . راح فى نوم عميق .

أفاق سيسيفوس من غيبوبته . صحا من نومه على صرخات استغاثة تصم أذنيه . ظن أنه مازال يفكر فى الفتاة التى رآها بين براثن النسر الهائل .

Sophocles, Ajax 190; Philoctetes, 417; Euripides, Iphigenia = In Aulis, 524.

١٥ – Guerber, Myths of Greece And Rome, p. 144. وطبقاً لما جاء عند هوميروس (Odys. X, 84-5) فإن أودوسيوس هو ابن لائرتيس من أنتيكليا ابنة أوتولوكوس . لكن قارن : Graves, Op. Cit., p. 219.

تكررت الصرخات . صرخات مختلفة . صرخات رجل . لاصرخات فتاة . أحس بيد تدفعه من كتفه . حك عينيه بأصابع يديه . نظر أمامه . رأى شبحا لم يتبين ملامحه . حك عينيه مرة أخرى بأصابع يديه . رأى بوضوح فى هذه المرة شخصا يعرفه . رأى أسوبوس العجوز وقد بدا على وجهه الحزن والألم . بكى أسوبوس بين يدى سيسيفوس . سأله عن سر بكائه . شرح له أسوبوس الأمر . لأسوبوس ابنة تدعى أيجينا . رآها رب الأرباب زيوس ذات يوم . أعجب بها . لم تبادله الإعجاب . جاذبها أطراف الحديث. قطعت عليه أحاديثه . طاردها . تحاشته . حاول أن يغتصبها . قاومته . ظل يطاردها فى صحوها ومنامها . كانت تصرخ فجأة بالنهار عندما يخطر على بالها . كانت تصحو مذعورة فى الليل عندما يظهر لها فى منامها . ظلت تشكو لوالدها أسوبوس . ظل والدها يهدىء من روعها ويخفف من فزعها . حاول أن يبعد زيوس عن طريق ابنته . أصر رب الأرباب على مطاردتها . فضل أن يبعدها عن طريق زيوس . سجنها فى القصر . شدد الحراسة على مداخل القصر ومخارجه . فجأة . اختفت أيجينا . زيوس هو الذى خطفها . لابد أنه يحتفظ بها الآن فى مكان ما . سوف يغتصبها . أو ربما قد اغتصبها فعلا. إن أسوبوس يبحث الآن عن ابنته فى كل مكان . ها هو قد جاء إلى مملكة سيسيفوس . جاء يسأله إن كان يعرف شيئا عن ابنته أيجينا (١٦) .

سمع سيسيفوس قصة أيجينا . كان عقله الذكى يعمل أثناء حديث الوالد المكلوم . ربط العقل الذكى بين ما رواه أسوبوس وما قد رآه سيسيفوس .

روى أسوبوس أن زيوس اختطف أيجينا . رأى سيسيفوس نسرا هائلا يحمل فتاة مذعورة . لاشك أن زيوس قد حول نفسه إلى نسر هائل . وتخطى أسوار قصر أسوبوس ، أمسك بالفتاة بين مخالبه ، انطلق فى الفضاء فوق سطح الأرض، حط فوق الجزيرة المهجورة. عاد إلى صورته الأصلية . لاشك أنه الآن يعد فريسته العذراء ليلتهم عذريتها .

١٦ – Hamilton: Mythology, p. 298.

هب سيسيفوس على الفور واقفا . طلب من أسوبوس أن يهدأ ويستجمع قواه . نصحه أن يكف عن البكاء . هو الوحيد الذى يستطيع أن يطمئنه على ابنته . رآها بعينى رأسه . رآها مع زيوس . يعرف أين يختبىء زيوس الآن(١٧) .

تهلل وجه أسوبوس . انفرجت أساريره . سأله فى لهفة متى رآها . وكيف ؟ وأين هما الآن . أجاب سيسيفوس اللئيم .

تمهل يارفيقى : تمهل . أتعتقد أننى أقدم إليك هذه المعلومات الغالية دون مقابل . . ؟

كانت اللحظات تمر قاسية على أسوبوس . كان أسوبوس يعلم من هو سيسيفوس . كان يعلم أنه انتهازى شرير . ربما يعمل الشر من أجل الشر ذاته ، ولكنه لن يعمل الخير من أجل الخير ذاته . كان على أسوبوس أن يرضخ لرغباته . لم يكن لديه متسع من الوقت ليساومه . أجابا قائلا :

لن أتمهل . ياسيسيفوس . وأنت أيضا . لاتتمهل . أطلب ما تريد. حدد مطالبك ألبّيها فى التو واللحظة . أعدك بذلك .

كان أسوبوس قادرا على توزيع المياه العذبة على الأراضى الزراعية. كان بيده أن يفجر الينابيع العذبة . أن يملأ الآبار بالمياه . أن يغطى الأراضى بالطمى فيكسبها خصوبة . لم يكن أسوبوس سوى نهر يجرى فى بلادالاغريق. ينشر على ضفتيه الخصب والنماء . فهكذا اعتقد الاغريق . اعتقدوا أن الأنهار آلهة . كانوا يتخيلونها فى صورة أشخاص . تروح وتغدو . تفرح وتتألم . تتزوج وتنجب . طلب سيسيفوس من أسوبوس أن يجرى الماء العذب وسط أراضى مملكته . وأن يفجر عينا تظل جارية إلى الأبد أسفل قلعته(١٨) .

---

١٧ – Graves, Op. Cit, p. 217.

١٨ – راجع Pausanias, II, 5, 1. حيث يروى القصة . رأى باوسانياس المجرى الذى أصبح يسمى بعد ذلك عين بيرينى Peirene ، والذى كان يمد بالمياه مدينة كورنثا وقلعتها . أنظر أيضا : Graves, Op. Cit., p. 220.

كان له – على الفور – ما أراد . أخبره سيسيفوس بما رأى . أشار إلى الجزيرة المهجورة حيث حط النسر الهائل . نصحه بالذهاب إلى هناك . حتى يضبط زيوس متلبسا . حقا . لم يكن النسر الهائل الذى رآه سيسيفوس سوى زيوس . لم تكن الفتاة التى رآها سوى أيجينا . صدق حدس سيسيفوس. أصاب عقله الذكى .

أسرع أسوبوس نحو الجزيرة – التى مازال الاغريق يعرفونها – منذ ذلك الوقت – باسم جزيرة أيجينا . وصل إلى حيث حط النسر الهائل . لكنه وصل بعد فوات الأوان . كان زيوس قد اغتصب أيجينا . سمعه أسوبوس يلاطفها ويسترضيها . سمعه يغريها على البقاء فى الجزيرة . تقدم أسوبوس والغضب يملأ صدره . أحس زيوس بوجود الوالد المكلوم . لم يكن هناك من يستطيع أن يقهر رب الأرباب . تحول رب الأرباب فجأة إلى صخرة ضخمة شاهقة غطت سطح الجزيرة على اتساعه . بدا سطح الجزيرة جبلا شاهقا . اختفت أيجينا خلف الجبل الشاهق . فشل أسوبوس فى العثور عليها .

علم زيوس بأمر سيسيفوس . هو الذى أفشى سر رب الأرباب – وأسرار الآلهة يجب أن تحفظ . غضب زيوس . صمم على الانتقام – وانتقام رب الأرباب شديد . طلب من شقيقه هاديس أن ينتقم له . كان هاديس حاكم عالم الموتى . يرسل هاديس إله الموت ثاناتوس(١٩) . فيقبض على روح الشخص ، وينقلها إلى العالم السفلى . فتصبح من رعايا هاديس . ذهب ثاناتوس إلى سيسيفوس(٢٠) . بناء على أوامر هاديس . استقبله

---

١٩ – ثاناتوس Θανατός ، هو الموت الذى لا يقبل الهدايا (أريستوفانيس ، الضفادع ، سطر ١٣٩٢) ، ذو القلب القاسى ، المكروه من الجميع حتى من الآلهة (هيسيودوس ، أنساب الآلهة سطر ٧٦٤) ، يرتدى ملابس سوداء (يوريبيديس ، ألكستيس ، سطر ٨٣٤ ، ويحمل سيفا (نفس المسرحية ، سطر ٧٦) ، أنجبته ربة الليل Nύξ (هيسيودوس ، أنساب الآلهة ، سطر ٢١٢) ، وهو شقيق إله النوم Ύπνός (هوميروس ، الالياذة ، الأنشودة الرابعة عشرة ، سطر ٢٣١) ، وهو أيضا العلاج الشاف لآلام البشر (يوريبيديس ، هيبولوتوس ، سطر ١٣٧٣) .

٢٠ – Sandys, Dictionary of Classical Antiqutics, s.v. Sisyphus.

سيسيفوس فى قصره بالترحاب . أكرم وفادته . استعطفه كى يؤجل مهمته إلى حين . رفض ثاناتوس بشدة . صمم على القيام بمهمته فى التو واللحظة . تظاهر سيسيفوس بالخضوع لرغبة ثاناتوس . سأله أن يقبل منه هدية متواضعة قبل أن يقبض على روحه ، قدم إليه سلسلة من الذهب الخالص . بها أزرار من الذهب الخالص أيضا . فرح بها ثاناتوس . وضعها على الفور فى ثيابه . استعد للقيام بمهمته . سأله سيسيفوس فى بلاهة زائفة وسذاجة مصطنعة :

هل تعرف . ياثاناتوس . كيف تستخدم هذه الأزرار الذهبية ؟

أجابه ثاناتوس بالنفى . سأله سيسيفوس فى أدب ظاهر :

هل تسمح أن أشرح لك كيفية استخدامها ؟

لم ينتظر سيسيفوس إجابة من ثاناتوس . مد يده على الفور . أخرج الهدية من بين طيات ثوب ثاناتوس . لم يعترض إله الموت . طلب سيسيفوس من ثاناتوس أن يمد يديه . مد إله الموت يديه فى هدوء . أحاط معصم اليد اليمنى بأحد طرفى السلسلة ، ثم أحاط معصم اليد اليسرى بالطرف الآخر من السلسلة . ثبت الأزرار الذهبية . فأحكم القيد حول يدى ثاناتوس . كان ثاناتوس فى ذلك الوقت معجبا بالهدية مُنْتَبِهًا إلى سيسيفوس وهو يشرح له كيفية استخدام الأزرار الذهبية . بعدئذ سأل سيسيفوس ثاناتوس فى دهاء ومكر :

هل تستطيع الآن . ياثاناتوس . أن تفك الأزرار الذهبية وتحرك يديك؟

لم ينتظر سيسيفوس — فى هذه المرة أيضا — إجابة من ثاناتوس . فر بسرعة البرق نحو الخارج . أغلق أبواب القصر . حاول ثاناتوس أن يفك قيده . لم يستطيع . اكتشف إله الموت أنه أصبح سجينا فى قصر سيسيفوس .

ظل هاديس ينتظر عودة ثاناتوس ومعه روح سيسيفوس . طال انتظاره . اشتد قلقه . ازداد غضبه واحتد عندما جاءه إله الحرب آريس شاكيا ثائرا . ماذا يفعل إله الحرب وقد اختفى إله الموت . هناك كثيرون قطعت رقابهم وبقرت بطونهم وبترت أطرافهم فى الحرب . كلهم يتعذبون . لأن إله الموت لم يدركهم . لم يقبض على أرواحهم . إنهم يتعذبون . إن عمل إله الحرب معطل منذ أيام .

علم آريس بقصة غياب ثاناتوس . ذهب إلى قصر سيسيفوس . وجد الأبواب مغلقة . حطم الأبواب . بحث عن إله الموت فى جميع قاعات القصر . أخيرا . وجده مقيدا سجينا فى حجرة نوم سيسيفوس . فك آريس قيد ثاناتوس . عاد إله الموت كسيرا إلى هاديس . . نهره رب العالم السفلى . أمره أن يخرج على الفور . وأن يضاعف ساعات عمله . حتى يستطيع أن ينجز ما تعطل من أعمال أثناء وجوده فى قصر سيسيفوس . أما الماكر سيسيفوس الذى خدع إله الموت وفر منه . فقد بحث عنه إله الحرب آريس . وأتى به إلى هاديس مقيدا مقهورا (٢١) .

جلس سيسيفوس فى عالم الموتى يفكر . لم يفقد الأمل فى النجاة . ذات يوم تسلل فى خفة وهدوء حتى وصل إلى مخدع برسيفونى زوجة هاديس . أخبرها أن آريس — إله الحرب هو الذى أتى بروحه إلى عالم الموتى . وأن زوجته ميروبى مازالت تترك جثته فى العراء . ذكرها أنه ليس من العدل أن يسمح لروح بالدخول إلى عالم الموتى مادامت جثة صاحبها لم تدفن بعد . كانت حجة سيسيفوس قوية . فلقد اعتقد الاغريق أن روح الميت لايسمح لها بالعبور إلى العالم الآخر إلا إذا دفنت الجثة . وصاحبت عملية الدفن شعائر جنائزية معينة . استعطف سيسيفوس برسيفونى . رجاها أن تسمح له — بصفة خاصة — أن يغادر عالم الموتى . أعربت برسيفونى عن عدم قدرتها على تلبية مطلبه . عاد وألح فى الطلب . طلب منها أن تمنحه ثلاثة أيام فقط . سوف يذهب خلالها إلى مملكته . سوف يعاقب زوجته التى لم تدفن جثته . سوف يطلب من أحد أقاربه أن يقوم بالمهمة بدلا منها . ترددت برسيفونى . وعدته أن تعرض الأمر على زوجها هاديس ، أقنعها سيسيفوس أنه يعتمد عليها . كرر رجاءه . تمادى فى الاستعطاف . أشفقت عليه برسيفونى . لكنها مازالت مترددة . أرادت أن تتحقق من صدق قول سيسيفوس . أرسلت رسولا إلى مملكة سيسيفوس . عاد الرسول يؤكد أن جثة الملك لم تدفن بعد ، وأن زوجته ترفض دفنها . غضبت برسيفونى من ميروبى .

٢١ — Pherekydes, frag. 119 (Jacoby).

أشفقت على سيسيفوس . سمحت له بمغادرة عالم الموتى لمدة ثلاثة أيام . أمرته أن يعاقب زوجته عقابا شديدا .

عاد سيسيفوس إلى وطنه . استقبلته زوجته ميروبى . شكرها سيسيفوس . أثنى على وفائها واخلاصها . لقد ساهمت ميروبى فى إنجاح خطة سيسيفوس . كان قد اتفق مع زوجته على عدم دفن جثته حتى تتيح له فرصة الهروب من عالم الموتى . هاهى ميروبى قد نفذت الاتفاق. خرج سيسيفوس إلى عالم الأحياء ، سوف لايعود إلى عالم الموتى (٢٢) .

جن جنون زيوس . لم يستطع أن يتحمل صفاقة سيسيفوس أكثر من ذلك . تذكر على الفور الإله هرميس . رسول الآلهة الماكر اللبق . تذكر إيضا أن هرميس هو والد أوتولوكوس . عدو سيسيفوس اللدود. أمر رب الأرباب هرميس أن يذهب إلى سيسيفوس . استخدم هرميس كل وسائله. استدرج سيسيفوس حتى أوصله إلى مملكة هاديس (٢٣) . هناك لم يتركه زيوس يفكر لحظة واحدة . وجد سيسيفوس فور وصوله قضاة عتاة لايعرفون الرحمة . لم يترك القضاة سيسيفوس يفكر لحظة واحدة . نطقوا بالحكم على الفور. الحكم الذى كان قد قرره زيوس من قبل ولقنه للقضاة (٢٤).

سوف يبقى سيسيفوس فى عالم الموتى إلى الابد (٢٥) . عليه أن يحمل على كتفه صخرة ضخمة شاهقة فى حجم جزيرة أيجينا . فى حجم الصخرة التى تحول إليها زيوس كى يهرب من غضب أسوبوس — عليه أن يحمل الصخرة الضخمة على كتفه . يحملها ويتسلق جانبا وعرا منحدرا لجبل شاهق حتى يصل إلى القمة . ثم يضعها فوق القمة .

٢٢ — Rose, Op. Cit., p. 294.

٢٣ — Theognis, 712 sqq.

٢٤ — Hyginus, fabula 38.

٢٥ — يرى باوسانياس (Pausanias, II, 2,2) أن قبر سيسيفوس كان واقعاً على مضيق الإسثموس، كما يرى سترابون (Strabo, 6, 21) أن محرابا مقدساً كان مقاماً لعبادته فوق قلعة كورنثا .

ثم تنفيذ الحكم فى التو واللحظة حمل سيسيفوس الصخرة الهائلة على كتفه . تسلق — فى عناء ومشقة — جانب الجبل الوعر المنحدر . وصل إلى القمة . حاول أن يضع الصخرة فوق القمة . لكنها اندفعت بقوة رهيبة . تدحرجت حتى وصلت إلى سفح الجبل . هبط سيسيفوس إلى سفح الجبل — بين ذرات الغبار وحبات العرق — ليحمل الصخرة على كتفه ويصعد بها من جديد (٢٦) . مازال سيسيفوس حتى الآن يحاول أن يضع الصخرة الضخمة فوق قمة الجبل الشاهق . ومازالت الصخرة الضخمة حتى الآن تندفع بقوة رهيبة من القمة حتى تصل إلى سفح الجبل (٢٧) .

تلك هى أسطورة سيسيفوس . قصة العذاب الأبدى . عرفت الأسطورة وانتشرت فى العصور القديمة والحديثة . حاول كل جيل أن يفسرها حسب معتقداته أو طريقة تفكيره . رأى البعض —فى بساطة — أن سيسيفوس يرمز إلى الإنسان الشرير الذى لابد أن يلقى جزاءه مهما حاول أن يهرب منه . فسرها البعض الآخر بأن الصخرة الضخمة ترمز إلى قرص الشمس . وأن الجبل الشاهق يرمز إلى دائرة الأفق . وبالتالى فإن الأسطورة ترمز إلى دورة الشمس الأبدية فى دائرة السماء (٢٨) . رأى أغلب الفلاسفة والمفكرين المحدثين أن سيسيفوس يرمز إلى البشرية بوجه عام . إلى كفاح الانسان اليائس من أجل الوصول إلى قمة رغباته . رأوا فى سيسيفوس بطلا مأساويا أو بطلاحقيقيا . فهو يعرف أن الحياة « عبث» لكنه يعمل حتى النهاية . لكن من أشهر الآراء التى ظهرت حول تفسير هذه الأسطورة هو رأى الفيلسوف الفرنسى المعاصر ألبرت كامى . نشر كامى فى باريس عام ١٩٤٢ مجموعة

٢٦ — يذكر هوميروس سيسيفوس أكثر من مرة . أنظر على سبيل المثال حاشية رقم ١٤ أعلاه وأنظر أيضا الأوديسا ، الأنشودة الحادية عشرة ، سطر ٥٩٣ حيث يشير هوميروس إلى عقاب سيسيفوس . لكنه لم يذكر السبب الذى من أجله أنزل زيوس به العقاب الأليم .

٢٧ — Scholiast on Homer's Iliad, I, 180; Pausanias, X, 31; Ovid, Metamorphoses, IV, 459.

٢٨ — Graves, Op. Cit., p. 219.

من المقالات بعنوان « أسطورة سيسيفوس » [٢٩] . وبالرغم من أن كامى يوافق على أن الحياة « عبث » فإنه يرفض أن يعتبر الانسان بطلا مأساويا أو بطلا حقيقيا . إذ أنه لايعلم أن عمله عديم الفائدة وأن الحياة فى ذاتها عبث .

إن سيسيفوس لايشعر أنه يقوم بعمل يائس — لأنه يأمل دائما أنه سوف يضع الصخرة الضخمة على قمة الجبل الشاهق وتظل فى مكانها . ولأنه لايعتبر أن الحياة عبث . يقول كامى : « إن الصراع من أجل الوصول إلى القمة كاف فى حد ذاته ليملأ قلب الرجل . لذلك يجب أن نعتبر سيسيفوس سعيدا » .

٢٩ – أنظر قائمة المراجع تحت اسم **A. Camus** . عبر ألبرت كامى (١٩١٣– ١٩٦٠) عن مذهبه الفلسفى « العبث » فى أعمال أدبية أخرى مثل مسرحية كاليجولا **Caligula** (كتبها عام ١٩٣٨ وعرضت لأول مرة عام ١٩٤٦) ومسرحية **Le Malentendu** (كتبه وعرضت لأول مرة عام ١٩٤٥) ، وأيضا فى كتاب بعنوان **L'Homme revolté** (أنظر قائمة المراجع) . فاز كامى بجائزة نوبل عام ١٩٥٧ .

نركسوس

ظلت إكو تردد المقاطع الأخيرة من كلمات نركسوس الغاضب وهى تندفع فى سرعة هائلة نحوه . لكنه ابتعد عن طريقها فجأة فى قسوة وغرور . عندئذ . هوت العاشقة البائسة على الأرض . أرتطم جسدها اللدن بالصخرة التى كان يجلس عليها نركسوس . لمس جبينها الناصع قدمىْ معشوقها القاسى . أحست إكو بطعنة نافذة فى قلبها المفعم بالحب . نهضت العاشقة المجروحة تجمع أشلاء كرامتها المتناثرة . انطلقت تعدو . بلا هدف . بعيدا عنه . . . .

نركسوس

بلاد الاغريق . بلاد الطبيعة الغناء والمناظر الخلابة . أراضيها ليست شديدة الخصوبة . تربتها ليست سمراء . لكن أمطارها غزيرة وشمسها ساطعة . ومناخها ملائم لنمو النبات . بلاد ذات طبيعة جبلية نادرة . مليئة بالقمم والوديان والمجارى المائية . تسقط الأمطار . فتنتشر الزرع والنماء . تنتشر الخضرة على شكل مدرجات . تتخللها الزهور البرية الجميلة . فتجذب الأنظار وتخلب الألباب . أنواع كثيرة من الزهور البرية تنتشر هنا وهناك ، تكسب المناطق الجبلية روعة وجمالا . وتزيدها بهجة وبهاء . زهور برية متعددة الألوان تمتد فى خطوط متعرجة وسط المروج الخضراء . تبدو فوق المرتفعات مثل قوس قزح وسط سماء صافية .

اشتهر الرجل الإغريقى بالأفق الواسع والخيال المتدفق . عرف بالسلوك البسيط والتفكير العميق . لاعجب فى ذلك . طبيعة بلاده هى السبب . بدأ الشعب الأغريقى منذ بدائيته فى تفسير الظواهر الطبيعية . بدأت الأساطير الأغريقية منذ عصور سحيقة تأخذ طابعا خاصا . أحس الإغريق أن كل شىء فى الكون لابد وأن يكون مرتبطا بالآلهة . أحسوا أن الخير والشر على السواء من صنع الآلهة . شخصوا كل شىء وكل ظاهرة على وجه الأرض ، وفى البحر ، وفى الفضاء . فالشمس إله . والقمر ربة . والكواكب والجبال والمحيطات والأنهار والبحيرات والأشجار والأزهار كلها آلهة أو أرواح أو حوريات أو أشخاص . لكل ظاهرة أسطورة تفسرها . لكل نبات قصة

تشير إلى أصله . بل حول كل زهرة نسج الخيال الإغريقى قصة تفسر أصلها وطبيعتها(١) .

زهرة النرجس واحدة من الزهور المنتشرة فى بلاد الاغريق منذ أقدم العصور . شدت انتباه الرجل الاغريقى بمنظرها الجميل وطابعها الحزين . نسج حولها قصة ظلت تتناقلها الأجيال جيلا بعد جيل .

* * *

نركسوس — وهو الاسم الإغريقى لنرجس — هو ابن إله النهر كفيسوس (٢) . احتضن نهر كفيسوس بشرايينه المائية المتعرجة حورية إحدى المروج الخضراء تدعى لبريوبى . قذف بمياهه المتدفقة فى جوفها الخصب فخرج إلى عالم الأحياء مولودا أسماه والداه نركسوس . وهبت الآلهة نركسوس منذ طفولته حسنا رائعا وجمالا أخاذا . نشأ نركسوس الجميل فى أحضان المياه الجارية والمروج الخضراء. لم يره أنسان أو إله دون أن يعجب بجماله . تخطى نركسوس مرحلة الصبا . أصبح فى ريعان الشباب . كان يزداد جمالا وبهاء كلما تقدم به العمر . أحبه رفاقه وأصدقاؤه أعجب به الذكور والإناث . كان نركسوس مدركا لجماله وطلعته البهية . كان يعرف أنه جدير بإعجاب الجميع وحبهم . لكنه كان لايتجاوب مع أحد من المعجبين به . كان يصدهم جميعا — ذكورا وإناثا — لم يكن يعرف الحب . لم يكن يقيم للعواطف وزنا . لكنه مع ذلك ظل محط أنظار الجميع ومركز إشعاع للسحر والفتنة .

من بين من أحبوا نركسوس وأعجبوا بجماله حورية تدعى إكو (إيخو) — وإيخو كلمة يونانية معناها الصدى — إكو فتاة رائعة الجمال . فائقة الحسن . متحدثة لبقة . تعرف كيف تدير دفة الحديث . تقدر على التأثير بحديثها على من يستمع إليها . طلقة اللسان . بارعة فى القول . عاشت

١ — Hamilton, Mythology, p. 86.

٢ — Sandys, Dictionary of Classical Antiquities, s.v. Narcissus.

إكو وسط المروج الخضراء . وعلى ضفاف البحيرات والغدران . كانت مولعة بالتحدث مع الرائح والغادى (٣) .

فى ذات يوم جلست إكو — كعادتها — فوق ربوة فيحاء تتأمل فى الرائح والغادى. رأت من بعيد كبير الآلهة زيوس فى صحبة حورية حسناء . ثم رأت هيرا — الزوجة الشرعية لزيوس — تسعى لاهثة وقد بدت على ملامحها علامات السخط والغضب. استوقفتها إكو . سألتها عن سبب سخطها وغضبها . علمت أنها تبحث عن زوجها زيوس . فقد نما إلى علمها أنه جاء إلى تلك المنطقة لمقابلة إحدى الحوريات . سألتها هيرا عن زيوس . إدعت إكو أنها لم تره فى تلك المنطقة قط . ظلت تتحدث مع هيرا فى صوت مسموع . أخذت تقص عليها قصصا مسلية . وكلما همت هيرا بمغادرة المكان لتبحث عن زيوس استوقفتها إكو وبدأت تروى لها قصة جديدة . كانت إكو حلوة الحديث . بارعة فى القول . قادرة على شد انتباه من يستمع إليها . ذهب عن هيرا غضبها وسخطها . هدأت نفسها . نسيت ماجاءت من أجله . ظلت هيرا تستمع فى شوق إلى أحاديث إكو .

غابت الشمس . أقبل الليل . امتلأت السماء بالنجوم . ومازالت هيرا تنصت إلى أحاديث إكو . فجأة لمحت هيرا زوجها زيوس وهو ينطلق من خلفها هاربا نحو مملكة الأولومبوس . انطلقت هيرا تطارده وقد عاد لهيب الغضب يلهب مشاعرها ونار الغيرة تأكل قلبها . إن هيرا قاسية لاترحم . عاقبت إكو عقابا شديدا (٤) . حرمتها حلاوة الحديث والقدرة على الكلام . لم تعد إكو قادرة على المبادرة فى الحديث . لكنها تستطيع فقط أن تردد بعض المقاطع الأخيرة من العبارات التى ينطق بها المتحدث (٥) . وهانحن

٣ — Hamilton Op. Cit., pp. 87-8.

٤ — هناك رواية أخرى تقول إن استسلام إكو ومطاردتها وسلوكها السلبى تجاهه هو السبب فى عقابها وفقدانها حلاوة الحديث : أنظر
Guerber, Myths of Greece And Rome, p. 96.

٥ — Sandys, Op. Cit., s.v. Echo.

حتى الآن نلاحظ أن الصدى هو ترديد بعض المقاطع الأخيرة من عبارات المتحدث . (٦)

* * *

ظلت إكو تعيش وسط المروج الخضراء . وعلى ضفاف البحيرات والغدران . ألفت حياة الصمت . واعتادت على عدم المبادرة بالكلام . لكنها كانت تزداد جمالا وحسنا بمرور الأيام . كانت تجلس كعادتها فوق ربوة فيحاء . تتأمل فى الرائح والغادى. تردد بعض المقاطع الأخيرة من العبارات التى ينطق بها المتحدثون . لكنها لم تكن تعجب بأحد سوى الشاب الوسيم نركسوس . كانت ترقبه فى غدواته وروحاته . تتبعه بنظراتها وهو يلهو ويمرح بين رفاقه وأصدقائه . لم تكن تجرؤ على الاقتراب منه . كانت تعرف أنه شديد الزهو بجماله ووسامته . كانت تعرف أنه لم يجرب نار الحب أو لوعة الهوى . كانت تعلم أنه لايستجيب لعبارات الغزل . لايستمع لأحاديث الحب . كيف إذن تظهر أمامه . تطلب وده . تطارحه الغرام . وهى غير قادرة على الكلام ! ! كيف تعبر عن حبها وغرامها له . وهى معقودة اللسان ! ! كتمت إكو سر غرامها . إكتفت بمراقبة نركسوس فى غدواته وروحاته . لم تكن تستطيع أن تفعل أكثر من ذلك (٧) .

فى ذات يوم خرج نركسوس بصحبة رفاقه وأصدقائه . خرجوا للصيد كعادتهم . أخذوا يتجولون وسط المروج الخضراء . بحثا عن فريسة ضالة يرشقون سهامهم القاتلة فى صدرها . ظهرت أمامهم فجأة عدة فرائس . إنطلق الرفاق خلفها . تفرقت الفرائس . إتجهت كل فريسة فى طريق . تفرق الرفاق على الفور. انطلق كل فريق وراء فريسة . اشتدت المطاردة . طالت فترتها . أخذ نركسوس يطارد فريسته فى سرعة هائلة . ظل يطلق سهامه القاتلة نحوها . أصابها فى مكان قاتل . خرت الفريسة . أصبحت ملك

٦ – Kupfer, Legends of Greece And Rome, pp. 46-9.

٧ – Graves, Greek Myths, Vol. I, pp. 286-88.

يديه . غمره السرور . أحس بحلاوة النصر . وقف ينتظر رفاقه ليشهدوا ببراعته فى الصيد . لم يحضر أحد . ظل يبحث عنهم على ضفاف البحيرات والغدران . ظل يتجول وسط المروج الخضراء . اكتشف نركسوس أنه ضل الطريق . وأصبح وحيدا بلا رفيق . لم يكن يعلم أن هناك عينا تتابعه بنظراتها . لم يكن يشعر أن هناك قلبا يلهث خلفه . لم يكن يعرف أن هناك روحا ترفرف من حوله أينما حل وحيثما سار . لم يكن يحس بوجود إكو ومتابعتها له طول فترة الصيد (٨) .

طال تجوال نركسوس . تعبت قدماه . جلس يستريح على حافة غدير . جلست إكو فوق ربوة عالية . تشاهد . فى إعجاب — حسنه وبهاءه . تنعم — فى صمت — بجماله ووسامته . شفتاها ترتعشان من شدة الرغبة . قلبها ينتفض فى صدرها . صدرها يعلو ويهبط — كصدر صياد يلهث خلف صيد ثمين . حدثتها نفسها أن تهبط إليه . وترتمى بين أحضانه . لكن شجاعتها خانتها . تذرعت بالصبر . إكتفت بإشباع عينيها . ظلت تلتهمه بنظراتها الجائعة وهو جالس على حافة الغدير .

* * *

طال إنتظار نركسوس . لم يحضر أحد من رفاقه . هم واقفا على قدميه . أخذ ينادى بأعلى صوته ، عسى أن يدركه واحد منهم . نفذ صبر إكو . لم تعد تحتمل أكثر من ذلك، أخذت تردد المقاطع الأخيرة من نداءاته التى لاتصل إلى آذان رفاقه .

— أنا نركسوس ؟

— نركسوس ؟

— أين أنت ؟

— أين أنت ؟

٨ – لا تربط معظم المصادر القديمة بين نركسوس وإكو . يبدو أن أول من فعل ذلك هو الشاعر الرومانى أوفيديوس Ovid, Metamorphoses, III, 341 sqq.

ـ أنا هنا بجوار الغدير

ــ بجوار الغدير .

ــ هل تسمعنى ؟

ــ تسمعنى .

ــ احضر إلى فورا .

ــ إلى فورا .

ــ أنا محتاج إليك .

ــ محتاج إليك .

هكذا ظلت إكو تردد نداءات نركسوس . ظن نركسوس أن واحدا من رفاقه يرد عليه . بدت على ملامحه إمارات الفرح والسرور . انفرجت أساريره . أزدادت ملامح وجهه الجميل جمالا . لم تستطع إكو أن تظل فى مكانها بعيدة عنه . بدأت فى الهبوط نحو الغدير . اتجهت نحو نركسوس وهى فاتحة ذراعيها (٩) . أنطلقت مسرعة والابتسامة على شفتيها والرغبة ملء عينيها . . وهى لم تزل تردد المقاطع الأخيرة من نداءاته التى لاتصل إلى آذان رفاقه .

ــ تعال .

ــ تعال .

ــ إننى أريد أن أراك .

ــ أريد أن أراك .

ــ أنا تائه أتوسل اليك .

ــ أتوسل اليك .

أقتربت إكو من نركسوس . وهى فاتحة ذراعيها . تريد أن تقبله .

---

٩ ــ Warner, Men And Gods, pp. 75-6.

تريد أن تحتويه بين أحضانها . قطب نركسوس جبينه . نظر إليها فى كبرياء وزهو وهو يقول .

ــ لا أريدك .

ــ أريدك .

ــ لا أرغب فى تقبيلك .

ــ أرغب فى تقبيلك .

ــ أموت قبل أن أشتاق إلى أحضانك .

ــ أشتاق إلى أحضانك .

هكذا ظلت إكو تردد المقاطع الأخيرة من كلمات نركسوس الغاضب وهى تندفع فى سرعة هائلة نحوه . لكنه ابتعد فجأة عن طريقها فى قسوة وغرور . عندئذ . هوت العاشقة البائسة على الأرض . إرتطم جسمها اللدن بالصخرة التى كان يجلس عليها نركسوس . لمس جبينها الناصع قدمى معشوقها القاسى . أحست إكو بطعنة نافذة فى قلبها المفعم بالحب . نهضت العاشقة المجروحة تجمع أشلاء كرامتها المتناثرة . انطلقت تعدو بلا هدف بعيدا عنه .

* * *

عاد نركسوس إلى رفاقه . ظل يلهو ويمرح كعادته. يصيب الفرائس فى أماكن قاتلة . ظل يجهز على فريسة بعد أخرى . ظل يغمره الفرح والسرور ويشعر بحلاوة النصر . لكن جرح إكو لم يندمل . ظلت تجلس ــ كعادتها ــ فوق الربوة الفيحاء تراقب نركسوس فى غدواته وروحاته . لكنها لم تتوقف لحظة واحدة عن التفكير فى كرامتها المحطمة . فى قلبها المجروح . فى المهانة التى لحقتها كأنثى . فى العار الذى قضى عليها . لم تتوقف لحظة واحدة عن الحزن والبكاء . لم يفارقها لحظة واحدة الاحساس بالندم . أصبحت مثار غضب الآلهة والربات ، أصبحت مثار سخرية جميع أفراد البشر . لم تعد زميلاتها الحوريات يحضرن لزيارتها

أو يرتضين مصاحبتها فى نزهاتهن . ذوى عودها النضر . ذبل جمالها الأخاذ . فنى جسدها اللدن . ذاب هيكلها فى الهواء وتناثرت رفاته بين موجات الأثير . اختفت إكو بجسدها عن الوجود . لم يبق منها سوى الصوت (١٠) : الصوت الذى يسمعه المتحدث مردداً المقاطع الأخيرة لحديثه (١١) .

إزداد زهو نركسوس مع الأيام . إزداد اعتداده بنفسه . لكن أفروديتا لم تكن تتخلى أبدا عن العاشقين المنبوذين . ولم تكن ترضى أبدا عن المتمردين على الحب . نادت إكو أفروديتا . لبت أفروديتا على الفور النداء . وعدتها بالانتقام من نركسوس وإن انتقام الآلهة لشديد .

* * *

ذات مرة . كان نركسوس يمارس هوايته المفضلة . أخذ يطارد فريسة ضالة (١٢) ، ويقذفها بسهامه القاتلة . قضى فترة طويلة يعدو تحت أشعة الشمس الحارقة — تعبت قدماه . اشتد به الظمأ . فجأة . وقع بصره على منطقة ظليلة يتوسطها غدير . إتجه فى لهفة نحو الماء . كانت الأشجار الباسقة من حوله تغمر المنطقة بالظلال . اقترب من الغدير . أحس بالهواء الرطب يمسح وجهه . ويجفف عرقه . ويبعث فى جسده رعشة لذيذة . انبطح نركسوس على الأرض الرطبة . مال بوجهه الجميل نحو صفحة الماء . شرب نركسوس . وارتوى . أحس بلذة غير عادية . شعر براحة لم يشعر بمثلها من قبل وهو منبطح على حافة الغدير . كانت مياه الغدير صافية وصفحتها ساكنة — مثل مرآة لامعة . همّ برفع وجهه من فوق سطح الماء.

١٠ — Ovid, Op. Cit., III, 341-401.

١١ — تذكر بعض المصادر القديمة (Longus, III, 23; Theocritus, Syrinx, 5). رواية مختلفة عن إكو : أعجب الإله بان بالفتاة إكو ، لكنها لم تستجب لحبه . لذلك أصاب بعض الرعاة بالجنون وأوحى إليهم بالهجوم على إكو ، فمزقوا جسدها إرباً إرباً ولم يبق سوى صوتها . هناك أيضا مصادر أخرى تروى أن إكو تجاوبت مع بان وأنجب منها طفلا يدعى يونكس Iynx (Scholiast on Lycophron, 310) أو طفلا يدعى يامبى Iambe (Etymologicum Magnum, s.v. Iambe) .

١٢ — Kupfer, Op. Cit., pp. 51-3.

فجأة رأى تحت الماء وجها بشريا رائع الجمال (١٣) . توقف نركسوس عن الحركة . تحجرت مقلتاه . ظل يحملق فى العينين الجميلتين تحت الماء . لاحظ أنهما أيضا تحملقان فى عينيه . ارتسمت على شفتيه ابتسامة عذبة رقيقة . ارتسمت على شفتى الوجه الجميل تحت الماء أيضا ابتسامة لاتقل عذوبة ورقة . أحس نركسوس بوخزة بسيطة فى صدره . لم تؤلمه . أحس برعشه خفيفة تسرى فى جسده . لم يحاول أن يعرف سببها . غادر المكان عائدا إلى بيته وهو يحس بشىء لايعرف كنهه (١٤) .

لم يذق نركسوس طعم النوم فى تلك الليلة . لم يعرف النعاس طريقه إلى مقلتيه . قضى الليل ساهرا . يفكر فى العينين الجميلتين اللتين رآهما تحت الماء . غادر فراشه مبكرا على غير عادته . ذهب إلى الغدير . أطل بوجهه الجميل على صفحة الماء الصافى الساكن . رأى الوجه الجميل تحت الماء يطل عليه . إنسحب إلى الوراء قليلا . تراجع الوجه تحت الماء فى نفس الاتجاه . لوح بيده الجميلة . رأى تحت الماء يدا تلوح له . حورية مائية وقعت فى حب نركسوس . حورية ليست ككل الحوريات اللاتى قابلهن من قبل . ترك نركسوس الغدير . عاد إلى بيته وهو يحس بشىء لايعرف كنهه .

أقبل الليل . ساد الكون صمت رهيب . ظل نركسوس ساهرا فى مضجعه لايفارق الوجه الجميل خياله . أحس برغبة شديدة للذهاب إلى الغدير . ذهب إلى هناك . تسلل فى هدوء حتى لايزعج صاحبة الوجه الجميل كان القمر يلقى بضوئه الفضى على صفحة الماء الصافى الساكن . عندما أحصبت سجية نركوس وعيناه فوق صفحة الماء . استولت عليه الدهشة . لاحظ أن صاحبة الوجه الجميل تنظر إليه من تحت الماء . يالها من عاشقة مخلصة . مازالت ساهرة مثله . تنتظر مجيئه فى سكون الليل . أدرك نركسوس

١٣ — Guerber, Myths of Greece And Rome, p. 97.

١٤ — Warner, Op. Cit., pp. 77-8.

أنه أحب . استعذب الحب . لوح بيده الجميلة لحسنائه . لوحت حسناؤه بيدها الجميلة من تحت الماء .

* * *

ظل نركسوس يتردد على الغدير فى الليل و فى النهار . يلوح بيده لمحبوبته من فوق الماء . تلوح له محبوبته من تحت الماء . يحييها . ترد التحية . يبثها عبارات الغزل الرقيق . تحرك شفتيها فتصل إلى سمعه عبارات غزل مماثلة . يمد يده فى الماء محاولا أن يمسك بحسنائه . لكن صفحة الماء تهتز وتختفى حسناؤه على الفور . ضاقت به الدنيا ، تملكه اليأس ، سيطر عليه الحزن . إنه يحب حسناءه ويعشقها . لكنها لاتبادله الحب . إنها تهرب منه . إنه عاشق منبوذ . . . . عاشق منبوذ .

لم يغادر نركسوس حافة الغدير . لم يتوقف لحظة واحدة عن النظر إلى صفحة الماء . قضى ليله ونهاره محاولا أن يمسك بحسنائه . لكنه لم يكن يتمكن من ذلك . ذوى عوده . ذبل جماله . أصبح كسيرا . ذليلا . لاتعرف الابتسامة طريقها إلى شفتيه . قضى عليه الحزن . فارق الحياة وهو يقول :

— وداعا . . وداعا . . يامن أُحب . . وداعا .

فارق الحياة وهو يسمع صوتا نسائيا عذبا يقول :

— . . يا مَنْ أُحبُّ وداعا . .

لم يكن الوجه الجميل الذى رآه نركسوس تحت الماء سوى صورة وجهه الجميل تنعكس على صفحة الماء الصافى الساكن . لم يكن الصوت العذب الذى سمعه سوى صوت إكو التى كانت تراقبه وتشهد عذابه وآلامه (١٥) . لم يكن الحب الذى استعذبه نركسوس سوى عقاب أنزلته عليه

١٥ — لا تذكر بعض المصادر القديمة أية علاقة بين نركسوس وإكو ، لكنها تذكر أسباباً مختلفة لموت نركسوس : لأنه كان سبباً فى موت رفيقه أمينياس Ameinias (Konon, narrat. 24, Jacoby, Vol. I, p. 197) ، أنه حزن حزناً شديداً بعد موت شقيقته التوأم التى كانت تشبهه تماماً فظل ينظر إلى وجهه على صفحة الماء وكأنه يرى وجه شقيقته . وهناك تفسيرات أخرى فى :
Rose, Greek Mythology, pp. 178-9 n. 14.

أفروديتا . لم تكن إكو قد تخلصت من حبها لنركسوس لكنها كانت تريد أن تنتقم لكرامتها المحطمة .

ألقت إكو نظرة أخيرة على جسد نركسوس ، الراقد على حافة الغدير ، وسط المروج الخضراء (١٦) . ثم انطلقت بعيدا عن المناطق المزروعة العامرة . عاشت ومازالت تعيش حتى الآن صوتا بلا جسد أو هيكل فى الأماكن الجبلية المقفرة . عاشت ومازالت تعيش وهى تردد المقاطع الأخيرة من عبارات مسافر أو عابر سبيل . أما نركسوس فقد أشفقت عليه الآلهة . وأعادته إلى الحياة . لكنه لم يعد بشرا كما كان من قبل . أصبح زهرة جميلة (١٧) . مظهرها يعبر عن الحزن . تنمو على ضفاف البحيرات والغدران . ووسط المروج الخضراء . عاد نركسوس إلى الحياة فى صورة زهرة مازالت حتى الآن تسمى زهرة النرجس (نركسوس) (١٨) .

* * *

تلك هى أسطورة نركسوس . الزهرة الجميلة . التى تنمو بالقرب من المجارى المائية فتمنح المناظر الطبيعية من حولها جمالا وبهاء . تلك هى قصة زهرة النرجس . التى يرى فيها الإنسان — حتى اليوم — تعبيرا عن الحزن . لقد رأى فيها القدماء نهاية كل شىء حتى (١٩) كانوا يعتبرونها رمزاً للموت

١٦ — Ovid, Metamorphoses, III, 402-510; Pausanias, VIII, 29, 4 and IX, 31, 6.

١٧ — قيل إن إكو — بالرغم من حبها الشديد لنركسوس — طعنت محبوبها بخنجر فى صدره ، فسالت قطرات من دمه على التربة فنبتت زهرة عرفت باسمه فيما بعد . قيل أيضا إن أهل منطقة خايرونيا اعتادوا استخراج دهان من زهرة النرجس كانوا يعالجون به بعض الأمراض . أنظر Pliny, Natural History, XXI, 75.

١٨ — Guerber, Op. Cit., p. 98

١٩ — يرى فريزر (Frazer, The Golden Bough, Vol. III, p. 94) أن هذه الأسطورة تفسير للفكرة التى كانت سائدة بين الاغريق وهى أنه كان هناك خطر كبير من التأثير السحرى الذى يصيب من يشاهد صورته فى المرآة .

والفناء (٢٠) . كانت زهرة موقوفة على عبادة إله العالم السفلى هاديس . كانت الحورية الأرضية برسيفونى تقطف أزهار النرجس عندما اختطفها هاديس واتخذها زوجة له فى عالم الموتى (٢١) . يروى أحد الأناشيد الهومبرية — نشيد ديميتر — أن زهرة النرجس نبتت لأول مرة من أجل إغراء برسيفونى كى تقع فى قبضة هاديس (٢٢) .

وردت قصة نركسوس وإكو بشيء من التفصيل عند الشاعر الرومانى أوفيديوس . ثم اشتهرت القصة وانتشرت انتشارا واسعا بين الأوروبيين منذ القرون الوسطى (٢٣) . تناولها عدد كبير من الأدباء . وعلى رأسهم جويلوم دى لوريس **Guillaume de Lorris** الذى عاش فى أوائل القرن الثالث عشر الميلادى. تناولها جويلوم فى بساطة ملحوظة . جعل من الحورية إكو مجرد « إكو » ، « امرأة عظيمة ما » . ولم يذكر أن نركسوس قد تحول بعد موته إلى زهرة (٢٤) .

فى العصور الحديثة اهتم أدباء الرمزية بقصة نركسوس اهتماما كبيرا . نذكر — على سبيل المثال — بول أمبرواز فاليرى (١٨٧١ — ١٩٤٥) ، الذى كتب فى وقت متأخر من حياته مجموعة من القصائد الرائعة تعرض

٢٠ — كانت برسيفونى ووالدتها ديميتر تضعان إكليلاً من أزهار النرجس :
Sophocles, Oed. Col. 682-4.

٢١ — Hamilton, Op. Cit., p. 87.

٢٢ — Hymn to Demeter, 5 sqq.

٢٣ — رأى الأوربيون فى العصور الوسطى فى قصة موت نركسوس رمزاً للفناء . فزهرة النرجس تنمو فى الصباح ثم سرعان ماتذبل . إنها رمز لزهو الأنسان الذى سرعان مايختفى ويذبل مع الأيام . de Boer, Ovid Moralisé, III, 1853 sqq. (Apud, Highet, Classical Tradition, p. 62).

٢٤ — Roman de la Rose, 1349-1510 (quoted by Highet, Op. Cit., p. 582 n. 64 and p. 68).

فيها لفكرة الموت . من أروع قصائد هذه المجموعة قصيدة بعنوان « شذرات من نركسوس » نظمها فاليرى فى عام ١٩٢٢ (٢٥) .

* * *

ازدادت شهرة قصة نركسوس عندما اتخذها واحد من أشهر علماء النفس فى العصور الحديثة موضوعا لإحدى نظرياته فى التحليل النفسى (٢٦) . فلقد اشتهر عالم النفس سيجموند فرويد (١٨٥٦ — ١٩٣٩) بدراسة الأساطير الأغريقية . وإعادة تفسيرها . وتحليل شخصياتها تحليلا نفسيا . ثم الخروج بنظريات أحدثت ضجة فى عالم التحليل النفسى . درس فرويد أسطورة أوديب . وخرج بنظرية عقدة أوديب . درس أسطورة بيت أتريوس . وخرج بنظرية عقدة الكترا . ودرس أيضا أسطورة نركسوس (نرجس) وخرج بنظرية النرجسية . لقد لاحظ فرويد أن التمادى فى الاعتزاز بالنفس والاعتداد بها والتمسك بحب الذات والتفانى من أجلها يؤدى إلى إنسلاخ الشخص — رجلا كان أو امرأة — عن المجتمع الذى يعيش فيه والابتعاد عنه . ويكون مصيره — حينئذ — الفناء أو الموت . ولم يجد فرويد مثالا يسوقه لإثبات نظريته سوى قصة الشاب الوسيم نركسوس الذى قضى حتفه بسبب حبه الشديد لذاته التى ظهرت له على صفحة الماء . لذا عرفت نظرية فرويد بنظرية النرجسية (٢٧) .

لم تقف شهرة قصة نركسوس عند هذا الحد . ولعلنا لاننسى فى هذا المجال الإشارة إلى مقال بعنوان أوسكار وايلد . كتبه الأديب الفرنسى المعاصر أندريه جيد (١٨٩١ — ١٩٥١) . فى هذا المقال يعتقد أوسكار

٢٥ — بول أمبرواز ڤاليرى **Paul Ambroise Valéry** ، من رواد الشعراء الرمزيين المحدثين الذين اتخذوا من الأساطيرالاغريقية رموزاً وموضوعات لأعمالهم الأدبية . من أهم أعمال ڤاليرى : The Young Fate (1917), The Pythian Prophetess, Fragments of Narcissus (1922) . راجع تفسير ڤاليرى لأسطورة نركسوس فى Highet, Op. Cit., p. 509.

٢٦ — راجع المقدمة ص ٥٩ أعلاه وما بعدها .

٢٧ — Highet, Op. Cit., pp. 523-525.

وايلد – طبقا لرواية جيد – « أن صفحة الماء قد أحبت نرجس حبا عنيفا لأنها استطاعت أن ترى جمالها وروعتها فى عينى نرجس » (٢٨) .

إن قصة نركسوس تصور نمطا من الأنماط البشرية عاش ومازال يعيش حتى اليوم . إنها تصور الشخص الذى يعجب بنفسه ويعتد بها . ويحب ذاته لدرجة تنسيه إعجاب الآخرين به وتنسيه أيضا إعجابه وحبه للآخرين . إن قصة نركسوس تعلم البشر أن من ينسى الآخرين سوف يأتى عليه يوم ينسى فيه نفسه . فيكون فى ذلك هلاكه المبين .

٢٨ – Ibid., pp. 525-526.

أدونيس

. . . مازال أدونيس حتى اليوم . يغادر عالم الموتى مع نهاية الشتاء . يصل إلى عالمنا مع قدوم الربيع . تستقبله الطيور فرحة مسرورة . تحتفل بقدومه الأزهار والورود . تخضر الأشجار على أختلاف أنواعها . تنشر أفرودیتا أمامه وحوله الزهور اليانعة والنباتات المثمرة . يسعد العالم بلقاء أدونيس مع ربة الجمال . لكن سعادته لاتطول . سرعان ما ينتهى فصل الصيف ويصبح الشتاء على الأبواب . سرعان ماتذبل الأغصان النضرة . وتتساقط أوراق الأشجار . وتختفى الأزهار . وتموت النباتات . وتجف أغصانها وجذورها . . . هكذا نعيش كل عام . ننتظر قدوم أدونيس مع بداية الربيع . ونودعه مع بداية الخريف .

ادونيس

أدونيس ، ارتبط اسمه منذ أقدم العصور بالزهور البرية والنباتات المثمرة . ارتبط اسمه بربة الجمال والفتنة أفروديتا . كان يراه الرجل الإغريقى فى الربيع المقبل . فى الصيف الراحل . فى الزهرة اليانعة . فى الشجرة المثمرة . نسج الإغريق حوله أسطورة ظلت باقية حتى الآن . ربطوا بينه وبين الجمال منذ ولادته حتى وفاته .

والد أدونيس هو كينوراس ملك قبرص (١) — كما تقول إحدى الروايات . وكان لكينوراس زوجة رائعة الجمال . أنجبت له ابنة فاقت والدتها جمالا وفتنة . عرفت الأساطير ابنة كينوراس باسم مورا (٢) . أحبت زوجة كينوراس ابنتها حبا جما . كانت تفخر دائما بجمال ابنتها الرائع . أشاعت أن لا نظير لجمالها على الأرض أو فى السماء . قيل لها إن أفروديتا هى أجمل ربات السماء وحوريات الماء . قيل لها إن أفروديتاهى أجمل من فى الوجود على الاطلاق . لكن زوجة كينوراس ركبت رأسها أنكرت بشدة أن ابنتها تقل جمالا عن أفروديتا . بل أنكرت بشدة أن أفروديتا تتساوى مع ابنتها فى الجمال . أصرت على أن ابنتها تفوق أفروديتا

١ - قيل أيضا (Hyginus, fabula 58). إن كينوراس كان ملكاً لسوريا ، وربما حدث هذا الخلط بسبب نشأة عبادة ادونيس (عبادة تموز) فى سوريا .

٢ - اختلفت الروايات حول اسم الملك : كينوراس Cinyras ملك قبرص أو فوينيكس Phoenix ملك بابل ، أو ثياس Theias ملك سوريا . كما اختلفت الروايات أيضا حول اسم ابنته : مورا Myhrra ، أو سمورنا Smyrna . راجع Graves, Greek Myths, Vol. 1, p. 69.

جمالا وفتنة . أساءت بذلك إلى أفروديتا . إن البشر يعبدون أفروديتا لأنها أجمل نساء الأرض جميعا . إن الآلهة تعجب بأفروديتا لأنها أجمل الربات جميعا . رفعت زوجة كينوراس راية العصيان . رفضت أن تصلى لأفروديتا. وصلت إلى أفروديتا إشاعات زوجة كينوراس . غضبت أفروديتا . احمرت وجنتاها الوَرديتان . قررت أن تنتقم من زوجة كينوراس .

إن زوجة كينوراس تحب زوجها وتعشقه . تغار عليه ممن حوله . تفرض عليه سياجا قويا يبعد عنه سحر المعجبات وتأثير العاشقات . لاتحتمل أن ترى أنثى تتحدث إليه . وكينوراس أيضا . يحب زوجته حب العبادة . يعشقها ويذوب فى عشقها . ينشرح صدره عندما يحس أن زوجته تغار عليه . يشعر بالزهو والفخار عندما يلاحظ أن زوجته تطارده فى كل مكان . أدركت أفروديتا أنه ليس من السهل عليها أن تنتقم من زوجة كينوراس . لكن الآلهة إذا أرادت شيئاً ، فلابد أن يكون . أخذت أفروديتا تفكر فى كيفية الانتقام . أخيرا هداها تفكيرها إلى خطة مروعة . بدأت فى تنفيذها على الفور . (٣)

* * *

ذات ليلة جاءت أفروديتا إلى مورا ابنة كينوراس . كانت حقا فتاة رائعة الجمال . قذفت أفروديتا بسهامها الدافئة نحو الفتاة . انتشر الدفء على الفور فى جسدها . أحست برغبة جارفة تسيطر على مشاعرها . لم تنم الفتاة فى تلك الليلة . ظلت تفكر فى رجلها المجهول . ثم جاءت أفروديتا إلى الفتاة

٣ – اهم من المصادر التى تذكر أسطورة أدونيس :
Apollodorus, III, 182-5; Hyginus, fabula 58, Ovid, Metamorphoses, X, 298 sqq. ; Servius on Vergil's Bucolics, X, 18 ; Servius on Vergil's Aeneid, V, 72, Antoninus Liberalis, 24; Bion, epitaphium Adonidis and the anonymous εἰς νεκρὸν Ἄδωνιν (Appendix, nos, X and XI in Wilamowitz-Moellendorf's Bucolici Graeci, Bibl. Class. Oxon.).

فى الليلة التالية . قذفت نحوها بسهام أخرى . ازداد جسد الفتاة دفئا عن الليلة الماضية . لم تنم الفتاة فى تلك الليلة أيضا . لكنها أصبحت تفكر فى رجل بعينه . تفكر فى والدها كينوراس ! ! هكذا أرادت أفروديتا أن تنتقم . أرادت أن تعشق الابنة والدها . وكان لأفروديتا ما أرادت . (٤)

حاولت مورا أن تكبت رغبتها المحرمة ، لم تستطع – أو هكذا أرادت أفروديتا . بدأت الفتاة الراغبة تهتدى إلى طريقة لتحقيق رغبتها المحرمة . ساعدتها فى ذلك وصيفة من وصيفاتها . تطوعت الوصيفة لتملأ كؤوس الشراب لسيدها . شرب الملك أكثر من المعتاد . لعب الشراب برأسه . أطفأت الوصيفة الأنوار . تسللت مورا . وارتمت فى أحضان والدها كينوراس . استعذبت العاشقة الملعونة أحضان معشوقها الملعون . فلم يكن لقاؤهما المحرم سوى نتيجة لعنة أنزلتها على الأسرة ربة الجمال والرغبة أفروديتا . تكرر اللقاء المحرم . كان الملك المخمور يعتقد أنه يلتقى بزوجته التى يعشقها . كانت الزوجة المغرورة غير مدركة لما يدور بين الوالد وابنته . أفاق الملك ذات ليلة على صوت زوجته وهى تناديه . اكتشف أنها ليست بين أحضانه . أدرك الحقيقة المروعة . استل سيفه الحاد . أراد أن يقتل ابنته الفاجرة . هربت الفتاة . أخذت تحاوره هنا وهناك . أخذ يطاردها فى كل مكان . كانت أفروديتا تراقب تطورات تلك المطاردة الرهيبة . أدرك الوالد الغاضب ابنته فوق قمة تل . هوى بسيفه بقوة شديدة فوق رأسها . لكن أفروديتا حولتها فى تلك اللحظة إلى شجرة باسقة . كانت ضربة الملك قوية شديدة . شطرت جذع الشجرة نصفين . خرج على الفور مولود كان فى رحم مورا . عرفت الشجرة منذ ذلك الوقت بشجرة المر (٥) . عرف المولود باسم أدونيس (٦) .

٤ – يروى هذه القصة بالتفصيل الشاعر الرومانى أوڤيديوس :
Metamorphoses, X, 298-559; 708-739.

٥ – لذا قيل إن المادة اللزجة التى تفرزها شجرة المر هى دموع تنهمر من أجل مصير أدونيس المؤلم Ovid, Op. Cit., X, 500 sqq. .

٦ – يروى أبولودوروس (Apollodorus, Biblioth., III, 183). أن أدونيس هو ابن ثياس Theias. الذى أنجبه من سمورنا Smyrna .

التقطت أفروديتا ابن الخطيئة أدونيس . نظرت إلى وجهه . أحست نحوه بإعجاب شديد . كان مولودا رائع الجمال . قررت أن تنقذه وتحافظ عليه . وضعته فى صندوق فاخر . ذهبت به إلى برسيفونى زوجة هاديس إله العالم السفلى . تركته أمانة لديها . طلبت منها ألا تفتح الصندوق . وعدتها برسيفونى بذلك . لم تستطع أن تفى بوعدها . غلبها حب الاستطلاع . فتحت الصندوق . أعجبت بأدونيس . عطفت عليه . تعهدته بالرعاية والعناية . تخطى أدونيس مرحلة الطفولة . وصل إلى مرحلة الصبا . ثم أصبح شابا يافعا . كان يزداد جمالا كلما مرت به الأعوام . أعجبت به برسيفونى . عشقته . وجدت فيه ضالتها المنشودة . كانت تحس بالسعادة وهى بين أحضانه (٧) .

علمت أفروديتا بالعلاقة بين أدونيس وبرسيفونى . أكلت نار الغيرة قلبها الرقيق . أرسلت إلى برسيفونى تطلب منها أن تعيد إليها أدونيس . جاءتها الإجابة بالرفض . ذهبت أفروديتا بنفسها إلى العالم السفلى . قابلت برسيفونى . سألتها أن تعيد إليها أدونيس . أصرت برسيفونى على الرفض . ثارت ثائرة أفروديتا . اشتد النزاع بين ربة الفتنة والجمال وربة عالم الموتى . طلبت كل منهما المعونة من كبير الآلهة زيوس . كان يعلم زيوس سبب النزاع بينهما . لم يرض لنفسه أن يفصل فى نزاع من هذا النوع . أحال الأمر إلى هيئة تحكيم برئاسة الحورية كاليوبى . حاولت كاليوبى أن تحكم بالعدل وجدت أن كلا من الربتين على حق فى مطلبها . أفروديتا هى التى هيأت الظروف لكى يولد أدونيس . برسيفونى هى التى تعهدته وحافظت عليه . من حق أفروديتا إذن أن تنعم بأدونيس . ومن حق برسيفونى أيضا أن تنعم بأدونيس . لكن من حق أدونيس أيضا أن ينعم بحياته الخاصة . على ذلك أصدرت كاليوبى حكمها . سوف يقضى أدونيس الثلث الأول من كل

٧ – Hamilton, Op. Cit., pp. 90-91.

عام فى صحبة برسيفونى والثلث الثانى فى صحبة أفروديتا . أما الثلث الثالث فسوف يقضيه أدونيس كيفما شاء وحيثما يرغب . (٨)

* * *

هكذا عاش أدونيس . كان يقضى الثلث الأول من كل عام فى عالم الموتى . فى صحبة برسيفونى . لم يكن يشعر بالسعادة معها . كان ينتظر فى شوق ولهفة موعد مغادرته للعالم السفلى . وعندما يعود إلى العالم الأرضى . تتلقفه أفروديتا . تنثر الزهور من حوله فى كل مكان (٩) . تهيىء له جوا سعيدا . تقدم له الفتنة والجمال . تسقيه كئوس الحب الخالص . تنسيه رفاقه وأصدقاءه . بذلك لم يكن يقضى بصحبتها ثلثا واحداً من كل عام بل ثلثين. وعندما يحل موعد عودته إلى برسيفونى ، كانت أفروديتا تودعه وداعا حارا . وتواسيه بعبارات حلوة تخفف عنه وطأة الحزن والاكتئاب .

كان أدونيس شابا وسيما . رشيقا . حلو الملامح . يفيض حيوية ونشاطا (١٠) . يهوى الرياضة وارتياد المناطق الخلوية يعشق الصيد وركوب الخيل . يقضى معظم أوقاته يطارد الخنازير البرية الضارية . يرشق سهامه فى صدورها . يرافقه مجموعة من كلاب الصيد الضخمة المدربة . لم تكن أفروديتا راضية عن هواية أدونيس (١١) . كانت تشعر بالقلق الشديد عندما

٨ – أنظر تفاصيل أخرى للأسطورة فى Rose, Greek Mythology, p. 125

٩ – يرى بعض المفسرين المعاصرين (Guerber, Myths of Greece And Rome, p. 168). أن أدونيس يرمز للزرع والربيع .

١٠ – اختلفت الروايات حول أطفال أدونيس الذين أنجبهم من أفروديتا : أنجب ولداً يدعى جوجلوس Golgos وهو مؤسس مدينة جوجلى Golgi فى قبرص ، أنجب أيضا أبنة تدعى بيروى Beroë وهى التى أسست مدينة بيرويا Beroea فى تراقيا . كما قيل أيضا إن بريابوس Priapus هو أبن أفروديتا من أدونيس وليس من ديونوسوس . : راجع : Diodorus Siculus, IV, 83; Apollonius Rhodius, IV, 914-19; Tzetzes, Lycophron, 831; Scholiast on Theocritus' Idylls XV, 100.

١١ – أنظر Guerber, Op. Cit., pp. 86-8. حيث لايذكر على الاطلاق علاقة الحب التى نشأت بين أدونيس وبرسيفونى ، ولايتعرض لمولد أدونيس أو نسبه .

يخرج للصيد . ولايفارقها القلق إلا إذا عاد معشوقها إليها سالما . كانت تحنو عليه . تحوطه بحبها ورعايتها . تدلله وتجيب كل مطالبه . لم يبعده كل ذلك عن ممارسة هوايته المفضلة . لم يثنه عن السعي وراء ذلك النوع العنيف من الرياضة . في النهاية . رضخت أفروديتا لرغبة معشوقها . لكنها لم تكن تستطيع أن تفارقه . كانت في أغلب الأحيان تترك عربتها المجنحة التي تنطلق بها عبر الأثير . . وترتدي ملابس الصيد . وترافق معشوقها الوسيم في رحلاته العنيفة ومغامراته الخطرة . كانت تخرج معه إلى الغابات. ترافقه وهو يتجول باحثا عن خنزير برى ضال . كانت تحرسه . وتحافظ عليه وتنقذه بوسائلها الربانية .

* * *

علمت برسيفوني بما تفعله أفروديتا بأدونيس . لاحظت أن أدونيس لم يعد مخلصا لها . كما كان من قبل . لاحظت أنه يفكر في أفروديتا أثناء وجوده بجوار برسيفوني . حاولت أن تستبقيه في العالم السفلي طول العام . لكنها لم تجد مبررا لذلك . عندئذ هداها تفكيرها إلى تدبير مكيدة . ترغمه بواسطتها على البقاء في العالم السفلي إلى الأبد . بثت من حوله العيون ، ظلت تراقبه في تجواله ورحلاته . سعت إلى إله الحرب آريس . كان آريس يعشق أفروديتا . أخبرت برسيفوني آريس أن أفروديتا قد فضلت عليه بشرا حقيرا. شرحت له أسباب عدم اهتمام أفروديتا به . أوغرت صدره . أشعلت نار الغيرة في قلبه . جعلته يحقد على أدونيس . أوعزت إليه أن ينتقم من منافسه . وأن يتخلص منه . أدخلت في روعه أن موت أدونيس معناه عودة أفروديتا إلى عشيقها السابق آريس .

عرف آريس بالعنف والصلابة والبأس الشديد . كان آريس هو الذي يشعل نار الحرب ويدفع البشر إلى القتال . كان الموت جزءا من وظيفته . تأثر آريس بتوسلات برسيفوني . اقتنع بضرورة القضاء على منافسه أدونيس . بدأ يفكر كيف يتخلص من ذلك الشاب الوسيم الذي استطاع أن يستحوذ على قلب ربة الفتنة والجمال . بدأ هو الآخر يبث العيون حول

أدونيس . يراقبه في جولاته ومغامراته . يتتبعه في الغابات والمناطق الخلوية . رأى بنفسه كيف تهيم به أفروديتا . كيف تحرسه وتدافع عنه . كيف ترافقه في الغابات والمناطق الخلوية .

ذات مرة . خرج أدونيس للصيد دون أن ترافقه أفروديتا على غير عادتها .أخذ يتجول في الغابة بحثا عن فريسة ضالة. طالت فترة تجواله دون جدوى. أدركه التعب من كثرة التجوال . أحس بقدميه غير قادرتين على حمله . شعر بدوار نتيجة الجهد الشاق الذي بذله أثناء رحلته . لم تعد يداه قادرتين على حمل السلاح . اشتد به الظمأ . أتى عليه الجوع . أخذ يبحث عن مكان يستريح فيه . عسى أن يسترد قوته ويلقي عن كاهله أعباء التعب الشديد . كانت ترافقه مجموعة من كلاب الصيد الضخمة المدربة . فجأة هبت كلاب الصيد من حوله . انطلقت مسرعة تنبح نباحا متواصلا. كان أدونيس في شبه غيبوبة من شدة الإرهاق . أفاق على حركة كلاب الصيد من حوله . عرف بخبرته أن فريسة ضالة قد اقتربت من المكان . انطلق أدونيس يعدو خلف كلابه . أخذ يعد سلاحه على عجل أثناء عدوه . استل سهما من جعبة يحملها فوق كتفه . وقع نظره على الحيوان الذي كانت تطارده كلاب الصيد . كان خنزيرا بريا ضخما . ظلت الكلاب تطارده في براعة فائقة . أحاطت به من جميع الجهات. ضيقت عليه الخناق . أطلق أدونيس سهما من سهامه القاتلة . نفذ السهم في صدر الخنزير البري . انطلقت من أعماق الحيوان صرخة عالية دوى صداها في أعماق الغابة الواسعة . تقدم أدونيس في ثبات نحو الفريسة . أراد أن يجهز عليها بخنجره . فجأة أدار الخنزير البري المفترس رأسه إلى الخلف في ضراوة وعنف . كشر عن أنيابه البيضاء . انقض على أدونيس . نشب الصيد أنيابه في فخذ الصياد. أخذ يشبعه عضا حتى مزق ملابسه وأصابه بجروح قاتلة (١٢) .

* * *

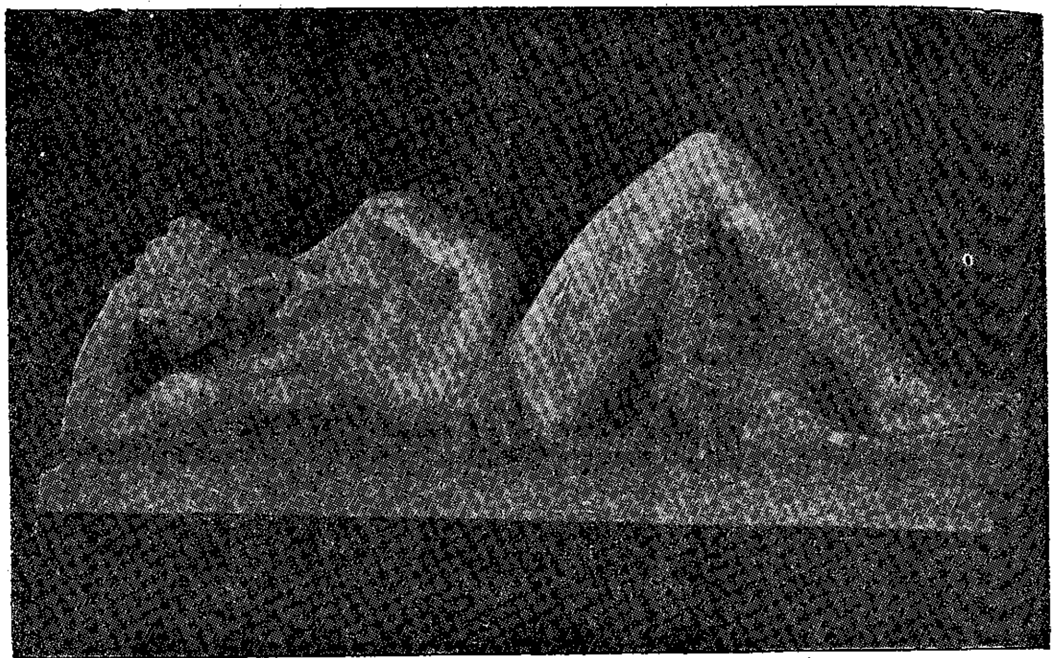
١٢ – هناك روايات مختلفة حول كيفية موت أدونيس : قتله خنزير بري ، قتله الإله هيفا يستوس حقداً عليه وغيرة منه ، قتله إله الحرب آريس متخفياً في هيئة خنزير بري (راجع : =

هوى أدونيس على أرض الغابة من شدة الإعياء . لم يكن فى حالة تسمح له بالمقاومة . أخذت الدماء تسيل من جروحه . اشتد به الألم . أخذ يتأوه ويئن أنينا مكتوما . سمعته أفروديتا وهى فوق عربتها المجنحة التى تنطلق بها عبر الأثير . أسرعت نحو مصدر الأنين . لمحته طريحا على الأرض مضرجا بدمائه . أخذت تعدو نحوه وهى تذرف الدمع الغزير . انكفأت فوقه تلثمه وتقبله وتحتويه بين أحضانها فى هلع وفزع . حاولت أن تضمد جروحه . لكن دماءه ظلت تسيل . أحست ببرودة شديدة تسرى فى جسده الممدد على الأرض . رأت بشرته الوردية يتحول لونها إلى الاصفرار . أدركت أنه يلفظ أنفاسه الأخيرة . طبعت قبلة على جبينه البارد الشاحب . نظر إليها فى إعياء . لم يكن يدرى أنها القبلة الأخيرة . لفظ أدونيس آخر أنفاسه وهو بين أحضان أفروديتا . كل قطرة من قطرات دم أدونيس تساقطت على الأرض تحولت على الفور إلى زهرة حمراء . كل دمعة من دموع أفروديتا تساقطت على الأرض تحولت إلى زهرة بيضاء . وهكذا انتشرت الزهور البرية الحمراء والبيضاء على حافة الغابات فى بلاد الاغريق .

مات أدونيس الذى عشقته كل من أفروديتا وبرسيفونى . مات أدونيس الذى تنازعته ربة الحياة وربة الموت[١٣] . انتصرت ربة الموت على الحياة . جاء هرميس ليقود روح أدونيس إلى عالم الموتى . استقبلت برسيفونى روح أدونيس بالترحيب . لكن الربة المنتصرة لم تكن تشعر بلذة الانتصار . فقدت قلب أدونيس إلى الأبد . ظل أدونيس مكتئبا . يفكر فى أفروديتا .

(Oxford Classical Dictionary, s.v. Adonis) أو قتله الإله أبوللون متخفياً فى صورة خنزير برى (راجع : Graves, Op. Cit., p. 70.)

١٣ – يرى بعض مفسرى الأساطير أن أسطورة أدونيس أسطوره شمسية (أنظر المقدمة ص ٤٨) . أدونيس يرمز إلى الشمس التى لايطول بقاؤها ، يقتل أدونيس الخنزير البرى الذى يرمز إلى روح الظلام ، ثم تبكيه وتحزن عليه أفروديتا التى لاتستطيع البقاء بدونه والتى ترمز هنا إلى الفجر الذى لايستطيع الانفصال عن الشمس . راجع : Guerber, Op. Cit., p. 352.



شكل (٧)

موت ادونيس

ظل يفكر فى الحياة وهو بين أحضان الموت . ذهبت أفروديتا إلى والدها زيوس كبير الآلهة . طلبت منه أن يعيد أدونيس إلى الحياة . شعر زيوس بالعطف نحوها . رغب فى أن يلبى طلبها . لكن هاديس إله العالم السفلى رفض الإفراج عن أدونيس . أصبح أدونيس من رعايا هاديس . أصبح الأمر حينئذ بين يدى هاديس . استعطفت أفروديتا والدها زيوس . توسلت إلى عمها هاديس . ضاع استعطافها هباء . ذهبت توسلاتها أدراج الرياح . أخيرا هددت أفروديتا بالانتحار. هددت بترك العالم الأرضى واللجوء إلى العالم السفلى . أصرت على البقاء بجوار معشوقها أدونيس مهما كلفها الأمر .

* * *

جمع زيوس مجلس آلهة الأولومبوس . تشاوروا فى أمر أفروديتا . كيف يصبح العالم الأرضى لو اختفى منه الجمال . كيف يكون مصير عالم البشر على الأرض وعالم الآلهة فى السماء لو فارقهما الجمال . سوف يصبح كل منهما عالما كئيبا قميئا لا حياة فيه ولا بهجة . عندئذ أصدر مجلس الآلهة قراره الحكيم . سوف يظل الجمال باقيا على الأرض . سوف تستمر الحياة بين سكانها . سوف لا يفارق الجمال عالم الآلهة أو عالم البشر . سوف يخرج أدونيس إلى عالم البشر ليقضى النصف الأول من كل عام . ثم يعود إلى العالم السفلى ليقضى النصف الآخر . . سوف يقضى الربيع والصيف فى عالم الجمال والحياة . ويقضى الخريف والشتاء فى عالم الكآبة والموت . لكنه سوف لا يخرج إلى عالم البشر فى صورة بشر كما كان . بل سوف يزور الأرض روحا يحس بوجودها كل من يحب الجمال ويعشقه .

ما زال أدونيس حتى اليوم يغادر عالم الموتى مع نهاية الشتاء . يصل إلى عالمنا مع قدوم الربيع . تستقبله الطيور فرحة مسرورة . تحتفل بقدومه الأزهار والورود . تخضر الأشجار على اختلاف أنواعها . تختفى البرودة القارصة . ينتشر الدفء اللذيذ . تنشر أفروديتا أمامه وحوله الزهور اليانعة والنباتات المثمرة . تنثر فى أطراف الغابات وعلى ضفاف البحيرات والغدران زهورا برية بيضاء وأخرى حمراء ونوعا ثالثا من الزهور البيضاء المزركشة

ببقع حمراء . يسعد العالم بلقاء أدونيس مع ربة الجمال . لكن سعادته لا تطول . سرعان ما ينتهى فصل الصيف ويصبح الشتاء على الأبواب . سرعان ماتذبل الأغصان النضرة . تتساقط أوراق الأشجار . وتختفى الأزهار وتموت النباتات . وتجف أغصانها وجذوعها . عندئذ تبكى أفروديتا ويبكى معها كل من يحب الجمال ويعشقه . إنها تودع أدونيس بعد أن قضى نصف العام بصحبتها . تودع أدونيس قبل أن يرحل إلى عالم الحزن والكآبة ليقضى هناك مع الموتى فصل الخريف والشتاء . وهكذا يعيش العالم فى كل عام ينتظر قدوم أدونيس فى بداية الربيع ويودعه فى بداية الخريف (١٤) .

أسطورة أدونيس شأنها شأن عدد كبير من الأساطير الأغريقية — ليست إغريقية الأصل طبقا لأغلب الأراء . وصلت أسطورة أدونيس إلى بلاد الإغريق من الشرق . فشخصية أدونيس عند الإغريق تقابل شخصية الإله تموز بين أهل بابل . اسم أدونيس نفسه لا يعدو أن يكون تحريفا بسيطاً لكلمة بابلية هي «أدون» وتعنى «السيد» (١٥) . ولا عجب فى ذلك . فلقد عرف أدونيس بين أهل فينيفيا باسم أدون بطل الأسطورة (١٦) . وهو روح من أرواح الزراعة . إنه يرمز إلى تعاقب الفصول الأربعة . وما يطرأ على النباتات والأزهار من تغيير (١٧) . تجسدت أسطورة أدونيس فى احتفال سنوى كان يعرف بأعياد أدونيس . أقيمت أعياد أدونيس لأول مرة فى سوريا — حيث نشأت عبادته (١٨) . ثم انتقلت تلك الاحتفالات من سوريا إلى بلاد الإغريق وآسيا الصغرى عن طريق جزيرة قبرص . ثم وصلت إلى

١٤ — أنظر تفسير أسطورة أدونيس كما يرويه أحد العلماء المعروفين فى مجال تفسير الأساطير على أنها تصور الدورة الزراعية : أى التفسير الطبيعى للأساطير (أنظر المقدمة ص ٤٨ أعلاه) Frazer, The Golden Bough, (The one-volume abridged edition), chapters 29-33.

١٥ — Adon أى «السيد» : Rose, Op. Cit., p. 124.

١٦ — Graves, Greek Myths, Vol. I, p. 72.

١٧ — Eusebius, Praeparatio Evanglica, III, 11.12.

١٨ — Sandys, Dictionary of Classical Antiquities, s.v. Adonis.

مصر أثناء الحكم البطلمى ، ثم إلى روما فى العصر الأمبراطورى . (١٩)

كان بالقرب من مدينة بابل نهر عرف باسم نهر أدونيس . كان ينبع نهر أدونيس من قمم جبال لبنان . وكانت مياهه تجرف أمامها حبات من الصخور وردية اللون (٢٠) . فتتحول مياه النهر إلى لون أحمر قان . عندئذ كان أهل بابل يعتقدون أن أدونيس قد قتل بواسطة الخنزير البرى فوق الجبل وأن دماء أدونيس هى التى أكسبت مياه النهر ذلك اللون الأحمر . كانت تخرج النسوة للبحث عن جثة أدونيس . فإذا ما وقع نظرهن على هيكل — سبق إعداده من قبل — حملنه وعاملنه كما لو كان جثة أدونيس . كانت النسوة تنفجرن فى البكاء والعويل ويؤدين شعائر جنائزية معينة (٢١) ثم يزداد بكاؤهن وترتفع صرخاتهن حتى تصل إلى عنان السماء .

فى بلاد الإغريق ، لم تكن أعياد أدونيس تتصف بنفس الأبهة والفخامة . ولم تكن تزخر بمشاهد البكاء الشديد والحزن البالغ كما كان يحدث فى الشرق . كان يكتفى الإغريق بحمل أصص فيها بعض أنواع معينة من الزهور . وكانت هذه الأصص يطلق عليها إسم . «حدائق أدونيس » (٢٢) . ثم بعد الانتهاء من الاحتفال يلقى الإغريق بحدائق أدونيس إلى الماء . أما فى العصر الهللينستى فكان لأهل مدينة الإسكندرية طريقتهم الخاصة فى الاحتفال بأعياد أدونيس .

١٩ — كانت أعيادأدونيس تقام فى أثينا أثناء القرن الخامس ق.م. فى شهر أبريل من كل عام . أما فى مصر أثناء عهد البطالمة فكانت تقام فى شهر سبتمبر من كل عام . ثم أصبحت تقام بعد ذلك أثناء عهد الإمبراطوزية الرومانية فى يوم ١٩ يوليو من كل عام . أنظر :
Oxford Classical Dictionary, s. v. Adonis.

٢٠ — Lucian, De Sirya Dea, 6-9.

٢١ — Theocritus, Idylls, 15.

٢٢ — حدائق أدونيس Ἀδώνιδος κῆποι . وصفت مصادر قديمة متعددة أعياد أدونيس منها : Plutarch, Nikias, 13; Aristophanes, Lysistrata, 388 sqq.; Hesychios, s.v.; Suidas, s.v. ; Plato, Phaedrus,, 276 B; Theophrastos, Historia Plantarum, VI, 7, 3; Idem, De Causis Plantarum I. 12, 2.

كانوا يعدون تمثالا رائعا مزينا أحسن زينة . يتركونه قبل الاحتفال بيوم واحد فى العراء فوق نعش فضى . ثم يحملونه يوم الاحتفال حتى يصلوا إلى شاطىء البحر . فيلقونه فى الماء وتجرفه الأمواج . وسواء فى بلاد الشرق أو الغرب فإن أعياد أدونيس كانت تقام فى الصيف حيث حرارة الشمس الحارقة (٢٣) .

٢٣ — إذ كان الهدف من أعياد أدونيس البكاء من أجل الصيف المنصرم ؛ أنظر :
Highet, Classical Tradition, p. 420.

أتالانتا

.. لكن آلهة الاغريق لم تكن تقنع بالانتصار ، كانت دائما مغرمة بالانتقام .ظلت أفروديتا ترشق سهامها الدافئة فى صدر أتالانتا . أحست العاشقة المقهورة بالرغبة تكوى جوانحها . طلبت من ميلانيون أن يصطحبها إلى قصره . بدت الرحلة طويلة فى نظر أتالانتا . لم تستطع العاشقة الانتظار حتّى تصل الى القصر . رأت على الطريق معبدا لكبير الآلهة زيوس . جذبت ميلانيون من يده . اتجهت نحو المعبد . دخلته . ارتمت بين ذراعى قاهرها . ضاجعها . ثم ضاجعها . ثم ضاجعها . نسيا أنهما فى مكان مقدس . أفاقا من نشوتهما . وجدا أنهما خرجا من صورة البشر الى صورة حيوان . لقد غضب منهما زيوس . فمسخهما أسدين . وأصبح كل أسد منهما غير قادر على مضاجعة الأسد الآخر .

أتالانتا

ملك من صغار الملوك الأغارقة (١) . نال من السعادة قسطا وفيرا . أخلص لشعبه . فأحبه الشعب . عاش لبلاده . فتقدمت البلاد . عشق زوجته . فعشقته . أخلص لها . فبادلته الحب والوفاء . حملت منه . أحس بفرحة شاملة . سوف تنجب له طفلا . ذكرا . يملأ حياته بالبهجة والسرور . سوف ينشىء الطفل نشأة طيبة . سوف يدربه على الصيد . يلقنه الشجاعة . يغرس فى نفسه الجرأة . سوف يجعل منه بطلا من أبطال العدو . سوف يفخر بجرأته وجسارته ، سوف يباهى الأمم بإقدامه وشجاعته . ولم لا ؟ أسوف لا يصبح وليا لعهده ؟ ووريثا لعرشه ؟ خليفة له من بعده ؟ أسوف لا يخلد اسمه على مدى الزمان ؟ ويحفظ ذكراه على مدى الأجيال ؟

هكذا تاه الملك فى غياهب الخيال . ظل ينتظر بصبر فارغ مولد ولده المنتظر . ظل يرقب فى شوق بالغ حلول ولى عهده الوشيك . واقتربت اللحظة الحاسمة .. كلما تألمت الزوجة ، تألم الملك . كلما علا صراخها . ازداد ألمه . أخيراً أطلقت الزوجة صرخة مدوية تبعها صمت رهيب . ثم تلاها صراخ خافت أنبأ بحلول المولود . ارتسمت على شفتى الوالد ابتسامة عريضة . ظهرت على ملامحه علامات السعادة . فجأة تغير كل شىء ... اختفت الابتسامة من على شفتى الوالد .

١ – قيل إن اسمه كان ياسوس **Iasus** بن لوكورجوس ، وإنه كان ملكاً على أركاديا ، وإن زوجته كانت تدعى كلومينى Κλυμένη ابنة ميناس **Minyas** (Apollodorus, III. 105). قيل أيضا إن اسمه كان سخوينيوس (Hesiod, frag. 20 Rzach)

بدت على ملامحه علامات الحزن والأسف . شعر بخيبة أمل لاحد لها . تبددت أحلامه . ذهبت مع الريح آماله . لم تنجب له زوجته ذكرا — أنجبت أنثى .

تحول حزن الملك إلى غضب شديد . صمم على التخلص من الأنثى . قرر أن يلقى بها فوق قمة جبل مقفر. بذا تلقى المولودة حتفها بعيدا عن أعين والديها . وكان للملك ماأراد .

ألقى أتباع الملك بالمولودة التعسة فوق قمة جبل بارثينيون — جبل مقفر بالقرب من كالودون . لكن الأقدار كانت أقل قسوة من الوالد . طلبت الأقدار من الربة أرتميس حماية المولودة التعسة . خفت الربة على الفور إلى قمة الجبل . ألقت نظرة شاملة على الغابة بأكملها . بما فيها من حيوانات ضارية . وقع نظرها على أنثى دب تجلس بجوار صغارها . رأت أثداءها منتفخة . لمحت الحنان فى عينيها وهى تلعق صغارها . بعثت أرتميس بسهامها الربانية فى قلب الدب. أصبحت الدب واقعة تحت تأثير الربة. تحركت الدب فى رفق . أخذت تتجول فى الغابة وكأنها تبحث عن شىء فقدته . وصلت إلى حيث ترقد المولودة التعسة . تقدمت نحوها . نظرت إليها والحنان يملأ قلبها . المولودة تصرخ . تحرك ذراعيها ورجليها التى انحسرت عنها ثيابها الفضفاضة . الدب تلعق فى حنان أطراف المولودة التعسة . تبعث بأنفاسها الدافئة حول جسدها الرقيق . تطوح بحلمات أثدائها المنتفخة فوق وجه المولودة الجائعة . مدت المولودة يديها الصغيرتين . أحاطت أحد أثداء الدب بكفيها . غرزت أناملها الرقيقة وكأنها تريد أن تضغط على الثدى . أخذت تحرك وجهها يمينا ويسارا . فى حركات عشوائية يائسة . وهى فاغرة فاها . اصطدمت حلمة الثدى بشفتيها الرقيقتين . التقطت الحلمة بين فكيها الخاليين من الأسنان . ظلت تمص الحلمة فى لهفة . وتزدرد لبن الدب بشراهة (٢) .

مضت الأيام . وأصبحت المولودة واحدة من صغار الدب . ترضع لبن الدب . تلهو مع صغارها . تحبو كما يحبوا الصغار . لكن الربة أرتميس لم تشأ أن تتركها على هذا الحال . ألهمت جماعة من الصيادين فاتجهوا إلى حيث

٢ - Hamilton, Mythology, pp. 174-5.

يوجد مرقد الدب الأم . أطلق الصيادون سهامهم نحوها . لاذت الدب بالفرار. أطلق الصغار سيقانهم للريح . أمسك الصيادون بالطفلة دون عناء . حملوها إلى ديارهم . قدموا الصلوات للربة أرتميس . لقد خرجوا للصيد . فوهبتهم ربة الصيد هدية . كان عليهم أن يتعهدوا هدية الربة بالرعاية والعناية .

مضت السنون . أصبحت هدية أرتميس فتاة يانعة . أطلق عليها ذووها اسم أتالانتا . نشأت تحب الصيد . وتجيد إصابة الهدف . أخذت تتدرب على العدو . أصبحت عداءة بارعة . تسبق الريح . لم يكن القوس يفارق يدها . لم تكن جعبتها تخلو من السهام . كانت الأولى دائما فى مسابقات العدو التى تقيمها القبيلة. عشقت صحبة الفتيان. لكنها كانت تنظر إلى صديقها الفتى نظرة الند للند . تشبهت بالفتيان فى ملابسهم وسلوكهم وتصرفاتهم . نذرت روحها وجسدها للربة أرتميس . ربة التقشف والصيد . شملتها أرتميس بالرعاية والاهتمام . وقفت بجانبها فى كل وقت وفى كل مكان .

ذات مرة خرجت أتالانتا كعادتها على رأس جماعة من الصيادين تبحث عن صيد ثمين . أخذت الجماعة تطارد الصيد . أخذت تنتقل بين الصخور . انتصف النهار ولم تزل الجماعة تطارد الصيد . فجأة وجد الصيادون أنفسهم بين صخور مقفرة ، لا ماء ، ولا زرع . أخذت أشعة الشمس تضرب رءوسهم بلا هوادة . استبد بهم العطش . جفت حلوقهم. فقدوا الأمل فى النجاة . ألقوا أسلحتهم فى يأس . استلقوا فوق الصخور فى إعياء شديد . لكن أتالانتا لم يفارقها الأمل لحظة واحدة . أخذت تنادى أرتميس بأعلى صوتها طفقت تطلب منها العون . استجمعت أتالانتا كل قوتها . ضربت الصخرة الملساء الصلبة برأس حربتها . فعلت ذلك بوحى من الربة أرتميس . حدثت المعجزة ، خرج ينبوع من الماء العذب من قلب الصخرة الجامدة . عادت الدماء تجرى فى أجساد الصيادين . دبت فيهم الحياة من جديد . استعادوا نشاطهم . امتشقوا أسلحتهم . عادوا إلى ديارهم يحدثون بنعمة أتالانتا وأفضالها (٣) .

٣ - Apollodorus, III, 9, 2.

توالت الأعوام . شاءت الأقدار أن يتعرف الملك على ابنته أتالانتا . سمع عن تفوقها على الفتيان فى العدو .عن مغامراتها التى تفوق فى روعتها مغامرات الأبطال . عن مآثرها وأفضالها وسجاياها الحميدة . لكنه . بالرغم من كل ذلك . رفض أن يفتح لها صدره . أو يعيدها إلى قصره . اكتفى بمتابعة أخبارها . والاطمئنان على أحوالها . لكن أتالانتا بدورها أرادت أن تثبت لوالدها أنها لاتقل عن الفتى فى شىء . أخذت تقوم بمغامرة كبيرة ، تلو مغامرة أكبر . حتى كانت مغامرتها الكبرى . الصيد الكالودنى .

* * *

كالودون . إحدى الممالك الصغيرة الواقعة فى منطقة أيتوليا . كان يتولى أمرها ملك عادل يدعى أوينيوس . تزوج أوينيوس من فتاة ورعة تدعى ألثايا . أنجبت له طفلا أسماه ملياجروس (٤) . ذات مرة . جلست ألثايا فى حجرة نومها بجوار المدفأة . تنشد الدفء لنفسها ولوليدها . جلست ألثايا تهدهد وليدها . تغنى له . نام الوليد على أنغام أغانيها الشجية . نظرت الأم إليه فى حنان ومودة . أخذت تدعو له بطول البقاء . حينئذ . شعرت بحركة غير عادية من حولها . سمعت صوتا أنثويا خافتا يناديها . اتجهت نحو مصدر الصوت . رأت ربات القدر يقتربن منها . وربات القدر هن اللاتى ينسجن أقدار البشر . يقررن مصير الإنسان . يحسبن عمر الفرد . ويحددن عدد السنوات التى سوف يعيشها . فجأة . ألقت أحداهن حزمة من الخشب فى المدفأة . وسرعان ما اشتعلت النيران فى حزمة الخشب . أدركت ألثايا أن عمر وليدها ملياجروس مرتبط بحزمة الخشب . وأن حياته متعلقة بها . لكنها لم تدرك إلى أى مدى يرتبط عمره بالحزمة . أو إلى أى حد تتعلق حياته بها . لم تتركها ربات القدر حائرة لفترة طويلة . نطقن على الفور بقرارهن . واختفين فى الحال . سوف يظل ملياجروس على قيد الحياة . سالما . آمنا . مادامت حزمة الخشب باقية لم تأت عليها النار . سوف يظل ملياجروس على قيد الحياة . سالما . آمنا . حتى تتحول حزمة الخشب إلى رماد .

٤ - Guerber, Myths of Greece And Rome, p. 241.

نظرت ألثايا إلى حزمة الخشب . وجدتها كائنة فى بؤرة اللهب . تحيط بها النيران من كل جانب . تلتهم النار أطرافها فى سرعة هائلة . فكرت فى الأمر . أدركت أن حزمة الخشب سوف تتحول إلى رماد بعد لحظات معدودات . أحست باللوعة والحزن . فسوف تفقد وليدها فى التو واللحظة . لكن المفاجأة لم تشل تفكيرها . فكرت فى الأمر من جديد . أدركت خطورة الموقف . لم يتطرق اليأس إلى نفسها . هدتها عاطفة الأمومة إلى فكرة نفذتها فى الحال . مدت ألثايا يدها فى المدفأة . خطفت حزمة الخشب المشتعلة من كل جانب . ألقت بها على الأرض . أحضرت إبريقا مليئا بالماء . أغرقت بالماء الأجزاء المشتعلة من حزمة الخشب . أحضرت صندوقا فخما . وضعت الحزمة فى الصندوق . أغلقت الصندوق جيدا . ووضعته فى مكان غير معروف لغيرها (٥) .

نجحت محاولة الأم ألثايا . وعاش الطفل ملياجروس . دربه والده على الصيد والرماية . أصبح ملياجروس أحسن هداف فى بلاد الأغريق . اتصف بالجرأة . اشتهر بالمروءة والشهامة . مد يد العون إلى كل منكوب . خف لمساعدة كل جيرانه . كان دائم الترحال . يجوب البقاع ويعشق الأسفار ، يبحث عن المتاعب ويسعى وراء المغامرات . أحس والداه بالسعادة ، سيطر عليهما الزهو والفخار .

ذات مرة . رحل ملياجروس إلى أرض بعيدة سعيا وراء مغامرة من مغامراته . استولى الخوف على والديه . أخذا يقدمان الصلوات لآلهة الأوليمبوس . يرجوان منها أن تعيد ولدهما إليهما سالما . وفى غمرة الخوف والجزع . نسيا ذكر واحدة من آلهة الأولومبوس. نسيا أن يذكرا الربة أرتميس . غضبت الربة . صممت على الانتقام . أرسلت خنزيرا بريا مفترسا إلى أرض كالودون . أخذ الخنزير البرى يعيث فى الأرض فسادا . يدمر المراعى والحقول . يفترس الماشية والأغنام . يهاجم أفراد الرعية الآمنين . حاول الملك أوينيوس القضاء على الخنزير البرى . لم يستطع . انتشر الفزع والرعب فى أرض كالودون .

٥ - Graves, Greek Myths, Vol. I, pp. 263-4.

عاد ملياجروس إلى وطنه . ساءه حال والده . أغضبه فزع الأهالى . قرر القضاء على الخنزير البرى المفترس . لم يكن يدرى حقيقة الأمر . لم يكن يدرى أن الخنزير البرى ليس إلارمزا للربة أرتميس . دعى ملياجروس خيرة شباب بلاد الأغريق وأمهر هدافيها . لبى عدد كبير دعوته . أتى كاستور وبولودوكيس من أسبرطة . إيداس ولونكيوس من ميسينى ، فنيوس من أثينا . بيريثوس من لاريسا ، ياسون من يولكوس ، أدميتوس من فيراى ، نستورمن بولوس ، ويوريتيون من فثيا ، إيفيكليس من طيبة ، أمفياراوس من أرجوس ، تلامون من سلاميس ، كاينيوس من منيسيا ، ثم أنكايوس وكيفيوس من أركاديا ، كما جاءت من أركاديا أيضا المغامرة الجريئة أتالانتا (٦) .

رحب أوينيوس بخيرة شباب بلاد الأغريق ، وأمهر هدافيها ، أقام المآدب تكريما لهم تسعة أيام بلياليها . أقام لهم معسكرا ضخما . بدأوا فى رسم خطة الهجوم على الخنزير البرى . اختلفت آراؤهم منذ اللحظة الأولى . اعترض أنكايوس وكيفيوس على وجود أتالانتا . من العار أن يكون بين صفوفهم امرأة — هكذا اعتقدوا . غضب ملياجروس . صمم على اشتراك أتالانتا . فقد أحبها من أول نظرة فأصبح حريصا على اشتراكها فى الصيد . وأتالانتا كانت حريصة على الاشتراك فى الصيد . لا لأنها أحبت ملياجروس . بل لأنها كانت تأمل فى الحصول على الجائزة التى وعد بها أوينيوس . فلقد وعد الملك أوينيوس أن يحصل قاتل الخنزير البرى على جلده وأنيابه فى احتفال مهيب : كان ملياجروس ينشد قلب أتالانتا . كانت أتالانتا تنشد جلد الخنزير وأنيابه .

هكذا بدأت عملية صيد الخنزير البرى . لم تكن هناك خطة متفق عليها بين الصيادين . لم تكن آراؤهم متفقة . لم يكن هدفهم واحدا . تسلح أمفياراوس وأتالانتا بالقوس والسهام . حمل الآخرون الرماح والحراب والبلط . تقدم الجميع بلانتظام نحو الغابة . حيث لجأ الخنزير البرى المفترس . تقدمت

٦ — Aelian, Varia Historia, XIII, 1; Callimachus, Hymn to Artemis, 216.

أتالانتا فى حرص شديد . شعرت بحركة من خلفها . أستدارت فى خفة ورشاقة . وجدت اثنين من الصيادين يتبعانها فى حذر . أومأت إليهما برأسها . ثم واصلت التقدم . ظل الصيادان يتبعانها . استدارت فجأة .. لمحت الغدر فى عيونهما . أرادت أن تتحدث إليهما . لكنهما اندفعا نحوها . أراد كل منهما أن يغتصبها . لقد اتفقا على ذلك . اندفعت تعدو بعيدا عنهما . اختفت بين الأحراش .. واعتلت ربوة مقابلة . لاحظت أنهما لايبحثان عن الخنزير البرى . تأكدت أنهما يبحثان عنها . صممت على مواجهتهما . هبطت نحوهما . اندفعا نحوها فى وحشية وشراسة . أطلقت نحوهما سهما تلو الآخر . صرعتهما فى الحال . واصلت تقدمها نحو الغابة . وكأن شيئا لم يحدث (٧) .

وجدت أتالانتا نفسها بالقرب من ملياجروس . عندئذ ظهر الخنزير البرى أمام الصيادين . تفرقت الجماعة بلا نظام . هاج الخنزير وعلا صياحه . هاجم اثنين من الصيادين . قتلهما . انقض على ثالث ، جرحه جرحا خطيرا . طارد نستور . فتسلق البطل شجرة عالية . أطلق ياسون حربته نحو الخنزير ، لكن لم يصبه . قذف صيادون آخرون حرابهم دون أن يصيبوا الهدف . تقدم تلامون وبيليوس نحو الفريسة . تعثرت قدم الأول فى جذع شجرة . حاول الثانى معاونة زميلة على النهوض . رآهما الخنزير البرى . هجم عليهما . أطلقت أتالانتا سهما استقر خلف أذن الوحش ، جعله يترنح . حاول أنكايوس أن يجهز عليه . لكنه أخطأ الهدف . صوب بيليوس رمحه نحو الوحش . لكنه أصاب زميله يوريتيون فأرداه قتيلا . اندفع الوحش نحو ثسيوس الذى قذفه بحربة طائشة . عندئذ أطلق ملياجروس سهما أصاب الوحش عند الكتف . أخذ الوحش يدور حول نفسه من شدة الألم . تقدم ملياجروس نحوه فى خفة . طعنه طعنة نافذة . سقط الوحش صريعا .

تجمع الصيادون حول الوحش الصريع . بدأ ملياجروس عمليه السلخ ونزع الأنياب . هم بتقديم جلد الخنزير وأنيابه إلى أتالانتا . إنها أول من أصاب الخنزير . ولو ترك وحده لمات بعد فترة وجيزة . هكذا قال ملياجروس .

٧ — Graves, Op. Cit., p. 265.

لكن خاله الأكبر بليكسيبوس أعلن معارضته لرأى ابن شقيقته . رأى أن ملياجروس هوالذى يستحق الجائزة . وإذا أراد أن يتنازل عنها . فيجب أن تئول إلى أكثر أفراد الجماعة احتراما وعظمة . أن تئول إليه شخصيا — إذ أنه خال ملياجروس ونسيب الملك أوينيوس . عضد الشقيق الأصغر شقيقه الأكبر ، فما كان من ملياجروس إلا أن قتل الشقيقين . ثم قدم الجائزة إلى أتالانتا . كان واضحا أنه قد وقع فى غرامها دون أن تدرى .

علمت ألثايا أن ولدها مليا جروس قتل شقيقها . غضبت منه غضبا شديدا . حزنت عليها حزنا جما . وفى غمرة الغضب الشديد والحزن الجم . أسرعت ألثايا نحو صندوق عتيق لم يكن مكانه معروفاً لغيرها . فتحت الصندوق . أخرجت حزمة من الخشب . ألقت بها فى المدفأة . اشتعلت النار فى حزمة الخشب من كل جانب . أتت النيران على حزمة الخشب أصبحت حزمة الخشب رمادا . أفاقت ألثايا من غضبها وحزنها . أدركت أنها قتلت ولدها مليا جروس (٨) . انتحرت . ألم تخبرها ربات القدر أن ولدها سوف يظل على قيد الحياة . آمنا . سالما . مادامت حزمة الخشب باقية لم تأت عليها النار ؟ ألم تخبرها ربات القدر أن ولدها مليا جروس سوف يظل على قيد الحياة . آمنا . سالما . حتى تتحول حزمة الخشب إلى رماد ؟ (٩)

* * *

لم تكن نهاية مغامرة الصيد الكالودونى سوى بداية مغامرة أخرى بالنسبة لأتالانتا (١٠) . فلقد أثبتت أتالانتا لوالدها أنها لاتقل عن الفتى فى شىء . بل أثبتت أيضا أنها قد فاقت رجالا وأبطالا لاحصر لهم . عندئذ فتح والدها

٨ — Apollodorus, I, 64 sqq. ; Ovid, Metamorphoses, X, 273 sqq.

٩ — مليا جر **Meleager** أيضا بطل شمس **a solar hero** هكذا يرى أصحاب المذهب الشمسى فى تفسير الأساطير (راجع المقدمة ص ٤٧ أعلاه ، أنظر : Guerber, Op. Cit., p. 356.

١٠ — Hamilton, Op. Cit., pp. 175-77.

لها صدره . ورحب بها فى قصره . إلتأم شمل الأسرة بعد فراق طويل . بعدئذ . تقدم إلى والدها خيرة شباب الأغريق . يطلبون الزواج من أتالانتا . رحب الوالد . أما هى . فكانت عازفة عن الزواج . كارهة له . لكنها — تحت إلحاح والدها — رضيت أن تلبى مطلبه . وضعت شرطا واحدا . سوف تسابق كل شاب يتقدم للزواج منها . فإن سبقها تزوجها . وإن سبقته قتلته (١١) . كانت كل يوم تسابق شابا ، وتسبقه ، ثم تقتله . وجدت لذة فى ذلك . كانت تقدم ضحاياها قرابين لربة الصيد أرتميس . كانت بذلك تتحدى ربة الحب والرغبة أفروديتا .

أصبحت قصتها تروى على كل لسان . أتى إليها شبان مغامرون من كل مكان . لم يستطع شاب واحد أن يقهرها . لم يستطع شاب واحد أن يفوز عليها فى العدو . أخيرا . تقدم إليها شاب يدعى ميلانيون (١٢) . كان عداءاً بارزا . سريع القدمين . كان فى نفس الوقت ماكرا واسع الحيلة . جاء إليها وهو يخفى بين ثنايا ثوبه ثلاث تفاحات ذهبية . حصلت الربة أفروديتا على تلك التفاحات الثلاث من حديقة الربة هيرا بواسطة الهيسبريديات . لجأ ميلانيون إلى الربة أفروديتا يطلب العون . سارعت الربة أفروديتا لمعونته . والسبب واضح . أفروديتا هى ربه الحب والرغبة . أرتميس هى ربة الزهد والتقشف . أفروديتا تشجع كل راغب فى العشق . أرتميس تساعد كل زاهد فيه . كان من الطبيعى — إذن — أن تغضب أفروديتا من أتالانتا . وأن تسعى للانتقام منها . لذا . أسرعت أفروديتا لمساعدة ميلانيون . منحته التفاحات الذهبية الثلاث .

بدأ السباق بين أتالانتا وميلانيون . ظهر منذ اللحظة الأولى تفوق أتالانتا . لكن ميلانيون كان واثقا من الفوز . أخرج ميلانيون إحدى التفاحات الثلاث من بين ثنايا ثوبه . ألقى بها فى طريق أتالانتا . تدحرجت التفاحة الذهبية على الأرض تحت أشعة الشمس . بعثت بريق لفت نظر أتالانتا . أعجبت بالتفاحة .

١١ — تروى بعض المصادر القديمة **(Hyginus, fabula 185)** أن أتالانتا كانت إذا لحقت بالمتسابق أطلقت نحوه سهما أرداه قتيلا .

١٢ — Guerber, Op. Cit., p. 242.

أرادت الحصول عليها . ترددت . هدأت من سرعتها . انحنت نحو الأرض . اختطفتها فى سرعة وخفة . تنبهت . فوجدت أن ميلانيون قد أصبح بجوارها فى السباق بدأت تطلق ساقيها للريح من جديد . أخرج ميلانيون على الفور التفاحة الذهبية الثانية . ألقى بها فى طريق أتالانتا . بعثت التفاحة ببريق لفت نظر أتالانتا . ظنت المتمردة على العشق أن التفاحة سقطت من يديها أثناء العدو . تحسست التفاحة بيديها . تأكدت من وجودها ، وفى نفس الوقت تحققت من روعتها . التفتت إلى التفاحة المتدحرجة على أرض السباق . ترددت . هدأت من سرعتها . انحنت نحو الأرض . التقطت التفاحة الثانية . تنبهت . فوجدت أن ميلانيون قد لحق بها وأصبح بجوارها . أطلقت ساقيها للريح . وهى تحمل تفاحة فى كل من يديها . أخرج ميلانيون التفاحة الثالثة من بين ثنايا ثوبه . ألقى بها . . فى هذه المرة . نحو الجانب البعيد من أرض السباق . تدحرجت التفاحة فى سرعة هائلة . أخذت تبعث ببريق لفت نظر أتالانتا . لم تتردد أتالانتا فى هذه المرة . طفقت تعدو خارج أرض السباق تريد اللحاق بالتفاحة الثالثة . انحنت نحو الأرض . التقطت التفاحة الذهبية . فردت كفيها الصغيرتين حتى تحتويا التفاحات الثلاث . ثم ضمت يديها نحو صدرها اللاهث . احتضنت التفاحات الثلاث . وبدأت تعود لمواصلة السباق . لكن ميلانيون كان قد سبقها نحو نهاية المسافة .

وقف ميلانيون عند نهاية المسافة . فارداً ذراعيه . مستقبلا زوجته أتالانتا . اندفعت أتالانتا نحو ميلانيون . ارتمت بين ذراعيه (١٣) . لم تكن التفاحات الثلاث الذهبية سوى سهام ربانية غرستها أفروديتا فى صدر المتمردة على العشق . انتصرت أفروديتا . انتصرت الرغبة (١٤) . لكن

---

١٣ – قيل إن ميلانيون **Milanion** أو ملانيون **Melanion** هو الذى أحبها ، قيل أيضا إن من أحبها كان يدعى هيبومينيس **Hippomenes** راجع :
Propertius, I, 1, 9; Apollodorus, III , 105.

١٤ – تروى بعض المصادر القديمة **(Propertius, Loc. Cit.)** أن ميلانيون فاز بقلب أتالانتا دون أن يدخل معها فى سباق ، بل اشترك معها فى عملية من عمليات الصيد .



شكل (٨)

أتالانتا والتفاحات الذهبية

آلهة الاغريق لم تكن تقنع بالإنتصار . كانت دائماً مغرمة بالانتقام(١٥) . ظلت أفروديتا ترشق سهامها الدافئة فى صدر أتالانتا . أحست العاشقة المقهورة بالرغبة تكوى جوانحها . طلبت من ميلانيون أن يصطحبها إلى قصره . بدت الرحلة طويلة فى نظر أتالانتا . لم تستطع العاشقة الانتظار حتى تصل إلى القصر . رأت على الطريق معبداً لكبير الآلهة زيوس . جذبت ميلانيون من يده . أتجهت نحو المعبد . دخلته (١٦) . ارتمت بين ذراعى قاهرها . ضاجعها . ثم ضاجعها . نسيا أنهما فى مكان مقدس . أفاقا من نشوتهما . وجد أنهما خرجا من صورة البشر إلى صورة الحيوان .لقد غضب منهما زيوس . فسخهما أسدين . وأصبح كل أسد منهما غير قادر على مضاجعة الأسد الآخر .

تلك أسطورة أتالانتا . أسطورة قديمة . ذكرها بإيجاز الأدباء الأغريق والرومان ،ولكنها وردت بالتفصيل عند الكتاب المتأخرين ،وخاصة أوفيديوس وأبوللودوروس (١٧). روى هيسيودوس قصة السباق والتفاحات الذهبية(١٨) وصف هوميروس فى الإلياذة عملية الصيد الكالودونى (١٩) . اختلفت الآراء حول نسب أتالانتا وموطنها . فالبعض يروى أن والدها كان ياسوس أوياسيوس ابن لوكورجوس . وأنه كان ملكا على أركاديا . وأن والدتها كانت كلومينى ابنة مينياس . ويروى البعض الآخر أن والدها كان مخوينيوس بن أثاماس وكان موطنه بيوتيا(٢٠) . كما يرى البعض أن من قهرها فى السباق كان

---

١٥ – قيل إن ميلانيون – بعد أن فاز فى السباق وفاز بقلب أتالانتا – نسى أن يتوجه بالشكر إلى أفروديتا التى ساعدته ، لذلك انتقمت منه . راجع
Ovid, Metamorphoses, X, 681 sqq.

١٦ – Apollodorus, III, 108; Hyginus, Op. Cit., Ovid. Op. Cit., X, 686.

١٧ – Apollodorus III; Ovid, Op. Cit., X.

١٨ – Hesiod, frag. 218.

١٩ – راجع هوميروس (Iliad, IX, 527 sqq.; cf. ibid. II, 642). الذى يروى قصة الصيد الكالودونى دون أن يذكر أتالانتا .

٢٠ – تروى بعض المصادر القديمة أنه كانت توجد بطلتان بنفس الاسم (أتالانتا)

يدعى هيبومينيس وليس ميلانيون . ذكرها بعض الرواة ضمن الأبطال الذين اشتركوا فى رحلة السفينة أرجو . وذكر آخرون معبد الربة أفروديتا أو معبد الربة الأم كوبيلى على أنه المكان الذى ضاجع فيه ميلانيون أتالانتا . كما ذهب بعض الرواة إلى أن أتالانتا تزوجت قبل ميلانيون وأنجبت ذكرا يدعى بارثينوبايوس(٢١) . وكان فيما بعد أحد القادة السبعة الذين هاجموا مدينة طيبة (٢٢) .

لكن اختلاف الروايات أمر شائع فى الأساطير . بل إنه دليل على انتشارها وشهرتها بين الشعوب المختلفة وخلودها على مدى الأجيال .

* * *

واحدة من أركاديا والثانية من بيوتيا . لكن من المرجح أن الاساطير كلها تشير إلى بطلة واحدة تحمل ذلك الاسم بالرغم من أختلاف الموطن وأسماء الوالدين . راجع
Rose, Greek Mythology. p. 259.

٢١ – قيل إنها أنجبت بارثينوبايوس من مليا جروس Hyginus, fabula 99.

٢٢ – Graves, Op. Cit., p. 266.

دايدالوس

. . جمع دايدالوس مجموعة من ريش الطيور . صنع منها جناحين كبيرين . ثم ربط الجناحين فى كتفى إيكاروس . ثم صنع جناحين آخرين . وربطهما فى كتفيه . أصبح كل من الوالد والولد يحمل فوق ظهره جناحين مثل أجنحة الطيور . استخدم الخيوط فى تثبيت مجموعة من الريش حتى تأخذ شكل الجناح . ثم استخدم الغراء فى لصق الجناحين ببعضهما . كما استخدمه أيضا فى تثبيت بعض الريش الصغير . أصبح كل من الوالد والولد ذا جناحين مثل الطيور . أصبح كل منهما قادرا على الطيران مثلما تفعل الطيور . شرح دايدالوس لولده كيف يحرك جناحيه . كيف يرتفع عن الأرض . كيف يركب الهواء . ويطير فوق اليابس والماء . دربه كيف يغير اتجاه جسمه يمينا ويسارا . كيف يتحكم فى تحديد ارتفاعه عن مستوى سطح البحر .

دايدالوس

فنان أصيل . صانع ماهر . مبتكر بارع . ذو خيال خصب وعقل مفكر ، ابتكاراته لاحصر لها . تصميماته ومشروعاته لم يستطع الزمان أن ينساها . أقام فى صقلية أول خزان يحفظ مياه نهر ألابون . أقام فى سيلينوس أول حمام بخار . صمم أول قلعة بالقرب من أجريجنتم . أنشأ أول بهو لمعبد أفروديتا فوق جبل أروكس . (١)

هو النجار الأول . قدّ من الحديد أول منشار . صنع أول بلطة . صمم الفادن (ميزان استقامة البناء) والمثقاب . اكتشف الغراء . ابتكر شراع السفينة وقلاعها . صنع الكراسى والمقاعد الخشبية التى يمكن طيها وفردها (٢) .

هو المثال الأعظم . صنع قرص الشهد الذهبى فى معبد أفروديتا فوق جبل أروكس . أقام تماثيل رائعة . ومعابد فخمة فى بلاد الإغريق وإيطاليا . صنع أول دمية متحركة . تفتح عينيها وتغلقها . تسير على رجليها . تحرك ذراعيها .

هو الطيار الأول . أول من صنع أجنحة للإنسان . أول من طار فى الهواء . وعلم غيره الطيران .

ذلك هو دايدالوس .

اختلفت الروايات حول نسبه . قيل إن أمه كانت تدعى ألكيبى .

---

١ – Diodorus Siculus IV, 78.

٢ – Pausanias 1, 27, 1.

أو ميروبي ، أو إيفينوى . اختلف الرواة حول تسمية والده [٣] . اتفق الجميع على أنه سليل الأسرة المالكة فى أثينا التى انحدرت من الملك الأسطورى العظيم أوبخثيوس [٤] .

علمته الربة أثينة فأحسنت تعليمه . لقنته الفنون والصنائع . دربته على استخدام عقله ويديه . وهبته قريحة خلاقة . أصبح بدوره معلما ومدربا [٥] . أرسل إليه معاصروه أبناءهم . تتلمذ عليه أشخاص كثيرون . دربهم فأحسن تدريبهم . لم يستطع أحد من تلاميذه أن يباريه فى فنه أو صنعته . كان له شقيقة تدعى بولوكاستى . أنجبت ولداً أسمته تالوس أو — فى رواية أخرى — برديكس . عهدت بولوكاستى لى شقيقها بتدريب ولدها . طفق يعلمه ويدربه منذ طفولته . تفوق التلميذ على معلمه ولم يكن التلميذ قد تجاوز الثانية عشرة من عمره . ذات يوم كان تالوس يسير على شاطىء البحر . داس بقدمه شيئا مدببا صلبا . شعر بألم شديد . انحنى والتقطه . كان عمودا فقريا لسمكة ضخمة أو — فى رواية أخرى — عظمة فلك حية مهول . التقط فرع شجرة جاف . أخذ يحك بالعمود الفقرى فرع الشجرة . استطاع أن يقطع فرع الشجرة إلى جزئين . أسرع التلميذ إلى خاله ومعلمه يخبره باكتشافه . فرح المعلم بحدة ذكاء ابن شقيقته وتلميذه . طور المعلم ماابتكره التلميذ . أتى بقطعة من الحديد . صنع لها حافة حادة مسننة تشبه عظمة الفك بأسنانها الحادة . استعملها فى قطع الأخشاب . انتشر استعمال هذه الآلة . هكذا ظهر المنشار لأول مرة .

واصل التلميذ تالوس اكتشافاته البارعة . ابتكر عددا من الآلات

---

٣ — Apollodorus, III, 15, 8; Plutarch, Theseus, 19; Hyginus, fabula 39.

٤ — أنظر Pherekydes, I, 146 Jacoby، قيل أيضا (Pausanias, IX, 3, 2) إن والده يدعى يوبالاموس Eupalamus. وتعنى «اليد الماهرة» .

٥ — ربما من أجل ذلك اعتقد — أو ادعى — الفيلسوف سقراط أنه من نسل دايدالوس الذى ينتسب بدوره إلى الإله هيفايستوس، راجع . Plato, Ion, 533 a; Alcibiades, I, 121 a; cf. Meno, 97d .

والمعدات . ابتكر القرص الدائر فصنع بواسطته الأوانى الفخارية . ابتكر الفرجار فأصبح قادرا على رسم الدوائر باتقان . ذاع صيت تالوس فى أثينا . أصبح نارا على علم . حاز احترام الأثينيين وإعجابهم . طغت شهرته على شهرة معلمه دايدالوس . دبت الغيرة فى نفس المعلم [٦] . أوغر الحقد صدره . أعمت الغيرة بصيرته . لاحظ — أو هكذا خيل إليه — وجود علاقة مشينة بين تالوس ووالدته بولوكاستى . صمم دايدالوس على التخلص من ابن شقيقته الفاجر . اصطحبه إلى معبد الربة أثينة فوق قمة الأكروبوليس . غافله . ثم دفع به من أعلى . هوى تالوس على الأرض جثة هامدة . أسرع دايدالوس إلى أسفل . وضع جثة تالوس فى جوال . حمل الجوال على ظهره . كان ينوى أن يدفن الجثة خلسة دون أن يراه أحد .

تجمع المارة حول دايدالوس . دفعهم حب الاستطلاع . سأله الأثينيون عما يحمله فوق ظهره . إدعى أنه قتل حية سامة كانت تهدد حياتهم جميعا . لاحظ الأثينيون وجود بقع من الدم على الجوال من الخارج . دب الشك فى نفوسهم . صمموا على معرفة الحقيقة . اكتشفوا جريمة دايدالوس . حكم عليه مجلس المدينة بالنفى [٧] . أو — فى رواية أخرى — هرب ديدالوس قبل أن يقدم للمحاكمة . [٨]

مات تالوس . دفنت جثته حيث هوى . دفنت عند قاعدة صخرة الأكروبوليس الشاهقة ، لكن روحه لم ترض أن تظل حبيسة التراب . أصبحت طليقة لاتعرف الهدوء أو السكينة . ظلت ترفرف فى الهواء . تجوب البقاع والهضاب . تطارد القاتل . وتحاول الانتقام منه . ظلت روح تالوس حية فى هيئة طائر يعرف باسم الحجل . حزنت بولوكاستى حزنا دفينا . لم تستطع العيش بعد موت تالوس . أزهقت روحها بيدها . أقام لها الأثينيون قبرا

---

٦ — Apollodorus, III, 15; Ovid, Metamorphoses, VIII, 236-59; Diodorus Siculus, IV, 76; Pausanias, VI, 4, 5.

٧ — Suidas, s.v. πέρδικος ἱερόν

٨ — Diodorus Siculus, IV, 76; Hyginus, fabula 39; Pausanias, VII, 4, 5.

ضخما بجوار الأكروبوليس . أحاطوه بالإعزاز والإجلال . أصبح مكانا مقدسا يحج إليه الجميع . (٩)

لجأ دايدالوس إلى إحدى مناطق أتيكا . جمع من حوله مجموعة من التلاميذ . ظل يلقنهم فنه وصنعته . برعوا فى أنواع شتى من الفنون . أصبحوا يعرفون من بعده باسم آل دايدالوس (١٠) . لكن دايدالوس لم يكن يشعر بينهم بالأمان التام . لذا آثر الفرار مرة أخرى . غادر الأراضى الإغريقية . اتجه إلى جزيرة كريت (١١) . إلى بلدة كنوسوس بالذات . حيث رحب به الملك مينوس . كان الملك معجبا ببراعة دايدالوس ومهارته . كان راغباً فى استضافته . فخورا باحتوائه . سعيدا بمصاحبته . أنشأ دايدالوس فى جزيرة كريت معابد ضخمة . وقصـــورا فخمة . وقلاعا شاهقة . ثم – بناء على توجيهات من الملك مينوس – أقام قصر اللابرنت المعروف . كان قصر اللابرنت معجزة معمارية فى عصره . تكون القصر من مئات الحجرات . تربط بينها دهاليز متعرجة لاحصر لها . صمم دايدالوس القصر بطريقة خاصة بحيث أصبح من المستحيل على من يدخله أن يجد طريقه إلى الخارج . أشاد العالم أجمع ببراعة دايدالوس . أحس دايدالوس بالأمان والاطمئنان فى بلاط الملك مينوس . لكن لم يدم ذلك طويلا .

لم يكن دايدالوس ممن يحفظون الجميل . أو يحافظون على العهد أو يصونون النعمة . ظلت روح تالوس تطارده . كانت لعنة الربة أثينة تلاحقه . لذا . لم يحفظ العهد . ولم يعترف بالجميل . بل ارتكب حماقات شديدة أثارت الملك مينوس ضده . وجعلته حاقدا عليه . عض دايدالوس اليد التى امتدت له بالمعروف . أفقدته جرائمه حب الملك مينوس . حولته إلى عدو لدود للملك . حكم عليه بالسجن حتى الموت (١٢) .

---

٩ – Pausanias, I, 21, 6; Servius on Vergil's Aeneid, VII. 14; Suidas, s.v. πέρδικος ἱερόν

١٠ – Oxford Cassical Dictionary, s.v. Daedalus.

١١ – Ovid, Metamorphoses, II. 236.

١٢ – Diodorus Siculus, IV, 76; Apollodorus, Epitome, I, 12.

لكن لماذا غضب مينوس من دايدالوس ؟

ذات مرة أراد الملك مينوس أن يقدم ضحية للإله بوسيدون . لكن بوسيدون أرسل إلى مينوس ثورا من عنده . ثم طلب منه أن يذبح الثور ويقدمه ضحية له فى معبده . أعجب مينوس بالثور الذى أهداه إليه بوسيدون . كان ثورا جميلا ، رائعا ، أبيض اللون ، قويا ، سمينا ، لم ير البشر مثله على على وجه الأرض . احتجز مينوس الثور فى حظيرته ، ثم أرسل ثورا آخر لتقديمه ضحية للإله بوسيدون (١٣) . غضب بوسيدون غضبا شديدا ، صمم على الانتقام من مينوس . طلب من أفروديتا أن تبعث بسهامها الدافئة نحو صدر باسيفاى زوجة مينوس . أحست باسيفاى على الفور برغبة جامحة نحو الثور الجميل . ضاجعها الثور فى غفلة من زوجها مينوس . أنجبت الزوجة المقهورة مسخا شريراً نصفه آدمى ونصفه الآخر ثور . عرفت الأساطير ذلك المسخ باسم مينوتاوروس . أى ثور مينوس (١٤) .

نشر مينوتاوروس الفزع والرعب بين أهل جزيرة كريت . فى ذلك الوقت كان مينوس قد انتصر على الآثينيين بعد حرب ضروس استمرت عدة سنوات . وجد مينوس الفرصة المناسبة للانتقام من الأثنيين والتخلص من شرور مينوتاوروس . أملى شروطه على الأثينيين ، عليهم أن يرسلوا سبعة فتيان وسبع فتيات غذاء لمينوتاوروس . رضخ الآثينيون المهزومون لشروط مينوس المنتصر . ظلوا يرسلون هذه الجزية مرة كل تسع سنوات . ذات مرة تطوع ثسيوس المغوار بالذهاب إلى كريت ضمن الفتيان الذين وقع عليهم الاختيار ليكونوا غذاء لمينو تاوروس . (١٥) كان لمينوس ابنة تدعى أريادنى . أحبت أريادنى ثسيوس من أول نظرة . ساعدته على قتل مينوتاوروس والخروج سالما من قصر اللابرنت . (١٦)

---

١٣ – Rose, Greek Mythology, p. 183.

١٤ – Kupfer, Legends of Greece and Rome, pp. 116-20.

١٥ – Guerber, Myths of Greece and Rome pp. 223-4.

١٦ – Hamilton, Mythology, pp. 151-2.



شكل (٩)

مينوتاوروس فى قصر اللابرنت

تقول الروايات إن دايدالوس هو الذى عاون باسيفاى زوجه الملك مينوس لكى تشبع رغبتها المحرمة ، هو الذى عاونها لكى تلتقى بالثور الجميل — ثور بوسيدون ... تقول روايات أخرى إن دايدالوس هو الذى عاون ثسيوس على القضاء على مينوتاوروس والخروج من قصر اللابرنت ، هو الذى جرر الأثينيين من قبضة الملك مينوس . وهكذا اختلفت الروايات حول سبب غضب مينوس من دايدالوس ، وحول السبب الذى من أجله أمر مينوس بسجن دايدالوس فى قصر اللابرنت حتى الموت . (١٧)

لم يكن دايدالوس وحده سجينا فى قصر اللابرنت . كان معه ولده إيكاروس . الذى أنجبه من جارية من جوارى الملك مينوس تدعى ناوكراتى . فى أول الأمر ، استخف دايدالوس بقرار السجن . لكنه اكتشف فيما بعد أنه قرار قاس مميت . فلقد وجد دايدالوس نفسه وولده تائهين فى غياهب ذلك السجن الرهيب . حاول دايدالوس أن يتخلص من سجنه . وجد أنه من الصعب عليه الخروج . لاحظ أن الملك مينوس قد أصدر أوامره إلى السفن الحربية بحراسة مداخل قصر اللابرنت ومخارجه .. علم أيضا أن أوامر مشددة من الملك قد صدرت إلى الحراس بإحباط أية محاولة للهروب . لكن دايدالوس لم يفقد الأمل . لم يتسلل إلى نفسه اليأس . ظل يفكر ليلا ونهارا . هداه تفكيره إلى حيلة بارعة جريئة . إن كان الطريق البرى مغلقا بحراس الملك مينوس ، والطريق البحرى مغلقا بسفنه الحربية ، فإن الطريق الجوى مفتوح أمام الجميع . (١٨)

نقل دايدالوس الفكرة إلى والده أيكاروس . لكن الابن فغر فاه . لم

١٧ — راجع الأسباب المختلفة لسجن دايدالوس فى كريت والطرق المختلفه التى اتبعها من أجل الهروب من سجنه فى : Xenophon, Memorabilia, IV, 2, 33; Ovid, Ars Amatoria, II, 215 sqq. ; Idem, Metamorphoses, VIII, 183 sqq. وراجع أيضا مطاردته أثناء هروبه وموت مينوس فى : Herodotus, VII, 170; Apollodorus, Epitome, 1, 12 sqq. ; Athenaius, I, 10e.

١٨ — Warner, Men And Gods, pp. 22-4.

يفقه شيئا . ماذا يقصد الأب بالطريق الجوى ؟ (١٩) يستطيع الإنسان أن يسلك طريق البر سيرا على الأقدام أو على ظهر دابة . يستطيع الإنسان أيضا أن يسلك طريق البحر سباحة أو على ظهر سفينة . لكن كيف يستطيع الإنسان أن يسلك طريق الجو ؟ حاول دايدالوس أن يقنع الإبن بالفكرة الجريئة . لم يستطع . لم يكن أمام الوالد سوى التنفيذ. جمع دايدالوس مجموعةمن ريش الطيور . صنع منها جناحين كبيرين . ثم ربط الجناحين فى كتفى ولده إيكاروس ثم صنع جناحين آخرين . وربطها فى كتفيه . أصبح كل من الوالد والولد يحمل فوق ظهره جناحين مثل أجنحة الطيور . استخدم الخيوط فى تثبيت مجموعة الرياش حتى تأخذ شكل الجناح . ثم استخدم الغراء فى لصق الجناحين ببعضها . كما استخدمه أيضا فى تثبيت بعض الرياش الصغيرة . أصبح كل من الوالد والولد ذا جناحين مثل الطيور . أصبح كل منها قادرا على الطيران مثلما تفعل الطيور . شرح دايدالوس لولده كيف يحرك جناحيه . كيف يرتفع عن الأرض . كيف يركب الهواء ويطير فوق اليابس والماء . دربه كيف يغير اتجاه جسمه يمينا ويسارا . كيف يتحكم فى تحديد ارتفاعه عن مستوى سطح البحر . ثم وجه الوالد لولده نصيحة أخيرة . عليه أن يطير على ارتفاع متوسط . فإن تمادى فى الارتفاع فسوف يصبح قريبا من الشمس . عندئذ سوف يذوب الغراء بحرارتها ويتفكك الجناحان . وإن طار على ارتفاع منخفض فسوف يلمس صفحة الماء بجناحيه . عندئذ سوف يذوب الغراء فى الماء ويتفكك الجناحان أيضا (٢٠) .

انطلق دايدالوس وولده إيكاروس وهما يمتطيان الهواء . أخذ كل منها يرفرف بجناحيه الكبيرين وهما يحلقان فوق قصر اللابرنت . مر الرجلان الطائران فوق السفن الحربية المحاصرة للقصر . شاهد حراس الملك مينوس الأجنحة الضخمة التى ترفرف فوق رءوسهم . خر القوم سجدا وقد سيطرت عليهم الرهبة والخوف . ظنوا جميعا أن إلهين يحلقان نحو قبة السماء فى طريقهما

١٩ - Hamilton, Op. Cit., pp. 139-40.

٢٠ - Guerber, Op. Cit., p. 222.

إلى جبل الأولمبوس . ظل أهالى كريت بأكملها يتمتمون ويصلون ويرسلون الدعوات . لم ينتبه أحد منهم إلى حقيقة الأمر. هكذا استطاع دايدالوس أن يهرب من سجنه الرهيب . أن يخدع الملك مينوس . فلقد كان دايدالوس ماكرا . واسع الحيلة . داهية . سريع البديهة . لايغلب على أمره أبدا .

ظل كل من دايدالوس وإيكاروس يرفرف بجناحيه فى الهواء . بدت على ملامحهما السعادة . أحس كل منهما بنسيم الحرية يمسح وجهه . مرا بجزيرة ناكسوس وديلوس وباروس . ثم تركا وراءهما جزيرة ليبونتوس وكالومنى . نظر دايدالوس من حوله . لم يجد ولده إيكاروس . التفت نحو اليمين . التفت نحو اليسار . نظر إلى أسفل . ثم إلى أعلى . لم يجد له أثرا على الإطلاق . وجد دايدالوس نفسه وحيدا فى الفضاء . يرفرف بجناحيه بعيدا عن صفحة الماء . اتجه بجسمه نحو اليسار . ثم استمر فى الدوران حتى أصبح فى الاتجاه المضاد . عاد يبحث عن ولده أيكاروس . ظل يطوف الفضاء هنا وهناك . يعلو . ثم ينظر إلى أسفل . يهبط . ثم ينظر إلى أعلى . لم ير شيئا . ولم يلحظ شيئا . (٢١)

ذلك هو الشباب . لقد نصح دايدالوس المحنك بالتجارب ولده **الشاب** إيكاروس . نصحه أن يطير على ارتفاع متوسط حتى لاتقتله حرارة الشمس أو تقضى عليه مياه البحر . لكن إيكاروس — فى غمرة الفرح والسعادة — نسى نصيحة والده . أحس بالسعادة عندما وجد نفسه يرفرف فى الهواء مثل الطيـــور . فرح فرحاً شديداً عندما أحس بقدرته على التحليق فى الفضاء . أحس بالزهو والغرور . أدرك أنه حقق نجاحاً لم يحققه بشر من قبله . نسى نصيحة والده . أخذ يعلو ويعلو بعيدا عن سطح البحر . ظل يرتفع ويرتفع ظناً منه أنه قادر على أن يصل إلى قبة السماء، وأن يلمس بيديه جدرانها المضيئة . كلما ارتفع عن سطح البحر قلت المسافة بينه وبين الشمس . فجأة أحس بجناحيه يتفككان . وجد نفسه غير قادر على الاحتفاظ بتوازنه . أدرك أنه

٢١ - Rose, Op. Cit., p. 269.

لم يعد قادرا على الطيران. هوى من ارتفاع شاهق . اندفع نحو سطح البحر . ارتطم جسده بالأمواج المتلاطمة . فقد القدرة على الحركة أصبح فى عداد الموتى . (٢٢)

هكذا عرف دايدالوس ــ بخبرته وحنكته ــ مصير ولده الشاب إيكاروس. ظل الوالد المنكوب يجوب الفضاء عدة أيام حتى لمح من بعد جثة ولده إيكاروس . هبط دايدالوس ــ بحرص شديد ــ نحو سطح الماء . سحب الجثة المنتفخة نحو أقرب شاطىء . هبط على أرض جزيرة صغيرة وسط البحر . حمل جثة ولده إلى أرض الجزيرة . بكى بكاءاً مرا . دعا الآلهة أن تقبل ولده فى عالم الموتى . ثم دفن الجثة وأقام قبرا متواضعا . أثناء ذلك ، وقف بالقرب منه ــ فوق شجرة بلوط ــ طائر الحجل يغنى ويغرد. لقد دفع دايدالوس ثمن جريمته التى ارتكبها . فقد ولده إيكاروس تماما كما فقدت شقيقته بولوكاستى ولدها تالوس . منذ ذلك الحين . عرف الإغريق تلك الجزيرة باسم جزيرة إيكاريا .

لكن الموت لايعوق عجلة الحياة عن الدوران . انتهى دايدالوس من أداء واجبه نحو ولده . ثم بدأ يفكر فى نفسه من جديد . استعذب الطيران فى الفضاء . فرد جناحيه الكبيرين . وأسلم نفسه للريح . اتجه ناحية الغرب . ظل يرفرف بجناحيه حتى وصل إلى بلدة كوماى القريبة من مدينة نابلى . هناك هبط فى سلام . أراد أن يكفر عن جرائمه التى ارتكبها . رغب أن يغسل آثامه التى أغضبت الآلهه منه . وقع اختياره على رقعة فسيحة من الأرض . خلع جناحيه من فوق ظهره . وهبها للإله أبوللون . ثم أقام له معبدا فخما وضع فيه كل خبرته وفنه . نقش جميع سقوف المعبد بالذهب الخالص. أصبح المعبد تحفة رائعة تحدثت عنه الأجيال التالية .

لم يكن الاستقرار من طبع دايدالوس . هجر كوماى . وصل إلى بلدة كاميكوس فى صقلية . رحب به الملك كوكالوس . قضى حياة هادئة بين

---

٢٢ - Hyginus, fabula 40; Ovid, Metamorphoses, VIII, 182-235.



شكل (١٠)
ايكاروس يلقى مصرعه

أهل صقلية . أقام فيها معابد فخمة وقصورا . انتشر على يديه العمران فى جميع أنحاء الجزيرة . حاز إعجاب أهل صقلية واحترامهم . تمتع — كالمعتاد — بشهرة واسعة . ذاع صيته . أصبح مقربا إلى الملك محبوبا من بناته (٢٣) .

ابتكر لعبا طريفة فرح بها بنات كوكالوس . صنع لهن دمى من الخشب أو العاج أو الحديد . شهدت هذه الدمى على براعة دايدالوس . كانت دمى متحركة . كل دمية قادرة على غلق عينيها أو فتحها وتحريك ساقيها أو ذراعيها (٢٤) . فرح بنات كوكالوس بتلك الدمى فرحا شديدا . أحببن دايدالوس حبا جما . تعلقن به إلى حد الجنون . شغفن به . لدرجة أنهن لم يقدرن على فراقه لحظة واحدة . لقد كفر دايدالوس عن جرائمه السابقة ، فرضيت عنه الآلهة ، فعاش عيشة هنيئة ، وأحس بحلاوة الاستقرار ولذة الطمأنينة والأمان .

لكن القدر كان يخبىء لدايدالوس أكثر من كل ذلك . كان مينوس ملك كريت دائم التفكير فى الانتقام من دايدالوس . لم يهدأ بال مينوس لحظة واحدة منذ فر دايدالوس من قصر اللابرنت . جمع سفنه الحربية الضخمة . وجمع رجاله المسلحين . ظل يجوب الممالك والإمارات بحثا عن دايدالوس المغامر . كان يعرف أن ضالته المنشودة قادرة على التأثير على من حوله والتقرب إليهم والفوز بثقتهم . دبر حيلة بارعة استطاع عن طريقها معرفة المكان الذى كان يختبىء فيه دايدالوس .

حمل مينوس معه فى تجواله قوقعة ضخمة متعددة التعاريج من الداخل والخارج . فى كل مدينة وصل إليها كان يجمع أهل المدينة . ثم يطلب منهم إمرار خيط رفيع داخل القوقعة ، بحيث يدخل الخيط الرفيع فى الفتحة الموجودة على أحد طرفيها ، ثم يمر بالتعاريج الداخلية للقوقعة ، ثم يخرج من الفتحة الموجودة عند الطرف الآخر . فى كل مدينة وصل إليها مينوس كان

٢٣ – Vergil, Aeneid, VI, 14 sqq.; Pausanias, VII, 4, 5; Diodorus Siculus, IV, 78.

٢٤ – Δαιδάλου ποιήματα (Suidas s.v.).

يطلب ذلك من أهلها . ويعرض مكافأة ضخمة . فى كل مدينة وصل إليها لم يستطع أحد أن يلبى طلبه . كان مينوس يعلم أن ذلك العمل لايستطيع أن يقوم به سوى داهية ماكر مثل دايدالوس . ظل مينوس يجوب الممالك والإمارات حتى وصل إلى جزيرة صقلية . هناك قابل الملك كوكالوس ، عرض عليه مطلبه ، أخبره بقيمة المكافأة . تردد كوكالوس فى أول الأمر . لكنه قرر أخيرا أن يعرض الأمر على دايدالوس .

رحب الملك كوكالوس بالملك مينوس . استضافه فى قصره . تركه كوكالوس وذهب خلسة إلى حيث يقيم دايدالوس . عرض عليه الأمر . كان تحقيق مطلب مينوس مستحيلا . لكن عقل دايدالوس لم يكن يعرف المستحيل . هداه عقله الجبار إلى فكرة بارعة : أتى بالخيط الرفيع الذى طلب مينوس إمراره فى القوقعة الضخمة ذات التعاريج . ربط طرف الخيط فى رجل نملة . أدخل النملة فى الفتحة الكائنة عند أحد طرفى القوقعة . ثم جاء بقليل من عسل النحل ولوث به جدار الفتحة الكائنة عند الطرف الآخر للقوقعة . لم تستطع النملة أن تغادر القوقعة من نفس الفتحة التى دخلت منها . لذلك ظلت تسير نحو الداخل . أخذت تسلك الممرات الضيقة المتعرجة فى داخل القوقعة . كان دايدالوس يمسك بالخيط الرفيع . ظل يطلق الخيط قليلا كلما أحس بأن النملة تسحبه أثناء توغلها داخل القوقعة . مر وقت طويل والنملة مازالت تسلك الممرات الضيقة المتعرجة داخل القوقعة . أحست النملة بالجوع . وصلت إلى أنفها رائحة العسل الذى لوث به دايدالوس جدار الفتحة الكائنة عند الطرف الآخر للقوقعة . بدأت النملة تسرع فى سيرها نحو ذلك الطرف . كلما اشتد الجوع بالنملة ازدادت سرعتها وهى تجتاز الممرات المتعرجة داخل القوقعة . ظلت النملة تسرع فى سيرها حتى وصلت إلى الفتحة الكائنة عند الطرف الآخر للقوقعة . خرجت من الفتحة والتصقت بجدارها . ثم بدأت تلتهم العسل . أمسك دايدالوس بالنملة . ثم أمسك بطرف الخيط الرفيع المربوط فى رجلها . جذب الخيط برفق . وهكذا استطاع دايدالوس بعقله المفكر أن يحقق المستحيل .

ذهب الملك كوكالوس إلى حيث يقيم ضيفه الملك مينوس . عرض عليه الخيط الرفيع وهو يمر فى المسالك المتعرجة داخل القوقعة . تأكد مينوس من وجود دايدالوس فى مملكة كوكالوس . طلب من كوكالوس أن يسلمه إياه . رفض كوكالوس . هدد مينوس ، وتوعد . هدد بشن حرب على صقلية ، استولى الذعر على الملك كوكالوس . ذهب مهموما إلى بناته . سألنه . شرح لهن الأمر . رفضن طلب الملك مينوس بشدة . ذهبن وعرضن الأمر على دايدالوس . طلبن من ديدالوس أن يدافع عن نفسه ، وأن يجد وسيلة لوالدهن للتخلص من الملك مينوس . شكرهن دايدالوس .

تسلل دايدالوس إلى داخل القصر حيث يقيم الملك مينوس . أحدث ثقبا فى سقف حمامه الخصوصى ، أدخل فيه ماسورة من المعدن . طلب من الخدم أن يرافقوا الملك الضيف إلى الحمام . خلع الملك مينوس ملابسه . وبينما يستمتع بالاستحمام صب دايدالوس ماء مغليا فى الماسورة المعدنية . قضى الماء المغلى على حياة الملك مينوس .. (٢٥) تظاهر الملك كوكالوس بالحزن ، أخبر حاشية الضيف أن ملكهم تعثر فى سجادة مفروشة على أرضية الحمام فسقط فى إناء كبير به ماء مغلى . نجا دايدالوس من الهلاك بفضل عقله المفكر وحيلته الواسعة . (٢٦)

لكن دايدالوس لم يكن يعرف الاستقرار . هجر دايدالوس صقلية . ذهب إلى ساحة يولايوس . كان يولايوس ابن شقيق البطل هيراكليس ، كما كان سائقا لعجلته الحربية . ومن هناك انتقل دايدالوس — تحت قيادة هيراكليس — إلى سردينيا . استقر هناك ، حيث أقام معابد ضخمة . وقصورا فخمة ، وقلاعا شاهقة ، علّم أهل سردينيا الفنون والصنائع . ظلت أعماله باقية عبر الأجيال التالية (٢٧) . ظلت تعرف دائما باسم « أعمال دايدالوس » . (٢٨)

٢٥ — Pearson, Fragments of Sophocles, Vol. II, p. 3.

٢٦ — Diodorus Siculus, IV, 79; Zenobius, Proverbs, IV, 92; Apollodorus, Epitome, I, 14-15; Pausanias, IX, 2-3.

٢٧ — Diodorus Siculus, IV, 30; I, 97; Pausanias, IX, 17, 3.

٢٨ — كان يطلق على كل الأعمال الفنيه عند الاغريق لفظة δαίδαλα نسبه إلى دايدالوس.

.. تلك قصة الفنان الصانع دايدالوس (٢٩) . تناولها معظم الكتاب الإغريق والرومان فى اختصار شديد . لكن الكاتب الرومانى أوفيديوس تناولها بشىء من التفصيل . ثم تناولها — بعده بحوالى مائة عام — الكاتب الإغريقى أبوللودوروس . اختلف الرواة فيما بينهم حول التفاصيل الخاصة بالأسطورة . لكنهم اتفقوا جميعا حول الخطوط الرئيسية للقصة . أهم تلك الاختلافات هى التى تتعلق بكيفية هروب دايدالوس من جزيرة كريت ومايتوقف عليه من أحداث . تروى بعض الروايات أن باسيفاى زوجة الملك مينوس أمدت دايدالوس بسفينة فر بواسطتها من كريت . وأن ولده إيكاروس هوى من السفينة فلقى حتفه غرقا عندما كان على وشك النزول على أرض إحدى الجزر الصغيرة . تروى روايات أخرى أن دايدالوس هو أول من ركب شراعا للسفينة (٣٠) ، التى فر بواسطتها من كريت ، وذلك ليسبق سفن الملك مينوس التى كانت تلاحقه ، وأن ولده إيكاروس لم يكن حريصا أثناء قيادة السفينة فزادت سرعتها عن السرعة المناسبة فهوى إيكاروس فى الماء ومات غرقا . (٣١)

لكن اختلاف الروايات لايبطل تأثير الأسطورة . إنه لايجعلنا ننكر أن دايدالوس إنما يرمز إلى العقل المفكر فى الإنسان . إلى العقل البشرى الصامد ، الذى لايعرف اليأس ولايهاب الفشل .

٢٩ — أنظر تفسيرات بعض الكتاب والأدباء المحدثين لهذه الأسطورة مثل أندريه جيد André Gide فى تيزيه Thésée وجوته Goethe فى فاوست Faust وجويس Joyce فى أوليس Ulysses وغيرها فى :
Highet, Classical Tradition, pp. 509-10 and p. 697 nn. 18, 19 and 20.

٣٠ — إليه وإلى إيولوس Aeolus ملك الرياح أيضا — يرجع الفضل فى ابتكار الشراع :
Guerber, Myths of Greece And Rome, pp. 185; Pliny, Natural History, VII, 198.

٣١ — Diodorus Siculus, IV, 77; Apollodorus, II, 6, 3; Pausanias, IX, 2-3.

أورفــيوس

.. فقد أورفيوس زوجته المحبوبة . أحس بوحدة موحشة . لم يصبح للحياة طعم بعد فراقها . لم يذق طعم النوم فى الليل . لم يعرف الراحة فى النهار . هام على وجهه يبحث عن طريقة لاسترجاع زوجته . نصحه الجميع بالصبر . لكن الصبر لم يكن يعرف طريقه إلى أورفيوس . أشار عليه الجميع بمحاولة النسيان . لكن النسيان لم يكن من طباع أورفيوس . عرض عليه أصدقاؤه ومعارفه أن يبحث عن حب جديد . لكن أورفيوس كان يؤمن بالحب الوحيد. ضاق به الجميع . يئسوا من الحديث معه . لكن أورفيوس لم يضق بهمومه . ولم يتسرب اليأس إلى نفسه. كان مصمما على استرجاع زوجته. لم يكن أمامه سوى أن يهبط إلى عالم الموتى، ثم يصعد ومعه زوجته .

أورفيوس

بلاد الإغريق . بلاد الطبيعة . ومهد الجمال . شعب الإغريق شعب يعشق الطبيعة ويعبد الجمال . عاش الإغريق بالقرب من الشواطىء . . وسط الغابات . بين الطيور . استعذبوا خرير المياه . وحفيف الأوراق . وشدو الطيور . عشقوا الموسيقى منذ نشأتهم . تخيلوا آلهتهم مؤلفين موسيقيين وعازفين بارعين . ومبتكرين للآلات الموسيقية . فالإله هرميس هو الذى ابتكر القيثارة . ثم أعطاها إلى الإله أبوللون . والإله أبوللون هو الذى صاغ ألحانا شجية على القيثارة . وهو الذى عزف على قيثارته وسط الآلهة فوق جبل الأولومبوس فنسى الآلهة كل شىء حولهم . والإله هرميس أيضا هو الذى ابتكر المزمار الذى يستخدمه الرعاة . وهو أول من عزف عليه ألحانا ساحرة . والإله بان هو الذى ابتكر البراع . وهو الذى عزف عليه ألحانا تشبه تغريد العندليب فى فصل الربيع . والربة أثينة هى التى ابتكرت الفلوت . بالرغم من أنها لم تستخدمه . أما الموسيات فهن ربات الفنون والآداب (١) . لم يبتكرن آلة موسيقية . لم يعزفن على آلة معينة لكن صوتهن فاق فى جماله كل أصوات الغناء .

لم يكن مجتمع البشر على وجه الأرض سوى صورة لمجتمع الآلهة فى السماء . إذ ظهر على الأرض أيضا مؤلفون موسيقيون ، وعازفون بارعون ،

١ - راجع ص ٢٧ حاشية رقم ٦٨ .

ومبتكرون للآلات الموسيقية . كان أورفيوس واحدا من أشهر الموسيقيين والعازفين على وجه الأرض .

ليس من الغريب ، إذن ، أن ينسب الإغريق أورفيوس إلى آلهة تمجيد العزف والغناء . قيل إن والدته واحدة من الموسيات التسع ـ كاليوبى الشقراء ذات الصوت الرخيم (٢) . قيل إن والده الإله أبوللون ، عازف القيثارة الشهير (٣) . قيل ـ فى رواية أخرى ـ إن والده هو الملك التراقى أوياجروس (٤) ، وإن أورفيوس نفسه كان كاهنا فى معبد أبوللون . من الموسية كاليوبى اكتسب أورفيوس موهبة الغناء . على يد الإله أبوللون تعلم أورفيوس العزف على القيثارة .

نشأ أورفيوس فى منطقة تراقيا . الواقعة شمال بلاد الإغريق . اشتهر أهل تراقيا بالإحساس الفنى المرهف . عرفوا بموهبتهم الموسيقية الرائعة . بزوا أهل الأرض جميعا فى كل فنون الموسيقى والغناء . أما أورفيوس فلم يكن يباريه أحد فى تراقيا أو فى أى مكان آخر . لم يكن يفوقه سوى الآلهة . فالآلهة فقط هى التى تستطيع أن تتفوق على أمهر أفراد البشر (٥) .

لم يكن لبراعة أورفيوس فى العزف نهاية ، لم يكن لقوة تأثير صوته حدود . كان بموسيقاه وغنائه قادرا على تحقيق المعجزات . لم يستطع كائن من الكائنات على وجه الأرض أن يقاوم قوة تأثيره . عندما يغنى ويعزف على قيثارته تتمايل نباتات الغابة طربا . تنحنى له الأشجار فى خشوع . تتبعه الحيوانات الضارية فى خضوع . تغرد طيور البر والبحر من حوله . ترقص

---

٢ ـ يروى فرجيليوس (Vergil, Eclogues, IV, 27). أن والدته هى الموسية كاليوبى Kalliope ، بينما يقول احد المعلقين القدامى (Scholiast, to Apollonius Rhodius, I, 23). إنها كانت الموسية بوليمنيا Polymmia.

٣ ـ Ovid, Amores, III, 9, 21 sqq.

٤ ـ Pindar, frag. 139 (Bergk)

٥ ـ Hamilton, Mythology, pp. 103-4.



شكل (١١)
أورفيوس يعزف للحيوانات والنباتات

الجبال والهضاب نشوة وطربا . تتحول مجارى الأنهار وتنحسر المياه أو تغير اتجاهها (٦) .

هام أورفيوس على وجهه باحثاً عن الجمال . تجول هنا وهناك عاشقا للطبيعة معجبا بسحرها . غادر تراقيا يحمل قيثارته . يعزف ويغنى أعذب الألحان . حضر إلى مصر (٧) ، ذات المناظر الطبيعية الساحرة . شنف آذان المصريين بأغانيه الرائعة . أثلج صدورهم بألحانه الشجية . اشترك بعد ذلك فى رحلة السفينة أرجو . التى ظلت ذاكراها ، باقية على مدى الأجيال . صاحب أورفيوس أبطال الرحلة الشهيرة تحت قيادة البطل ياسون . عندما يدرك التعب الأبطال . أو يتسرب اليأس إلى نفوسهم . أو تفتر هممهم . يمسك أورفيوس بقيثارته ويطلق عقيرته بالغناء . ينشد ألحانا تريح الأبطال . تعيد الأمل إلى نفوسهم . تقوى هممهم . عندما تشتد أمواج البحر وتتلاطم . وعندما تضرب المياه جوانب السفينة ، فى شدة وعنف . يصبح التجديف عملية صعبة وشاقة . ويدرك التعب سواعد الأبطال . عندئذ يعزف أورفيوس على قيثارته ويغنى فتشتد سواعد الأبطال . وتقوى عزيمتهم . ويضربون الماء بالمجاديف . فتندفع السفينة إلى الأمام طافية فوق الأمواج المتلاطمة ، متحدية شراسة البحر وهياجه . إذا أوغر الغضب صدور الأبطال ودب النزاع بينهم . أخضع أورفيوس بألحانه نفوسهم . وهدأ من غضبهم . وأصلح فيما بينهم . وعندما مرت السفينة بموطن السيرينيات وتعرض الأبطال للموت . قام أورفيوس بدور هام فى إنقاذ السفينة والأبطال . فالسيرينيات هن جماعة من حوريات الماء الحسناوات . يجلسن على شاطىء جزيرة وسط البحر . يبعثن بألحان شجية وأنغام ساحرة . تؤثر ألحان السيرينيات على راكبى السفينة التى تمر بالقرب من شاطئهن . ألحانهن تجذب البحارة . تجعلهم ينجذبون نحو الشاطىء مأخوذين بتلك الألحان .

٦ – Horace, Carmina, I, 12, 7.

٧ – Diodorus Siculus, IV, 25; Hyginus, fabula 164, Athenaeus, XIII, 7.

وإذا ما وصلت السفينة إلى الشاطىء . غرزت فى الرمال . وإذا ما وطئت أقدام البحارة رمال الشاطىء . أصبحوا تحت رحمة السيرينيات . إن كل بحار وصل إلى شاطىء السيرينيات لقى حتفه . وذاق موتا مؤكدا (٨) . لكن أورفيوس أنقذ أبطال السفينة أرجو من خطر السيرينيات . أنقذهم من الموت والدمار . عندما وجد أن السفينة تجنح نحو الشاطىء – بفعل سحر أنغام السيرينيات – طفق يعزف على قيثارته وينشد ألحانا طغت على أصوات السيرينيات ، وأبعدت السفينة عن الشاطىء ، وأعادتها إلى مجراها السابق . ولولا أورفيوس لذاق أبطال السفينة أرجو موتا مؤكدا ، ولظلت عظامهم باقية بعدهم على الشاطىء حيث تجلس السيرينيات (٩) .

قام أورفيوس بمهمته فى الحياة خير قيام . لعب دورا هاما فى كل مكان ذهب إليه . لم يكن يعرف الهم أو الحزن . كانت كل حياته أوقاتا سعيدة . تمنى كل فرد أن يكون أورفيوس صديقا له . سعد كل شاب بمصاحبته . سعدت كل فتاة بمرافقته . أحبه الفتيان . عشقته الفتيات . لكن أورفيوس لم يعشق سوى فتاة واحدة . انتقاها من بين صديقاته الكثيرات . اختارها من بين مرافقاته الحسناوات . عشق أورفيوس فتاة تدعى يوروديكى (١٠) . هام فى حبها . نظم فيها قصائد غزل . تغنى بجمالها وحسنها . خطب ودها . تجاوبت معه على الفور . عرض عليها الزواج . لم تتردد فى القبول . تزوجها . شعرا بسعادة غامرة . قضيا أوقاتا سعيدة . لكن القدر لم يتركهما ينعمان

٨ – السيرينيات Sirenes : مجموعة من الشخصيات الأنثوية الأسطورية ، لغنائهن سحر قوى وتأثير بالغ على السامعين . يسكن جزيرة قريبة من سكولا Scylla وخاروبديس Charybdis على هيئة نصف بشر و نصف طائر . (Homer, Odyssey, XII, 39, 184) يجذبن بغنائهن البحارة فينزلون إلى شاطىء الجزيرة ، فيلقون الموت والهلاك ، إذا استطاع شخص مقاومة سحر غنائهن كان فى ذلك هلاكهن (Hyginus, fabula 141) استطاع كل من أورفيوس وأدوسيوس أن ينجو من سحر غنائهن .
(Apollodorus, I, 9, 25; Apollonius Rhodius, IV, 893).

٩ – Graves, Greek Myths, Vol. I, p. 111-113.

١٠ – Kupfer, Legends of Greece And Rome, pp. 64-68.

بالسعادة فترة طويلة . أرسل إليهما شابا مغامرا يدعى أريستايوس . أحب أريستايوس يوروديكى . لكنها لم تبادله الحب . عشقها . لكنها لم تعشقه . ظل يطاردها فى كل مكان تذهب إليه . لكنها كانت دائما تتحاشاه . ذات مرة . خرجت يوروديكى بصحبة بعض صديقاتها . ظلت تتجول بين المروج الخضراء . ظهر أريستايوس أمامها فجأة . لاذت يوروديكى بالفرار . لجأت إلى الأحراش المجاورة بحثا عن مكان تختبىء فيه . داست بقدمها شيئا لينا . لم يكن ذلك الشىء سوى حية سامة مختفية بين الحشائش . لدغت الحية يوروديكى . صرخت الزوجة المخلصة من شدة الألم . تجمع من حولها صديقاتها . لكن السم سرى فى جسد الزوجة المسكينة . فارقت الحياة فى الحال . وهى تصرخ . أورفيوس . وداعا . وداعا (١١) .

فقد أورفيوس زوجته المحبوبة . أحس بوحدة موحشة . لم يصبح للحياة طعم بعد فراقها . لم يذق طعم النوم فى الليل . لم يعرف الراحة فى النهار . هام على وجهه يبحث عن طريقة لاسترجاع زوجته (١٢) . نصحه الجميع بالصبر لكن الصبر لم يكن يعرف طريقه إلى أورفيوس . أشار عليه الجميع بمحاولة النسيان، لكن النسيان لم يكن من طباع أورفيوس . عرض عليه أصدقاؤه ومعارفه أن يبحث عن حب جديد . لكن أورفيوس كان يؤمن بالحب الوحيد . ضاق به الجميع . يئسوا من الحديث معه . لكن أورفيوس لم يضق بهمومه . ولم يتسرب اليأس إلى نفسه . كان مصمما على استرجاع زوجته . لم يكن أمامه سوى أن يهبط إلى عالم الموتى (١٣) . ثم يصعد ومعه زوجته . هكذا قال له أصدقاؤه ومعارفه فى تهكم . لكن أورفيوس صدق قولهم وصمم على القيام بهذه المغامرة اليائسة (١٤) .

لم يكن الوصول إلى عالم الموتى مباحا للأحياء . لذا ظن أصدقاء

---

١١ – Warner, Men And Gods, pp. 91-94.

١٢ – Guerber, Myths of Greece And Rome, pp. 58-60.

١٣ – Hamilton, Op. Cit., pp. 104-5.

١٤ – Vergil, Georgics, IV, 456 sqq.

١٥ – Genest, Myths of Ancient Greece And Rome, pp. 116-9.

أورفيوس أنه مقدم على الموت ولامحالة . لكن أورفيوس لم يدركه ذلك الخاطر أبدا . أحس أن الفن الصادق قادر على تحقيق المعجزات . أدرك أن العاشق المخلص لايحجم عن ركوب الصعاب . أسرع أورفيوس نحو مملكة أولومبوس . طلب مقابلة كبير الآلهة زيوس . استهزأ بطلبه صغار الأرباب عند الباب . قابل الاستهزاء بالصبر والقنوط . طفق يطلق الدعوات والصلوات . ظل يتوسل ويرجو . سمع كبير الآلهة دعواته . استجاب لصلواته . لم يستطع أن يرفض طلبه . لكنه كان واثقا أن مغامرته سوف توصله إلى الهلاك .

أذن زيوس لأورفيوس بالهبوط إلى عالم الموتى . كان على أورفيوس أن يسلك طريقا شاقا محفوفا بالمخاطر . كان عليه أولا أن يعبر نهر ستوكس الذى يفصل بين عالم الموتى وعالم الأحياء . وصل إلى شاطىء النهر . وجد نفسه وجها لوجه أمام « المعداوى » خارون . كانت مهمة خارون نقل الموتى فى قاربه العتيق من عالم الأحياء إلى عالم الموتى . لم يكن خارون يتعامل إلا مع الموتى . كان عبوسا على الدوام . صارما . جادا . لاتعرف الابتسامة طريقها إلى شفتيه . مد خارون عنقه نحو أورفيوس . نهره . عنفه . أمره بالعودة إلى حيث آتى . فلم يكن خارون يسمح إلا للموتى بركوب قاربه . ظل أورفيوس يستعطفه . لكن قلب خارون لم يلن . ظل يتوسل إليه . لكن خارون لم يستمع لتوسلاته . تحسس أورفيوس قيثارته التى لاتفارقه فى كل مكان يذهب إليه . انطلقت أنامله الدقيقة تعبث بأوتارها من شدة الحزن ، امتلأ الشاطىء بالأنغام الحزينة اليائسة . رقصت مياه النهر فى تؤدة ووقار . تمايل القارب العتيق مع حركة المياه المنتظمة . تراقصت ذرات الرمال على الشاطىء المهجور . تناثرت موجات الهواء رقيقة تعبث فى الفضاء . ترنح خارون العبوس من فرط التأثر . بدت على وجهه ملامح اللين بعد ملامح القسوة . أشار بيده الضخمة فى رفق نحو أورفيوس ، تهلل وجه الفنان العاشق . تقدم نحو القارب فى تردد، مد خارون يده إليه . عاونه على النزول إلى القارب العتيق . ثم انطلق يجدف بمجدافين عتيقين ، فى حركة وئيدة ، على نغمات قيثارة أورفيوس . حتى أوصله إلى الشاطىء المقابل .

تقدم أورفيوس نحو بوابة أوركوس ، مملكة الإله هاديس ، حاكم الموتى . لكن الدخول إلى هناك لم يكن بالعمل اليسير . وجد أورفيوس نفسه أمام كربيروس ، حارس بوابة عالم الموتى . كربيروس ليس إلا مسخ مهول . كلب ضخم الجثة . بشع المظهر . له ثلاثة رؤوس ضخمة . يطل من كل رأس عينان مرعبتان . تبعثان الفزع فى أعين المشاهدين . له ثلاثة أفواه مخيفة . يبرز من كل فم نابان حادان مدببان . يصيبان أبدان الناظرين بقشعريرة . نهض كربيروس واقفا عندما أحس بحركة من حوله . وجه نظراته القاتلة نحو الفنان المغامر . لم يكن كربيروس يسمح بالدخول إلا للموتى . لذا هاج كربيروس . زمجر . كشر عن أنيابه . أخذ ينبح نباحا مدويا . ثم انطلق يهاجم الحى المغامر الذى تجرأ على اقتحام عالم الموتى . عندئذ . استولى الفزع على أورفيوس . توقفت الدماء فى شرايينه . جف اللعاب فى حلقه . تقطعت أنفاسه . وقف كالتمثال المرمرى بلا حركة . لم يعد قادرا على الدفاع عن نفسه . فجأة تذكر قيثارته الحبيبة التى لاتفارقه أبدا . مد يده بصعوبة بالغة . أخذت أنامله الدقيقة تداعب أوتار القيثارة . وصلت ألحان أورفيوس إلى أسماع كربيروس الهائج . مست شغاف قلبه القاسى . سرت فى شرايينه النافرة . تفككت مفاصل الكلب المسعور . هدأت ثورته . خفت نباحه . ظل يتحرك فى خطوات بطيئة حتى أدرك أورفيوس التائه . أخذ يلعق بألسنته الثلاثة — فى حنان وهدوء — أطراف أورفيوس . دبت الحياة من جديد فى جسد أورفيوس . تقدم عبر البوابة القائمة . دخل عالم الموتى .

ظل أورفيوس يتجول فى عالم الموتى . أخذ يسير على غير هدى فى ممراته المظلمة . لم يجد شيئا يؤنس وحدته سوى قيثارته . طفق يتجول فى العالم القاتم وهو يعزف ألحانه الساحرة . امتلأ عالم الموتى بألحان أورفيوس . أدخلت ألحانه البهجة فى نفوس الموتى المعذبين . اختفت صيحات الألم . توقفت صرخات العذاب . ألقى سيسيفوس الصخرة الهائلة من فوق ظهره (١٦) .

١٦ – راجع ص ١٤٠ أعلاه .

نسى تانتالوس جوعه وظمأه (١٧) . توقفت العجلة الدائرة التى قيد إليها جسد إيكسيون . استمر أورفيوس فى تجواله حتى وصل إلى قصر هاديس . حاكم عالم الموتى . تسلل الفنان المغامر حتى وصل إلى قاعة العرش . ظهر فجأة أمام الإله هاديس . كانت زوجته برسيفونى تجلس بجواره . بدت ملامح الدهشة على وجه الإله هاديس ووجه زوجته برسيفونى . تعجبا كيف استطاع واحد من الأحياء أن يتسلل إلى عالم الموتى . استولى عليهما غضب شديد.

لكن أورفيوس — فى هذه المرة — استطاع أن ينفذ إلى قلبيهما من أول وهلة (١٨) . أمسك بقيثارته الحبيبة . طفق يعزف عليها . بدأ يروى قصته المؤثرة . ظل يعزف ويغنى وهو يذرف الدموع الغزيرة . كان يحس بكل كلمة ينطق بها . لقد عبر عن كل أحزانه . استغل كل موهبته فى العزف والغناء . لم يترك فرصة للإله هاديس وزوجته لكى يسألاه كيف وصل إلى قاعة العرش . اختفت الدهشة من على وجهى هاديس وبرسيفونى . تأثرا بروايته . لكنهما ترددا فى أول الأمر . ليس من الممكن أن يسمحا لواحد من الموتى أن يغادر مملكة هاديس . لكن أورفيوس واصل العزف والغناء . لم يتسلل اليأس إلى نفسه . كان يتمادى فى الغناء والعزف كلما لاحظ تردد الإله هاديس وزوجته برسيفونى . أخيرا . اختفت علامات التردد من على وجه برسيفونى ، لكنها ظلت بادية على وجه هاديس . ثم بدأت برسيفونى تتوسل إلى هاديس كى يحقق مطلب أورفيوس . رضخ هاديس فى النهاية لتوسلات أورفيوس وبرسيفونى . وافق على أن تعود يوروديكى إلى عالم الأحياء . سوف يشق أورفيوس طريقه إلى الخارج . وسوف تتبعه زوجته المخلصة يوروديكى . لكن هناك شرط واحد يجب على أورفيوس أن يلتزم به : ألا يقع نظر أورفيوس على زوجته يوروديكى إلا بعد أن تغادر عالم الموتى وتصل إلى عالم الأحياء .

أحس أورفيوس بسعادة منقطعة النظير . عادت الابتسامة إلى شفتيه .

١٧ – راجع ص ١٢٣ أعلاه .

١٨ – Guerber, Op. Cit. pp. 60-62.

انشرح صدره . امتلأ قلبه بالإيمان . فلقد استطاع الفن أن يقهر الموت . بدأ يشق طريقه إلى خارج عالم الموتى . أخذ يسير فى الممرات المظلمة الموصلة إلى بوابة أوركوس . ثم بدأت يوروديكى تسير خلفه وعلى مسافة غير بعيدة . خطا أورفيوس خطوات سريعة منتظمة تشبه خطوات الراقص الرشيق . أطلق عقيرته بالغناء وهو يعزف على قيثارته ألحانا مرحة . كان يحس بين الحين والحين بشوق شديد لرؤية محبوبته . لكنه كان يكتم شوقه ، ثم يواصل السير فى خطوات سريعة . كان يريد أن يغادر عالم الموتى فى أسرع وقت ممكن حتى يستطيع أن يسعد برؤية زوجته يوروديكى . كان الشوق يتغلب عليه فى بعض اللحظات فيوشك أن يلتفت إلى الوراء . لكنه كان فى كل لحظة يطرد الفكرة من ذهنه ويواصل سيره نحو الخارج . بعد جهد شديد ، وبعد مقاومة عنيفة ، عبر أورفيوس بوابة أوركوس . خرج من عالم الظلمات إلى عالم النور . لقد بر بوعده . لقد نفذ الشرط المطلوب . لم يلتفت إلى الوراء . لم يقع نظره على يوروديكى . لكنه الآن يستطيع أن يسعد برؤياها . عندئذ ، التفت أورفيوس إلى الوراء . فاتحا ذراعيه ليستقبل محبوبته . أحس بسعادة غامرة عندما رآها هى الأخرى فاتحة ذراعيها تستقبله . أسرع أورفيوس نحو يوروديكى . أسرعت يوروديكى نحو أورفيوس . لكن . . فجأة . . اختفت يوروديكى داخل ممرات عالم الموتى وهى تصرخ . أورفيوس . وداعا ، وداعا (١٩) .

لقد استطاع أورفيوس أن يقهر الموت لصدق فنه . لكن الموت عاد فقهره لسوء تقديره . فلقد نسى أورفيوس أن يوروديكى تسير خلفه على مسافة غير بعيدة . ولقد ظن أنها غادرت عالم الموتى فى نفس اللحظة التى عبر فيها أورفيوس بوابة اوركوس . هكذا قدر أورفيوس فأساء التقدير .

١٩ – Hyginus, fabula 164; Diodorus Siculus, IV, 25; Pausanias, IX, 30, 3; Euripides, Alcestis, 357 (with scholiast).

فعندما عبر أورفيوس البوابة التفت وراءه . فى تلك اللحظة لم تكن يوروديكى قد عبرت البوابة بعد (٢٠) .

عاد أورفيوس إلى عالم الأحياء خائبا فاشلا . عاد إلى وحدته الموحشة . عاد إلى الحزن والهموم . انطوى على نفسه يندب حظه ويجتر الذكريات (٢١) . هجر حياة المدينة . لجأ إلى الأحراش والغابات . هام على وجهه ، ينشد أشعارا حزينة ، يعزف ألحانا حزينة . عاش بين المزارع والأشجار . اتخذ من الحيوانات الضارية أصدقاء وأندادا . صاحب الطيور فى غدواتها وروحاتها . سكن الكهوف والمغارات . تأثرت بموسيقاه وألحانه كل هذه الكائنات (٢٢) .

ذات يوم كانت جماعة من الباخيات ترتعن فى الغابة . والباخيات هن رفيقات الإله باخوس المخلصات . يرتعن فى الغابات . يقضين الليل هناك والنهار . يرقصن . يمرحن . يقدمن أطفالهن أضاحى للإله . يمزقن البشر فى لحظات النشوة . وينثرن لحمه للإله . يرضعن صغار الحيوانات من أثدائهن . يرقصن على ألحان مرحة . وينذرن رقصاتهن للإله . وجد أورفيوس نفسه ذات يوم وسط الباخيات . أراد أن يهرب منهن . طاردنه . لحقن به . طلبن منه أن يعزف على قيثارته ألحانا مرحة كي يرقصن . رفض أورفيوس . فلم يكن يعزف سوى ألحان حزينة تثير الهموم والأحزان . ألحت الباخيات

٢٠ – راجع المناقشة المفصلة للأسطورة من الناحية الأنثروبولوجية فى :
Harrison, Prolegomena, pp. 453 sqq.

٢١ – تأثر الكاتب الفرنسى جان أنوى بأسطورة أورفيوس ، لكنه عالجها معالجة حديثة : أورفيوس عازف كمان متجول فى المقاهى يقابل فنانة مغمورة فى محطة القطار يحبها . يعشقها . تبادله الحب . يحاول أن يعرف ماضيها وكل شيء عن عشاقها السابقين، لذلك يفقدها . ثم يعيدها إليه شخص غامض يدعى السيد هنرى **Monsieur Henri** ويطلب منه أن لا ينظر فى وجهها حتى الصباح لكنه ينظر إلى وجهها ويسألها مرة أخرى عن ماضيها وعشاقها السابقين . عندئذ يفقدها إلى الابد . هكذا يرى جان أنوى – كما يظهر فى مسرحيته يوريديس **Eurydice** – أن قصة أورفيوس ترمز إلى الرجل الذى يحاول دائما أن يعرف ماضى محبوبته حتى ولو أدى ذلك إلى قتل الحب المتبادل بينهما . .

٢٢ – Guthrie, Orpheus and Greek Religion, Passim.

فى طلبهن . هددن أورفيوس وتوعدنه. وجد أورفيوس نفسه بين نارين . إن رفض العزف والغناء مزقته الباخيات إربا . وإن عزف ألحانا حزينة كئيبة ثارت ثورة الباخيات ومزقته إربا أيضا . ففى كلتى الحالتين سوف يلقى أورفيوس حتفه . فكر فى أن يعزف لهن ألحانا مرحة . لكنه كان يؤمن أن الفنان لايستطيع أن ينفصل عن ذاته (٢٣) . كان مؤمنا بأن الفنان يجب أن يكون صادقا مع نفسه . وأن يكون فنه تصويرا لأحاسيسه وانفعالاته . لكن أورفيوس تردد أمام تهديدات الباخيات ووعودهن . رأى أن من الأسلم أن يعزف بعض الألحان المرحة حتى يهدىء من ثورتهن . بدأ أورفيوس فى العزف . قصد أن يعزف ألحانا مرحة . عزف ألحانا مرحة رائعة . تراقصت الباخيات طربا . استمر أورفيوس فى العزف . واصلت الباخيات الرقص . سيطرت النشوة على العازف والراقصات . تاه الجميع فى دهاليز الطبيعة . ظل أورفيوس يحملق فى أجساد الباخيات الراقصات . تداعت إلى ذهنه ذكريات الماضى الدفين . تذكر محبوبته يوروديكى التى حرمته منها السنون . أحس الفنان العاشق بالحزن والاكتئاب . ارتعشت أنامله الدقيقة وهى تلمس فى خفة أوتار قيثارته الحبيبة . لم يستطع أن يخدع نفسه وفنه أكثر مما فعل . لم يقدر على الانفصال عن ذاته أكثر من ذلك . وجد نفسه فجأة يعزف ألحانا حزينة كئيبة . وجد نفسه يعبر عن أحاسيسه وانفعالاته الدفينة . كان أورفيوس فنانا صادقا . والفنان الصادق لايجيد الخداع . لقد انتصر الفن الصادق . لقد أحس أورفيوس أنه فنان أصيل. لكنه . . فجأة . . . أحس بمئات الأيدى تنهال عليه من كل جانب . أحس بأسنان الباخيات تنهش كل قطعة من جسده . ثم فقد الوعى . ثم تقطعت أنفاسه . ثم فقد

٢٣ – يرى هايت (Highet, The Classical Tradition, p. 135, 139). أن أول عمل مسرحى ظهر بلغة أوربية حديثة مأخوذاً عن الأساطير الإغريقية كان مسرحية أورفيوس Orpheus للكاتب الإيطالى أنجلو أمبروجينى Angelo Ambrogini فى عام ١٤٧١ . يرى هايت (Op. Cit., p. 174) أن الكاتب الإيطالى قد عرض مأساه أورفيوس ويوروديكى من خلال إطار رعوى فرجيلى .

الحياة (٢٤) . انفصلت رأسه عن جسده . وتمزق جسده إربا . ألقت الباخيات برأسه وأشلائه فى نهر هيبروس السريع (٢٥) . ظلت رأس أورفيوس تتمتم : يوروديكى وداعا . وداعا (٢٦) . أخذت الأشجار والأطيار والهضاب والسهول تردد اسم يوروديكى . ظلت مياه النهر تتقاذفها حتى وصلت إلى البحر الواسع . ظلت أمواج البحر الواسع تتقاذفها حتى وصلت إلى جزيرة لسبوس . هناك عثرت الموسيات على رأس أورفيوس . دفنتها فى أرض الجزيرة ، أما اشلاؤه فقد دفنت عند سفح جبل أولومبوس . هناك تجمعت طيور العندليب . ظلت تغرد رائحة غادية . وحتى الآن ، مازالت طيور العندليب تغرد عند سفح جبل أولومبوس . وحتى الآن ، مازال كوكب لامع فى السماء يعرف باسم « أورفيوس » أو باسم « القيثارة » (٢٧) .

هذه هى قصة أورفيوس (٢٨) . الفنان العاشق . رواها بالتفصيل الشاعران الرومانيان فرجيليوس وأوفيديوس . وردت بعض أجزاء منها عند بعض الكتاب الإغريق والرومان الآخرين (٢٩). أشهر هؤلاء أبوللونيوس

٢٤ – تناول الشاعر التراجيدى أيسخولوس هذا الجزء من الأسطورة فى إحدى تراجيدياته التى لم تصلنا ، وكانت بعنوان Bassarae .

٢٥ – أنظر وصف هذا الجزء بالتفصيل فى
Ovid, Metamorphoses, XI, 1 sqq.

٢٦ – راجع التفسيرات المختلفة لهذا الجزء من الأسطورة فى :
Rose, Greek Mythology, p. 255, with references on p. 280 n. 4.

٢٧ – Lucian, Adversus Indoctum, II; Eratosthenes, Catasterismoi, 24; Hyginus, Poetica Astronomica, II, 7.

٢٨ – راجع التفسير الطبيعى للأسطورة : (Guerber, Op. Cit., p. 351). حيث يرى أتباع المذهب الطبيعى : (١) أن أورفيوس يرمز إلى الرياح التى تقتلع الأشجار بينما تمر من حولها محدثة أنغاماً مؤثرة ، أو (٢) أن أورفيوس يرمز إلى الصباح بجماله الذى لايدوم لفترة طويلة بينما ترمز زوجته يوروديكى إلى الضوء الذى سرعان مايقضى عليه الظلام ، أو (٣) أن أورفيوس هو الشمس الذى يقتحم مملكة الظلام حتى يحصل على الضوء (= يوروديكى ... إلخ) .

٢٩ – أول إشارة إلى أورفيوس فى المصادر الأدبية نجدها عند إبيكوس Ibicus أو ألكايوس Alcaeus ، أشار إليه – بعد ذلك – شعراء التراجيديا وخاصة أيسخولوس (أجاممنون ، ١٦٢٩ – ١٦٣٠) – ويوريبيديس (عابدات باخوس ، ٥٦١ – ٥٦٤) .

الرودى ، الذى أشار إلى اشتراك أورفيوس فى رحلة السفينة أرجو .
لم يختلف الرواة كثيرا حول أسطورة أورفيوس . لكن هناك اختلاف جدير بالذكر . فبالرغم من اتفاق الجميع حول طريقة مقتل أورفيوس إلا أنهم يختلفون حول أسبابها (٣٠) . أهم سبب – فى نظر البعض – هو أن أورفيوس عارض عبادة الإله باخوس وتصدى لها وحاول أن يمنع انتشارها فمزقته الباخيات (٣١) .

يرى بعض الدارسين أن أورفيوس لم يكن سوى شخصية خيالية . بينما يعتقد البعض الآخر أن أورفيوس شخصية حقيقية وأنه مؤسس المذهب الأورفى ، أقدم المذاهب الفلسفية التى ظهرت بين الاغريق .

* * *

اللذان قالا إنه كان قادراً على التأثير بموسيقاه على كل شئ حتى الأحجار (أنظر أيضا : (Apollonius Rhodius, I, 28-31 . صورته الأعمال الفنية وخاصة اللوحات القديمة وهو يمسك قيثارته ويعزف للكائنات ، أنظر
(Oxford Classical Dictionary, s.v. Orpheus)

٣٠ – يروى بعض الرواة أن سبب موت أورفيوس (بالاضافة إلى الأسباب المذكورة فى ص ص ٢١٧–٢١٨) هو أن زيوس غضب منه فصعقه بصاعقة برقية لأنه أفشى أسراراً صوفية خاصة ، راجع Pausanias, IX, 30, 3; II, 30, 2, III, 14; 5.

٣١ – Aristophanes, Frogs, 1032; Ovid, Metamorphoses, XI 1-85; Konon, Narrationes, 45 (Quoted by Graves, Op. Cit., p. 113 n. 4).
قارن أيضا Rose, Op. Cit., p. 254-5. حيث يعتقد أن أورفيوس كان متحمسا لعبادة الإله ديونوسوس (باخوس) وأنه كان يعمل جاهداً من أجل نشرها فى كل مكان يذهب إليه .

بيجماليون

الحب والرغبة . . . يغزوان الذكر والأنثى . . قلبا وجسدا . . . فيصبح القلب طفلا . . . والجسد شابا . . وتسلك الروح مسلكا يجمع بين الطفولة والشباب . . . لذا سعى وراء الحب والرغبة من سعى . . . وفر منهما من فر . . وكان بيجماليون أول الفارين . . .

بيجماليون

الحب . . من من البشر لم يذق طعم الحب . من من البشر لم يجربه . عرفه الإغريق منذ الأزل باسم إروس . أسماه الرومان من بعدهم كيوبيد . بعد ذلك . اختلف أفراد البشر فى تسميته باختلاف لغاتهم . لكنهم لم يختلفوا فى تخيلهم لهيئته . ومظهره . وسحره وجبروته .

الحب طفل صغير . صغير إلى الأبد . لايترك مرحلة الطفولة . قد يصل إلى مرحلة الصبا . لكنه لايعرف الشباب . فما بالك بالشيخوخة . إنها لاتخطر على باله أبدا .

طفل صغير عار . لايعرف الثياب . فالثوب ابتكره الانسان البالغ ليخفى به أشياء لايريد أن تقع عليها أنظار الآخرين .

طفل صغير صحيح البدن . كامل الصحة . رشيق القوام . لاتصيبه النحافة ولاتدركه السمنة . له وجه مشرق دائم الابتسامة . فى عينيه بريق لامع له تأثير السحر .

طفل صغير لايحبو على أربع . ولايمشى على اثنتين . بل يستخدم جناحين نبتا فوق ظهره . بهما يجوب أنحاء الأرض . يحوم فوق الربا والهضاب . يرفرف فوق سطح الماء . يجوب أطراف السماء . على كتفه الأيسر جعبة صغيرة مليئة بالسهام . لايخلعها أبدا . فى يده اليسرى قوس رشيق .لايلقيه أبدا . يعبث دائما بسهامه . يصوبها نحو الجميع على حد سواء .

طفل صغير مشاكس ، لعبته الرماية ، بيده اليمنى يسحب السهم من

الجعبة ، وبيده اليسرى يثبت رأس السهم فى منتصف القوس . ثم بيده اليمنى يجذب السهم نحوه ويشد وتر القوس ، ثم يتركه فجأة . فينطلق السهم مارقا كالبرق . وسهم الحب يعرف طريقه جيدا . فهو ينطلق دائما نحو القلوب . يغوص فى أعماق القلب . فيغرس فيه بذرة تنبت زرعا نضرا أبدا لايموت. فالحب طفل صغير يلهو ويعبث وفى لهوه وعبثه يغزو القلوب . لايفرق بين قلب صبى أو شاب أو عجوز . لايميز بين قلب جندى أو سياسى أو ملك . لافرق عنده بين قلب ذكر أو أنثى . فالحب يعبث بقلوب الجميع . فيصبح الجميع أطفالا عراة . لايتركون مرحلة الطفولة . قد يصلون إلى مرحلة الصبا . لكنهم لايعرفون الشباب . فما بالك بالشيخوخة : إنها لن تخطر على بالهم أبدا :

ذلك الطفل الصغير له صاحب يصاحبه . ورائد يروده . وموجه يوجهه . من ذا الذى يصاحب الحب ويروده ويوجهه ؟

الرغبة .. مَنْ من البشر لم تؤرقه الرغبة . مَنْ من البشر لم يمارسها . عرفها الإغريق منذ الأزل باسم أفروديتا . أسماها الرومان من بعدهم فينوس. بعد ذلك ، اختلف أفراد البشر فى تسميتها باختلاف لغاتهم . لكنهم لم يختلفوا فى تخيلهم لهيئتها ومظهرها . وسحرها وجبروتها .

الرغبة . . امرأة شابة . شابة إلى الأبد . لم تمر بمرحلة الطفولة . ولا بمرحلة الصبا . أما الشيخوخة . فلن تدركها أبدا .

امرأة شابة لاتعرف من الثياب إلا غلالة من النسيج الشفاف . تلف بها ردفيها . لاعن حياء بل رغبة فى الإثارة . رشيقة القد ، فارعة القوام . غضة العود . لدنة البدن حلوة الملامح . دقيقة التقاطيع .

امرأة شابة جبهتها مرتع للعبث . عيناها بؤرة للإغراء ، شفتاها شطآن للغرام ، فى وجنتيها سحر ونداء . بضة الكتفين ، بارزة النهدين ، نحيلة الخصر ، ممتلئة الردفين .

امرأة شابة تنثر الفتنة والإغراء أينما حلت . لاتحمل على كتفها اليسرى جعبة ، ولاتمسك بيدها اليسرى قوسا . لكنها بارعة فى الرماية . جسدها

الدافىء جعبة مليئة أبدا بالسهام : نظراتها ، لحظاتها ، أنفاسها ، حركاتها . تلك هى السهام . وسهام الرغبة لاتخطىء ولاتحيد . تنطلق مباشرة نحو الجسد. فتبعث فيه الدفء من الرأس إلى القدم .

فالرغبة امرأة شابة تلهو وتعبث ، وفى لهوها وعبثها تغزو الأجساد . لاتفرق بين جسد صبى أو شاب أو عجوز ، لاتميز بين جسد جندى أو سياسى أو ملك . لافرق عندها بين جسد ذكر أو أنثى . فالرغبة تعبث بأجساد الجميع ، فيصبح الجميع شبابا لايعرفون من الثياب إلا غلالة من النسيج الشفاف . وكأنهم لم يمروا بمرحلة الطفولة أو بمرحلة الصبا . أما الشيخوخة ، فلن تدركهم أبدا .

هكذا تخيل الإغريق والرومان الحب والرغبة . فهما يغزوان الذكر والأنثى قلبا وجسدا . فيصبح القلب طفلا والجسد شابا ، وتسلك الروح مسلكا يجمع بين الطفولة و الشباب . لذا سعى وراء الحب والرغبة من سعى . وفرّ منهما من فر . وكان بيجماليون أول الفارين .

بيجماليون (١) . أقدم ملوك جزيرة قبرص . ملك مهيب وقور ، له منزلته ومكانته بين شعبه . يحترمه الجميع ويقدسونه . لم يشأ أن تسلك روحه مسلكا يجمع بين الطفولة والشباب . فبدأ يقاوم الحب ، ويتصدى للرغبة . لكنه كان يتعذب فى وحدته . أراد أن يقيم حصنا منيعا يحمى قلبه من سهم الحب النافذ، ويدرأ عن جسده سهام الرغبة الدافئة . بدا له أن الفن هو ذلك الحصن المنيع : جرب كل أنواع الفنون . برع فى فن النحت .

١ـ قصة بيجماليون أسطورة اغريقية محلية . وبالرغم من ذلك ، لم يذكرها أو يتعرض لها أو يتناولها أى مصدر من مصادر الإساطير الاغريقية . أقدم مصدر روى هذه الأسطورة هو الشاعر الرومانى أوفيديوس . بالاضافة إلى أوفيديوس فقد أشارت إليها بعض المصادر المتأخرة . ولم تعطينا كل تلك المصادر اسم جالاتيا ، بل تركت بطلة الأسطورة بدون اسم . المصادر التى تناولت هذه الأسطورة هى :
Ovid, Metamorphoses, X, 243 sqq. ; Clemens Alexandrinus,, Protrepticus, 51; Arnobius, Adversus Nationes, VI, 22;
راجع : Rose Greek Mythology, p. 340 A.

انطلق بيجماليون يجمع القرون العاجية والأحجار . انطلق يشكل من الأحجار والقرون أشكالا تؤنسه فى وحدته . كان الحب — بين الحين والحين — يطلق سهمه النافذ نحو قلب بيجماليون . وكان الملك الوقور — فى كل حين — يحتمى بالحصن المنيع ، فيبعد عن طريق الحب ، ويصيب السهم قلب واحد من أتباع بيجماليون . كانت الرغبة — بين الحين والحين — توجه سهامها الدافئة نحو جسد بيجماليون . وكان الملك المهيب — فى كل حين — يفر فى خفة إلى الحصن المنيع ، وتصيب السهام واحداً من أتباع بيجماليون .

شد الفن أزر بيجماليون(٢) . منحه العزم والتصميم . شكّل من الأحجار محاربا يمتشق سلاحه . قدّ من قرون العاج سفنا حربية ذات أشرعة أو مجاديف . أقام مدنا وحصونا وقلاعا . ملأها بالمستشارين والجنود والمواطنين صنع بفنه عالما أراد أن يعيش فيه . لكن . . غالبا ما كان يشعر بأن عالمه المصنوع ينقصه شىء . كان يتجاهل ذلك الشىء . كان يتحاشاه . بل كان يمقته مقتا شديدا . كان يفعل ذلك فى عناد . كان يعرف تماما سبب ذلك العناد . لامكان للمرأة فى عالمه المصنوع . يكفى أن لها مكانا — رغم أنفه — فى العالم الحقيقى . يكفى أنه هجر العالم الحقيقى من أجلها وعاش فى عالمه المصنوع .

كلما مرت الأعوام ازداد إصرار بيجماليون . اشتد تصميمه . أحس بالزهو ولذة النصر . فلقد تخطى مرحلة الشباب . وتوغل فى طور الرجولة . لكن . . مازال يحس أن عالمه المصنوع ينقصه شىء . بدأ يتنازل عن عناده بعض الشىء . لابأس من أن يقدّ امرأة من عاج أوحجر . سوف تكون بلا قلب ، بلا جسد ، بلا روح . سوف يصنعها بنفسه من عاج أو حجر . يستطيع أن يحطمها حين يشاء . يستطيع أن يتخلص منها متى أراد . قفزت فكرة فى رأسه . إنه يمقت المرأة . وهذه فرصة لإذلالها . سوف يضع كل فنه فى تمثال واحد . سوف يجعل منه آية من الروعة والكمال . سوف يجمع



شكل (١٢)

بيجماليون امام تماثيله

---

٢ — Hamilton, Mythology, pp. 108-111.

فيه كل جميل . سوف يكون فيه جميع الصفات الحسنة والميزات الطيبة . سوف تراه كل امرأة . عندئذ ، سوف تعرف نساء العالم لماذا عقت بيجماليون المرأة ، ولماذا يتحاشاها . إنه لايرى امرأة واحدة فى العالم جديرة بحبه ، قادرة على إشباع رغبته (٣) .

أخذ بيجماليون يجمع الأحجار وقرون العاج . انتقى أجودها وأثمنها . ظل يفاضل بين خاماته . وقع اختياره على كتلة صلبة من الحجر الوردى . استهواه ذلك اللون، وشد انتباهه . قدّ الرأس . وشكّل القوام ، وأبرع فى القدّ والتشكيل . لكنه وجد أن ماصنعه لايفوق فى مظهره أغلب النسوة فى العالم الحقيقى . وجد أمامه امراة مصنوعة تزاحم المخلوقات والكائنات التى قضى عمره فى صناعتها . ندم على مافعل . أحس باليأس يتسرب إلى نفسه . استولت عليه الهموم . قرر أن يحطم المرأة المصنوعة ويعود إلى عناده . ألا يستطيع أن يحطمها حين يشاء ؟ ألا يستطيع أن يتخلص منها متى أراد ؟ فجأة قفذت فى رأسه فكرة ثانية . يخرج إلى العالم الحقيقى . يقابل المرأة وجها لوجه ، يتحداها تحديا سافرا . يتفرس فى وجه المرأة وقوامها . يدقق النظر فى ملامحها وتفاصيل جسدها . يلاحظ كيف تتزين المرأة وكيف تبرز مفاتنها . ثم يعود إلى تمثاله فيغير معالمه إلى أحسن ، ويصل به إلى الكمال ، إلى حد لم تصل إليه امرأة قط .

قضى بيجماليون أوقاتا طويلة أمام تمثاله الجديد . يفكر كيف يصل به إلى حد الكمال . أصبح التمثال شغله الشاغل . يصحو من نومه مبكرا لينحت قليلا حول الأنف كى يبدو أجمل . يترك فراشه ليلا ليقد الشفتين كى تكتسبا جاذبية أكثر يقضى ليالى بأكملها يحك الساقين حتى تصبحا أكثر رشاقة . ثم يدلكهما بمهارة وحرص حتى تكونا أكثر نعومة . تمر أيام بأكملها وهو يعيد تشكيل الأنامل حتى تصبح أكثر دقة . عاش بيجماليون لتمثاله . كرس من أجله فنه ومهارته وخبرته . فاق التمثال بجماله وروعته

٣ - Kupfer, Legends of Greece And Rome, pp. 180-4.

جميع النسوة . بدا لناظره امرأة شابة رائعة الجمال ذات بشرة وردية رقيقة . فاق بنعومة ملمسه كل أجساد النساء . أتت النسوة من كل مكان لمشاهدته ، عادت كل واحدة منهن غير راضية عن جمالها . جاء الرجال من كل صوب لرؤيته . عاد كل واحد منهم غير قانع بزوجته .

لم يعد هناك إنسان لايتحدث عن جمال التمثال . عن روعته ، عن لونه الوردى المثير . عن نعومة ملمسه . عن تناسق أعضائه ، عن تناسب أجزائه . لم يعد هناك رجل لايتمنى لو أن له زوجة فى روعة تمثال بيجماليون . لم تعد هناك امرأة لاتشعر بالحسرة عندما تتخيل جمال تمثال بيجماليون . أحس بيجماليون بالزهو ولذة النصر . خشى على تمثاله الثمين من حسد الحاسدين . خاف عليه من حقد الحاقدين. أقام له جناحا خاصا بالقرب من جناحه . ألبسه أبهى الثياب . علق فى عنقه قلادة من الذهب الخالص ، أحاط معصمه بسوار من الماس النادر . أغدق عليه أثمن الهدايا . وجه إليه أرق العبارات . لكنه تمثال لايحس ولايشعر . بالرغم من ذلك ، كان بيجماليون يقضى نهاره ماثلا أمام تمثاله الوردى . يمتدحه ، يزينة بأثمن الحلى ، يغير له ملابسه ، وإذا ماجاء الليل احتضن بيجماليون تمثاله الوردى . ودعه . وتمنى له ليلة سعيدة .

كلما ازدادت حسرة النسوة واشتد حزنهن ازداد إقبال بيجماليون على تمثاله الوردى وقويت أواصر الألفة بينهما . لم يعد الصانع يقدر على فراق ما صنع . لم يعد الخالق يستطيع البعد عما خلق . أصبح لكليهما جناح واحد . بل وفراش واحد . يقبل بيجماليون الشفتين الجذابتين . لكنهما لاتقبلانه بدورهما . يتحسس الذراعين الجميلتين . لكنهما لاتتجاوبان معه . يحتوى الجسد الوردى بين ذراعيه فيحس ببرودة وسلبية تامة . يلجأ بيجماليون إلى الوهم والخيال . كما يفعل الطفل إزاء دمية عزيزة لديه . يلبس مخلوقته ثوبا جديدا غاليا . ثم يتخيل أنها أصبحت سعيدة به . يقدم إليها هدية كتلك الهدايا التى تسر قلوب العذارى . ثم يرى فى المنام أنها تشكره بحرارة على هديته . يصطحبها فى



شكل (١٣)

بيجماليون وجالاتيا

فراشه ليلا . ويحتضنها بحنان وحرارة كما يفعل الطفل بدمية عزيزة لديه(٤) .

لم يستطع بيجماليون أن يواصل حياة الوهم والخيال . لم يحتمل أن يسلك مثل طفل صغير . نفذ صبره . قرر أن يحطم مخلوقته ويتخلص منها . ألا يستطيع أن يحطمها حين يشاء ؟ ألا يستطيع أن يتخلص منها متى أراد ؟ أحاط — فى غضب — خصرها النحيل بيديه . مد فى عصبية ذراعيه نحو الأمام . رفع بسرعة مخلوقته إلى أعلى ، وهم بإلقائها على الأرض ، قاصدا بذلك أن يحطمها ويتخلص منها . ألا يستطيع أن يحطمها متى أراد ؟ لمس ذيل ثوبها وجهه . أحس برعشة مفاجئة تسرى فى جسده . رفع وجهه إلى أعلى متحاشياً ذيل الثوب الذى استقر فوق جبهته وعينيه . نظر إليها دون قصد . تحجرت مقلتاه . توقفت أنفاسه . جف اللعاب فى حلقه . ظل رافعا ذراعيه إلى أعلى . ثم . . ثم زاغت مقلتاه . وتدافعت أنفاسه . وفاض اللعاب فى حلقه . وثنى ذراعيه فى بطء شديد . تحرك نحو الفراش . حيث اعتاد أن يحتضن مخلوقته بحنان وحرارة كما يفعل الطفل بدمية عزيزة لديه . وصل إلى الفراش وهو يحمل مخلوقته بين ذراعيه . وضعها فى فراشه برقة بالغة وحرص شديد . تمدد بجوارها . خفق قلبه خفقات سريعة . تدفقت الدماء فى عروقه . سرى الدفء فى جسده . فجأة وجد نفسه يصرخ من الأعماق .

أيها الحب ، أنت إله .

أيتها الرغبة ، أنت ربة .

أيها الحب ، سهمك النافذ أصاب أعماق قلبى .

أيتها الرغبة ، سهامك الدافئة انتشرت فى كل جسدى .

لن أقاومك ، أيها الحب ، فأنت قادر ..

لن أتحداك ، أيتها الرغبة ، فأنت قادرة .

قادر ، تصنع من الحجر الصلب قلباً نابضاً .

---

٤ — Guerber, Myths of Greece And Rome, pp. 98-9.

قادرة ، تجعلين من الحجر الصلب جسداً حياً .

قادر ، تصيب بسهمك النافذ كل قلب .

قادرة ، تنشرين سهامك الدافئة فى كل جسد .

ولا يسعد القلب النابض إلا بقلب نابض مثله .

ولا ينعم الجسد الدافىء إلا بجسد دافىء مثله .

لف بيجماليون ذراعه حول الخصر الحجرى البارد — خصر محبوبته — أبعد ذراعه بسرعة . ماذا حدث ؟ أما زال يعيش فى الوهم والخيال (٥) ؟ فلقد أحس بموجة من الدفء تنتقل من خصرها إلى ذراعه . وضع كفه على جبهتها ، أحس بموجه أخرى من الدفء تنتقل إلى كفه . ضغط بشفتيه المرتعشتين على شفتيها ، قبلها بشوق وحرارة قبلة طويلة . أحس بشفتيها تلينان شيئا فشيئا . ضغط بكفه على صدرها الحجرى الناهض ، فغاصت أنامله فى نهديها . كأن محبوبته تمثال من الشمع صهرته حرارة الشمس . بدأ يتحسس بأصابعه رسغ محبوبته . أحس بالدماء تتدفق فى عروقها . نظر إليها . احتواها بين ذراعيه . ابتسمت فى حياء . احمرت وجنتاها من الخجل . أخفت وجهها فى صدره . سمعته يهمس فى أذنها .

جالاتيا . . . كم أحبك .

جالاتيا . . . كم أرغبك .

تلك هى أسطورة بيجماليون . أسطورة إغريقية ، تبرر نشأة عبادة أفروديتا فى جزيرة قبرص . تروى الأسطورة أن ملك قبرص — بيجماليون — أنشأ بعد ذلك معبداً لافروديتا — عرفانا بالجميل — وتزوج من محبوبته — التى أسماها جالاتيا — وأنجبت له طفلا أسماه بافوس (٦) ، ثم أطلق اسم بافوس

٥ — Kupfer, Op. Cit., pp. 187-90.

٦ — قيل إن جالاتيا أنجبت لبيجماليون ابناً واحداً اسمه بافوس Paphos . (Hamilton, Op. Cit., p. 111) قيل أيضاً انها أنجبت ابنا يدعى بافوس وابنة تدعى ميثارمى (Metharme) (Graves, Greek Myths, Vol. 1, p. 211). =

على مدينة فى الجزيرة أصبحت فيما بعد مركزا لعبادة أفروديتا . وبالرغم من أن هذه الأسطورة إغريقية الأصل . فإنها — كما يبدو — لم تكن معروفة أو سائدة بين الإغريق . إذ وردت لأول مرة بشىء من التفصيل عند الكاتب اللاتينى أوفيديوس فى مجموعة قصائده المعروفة بعنوان Metamorphoses « التغيرات » أو « مسخ الكائنات » .

كانت ومازالت أسطورة — بيجماليون — مصدر إلهام لاينضب للأدباء والشعراء على مدى العصور . تناولها — على سبيل المثال — مارستون Marston (عام ١٥٩٨) فى قصيدة عاطفية بعنوان
The Metamorphoses of Pygmalion's Image.
« التغير الذى طرأ على تمثال بيجماليون » . ثم رواها وليم موريس Willian Morris (عام ١٨٦٩) فى قصيدة بعنوان Earthly Paradise « الجنة الأرضية » . كما اتخذها و . س . جلبرت W. S. Gilbert (عام ١٨٧١) موضوعا لكوميديا بعنوان « بيجماليون وجالاتيا » Pygmalion And Galatea : ولسنا فى حاجة إلى ذكر الكاتب المسرحى الأيرلندى المعروف . برنارد شو الذى اتخذ — فى عام ١٩١٢ — اسم بيجماليون عنوانا لإحدى مسرحياته ، والكاتب المعروف توفيق الحكيم الذى تناول الأسطورة تحت نفس العنوان .

* * *

= قيل أيضا إن بافوس هو اسم الابنة التى أصبحت فيما بعد والدة للملك كينوراس Oxford Classical, Dictionary, s.v. Pygmalion; Zimmerman, Dictionary of Classical Mythology, s.v. Galatea.

أوديب

. . عاشت يوكاستا وأوديب عيشة الأزواج . عاشت الأم زوجة لابنها . عاش الابن زوجا لأمه . هكذا شاءت الأقدار . لم يكن كل منهما يعلم حقيقة أمره . لكن الآلهة كانت تعلم بحقيقة كل منهما .عاشر أوديب الملك زوجته الملكة يوكاستا . استعذبا الحياة معا . أنجب أوديب من زوجته يوكاستا أربعة أطفال . هكذا شاءت الأقدار : أن يكون الأطفال إخوة لأبيهم ، أن يكون الأب أخا لأطفاله . أحب أوديب أطفاله ، أحب الأطفال والدهم . تمتعت الأسرة بالسعادة والهناء . لكن الآلهة كانت لهم جميعا بالمرصاد .

أوديب

طيبة ، واحدة من المدن الإغريقية المتعددة ، ذات تاريخ حافل ، ذات شهرة واسعة ، أسسها كادموس ، الملك العجوز المهاب (١) . انحدرت من كادموس عائلات كثيرة ، أشهرها عائلة لبداكوس . أنجب لبداكوس طفلا أسماه لايوس . عاش لايوس منفيا ، بعيدا عن وطنه ، فترة طويلة . نشأت صداقة بينه وبين بلوبس فى المنفى . لكن لايوس لم يرع حرمة الصداقة ، لم يحافظ على كرامة صديقه (٢) . غضبت منه الآلهة ، لعنته لعنة أبدية ظهرت آثارها فيما بعد . عاد لايوس إلى وطنه طيبة . تقلد أمور حكمها . أصبح ملكها ، وقائدها ، وحاميها . تزوج يوكاستا (٣) ، فتاة جميلة رائعة ، ساقتها الأقدار القاسية لتشاركه قدره اللعين . استمر زواج لايوس ويوكاستا أعواما عدة (٤) .

١ – أسس كادموس **Cadmus** مدينة كادميا **Cadmea** بناء على نصيحة من نبوءة أبوللون . أنظر تفاصيل هذه الرواية فى : **Rose, Greek Mythology, pp. 184-5.**

٢ – قيل أن لايوس اغتصب الصبى خريسيبوس **Chrisippos** ابن صديقه بلوبس: **Apollodorus, III, 44; Argument to Sophocles' Oedipus Tyrannus : Pelops.**

٣ – أو إبيكاستى **Epikaste** ('Επικάστη) كما يسميها هوميروس **(Odyssey, XI, 271).**

٤ – أشهر مصدر من المصادر الإغريقية التى تناولت أسطورة أوديب هو الكاتب التراجيدى سوفوكليس ، الذى وصلتنا من أعماله تراجيديتان تعالجان أسطورة أوديب وهما : أوديب ملكاً **Oedipus Tyrannus** وأوديب فى كولونوس **Oedipus Coloneus** كما تناول نفس



شكل (١٤)
الإله أبوللون

أحب لايوس زوجته حبا شديدا . أخلصت له زوجته إخلاصا منقطع النظير . قضى الإثنان حياة هادئة سعيدة . كان من الطبيعى أن ينتظر الملك وليا لعهده ، أن ينجب طفلا يتوج به سعادته . كان من الطبيعى أن تنتظر الملكة حادثا سعيداً ، أن تضع مولودا يبرهن على أنوثتها . ظل الملك ينتظر . ظلت الملكة تنتظر . طال انتظارهما . كتمت الزوجة قلقها . دفنت رغبتها فى صدرها . أخفى الزوج شوقه الخارق ، كتم همومه وأحزانه . لم يشأ كل منهما أن يفصح للآخر عن مكنون صدره . تذرع كل منهما بالصبر . بات كل منهما يفكر وحده و فى صمت .. حاول كل منهما أن يعوض الآخر عن عقمه الذى طال . ازداد حب كل منهما للآخر . كانا يقضيان الليالى يتسامران ، يتبادلان عبارات الغزل الرقيق . وجدت يوكاستا فى غزل لايوس ماينسيها عقمها . لكن لايوس لم يستطع مع زوجته صبرا .

ذات يوم ، غادر لايوس طيبة ، ذهب إلى دلفى . لم تعلم يوكاستا إلى أين ذهب لايوس . ذهب إلى معبد أبوللون ليستطلع رأى نبوءة الإله . صلى لايوس فى المعبد . قدم القرابين ، بعث بالدعوات . تقدم نحو المحراب المقدس . قدم شكراه إلى الإله . لقد مرت على زواجه أعوام عدة ، لكن الآلهة لم ترزقه بذرية حتى الآن . قهقة الإله من خلف المحراب المقدس . ارتعد لايوس . تفككت مفاصله ، سرت قشعريرة فى جسده . أصبح كله أذانا صاغية . وصلت إلى سمعه عبارات ربانية . لايجب أن يستولى القلق على لايوس . بل عليه أن يقنع بعقمه . إن الآلهة تقف له بالمرصاد . إنها تريد أن تنتقم منه . من الأفضل أن يظل بلا ذرية . لكن ، سوف يأتى اليوم الذى سينجب فيه لايوس طفلا ذكرا . ولسوف يقتل أباه (٥) . ثم يتزوج أمه .

استولى على لايوس ذعر شديد . غاذر المعبد وهو لايلوى على شى (٦).

الأسطورة بشىء من التفصيل أيضا الكاتب السكندرى أبوللودوروس **(Apollodorus, III, 48 sqq.)** . ثم توالت بعد ذلك المصادر التى تناولت الأسطورة بالتفصيل ، ونخص بالذكر الفيلسوف والكاتب التراجيدى الرومانى سنيكا **Seneca** فى مسرحيته المعروفة باسم أوديب **Oedipus** .

٥ - Aristophanes, Ranae, 1184 — 5.

٦ - Warner, Men and Gods; pp. 149 — 154.

حمد الأقدار التى جعلته بلا ذرية ، ظل يفكر أثناء عودته إلى طيبة . كيف يتحاشى قدره المكتوب ! كيف يهرب من مصيره المحتوم ؟ كيف يظل بلا أطفال إلى الأبد ؟ فكر فى أن يطلق زوجته يوكاستا ، لكنه يحبها ويعشقها . صمم على أن يبعدها عن القصر. لكنه لايستطيع الحياة بعيداعنها . لم يكن أمامه سوى أن يهجرها فى الفراش (٧) . لكنه خشى أن يخدش بذلك كرامتها كأنثى . عاد لايوس إلى وطنه طيبة والحيرة تأكل قلبه . قابلته زوجته الحبيبة بالترحاب . سألته عن سبب غيابه . تلعثم ، بدا عليه الارتباك .لم تشأ أن تثقل عليه بالسؤال ، تركته وشأنه . لاحظت يوكاستا أن زوجها يتحاشى الانفراد بها . لاحظت أنه لم يعد مقبلا عليها كما كان من قبل . تأكدت من أنه لايقترب منها فى الفراش . طالت فترة الهجر . تصاعدت موجات الشك فى صدر يوكاستا .

ذات ليلة ، أرادت يوكاستا أن تضع حدا لشكوكها . ابتكرت سببا لدعوة لايوس إلى مخدعها . عرضت عليه الشراب . رفض بشدة . ألحت عليه . تردد فى القبول . مالت عليه فى دلال . مد يده فى خضوع ، شرب ثم شرب ، ثم شرب ، شرب حتى الثمالة (٨) . مالت عليه فى دلال . دفنت رأسها فى صدره . سيطرت عليه النشوة . صاحبها دون مقاومة إلى الفراش. مكثا فى الفراش حتى الصباح . عاد لايوس إلى صوابه . ندم على مافعل ، نهرها بشدة . أمرها أن لاتفعل ذلك مرة أخرى . لكن الآلهة حققت ماشاءت. أحست يوكاستا بشىء يعبث فى أحشائها . أسرعت تزف إلى زوجها البشرى. سوف تضع مولودا طال انتظارهما إليه . تمالك لايوس نفسه . تذرع بالصبر. انتظر حتى وضعت زوجته مولودها . انتزعه منها فى عصبية واضحة . أراد أن يقتله . دهشت الزوجة . شرح لها ما كان يخفيه عنها . حاولت أن تشككه

٧ - Apollodorus, III, 5, 7.

٨ - Graves, Greek Myths, Vol. II, pp. 9 sqq.

فى أقوال النبوءة (٩) . توسلت إليه أن يحفظ حياة ولدهما ، أخيرا ، قرر أن لايقتله ، لكنه صمم على أن يتخلص منه(١٠) . جاء بالرضيع وهو يبكى. أمر بربط قدميه ربطا محكما وإلقائه فى العراء . كان واثقا أن الطفل سوف يلقى حتفه بعيدا عن أنظار والديه . أمر واحدا من أتباعه أن يحمل الرضيع إلى خارج البلاد . وأن يلقيه بين الأحراش. ثم عاش الملك لايوس بلا أطفال، سعيدا ، هادئا ، نسى بمرور الزمان أنه أنجب طفلا وتخلص منه .

حمل تابع الملك لايوس الطفل موثوق القدمين بين يديه . وصل إلى قمة جبل كيثيرون ، الذى يقع على حدود طيبة وكورنثا . ألقى نظرة على الأحراش والمراعى الواسعة . كان البرد قارصا . والجو رطبا ، والسماء ملبدة بالغيوم . هم بإلقاء الطفل موثوق القدمين من فوق الربوة حيث كان واقفا ، لكنه لمح راعيا من كورنثا يسرع الخطى نحوه . أعاد تابع الملك الطفل نحو صدره . سأله الراعى الكورنثى . شرح له تابع الملك الأمر . أشفق الراعى على الطفل الموثوق القدمين . عرض عليه تابع الملك أن يسلمه إليه . تردد التابع . لكنه وافق فى النهاية . حمل الراعى الطفل إلى سيده . ثم حمل السيد بدوره الطفل إلى الملكة بريبويا (١١) زوجة بوليبوس ملك كورنثا . فرحت الملكة بالطفل اللقيط . كانت عاقرا تنتظر طفلا بلاجدوى. حملت الطفل إلى زوجها ملك كورنثا. فرح به الملك فرحا شديداً . فك وثاق قدميه . أصدر أوامره بالعناية بالطفل . نما الطفل فى كنف ملك كورنثا وملكتها . كان طفلاجميلا وسيما . لم يكن فيه سوى عيب جثمانى واحد . كان متورم القدمين ، نتيجةوثاقه المحكم الذى أوثق به وهو

٩ - تروى بعض المصادر (Aeschylus, Seven Against Thebes, 842; Sophocles, Oedipus Tyrannus, 711 sqq.) أن لايوس لم يعر اهتماماً لما قالته نبوءة أبوللون بشأن الطفل الذى سوف يقتل والده لايوس .

١٠ - Hamilton, Mythology, pp. 256 sqq.

١١ - اختلفت الروايات حول تسمية زوجة الملك الكورنثى بوليبوس Polybus: هل هى بريبويا Periboia أو بوليبيا Polybia أو ميروبى Merope .

طفل رضيع. أسماه والداه أوديبوس ـ أوديب ـ أى متورم القدمين (١٢) .

هناك رواية أخرى . أوثق لايوس قدمى الطفل . وضعه فى صندوق مغلق . ألقى بالصندوق فى مياه البحر . حملت أمواج البحر الصندوق ، ثم ألقت به على شاطىء سيكيون . هناك كانت الملكة بريبويا تشرف على وصيفاتها اللاتى كن يغسلن ملابس الملكة . فتحت الملكة الصندوق . وجدت طفلا حديث الولادة موثوق القدمين . لاحظت أن وصيفاتها مشغولات عنها بالغسيل . تظاهرت الملكة بأنها قد وضعت الطفل على الشاطىء . طلبت منهن المعونة . أوصلته إلى القصر . هناك صارحت زوجها بوليبوس بحقيقة الأمر (١٣) .

اختلفت الروايات حول بعض التفاصيل . لكن النتيجة جاءت واحدة. قضى أوديب أعوامه الأولى ينعم بالسعادة والرفاهية . أحبه بوليبوس وزوجته . أخفيا عنه حقيقة مولده . لم يخطر بباله قط أنه ابن لقيط . كان يشعر بالفخر والزهو وهو بين أصدقائه ومعارفه . كان يزهو بانتمائه إلى بوليبوس الملك . أثار بسلوكه أصدقاءه ومعارفه . ذات يوم أراد أحد أصدقائه أن يداعبه . أبدى ملاحظة ، أساء أوديب فهمها . أخبره ذلك الصديق أنه لايشبه والده بوليبوس تمام الشبه . انطوى أوديب على نفسه . ابتعد عن أصدقائه . هجر المجتمع . لم يصارح أحدا من أسرته بشكوكه . فجأة ، غادر كورنثا دون أن يشعر به أحد . ذهب إلى معبد أبوللون ليستطلع نبوءة الإله . لم يعرف أحد أين ذهب أوديب . قدم أوديب القرابين ، بعث بالصلوات . طلب من الإله أن يتحدث إليه . أجاب الإله مطلبه . تحدث إليه حديثا مقتضبا . انطلقت كلمات الإله مدوية فى أذنى أوديب : أيها الشاب اليافع ، ليس لدى ما أقوله لك سوى

١٢ – Οἰδίπους أى متورم أو منتفخ القدمين :
Guerber, Myths of Greece And Rome, pp. 246 — 8 ; cf. Rose, Op. cit., p. 221 n. 23.

١٣ – Graves, Op. Cit., p. 9.

هذه الكلمات : سوف تقتل أباك ، ثم تتزوج أمك (١٤) .

أصابت كلمات الإله أوديب بذعر شديد . خرج من المعبد مهرولا لايلوى على شىء . لم يعد إلى كورنثا . انطلق يعدو بعيدا عنها . إنه يحب والده بوليبوس حبا جما . إنه يحب والدته بريبويا حبا منقطع النظير . لن يعود إلى كورنثا مرة أخرى . لن يقع نظره على من رباه . لن يسمح لنبوءة الإله أن تتحقق . فالمرء يستطيع أن يصنع قدره بنفسه . ظل أوديب يعدو مهرولا وهو لايلوى على شىء . لم يكن يفكر سوى فى الابتعاد عن كورنثا . كان فى عدوه يقترب شيئا فشيئا إلى مدينة طيبة . دون أن يدرى . عند مفترق ثلاثة طرق تقابل أوديب مع شيخ مسن كان شيخا تبدو عليه الهيبة والجلال . يستقل عجلة تجرها مجموعة من الجياد . يسير أمام عجلته اثنان من الأتباع . قام شجار بين أوديب وراكب العجلة . هكذا رتبت الأقدار ذلك الشجار . هجم أوديب على راكب العجلة وتابعيه . قامت بين الجميع معركة مشئومة . انتهت المعركة بقتل جميع المتعاركين ماعدا أوديب وتابع من أتباع الشيخ المسن (١٥) . حاول أوديب أن يلحق بالتابع . لكن الأخير فر واختفى عن الأنظار .

واصل أوديب سيره بعيدا عن كورنثا (١٦) . كان بذلك يقترب شيئا فشيئا نحو مدينة طيبة دون أن يدرى . اقترب أوديب من مدخل المدينة . هناك ، استوقفه وحش مهول ، مسخ هائل . أنثى مروعة يعرفها الإغريق باسم سفنكس (١٧) . يعرفها الناطقون بالضاد باسم الهولة أو

١٤ – Rose, Op. Cit., pp. 187 — 8.

١٥ – Hygínus, fabula 66; Pausanias, X, 5, 2; Apollodorus, III, 5. 7; scholiast to Euripides Phoenissae, 13 and 26.

١٦ – Guerber, Op. Cit., pp. 248 — 252.

١٧ – سفنكس Σφίγξ وتعنى الذى يخنق ، بينما يسميها هيسيودوس (Theogony, 326) Φίξ فيكس .

أبوالهول . كانت الهولة ابنة التنين توفون من إخيدنى (١٨) . أو — فى رواية أخرى — ابنة الكلب أورثروس من المسخ خيمايرا . جاءت الهولة من أعماق أثيوبيا . استقرت فوق قمة جبل فيكيوم الذى يشرف من عل على السهل الرئيسى فى مدينة طيبة . هيرا ، زوجة كبير الآلهة زيوس ، هى التى أرسلتها ، انتقاما من مدينة طيبة بأكملها . اعتلت الهولة قمة جبل فيكيوم . بعثت الرعب فى نفوس الرائح والغادى . منظرها بشع ، مخيف ، مروع ، أشاع الذعر بين الجميع . رأسها رأس أنثى ، ذات وجه حلو الملامح . صدرها صدر أنثى ، بارز ، ناهض . جسدها جسد لبؤة ، مكسو بشعر غزير . ذيلها ذيل أفعى رقطاء سامة . لها جناحان مثل جناحى الصقر الضارى . ربضت الهولة المخيفة فوق قمة جبل فيكيوم . أطلت برأسها على السهل الفسيح . استوقفت الرائح والغادى . كانت تلقى عليه أحجية ثم تطلب منه أن يجد حلا لها . فإذا ما فشل فى إيجاد الحل الصحيح . خنقته . والتهمته فى التو واللحظة . فشل كل رائح . فشل كل غاد . لقى كل رائح مصرعه ، لقى كل غاد مصرعه . لم يفلت من قبضتها طيبى واحد . لذا ، ترك الملك لايوس طيبة . ذهب إلى نبوءة دلفى ليستطلع رأى الإله . عسى أن يرشده إلى طريقة للخلاص من شرور تلك الهولة المخيفة . لكن لايوس لم يعد إلى طيبة أبدا . لقى مصرعه قبل أن يصل إلى معبد الإله ، وظلت الهولة تنشر الموت يمينا ويسارا (١٩) .

استوقفت الهولة أوديب . ألقت عليه الأحجية ، التى لقنته إياها الموسيات . استمع أوديب إلى الهولة بانتباه شديد . سمعها تقول :

من هو المخلوق ، ذو الصوت الواحد ، الذى يكون له قدمان أحيانا

---

١٨ — يروى هيسيودوس (Op. Cit. 326 — 7) أن سفنكس هو ابن أورثوس Orthus من إخيدنى Echidne ؛ راجع الروايات الأخرى فى :
Apollodorrus, III, 5, 8 ; Sophocles, Oedipus Tyrannus, 391 ; Scholiast on Aristophanes, Ranae, 1287.

١٩ — Genest, Myths of Ancient Greece And Rome, pp. 128 — 132.

وثلاث أقدام أحيانا أخرى . وأربع أقدام أحيانا أخرى ، وكلما زاد عدد أقدامه ضعفت قوته الجثمانية ؟ (٢٠) .

تمالك أوديب نفسه . لم يترك الفزع يستولى عليه . أجاب فى ثبات :

إنه الانسان ، الذى يحبو على أربع وهو طفل ضعيف البنية . ثم يسير على اثنتين وهو رجل كامل النمو مكتمل القوة ، ثم يتكىء على عصاه فيسير على ثلاث منهوك القوى ، لكنه يكون فى شيخوخته أقوى من طفولته .

نجح أوديب . قهر كبرياء الهولة . ألقت بنفسها من فوق قمة جبل فيكيوم . . هوت فى السهل الواسع جثة هامدة . تجمع حولها أهل طيبة . زال عنهم الفزع ، تحرروا من الذعر . أحسوا بالطمأنينة والراحة . ذاعت بشرى الخلاص ، وانتشرت . أقام أهل طيبة الأفراح والاحتفالات . أثناء ذلك ، وصل أحد أتباع الملك لايوس . أعلن نبأ مصرع الملك أثناء ذهابه إلى معبد الإله أبوللون فى دلفى . لم يأبه أهل طيبة بما أعلنه التابع . لم يشعروا بفداحة الكارثة . ماذا يضيرهم إن مات الملك لايوس وتحررت مدينة طيبة من الفزع ! ! ماذا ينفعهم لو عاد الملك لايوس وظلت الهولة تنشر الموت يمينا ويسارا ؟ لقد أخذ الموت لايوس من أهل طيبة . لكن الحياة وهبتهم أوديب . وهبتهم شابا يافعا خلص مملكتهم من الشر والدمار . مات لايوس . لكن أوديب مازال يعيش .

أصبح أوديب محط أنظار أهل طيبة . تمتع باحترامهم وتقديرهم . عرضوا عليه عرش مدينتهم . لم يتردد أوديب . ذلك أفضل من أن يعيش طريدا ، شريدا ، لاوطن له ، ولامنزل . قبل أوديب عرش طيبة ، آلت إليه كل ممتلكات الملك لايوس . آلت إليه كل سلطات الملك . دانت له جوارى الملك وأتباعه بالولاء . لم تجد زوجة الملك الراحل يوكاستا مبررا لعدم قبولها الزواج من أوديب .

---

٢٠ — أنظر نص الأحجية وإجابة أوديب فى :
Argument to Sophocles' Oedipus Tyrannus.

عاشت يوكاستا وأوديب عيشة الأزواج — عاشت الأم زوجة لابنها (٢١) . عاش الابن زوجا لأمه . هكذا شاءت الأقدار ، لم يكن أى منهما يعلم بحقيقة أمره . لكن الآلهة كانت تعلم بحقيقة أمر كل منهما . عاشر أوديب الملك زوجته الملكة يوكاستا . استعذبا الحياة معا . كانا يقضيان الليالى يتبادلان كؤوس الحب والهوى والغرام . وجدت يوكاستا الرجل الذى كانت لاتشعر بوجوده أثناء حياة لايوس . وجد أوديب الراحة التى لم يكن يتمتع بها أثناء وجوده فى كورنتا . لكن روعة الحب لم تشغل الملك عن مباشرة أمور الحكم . فالحب يضيف حسنة إلى محاسن شخصية الإنسان . أحب أوديب الملك زوجته يوكاستا حبا شديدا . أحب مستشاريه . أحب أتباعه . أحب كل فرد من أفراد الرعية . حكم طيبة بالعدل . لم يكن يعرف الظلم أو الطغيان .

استمر حكم أوديب لمدينة طيبة أعواما طويلة . نسى أهل طيبة الملك لايوس ، نسوا همومهم ومتاعبهم . تمتعوا بالحرية والرفاهية فى ظل الملك أوديب . أنجب أوديب من زوجته يوكاستا أربعة أطفال (٢٢) . أنتيجونى ، إيسمينى ، بولونيكيس ، إتيوكليس . هكذا شاءت الأقدار . أن يكون الأطفال إخوة لأبيهم ، أن يكون الأب أخا لأطفاله . أحب الأطفال والدهم . تمتعت الأسرة بالسعادة والهناء . لكن الآلهة كانت لهم جميعا بالمرصاد .

أرسلت الآلهة وباءاً شاملا . طوى الوباء مدينة طيبة ، من شرقها إلى

٢١ — يشير هوميروس بايجاز (Odyssey. XI, 271 sqq.) إلى يوكاستا (= إبيكاستى ، راجع حاشية رقم ٣ أعلاه) وعلاقتها بابنها أوديب بينما يتحدث عن رحلة البطل أودوسيوس إلى عالم الموتى حيث يذكرها ضمن من يقابلهم البطل هناك .

٢٢ — يروى باوسانياس (Pausanias, IX, 5, 10 — 11) أن أوديب لم ينجب أطفاله الأربعة من والدته يوكاستا ، بل من زوجة اسمها يوروجانيا Εὐρυγάνεια إبنة هوبرفاس Hyperphas . ويستشهد باوسانياس بقصيدة مجهولة المؤلف تعرف بملحمة أوديب Oidipodea . كما يصف أحد المعلقين القدامى (Scholiast to Homer's Iliad, IV, 376) أن زوجة أوديب الثانية كانت تدعى أستوميدوسا Astymedusa .

غربها . داهم جميع أهل طيبة ، شبابها وشيوخها . أتى على الزرع والضرع ، أتى على الأخضر واليابس ، عادت طيبة إلى ما كانت عليه قبل حكم أوديب . انتشر الذعر والخوف . ساد الدمار والخراب . ذهب شيوخ المدينة وشبابها إلى قصر أوديب . طلبوا مقابلته . . طلبوا منه أن يجد لهم طريقا للخلاص . لم يستطع أوديب الملك أن يقود سفينة الوطن إلى بر الأمان . لجأ إلى الإله أبوللون ، القادر على التكهن بما كان وما سوف يكون .

بعث أوديب بعراف المدينة تيرسياس إلى دلفى ليستطلع رأى الإله . ظل الملك ينتظر عودة العراف الضرير . ظل يناقش الأمر مع شقيق يوكاستا ، كريون . عاد العراف تيرسياس . سأله الملك فى لهفة . تلعثم العراف فى ريبة . ألح عليه أوديب فى السؤال . أجابه تيرسياس إجابة مختصرة : سبب البلاء هو وجود قاتل لايوس فى طيبة . انطلقت الكلمات هادرة من فم أوديب الملك العادل : لقد حكمنا على قاتل لايوس بالنفى من البلاد . وحكمنا على من يأوى قاتل لايوس بالنفى من البلاد . ثم توجه أوديب مرة ثانية إلى تيرسياس . سأله عن قاتل لايوس . تلعثم ترسياس . بدا عليه الارتباك . إجاب أجابة أثارت شكوك أوديب . إن الإله لم يفصح عن اسم قاتل لايوس . تلاطمت أمواج الشك فى صدر أوديب . اتهم العراف الضرير بالإهمال . اتهمه بالجهل . اتهمه بالتهاون فى حق الوطن . كان عليه أن يسأل نبوءة الإله عن اسم القاتل . أثارت اتهامات الملك غضب العراف الضرير . حاول أن يدافع عن نفسه . ضيق الملك أوديب عليه الخناق . انطلقت من فم العراف كلمات أثارت شكوك أوديب . لقد قال الإله إن أوديب يستطيع أن يحدد من هو القاتل . بل عليه أن يبدأ بنفسه .

استولى الغضب على أوديب الملك . كيف يسمح العراف لنفسه أن يوجه الاتهامات إلى ملك البلاد . لعلها مؤامرة دبرها كريون ، شقيق يوكاستا . لعل كريون يريد أن يعزل أوديب عن الحكم . لعله طامع فى أن يتولى عرش طيبة . ثارت ثائرة أوديب . وجه الاتهامات إلى كريون . اتهم تيرسياس بالتواطؤ مع كريون . حاول كريون أن يدفع

عن نفسه اتهامات الملك . حاول تيرسياس أن يهدىء من ثورة أوديب . حاولت يوكاستا أن تهدىء من غضب كل الأطراف . فشل الجميع فى ضبط نفوسهم . هكذا شاءت الأقدار . انطلق تيرسياس يطلق الكلمات هادرة من بين شفتيه . انطلق يعنف الملك لأول مرة . انطلق يتهمه بالجهل والعمى . إن قاتل لايوس هو الذى يبحث الآن عن قاتل لايوس، عندئذ بدأ أوديب يجرى تحقيقا شاملا . ظل يسأل يوكاستا . يستدعى أتباع لايوس ، واحدا بعد واحد . وجاء دور واحد من الأتباع . إنه نفس الشخص الذى كان الملك لايوس قد أمره أن يتخلص من الطفل موثوق القدمين . أصر الملك على استدعائه . أرسلت يوكاستا فى طلبه . ظل ينتظر الجميع حضوره فى شوق ولهفة .

أثناء فترة الانتظار ، وصل رسول من كورنثا . مثل الرسول بين يدى الملك أوديب . نقل الرسول إلى الملك الثائر نبأ زاد من انزعاجه . لقد مات الملك بوليبوس . والآن جاء دور أوديب ليتولى حكم كورنثا . عندئذ ، قهقه أوديب قهقهة عالية . أعلن عن سخريته من الآلهة . أفصح عن ما كان يخفيه فى صدره أعواما طويلة . لقد أخبرته الآلهة أنه سوف يقتل أباه ويتزوج أمه . وها هو أبوه قد مات أثناء غياب ولده أوديب . لقد فشلت الآلهة فى تحقيق النصف الأول من النبوءة . لذا ، سوف لايذهب أوديب إلى كورنثا ، حتى لاتتاح له الفرصة للقاء أمه . وبالتالى تكون الآلهة قد فشلت فى تحقيق النصف الآخر من النبوءة . لكن الرسول الكورنثى يعلن فى هدوء أن أوديب ليس ابنا للملك بوليبوس ، ولا خوف من عودته إلى كورنثا . إذ أن بريبويا ليست أمه .

أصابت كلمات الرسول الكورنثى أوديب بالفزع . سأله الملك مَنْ يكون إذن . أخبره الرسول بحقيقة أمره . لقد أخذه راع طيبى رآه ذات يوم فوق جبل كيثيرون . يدخل فى هذه اللحظة التابع الذى كان أوديب قد أمر باستدعائه . هكذا شاءت الأقدار . يرى التابع الطيبى نفسه وجها لوجه أمام الرسول الكورنثى . يتعرف كل منهما على الآخر . ثم يعترف

كل منهما بما فعل . لقد أعطانى التابع الطيبى الطفل موثوق القدمين إلى الرسول الكورنثى . عندئذ يؤكد الرسول الكورنثى أن الطفل موثوق القدمين ليس إلا أوديب الملك . لكن الأقدار لاتقف عند هذا الحد . فمازال تابع آخر يقبع فى الريف منذ أن قتل الملك لايوس . إنه أحد التابعين المرافقين للملك لايوس أثناء رحلته المشئومة ، إن يوكاستا تجتر الذكريات الآن . لقد لجأ إليها ذلك التابع — فور عودته — يرجوها أن تتركه يعيش فى الريف بعيدا عن القصر الذى يعيش فيه أوديب . يأتى ذلك التابع . ثم يتعرف على أوديب . إنه هو الذى قتل الشيخ المسن فى مفترق الطرق . ولم يكن الشيخ المسن سوى الملك لايوس ! ! ! (٢٣) .

قهقهت الآلهة طويلا وهى تسمع صرخات البشر المساكين . تخلص لايوس من ولده كى لايقتله فيما بعد . لكن لايوس بسلوكه قد حافظ على ولده كى يصبح قادرا على قتله فيما بعد . هجر أوديب كورنثا كى لايقتل أباه ويتزوج أمه . لكنه بسلوكه ذهب إلى طيبة ليقتل أباه ويتزوج أمه . لقد أراد البشر شيئا . وأرادت الآلهة أشياء . لم تستطع يوكاستا أن تتحمل أكثر من ذلك . لم تعد تقدر على الحياة . انتحرت . لم يستطع أوديب أن يتحمل أكثر من ذلك . لكنه صمم على أن يكفر عن خطيئته . فضل أن يعيش . لكنه لم يستطع رؤية ابتسامات السخرية على أفواه مَنْ حوله . ففقأ عينيه (٢٤) .

تلك هى أسطورة أوديب الخالدة . تناقلتها الأجيال الماضية . ولسوف تتناقلها الأجيال التالية . تناولتها أغلب المصادر الأدبية والتاريخية والفلسفية فى العصور القديمة والحديثة والمعاصرة . ذكرها أغلب الكتاب منذ عصر هوميروس إلى ازدهار التراجيديا الإغريقية ، ومنذ فجر الأدب الرومانى

٢٣ – Graves, Op. Cit., pp. 11 — 12.

٢٤ – أو فى رواية أخرى (Euripides, frag. 541 Nauck) : إن أتباع الملك لايوس هم الذين فقأوا عينى أوديب . راجع أيضا Graves, Op. Cit., p. 14 حيث يعتقد أن عملية فقء عينى أوديب ليست جزءاً من الأسطورة الحقيقية بل هى إبتكار مسرحى ليس إلا .

حتى عصر اضمحلال الامبراطورية الرومانية . ثم تناقلها كتاب أوربا على مدى العصور المتتالية منذ كتاب الكلاسيكية الجديدة فى فرنسا إلى كتاب المسرح المعاصر فى بريطانيا وإيطاليا .

وإن كان لابد من الإشارة إلى بعض الأعمال الأدبية التى تناولت قصة أوديب ونالت شهرة واسعة ، فلا بأس من الإشارة إلى هذه الأعمال — على سبيل المثال — لا الحصر . أوديب الملك للكاتب الإغريقى سوفوكليس ؛ ملحمة طيبة التى يرجع تاريخها إلى القرن الرابع عشر الميلادى (٢٥) ؛ أوديب **OEdipe** ، كورنى **Corneille** (١٦٥٩م) ؛ أوديب **Oedipe** فولتير **Voltaire** (١٧١٨م) ؛ أوديب **OEdipe** ، أندريه جيد **André Gide** (١٩٣١م) ؛ أنتجونى **Antigone** ، الآلة الجهنمية **La Machine infernale** ، كوكتو **Cocteau** (١٩٣٤) ؛ أنتيجونى ، جان أنوى **Jean Anouilh** (١٩٤٦م) (٢٦) .

هذا بالاضافة إلى كثير من الأعمال التى تأثر كتابها بالأسطورة مثل ، ألفيرى **Alfieri** الذى كتب مسرحية ميرا **Mirra** (١٧٨٦م) ؛ وهى قصة فتاة وقعت فى حب أبيها . كما لايفوتنا الإشارة إلى العالم النفسى المعروف سيجموند فرويد (١٨٥٦ — ١٩٣٩م) الذى فسر أسطورة أوديب ويوكاستا ، وخرج بنظريته المعروفة فى علم النفس بعقدة أوديب(٢٧) .

* * *

٢٥ — ملحمة طيبة **The Romance of Thebes** وتتكون من عشرة آلاف بيت. يقول مؤلفها المجهول إنه نقل موضعه عن ملحمة طيبة **Thebaid** للشاعر الرومانى ستاتيوس **Statius** (٤٥ — ٩٦ م) **Highet, Classical Tradition, p. 56.**

٢٦ — لم تؤثر قصة أوديب فى الأدباء فقط بل أثرت أيضا فى الفنانين ؛ فقد ألف الشاعر الروسى سترافنسكى **Stravinsky** (ولد عام ١٨٨٢ هاجر من روسيا عام ١٩١٤ ، عاش فى فرنسا حتى عام ١٩٣٩ ، ثم استقر فى الولايات المتحدة الأمريكية منذ ذلك العام) أوبرا بعنوان أوديب ملكا **Oedipus Rex** والتى عرضت فى فرنسا عام ١٩٢٧ .

٢٧ — سبق مناقشة نظرية التفسير السيكولوجى للأساطير الاغريقية (أنظر المقدمة ص ٥٩ وما بعدها) يعارض جريفز **(Graves, Op. Cit., p. 13)** نظرية فرويد بشأن عقدة أوديب : يقول بلوتارخوس **(De Iside et Osiride, 32)** إن فرس «النهر قتل والده وأغتصب زوجته» ؛ فهل يعنى بلوتارخوس بذلك أن كل رجل مصاب بعقدة فرس النهر .

أنتيجونى

. . . استوى كريون على عرش طيبة للمرة الثانية . بدأ يصدر أوامره الملكية من جديد . كان أول أوامره سهما فى صدر أنتيجونى . أصدر كريون أوامر مشددة بأن تترك جثة بولونيكيس فى العراء . دون دفن . دون قبر . دون جنازة . أمر أن تظل جثة بولونيكيس لقمة سائغة للضوارى والكلاب . لم ينس كريون أن يذيل أوامره بالتهديد والوعيد . وعد كل من يعصى أوامره بالموت . لم يجد كريون فى قراره ظلما للبشر أو عقوقا للآلهة . لكن أنتيجونى رأت فيه الظلم والعقوق بعينهما .

انتيجونى

ماتت يوكاستا . رحلت إلى مملكة هاديس . لم تستطع أن تواجه المستقبل . فضلت أن ترحل إلى عالم الموتى . تركت وراءها زوجها وابنها أوديب . تركته يقاسى وحده المستقبل المجهول . كان أوديب أكثر شجاعة من يوكاستا . فضل الحياة على الموت فضل أن يواجه المستقبل المجهول . أن يتحمل وزر خطيئته . لكنه لم يستطع أن يرى ابتسامات السخرية على شفاه الناس . فقأ عينيه . انطوى على نفسه . قاطع العالم الخارجى . أصبح بلا حول . بلا قوة . بلا عرش . بلا سلطان . لم يكن هناك من ذريته من يستطيع أن يتولى عرش طيبة من بعده . تولاه شقيق زوجته كريون . أحب الحاكم الجديد أطفال أوديب . اعتبر نفسه وصيا عليهم . أحسن تربية الطفلين بولونيكيس وأتيوكليس . اهتم بالطفلتين أنتيجونى وإيسمينى . أغدق عليهم جميعا الهدايا . غفر لأوديب خطيئته . سمح له أن يواصل حياته فى طيبة . لكن أوديب صمم على الوفاء بعهده . لقد وعد شعب طيبة بطرد قاتل لايوس من البلاد . ثم مالبث أن اكتشف أن قاتل لايوس ليس إلا أوديب . لذا . عزم على الرحيل من طيبة . حاول كريون أن يثنيه عن عزمه ، لم يستطع . أراد ولداه أن يرغماه على عدم الرحيل . فشلا. تضرعت إليه ابنتاه كى يعدل عن قراره . لم يستجب لضراعتهما . قرر الرحيل (١) .

١ - Warner, Men And Gods, p. 154.



شكل (١٥)
انتيجونى تصاحب والدها اوديب

ضربت ابنته الكبرى أنتيجونى مثالا رائعا للحب والتضحية ، قررت أن تشاركه مصيره ، صممت على مصاحبته (٢) . أرادت أن تكون بمثابة عينيه اللتين أصبحتا لا تريان النور . قررت أن تكون بمثابة عصاه التى يتوكأ عليها . صممت أن تظل معه ، تشد من أزره . ترشده إلى سواء السبيل . رضخ أوديب لرغبة ابنته أنتيجونى . رحل أوديب عن طيبة . ظل يجوب البقاع ، وينتقل من بلدة إلى بلدة . . وهو يضرب الأرض بعصاه . قابله البشر فى كل بلد بجفاء . أشاروا إليه فى ازدراء . أبعدوه عن بلادهم . ظلت خطاياه تطارده فى كل مكان . فلقد قتل والده . وتزوج والدته . لم تتركه ابنته وشقيقته أنتيجونى لحظة واحدة . ظلت تقوده من مكان إلى مكان ، حتى استقر بهما المقام فى كولونوس . قرية قريبة من أثينا . الواقعه فى وسط إقليم أتيكا . ظلت إيسمينى على اتصال دائم بهما . كانت تنقل أخبار طيبة إليهما فى كولونوس . وتنقل اخبار كولونوس إلى المقيمين فى طيبة .

* * *

قضى أوديب فى كولونوس أيامه الأخيرة يكفر عن خطاياه السابقة . ذاق صنوف العذاب . قاسى الأهوال والكوارث . لكنه لم يكفر بقدره . لم يشك فى مصيره . كان مؤمنا بأن الإنسان هو الذى يصنع قدره بنفسه . وها هو قد صنع قدره . فلا جدوى — إذن — من الشكوى . طال بقاؤه فى كولونوس . طالت فترة شقائه وعذابه . ثم جاءت نبوءة الإله أبوللون. جاءت ترد له اعتباره ، وتعوضه العذاب الذى قاساه . قالت نبوءة الإله أبوللون إن أوديب قد كفر الآن عن خطاياه . أصبح طاهرا بعد أن كان مدنسا . أصبح عفيفا بعد أن كان زانيا . أصبح روحا محلقة فى سماء الفضيلة بعد أن كان جسدا منغمسا فى قاع الرذيلة . قالت النبوءة : مباركة تلك الأرض التى سوف تحوى رفات أوديب . هكذا قالت النبوءة ، لم يكن أمام الإغريق إلا أن يصدقوها . انتقلت أقوال النبوءة إلى كل

٢ — Guerber, Myths of Greece And Rome, p. 252.

مكان . تسابق الملوك فى دعوة أوديب إلى ممالكهم . ذهب كريون بنفسه إلى كولونوس، ظل يستعطف أوديب ، ظل يتوسل إليه . طلب منه العودة إلى طيبة . رفض أوديب رفضا قاطعا . أصر على البقاء فى كولونوس . أصرت أنتيجونى على البقاء بجواره . رحب ملك أثينا ثسيوس بأوديب ، شجعه على البقاء . قدم له كل التسهيلات . مهّد له جميع سبل الراحة .

ذات يوم ، كان أوديب يجلس فى أجمة ربات الرحمة ، فى قرية كولونوس . كانت أنتيجونى تجلس بجواره . سمع أوديب صوتا ربانيا يناديه من السماء . لم تسمع أنتيجونى شيئا . رأى أوديب أطيافاً مباركة تفتح له أذرعتها . لم تر أنتيجونى شيئا . أحس أوديب بقوة تدفعه من خلفه . لم تحس أنتيجونى بشىء . لاحظ أنه يرتفع شيئا فشيئا نحو السماء . لم تلحظ أنتيجونى شيئا . إختفى أوديب عن الأنظار . وجدت أنتيجونى نفسها وحيدة فى الأجمة . قيل إن ربات الرحمة قد رفعت أوديب إلى السماء (٣) ، لتعوضه عن العذاب الذى قاساه على وجه الأرض . قيل — فى رواية أخرى — إن ربات الانتقام قد أنزلن أوديب إلى العالم السفلى لتعاقبه على خطاياه التى ارتكبها على وجه الأرض (٤) . اختلفت الروايات ، تضاربت الآراء (٥) ، المهم هو أن أنتيجونى وجدت نفسها وحيدة فى كولونوس . فاضطرت إلى العودة إلى وطنها طيبة .

عادت أنتيجونى إلى طيبة (٦) ، ظنت أنها سوف تعيش فى أمان

---

٣ — هذه الرواية يرويها سوفوكليس فى تراجيديته الشهيرة أوديب ملكاً .

٤ — راجع الروايات المختلفة حول موت أوديب و التفسيرات المختلفة التى نشأت حول كل روايه وعلاقة كل تفسير بالعبادة المحلية فى كل منطقة من مناطق بلاد الإغريق فى :
Farnell, Hero — Cults, p. 332 sqq.

٥ — يذكر هوميروس (Iliad, XXIII, 679) نهاية مختلفه لحياة أوديب : أنه قتل فى معركة (أو انتهت حياته بالعنف) ودفن جثمانه وتليت عليه المراسم الجنائزيه العادية . راجع :
Evelyn — white, Hesiod, p. 173, 217, 219.

٦ — Guerber, Myths of Greece And Rome, pp. 252; Graves, Greek Myths, Vol. II, p. 12

وسلام . لكن وجدت نفسها تعيش فى دوامة قاسية . اعتادت أنتيجونى أن تشارك الآخرين مشاكلهم . كانت لاتعيش بقلبها ، بل بقلوب من حولها . لم تستطع أن تنتزع نفسها من معمعة الصراع الذى كان يدور فى أسرتها . عادت أنتيجونى إلى طيبة . وجدت شقيقيها بولونيكيس وإتيوكليس قد بلغا سن الرشد ، وجدتهما يطالبان بعرش والدهما . وعدهما كريون بالتنازل عن العرش . طلب منهما أن يصلا إلى اتفاق فيما بينهما بشأن من يتولى عرش طيبة . تصارع الأخوان . اختلفا فيما بينهما . إدعى كل منهما أحقيته فى تولى الحكم . تدخلت أنتيجونى وآخرون لفض النزاع . أخيرا اتفق الأخوان . سوف يتولى كل منهما حكم طيبة عاما كاملا . سوف يكون حكمهما بالتوالى . ثم اختلفا مرة أخرى : من منهما سوف يحكم أولا ؟ ! تدخلت أنتيجونى وآخرون مرة أخرى لفض النزاع . سوف يحكم أكبرهما سنا . تولى إتيوكليس حكم طيبة (٧) .

استمر حكم إتيوكليس لمدينة طيبة عاما واحدا . حاول فيه أن يعيد الطمأنينة إلى قلوب المواطنين . حاول أن ينفرد بالحكم . لذا ، أصدر أوامره إلى شقيقه بولونيكيس بمغادرة البلاد . نفذ الشقيق الأصغر أوامر شقيقه الأكبر . رحل عن طيبة منفيا . وصل إلى مملكة أرجوس . ظل هناك ينتظر موعد عودته إلى وطنه . عاشت أنتيجونى فى طيبة . كانت تفكر دائما فى شقيقها المنفى . كانت تتابع أخباره أولا بأول . .

* * *

كان يحكم أرجوس الملك أدراستوس . كانت له ابنتان : أرجيا وديبولا (٨) . تقدم لخطبة كل منهما أمراء أقوياء من مختلف البقاع . لكن أدراستوس كان يخشى أن يرفض واحدا منهم . كان لايريد أن

---

٧ — Warner, Men And Gods, pp. 155 — 6.

٨ — وردت التفاصيل الخاصه بهذا الجزء من الأسطوره فى مصادر متعدده نذكر منها :
Apollodorus, III, 57 sqq. ; Aeschylus. Seven Against Thebes, Passim ; Statius, Thebais ; Hyginus, fabula 70 sqq.

يجعل من أحد عدوا لمملكة أرجوس . ذهب أدراستوس ليستطلع رأى الإله . نطقت نبوءة الإله بكلمات أصابت الملك أدراستوس بالحيرة والارتباك . نصحته أن يربط بعربته ذات العجلتين الخنزير والأسد اللذين يتصارعان الآن فى قصره (٩) . عاد أدراستوس إلى قصره والحيرة تسيطر عليه . وجد القصر يعج بالخطاب . لفت نظره اثنان منهم . كان كل منهما يفخر بوطنه . كان يتحدى كل منهما الآخر . وقف أدراستوس يرقب من بعيد ما يدور بينهما من نقاش . تطور النقاش ، تحول إلى نزاع مسلح . امتشق كل منهما سلاحه ، حمل كل منهما درعه . التحم الاثنان فى مبارزة ضارية كادت تؤدى بحياة كل منهما . ما زال أدراستوس يرقب البطلين وهما يتصارعان . تذكر نبوءة الإله . أحد المتصارعين هو بولونيكيس . جاء منفيا من طيبة . ينتظر اليوم الذى يعود فيه منتصرا إلى وطنه . الأسد هو شعار مملكة طيبة . إن بولونيكيس يحمل درعا مرسوما عليه ذلك الشعار . أما المتصارع الثانى فهو تيديوس . جاء منفيا من كالودونيا . اتهمه أهل كالودونيا بقتل شقيقه ميلانيوس . الخنزير هو شعار مملكة كالودونيا ، إن تيديوس يحمل درعا مرسوما عليه ذلك الشعار . رأى أدراستوس بعينى رأسه الأسد والخنزير يتصارعان فى قصره . أدرك ما تقصده نبوءة الإله . أسرع نحو المتصارعين . فض الاشتباك . وعدهما بتزويجهما لابنتيه . تزوج بولونيكيس أرجيا ابنة أدراستوس . تزوج تيديوس ابنته الأخرى ديبولا . ولما كان كل منهما منفيا من وطنه ، فقد وعدهما أدراستوس بمساعدتهما فى استعادة عرشيهما (١٠) . لكنه وعد بولونيكيس أولا ، لأن طيبة أقرب إلى أرجوس من كالودونيا (١١) .

---

٩ – Graves, Op. Cit., pp. 15 — 6.

١٠ – Hyginus, fabula 69 ; Euripides, Phoenissae, 408 sqq. (with Scholiast on 409) ; Idem. Supplices, 132 sqq. Apllodorus, III, 6, 1.

١١ – يروى باوسانياس (Pausanias, IX, 5, 12) أن بولونيكيس رحل من طيبة ليتفادى لعنة والده (راجع حاشيه رقم ١٨ أدناه) ، وذهب إلى أرجوس حيث تزوج أرجيا Argeia ثم عاد إلى طيبه حيث دب النزاع بينه وبين شقيقه إتيوكليس ، فعاد مرة أخرى إلى أرجوس .

تابعت أنتيجونى فى لهفة ما كان يدور فى كل من طيبة وأرجوس : مضى عام على حكم إتيوكليس لطيبة . جاء دور بولونيكيس فى تولى الحكم . ذهب إلى طيبة . رفض إتيوكليس التنازل عن العرش . طرد شقيقه الأصغر ، هدده ، وتوعده . عاد بولونيكيس إلى أرجوس ثائرا . قابله والد زوجته أدراستوس . صمم الأخير على إعادة زوج ابنته إلى طيبة بالقوة . جمع أدراستوس قادة جيوشه وحلفائه ، شرح لهم الأمر ، أقنعهم بدخول الحرب . قائد واحد هو الذى رفض الاشتراك فى الحرب . ذلك القائد هو أمفياراوس ، زوج شقيقة أدراستوس . كان أمفياراوس عرافا . كان قادرا على التنبؤ بالغيب . تنبأ بموت جميع القادة ماعدا أدراستوس . لذا رفض ان يشترك فى الحرب . لكن الحرب كانت مسألة وجود أو عدم بالنسبة لأكثر من قائد واحد . ربط أدراستوس نفسه بوعد أمام بولونيكيس . وعده بالمساعدة ، فكان عليه أن يفى بوعده . كان تيديوس متحمسا للاشتراك فى الحرب ، لأنه كان يأمل أن يأتى دوره هو الآخر لاسترداد عرشه فى كالودونيا . كان بولونيكيس يجاهد من أجل استعادة عرشه ، حتى لا يعيش عالة على والد زوجته أدراستوس . كذلك أيضا كان باقى القادة متحمسين للاشتراك فى الحرب . لكن أمفياراوس وحده هو الذى كان رافضا لقرار الحرب .

لم يشأ أدراستوس أن يرغم أمفياراوس على الاشتراك فى الحرب . ولم يشأ أيضا أن يتجاهله . تذكر تيديوس رواية كان يرويها أهل أرجوس . ذات مرة ، نشأ نزاع بين أدراستوس وزوج شقيقه أمفياراوس ، اشتد النزاع بينهما ، تحول إلى مبارزة ضارية . كاد كل منهما أن يقتل الآخر . أدركتهما إريفولى فى آخر لحظة . ألقت بنفسها بينهما . توقف كل منهما عن القتال . وقفت إريفولى وسيفاهما متقابلان فوق رأسها . طلبت منهما أن يتصالحا . طلبت منهما أن يأخذا على نفسيهما عهدا : ألا يتخذ أحدهما قرارا إلا بعد أن يأخذ رأيها . كانت إريفولى شقيقة أدراستوس ، وكانت أيضا زوجة أمفياراوس . كان أدراستوس يحب شقيقته حبا شديدا .

كان أمفياراوس أيضا يحبها حبا منقطع النظير . لذا قطع كل منهما على نفسه عهدا : أن يلتزم برأى إريفولى ، مهما كان رأيها مخالفا لرأيه .

* * *

تذكر تيديوس تلك الرواية . أسرع إلى بولونيكيس . أشار عليه أن يلجأ إلى إريفولى . ذهب بولونيكيس على الفور إلى إريفولى . قدم لها هدية رائعة . قدم لها قلادة من الذهب الخالص . كانت أفروديتا قد منحتها إلى هارمونيا بمناسبة زواجها من جده الأكبر كادموس . فرحت إريفولى بالهدية فرحا شديدا . أسرعت إلى أمفياراوس . أقنعته بضرورة الاشتراك فى الحملة العسكرية ضد طيبة . وافق على الفور (١٢) .

تم إعداد الحملة . خرجت الحملة من مدينة طيبة (١٣) . كان على رأسها سبعة من أعظم قادة الأغريق : أدراستوس ملك أرجوس ، أمفياراوس ، زوج شقيقة أدراستوس ، بارثنوبايوس ، الأمير الأركادى الذى أنجبه مليا جروس من أتالانتا ، تيديوس ، ابن الملك أوينيوس ، الأمير الذى نفى من وطنه كالودونيا ، كابانيوس ، هيبوميدون ، وأخيرا بولونيكيس (١٤) . مرت الحملة بمملكة نيميا حيث كان يحكم الملك لوكورجوس . طلبوا من الملك أن يسمح لهم بقضاء فترة للراحة.

---

١٢ – راجع Euripides' Hypsipyle (Fragmenta Tragica Papyracea, Oxford) وشذرات أخرى لنفس الشاعر Tragicorum Graecorum Fragmenta, p. 379 sqq. راجع أيضا تفاصيل هذا الجزء من الأسطورة فى : Apollodorus, III, 60 — 61 and sqq. ; Hyginus, fabula 73. وغيرهم من المصادر المتعددة .

١٣ – Warner, Op. Cit., pp. 156 — 58.

١٤ – هناك اختلاف بسيط حول أسماء الأبطال السبعة حسب الروايات المختلفة : راجع Graves, Op. Cit., p. 16 with nn. 2 and 3 ; Greek Mythology, p. 190.

وافق الملك . طلبوا منه أن يمدهم بالماء(١٥) . أمر الملك جاريته هوبسيبولى أن ترشدهم إلى أقرب ينبوع عذب . كانت هوبسيبولى تحمل على صدرها الطفل أوفلتيس ، ابن الملك لوكورجوس . تركت الجارية الطفل على الأرض الخضراء ، أرشدت الرجال إلى مكان الينبوع . عادت إلى حيث تركت الطفل أوفلتيس ، وجدته قد فارق الحياة . ظلت تستغيث ، خف إلى نجدتها أدراستوس وصحبه ، عرفوا سبب الاستغاثة . لدغت حية سامة ابن مضيفهم ، لم يستطيعوا تقديم أى معونة للجارية . قتلوا الحية السامة . لم يفعلوا أكثر من ذلك . أعلن العراف أمفياراوس أن ماحدث للطفل أوفلتيس إنما هو فأل سيء . رأى فيما حدث نذيرا مشئوماً تنبأ بفشل الحملة . أقام أفراد الحملة ألعابا واحتفالات . أطلقوا الدعوات للآلهة والصلوات . ثم واصلوا رحلتهم إلى طيبة (١٦) .

وصلت الحملة إلى جبل كيثيرون . أسرع إتيوكليس الملك بجمع صفوف أهل طيبة . كانت أنتيجونى تشعر بفزع شديد . كانت تخشى النتائج المترتبة على ذلك الصراع العسكرى المشئوم . أرسل أدراستوس رسولا إلى إتيوكليس ملك طيبة . طالب بتسليم أمور الحكم إلى بولونيكيس . رفض الملك الطيبى مطلب أدراستوس . أمر الملك الطيبى بالاستعداد للدفاع عن المدينة . حاصرت جيوش أدراستوس المدينة من جميع الجهات . تفوق الغزاة . تقدموا نحو بوابات المدينة السبع . شددوا الحصار . جاء العراف تيرسياس ينشر رأى نبوءة الإله ، لابد من التضحية بصبى من الأسرة المالكة . لابد من أن يقدم صبى من الأسرة المالكة نفسه طائعا مختارا فداء لوطنه . كان مينويكوس ابنا للملك السابق كريون . كان مازال صبيا فى مقتبل العمر . سمع الصبى ماقاله العراف تيريسياس .

---

١٥ – Euripides, Hypsipyle (Col, IV, 29 Hunt) ; Cf. Statius, Thebais, IV, 652 sqq.

١٦ – وهكذا نشأت الألعاب النيمية التى اعتاد الاغريق إقامتها كل أربع سنوات : Apollodorus, I, 9, 17 and III, 6, 4 ; Hyginus, 74 and 273 ; Scholiast on the Argument of Pindar's Nemean Odes.

غافل والده كريون . قتل نفسه أمام بوابة طيبة . هوى جثة هامدة وسط القوات المتحاربة . رجحت كفة الجيوش الطيبية . انطلقوا يضربون بشراسة، قتلوا أعدادا لاحصر لها من جنود الغزاة. لقى أربعة قادة مصرعهم . لم يبق على قيد الحياة سوى أمفياراوس وبولونيكيس وأدراستوس . عندئذ أراد بولونيكيس أن يخفف من وطأة القتال وأن يحقن الدماء . طلب أن ينازل شقيقه إتيوكليس . وافق إتيوكليس على الفور . استعد الأخوان للنزال [١٧] .

ازداد فزع أنتيجونى . حاولت أن تثنى كلا من شقيقيها عن عزمه . باءت محاولتها بالفشل . تقابل الأخوان . قتل كل منهما الآخر . لقى كل منهما مصرعه على يد الآخر [١٨] . فر الغزاة مهزومين . خرج أهل طيبة يجمعون جثث قتلاهم ، تولى كريون الحكم للمرة الثانية . خرجت أنتيجونى تبحث عن ذويها . ازداد فزعها كلما تجولت فى ساحة القتال . عاشت بعواطفها مع كل جريح . أحست باللوعة من أجل كل قتيل . لم تكن قادرة على النوم فى الليل . لم تذق طعم الراحة فى النهار .

* * *

استولى كريون على عرش طيبة للمرة الثانية . بدأ يصدر أوامره الملكية من جديد . كان أول أوامره سهماً فى صدر أنتيجونى . أصدر

١٧ – Graves, Op. Cit., pp. 17 — 18.

١٨ – تروى معظم المصادر أن الصراع الذى نشأ بين الشقيقين كان نتيجة لعنة والدهما أوديب. لكن اختلفت معظم المصادر حول السبب الذى من أجله استنزل أوديب اللعنة على ولديه .قيل إن أوديب لم يغادر طيبة بعد اكتشافه لحقيقة علاقته بيوكاستا ، بل عاش حبيس القصر الملكى فى طيبة . يروى مؤلف مجهول (ملحمة طيبة Thebais, frag. 2 and Allen) أن ولدى أوديب قدما له بعض أوانى الطعام التى كان يستخدمها الملك لايوس والتى كان أوديب قد طلب منهما عدم تقديمها له، كما يروى نفس المؤلف أن ولدى أوديب قدما لوالدهما طعاماً يحتوى على لحم غير جيد . لهذين السببين استنزل أوديب اللعنة على ولديه . هناك معلق مجهول آخر (Scholiast on Homer's Iliad, IV, 376) يرى أن سبب هذه اللعنة هو كما يلى : تزوج أوديب مرة ثانية من أمرأة تدعى إستومدوسا. ادعت هذه الزوجة أن ولدى أوديب حاولا اغتصابها . علم أوديب، فاستنزل عليهما اللعنة. راجع أيضا : Rose, Op. Cit., pp. 189 sqq. with n. 26 on p. 221

كريون أوامره بأن تدفن جثة إتيوكليس فى احتفال رسمى مهيب . أمر أن ينعم إتيوكليس بعد موته بالحفاوة والتكريم ، أن يقام له قبر فخم ضخم يحج إليه كل أهل طيبة . فلقد مات وهو يدافع عن وطنه . من ناحية أخرى ، أصدر كريون أوامر مشددة بأن تترك جثة بولونيكيس فى العراء، دون دفن ، دون جنازة ، دون قبر . أمر أن تظل جثة بولونيكيس لقمة سائغة للضوارى والكلاب . فلقد مات وهو يهاجم بلاده ، لم ينس كريون أن يذيل أوامره بالتهديد والوعيد . وعد كل من يعصى أوامره بالموت . لم يجد كريون فى قراره ظلما للبشر أو عقوقا للآلهة . لكن أنتيجونى رأت فيه الظلم والعقوق بعينهما [١٩] .

أحاط الإغريق موتاهم بالحب والتقدير [٢٠] . كان للإغريق معتقدهم الخاص بعالم الموتى . كان من الواجب تأدية مراسم جنائزية معينة . يموت الإغريقى . تخرج النسوة والرجال يحتفلون بموته . ينوحون من أجله . يعبرون عن حزنهم لوفاته . يذكرون محاسنه أثناء حياته . يمتدحون أعماله ومآثره . يقدمون على روحه القرابين والصلوات . ثم يوارون جثته التراب [٢١]. عندئذ ، كانت الروح تنتقل عبر نهر خارون ، الذى يفصل بين عالم الأحياء وعالم الموتى، ثم تصل الروح إلى عالم الاموات. هناك ، تحيا الروح كما كانت تحيا على ظهر الأرض من قبل. وإذا لم تدفن جثة الميت ظلت روحه حائرة بين عالم الأحياء وعالم الموتى . لا يقبلها الأحياء فى عالمهم ، فلم يعد صاحبها حيا بعد . لايقبلها الموتى فى عالمهم ، فلم يصبح صاحبها ضمن الأموات بعد . هكذا اعتقد الأغريق . هكذا نص القانون الإلهى . وغالبا ما عوقب أفراد عاديون وقادة وملوك لأنهم لم يقوموا بدفن ذويهم أو جنودهم أو مواطنيهم الموتى حتى لو كان ذلك لأسباب خارجة عن إرادتهم .

١٩ – Warner, Op. Cit., pp. 159 — 162.

٢٠ – أنظر كتابنا المأساه اليونانية ص٢٥ والمراجع المشار إليها فى الحواشى رقم ١ ، ٢ ، ٣ هناك.

٢١ – إن من أفضل تصرفات البطل هيراكليس هو أنه كان يسمح لأعدائه بدفن موتاهم : راجع Plutarch, Theseus, 11 and 29.

فكرت أنتيجونى جيدا (٢٢) ، إنها تحب شقيقها بولونيكيس ، إنها تخشى الآلهة أيضا . إن ترك جثة بولونيكيس فى العراء عمل لايرضى الآلهة أو البشر . فيه نكران لأواصر الأخوة ، فيه تمرد على قوانين الآلهة . قررت أن تدفن جثة أخيها بولونيكيس ، باحت بقرارها إلى شقيقتها إيسمينى ، ترددت إيسمينى ، بدت عليها علامات الخوف والفزع . صممت أنتيجونى على تنفيذ قرارها بمفردها . تسللت خلسة . غافلت الحراس ، بدأت فى دفن الجثة سرا . كانت على وشك الانتهاء من مهمتها الصعبة ، تنبه الحراس فى آخر لحظة . قبضوا عليها . قاموا بتسليمها إلى كريون الملك . لم يكن يتوقع كريون شيئا مما حدث . أصابته المفاجأة بذهول . سيطر عليه الغضب، ثارت ثورته . تمنى أن تدافع أنتيجونى عن نفسها أمام رجال الدولة . اعترفت أنتيجونى اعترافا صريحا . ظن أنها سوف تستعطفه ، تعتذر له ، تطلب منه العفو . وقفت أمامه متحدية. لم تعتذر ، لم تطلب العفو ، وقفت تجادله بالحجج والبراهين . وقفت تدافع عن القانون الإلهى . وقفت تهاجم القرار وصانع القرار . أخذت تبين مافى القرار من ظلم وعقوق . وصفته بأنه قانون وضعى لايرقى إلى مستوى القانون الإلهى .

* * *

وقع كريون فى مأزق صعب . أحس ذلك فى الحال . إنه حاكم جديد . هذا هو قراره الأول الذى أصدره فى بداية حكمه . تحدى قراره أقرب أقاربه . ماذا يفعل : هل يعفو ويتسامح ، فيبدو أمام مواطنيه حاكما متهاونا متسامحا . ولاشك فى أن ذلك سوف يشجع آخرين على عدم إطاعة أوامره فى المستقبل . هل يقسو ويشتد ، فيقضى على ابنة شقيقته بأول قرار يصدره فى بداية حكمه ، حاول كريون أن يتراجع ، لم يقو على التراجع . أصر على تنفيذ قراره . ثم حدث ما زاد من صعوبة المأزق .

٢٢ – تناول سوفوكليس هذا الجزء من الأسطورة بالتفصيل فى تراجيديته الخالدة أنتيجونى Antigone .

اقتحم قاعة العرش هايمون . مثل أمام كريون، قدم فروض الطاعة والولاء . ثم حاول الدفاع عن أنتيجونى . لم يقبل كريون دفاعه . كرر المحاولة مرة بعد أخرى . فشلت كل محاولاته . بدأ يهدد ويتوعد . هايمون هو خطيب أنتيجونى ، وهو أيضا ابن كريون (٢٣) . هدد هايمون بالانتحار . أخبر والده بقراره الأخير . سوف يشارك أنتيجونى مصيرها مهما كان . وقع كريون تحت ضغط نفسى وعاطفى من جميع الجوانب . لقد رضى أن تكون ابنة شقيقته ضحية لأول قرار يصدره . لكن من الصعب عليه أن يرضى بأن يكون ابنه ، فلذة كبده ، ضحية أخرى لنفس القرار . حاول كريون أن يثنى ولده هايمون عن عزمه . أصر هايمون على تنفيذ تهديده . اندفع هايمون نحو الخارج مهددا . وقف كريون بلا حراك . توقف تفكيره من هول المأزق الصعب .

لم يدرك كريون كم من الوقت قضى فى وقفته . عاد إلى صوابه . ثاب إلى رشده . أحس بأنه كان قاسيا فى معاملته لابنة شقيقته . أدرك أنه لم يكن عادلا فى معاملته لابنه . حاول أن يتراجع فى قراره . تردد قبل أن يتراجع . ظل يقلب الأمور ويتدبر الموقف . أخيرا ، قرر أن يتراجع ، تأكد أن القانون الوضعى لايرقى إلى مستوى القانون الإلهى . لقد أمر كريون أن تسجن أنتيجونى فى مكان مغلق ، وأن تترك هناك حتى تموت . لكنه الآن يأمر رجاله بالاسراع إلى ذلك المكان . يأمرهم أن يفكوا قيد أنتيجونى ، وأن يعيدوها إلى الحياة . أسرع رجال كريون نحو الخارج . وقف كريون فى انتظار عودة الرجال .

طالت فترة انتظار كريون . كانت اللحظات تمر متثاقلة بطيئة . حاول أثناء تلك اللحظات أن يعود بتفكيره إلى الوراء . كان قاسيا فى

٢٣ – يرى المؤلف المجهول الذى تنسب إليه ملحمة طيبة Oidipodea أن هايمون كان أحد الضحايا الذين قضت عليهم الهولة (راجع ص٤٨ ٢أعلاه) ، ويتفق معه فى ذلك أبوللودوروس Scholiast on Euripides' Phoenissae 1750, frag. 3, p. 482 Evelyn — White; Apollodorus, III, 54. إن هذه الرواية تختلف اختلافا كبيرا عن ما جاء فى جميع المصادر القديمة لأسطورة أسرة لابداكوس .

معاملته لابنة شقيقته . لكنه الآن يحس براحة . سوف يعود إليه ولده سالما . سوف يشكره ، سوف يعتذر له . سوف تعود إليه ابنة شقيقته سالمة . سوف تعتذر له ، سوف تعبر عن ندمها ، وتطلب منه العفو . ظهرت الابتسامة لأول مرة على شفتى كريون ، لكنها سرعان ما اختنقت فجأة عندما دخل واحد من رجاله .

لاحظ كريون أن الرجل عابس ، مقطب الجبين ، سأله عن هايمون . سأله عن أنتيجونى ، روى له الرجل القصة باختصار شديد . ترك هايمون والده يائسا . أسرع نحو المكان الذى سجنت فيه خطيبته أنتيجونى . أحدث فجوة ضيقة فى الجدار ، قفز من الفجوة . لم يستطع أحد أن يمنعه . كان غاضبا ثائرا . كانت أنتيجونى راقدة على الأرض فى إعياء شديد ، عانقها هايمون ، أحاط عنقها بذراعيه ، ضغط على عنقها بشدة . ظل يناديها . ظل يردد عبارات الندم واليأس . ثم ، أبعد ذراعيه عن عنقها . تحدث إليها ، لم تجبه . ظن أنها فى غيبوبة . حاول أن يعيدها إلى وعيها . اكتشف أنها قد فارقت الحياة . بكى بكاءاً مرا . أخرج خنجره من غمده ، رشق الخنجر فى صدره . انبثقت الدماء من صدره ، هوى بجوار خطيبته جثة هامدة . وصلت أنباء موته إلى والدته ، زوجة الملك كريون . انتحرت .

لم ينطق كريون بكلمة واحدة . لقد تراجع فى قراره . لكن الآلهة لا تتراجع أبدا . لقد عفا عن المذنب ، لكن الآلهة لا تعفو ، لقد أرادت الآلهة أن يعيش كريون . وعاش كريون ملكا ، مهابا ، مرهوب الجانب . لكنه عاش فى نفس الوقت كسير القلب ، حزين الفؤاد .

تلك هى قصة أنتيجونى ، شهيدة الواجب والإخلاص . ذاعت شهرة أنتيجونى على مدى الأجيال . وردت القصة عند أغلب كتاب الاغريق والرومان ، تناولها شعراء التراجيديا الإغريقية الثلاثة : أيسخولوس ، سوفوكليس ، يوريبيديس . تناولها الأدباء المحدثون والمعاصرون [٢٤] .

٢٤ – أول تراجيديا إنجليزية عرضت فى عام ١٥٦٢ فى المعبد كتبها ساكفيل **Sackvill** ونورتون **Norton** بعنوان **Gorboduc** (أو **Ferrex and Porrex**) كان =

اتخذها الأدباء والفنانون نمطا للإنسان الذى يعيش حائرا فى المجتمع المحيط به . إن أنتيجونى تصور الإنسان الحائر بين القانون الإلهى والقانون الوضعى . اختلف بعض الكتاب حول تفاصيل قصة أنتيجونى . لكن عملاق التراجيديا الثالث ، يوريبيديس ، قد ضرب مثلا صارخاً فى هذا المجال . أحدث يوريبيديس اختلافين هامين . جعل بوكاستا على قيد الحياة أثناء المبارزة التى انتهت بقتل كل من ولديها بولونيكيس وإتيوكليس . جعل هايمون يتزوج من أنتيجونى سرا وينجب منها طفلا ، ثم يكتشف كريون وجود ذلك الابن أثناء احد الاحتفالات فيقتله ، ثم يقتل هايمون أنتيجونى وينتحر بجوارها . لكن اختلاف التفاصيل لايقلل من روعة الأسطورة ، ولا يضعف من جلال الموقف الإنسانى — موقف الإنسان الذى يجد نفسه حائرا بين تنفيذ قانون وضعى أو معارضة قانون إلهى .

* * *

= موضوعها الصراع بين ولدى أوديب بولونيكيس وإتيوكليس . هناك أيضا – على سبيل المثال – تراجيديا أنتيجونى **Antigone** للكاتب الفرنسى جان أنوى **Jean Annouilh** التى عرضت عام ١٩٤١ .

بلوبس

انطلق بلوبس فى سرعة رهيبة . ظل يسابق الريح . لم يكن مورتيلوس يفكر فى شىء سوى قضاء ليلة بين أحضان هيبوداميا . تاه مورتيلوس فى غياهب الخيال . أخذ يتخيل كيف تكون متعته وهو بين أحضان هيبوداميا . سرح بتفكيره وخياله . فجأة ، أحس بدفعة شديدة أطاحت به من فوق ظهر العجلة . ركله بلوبس بعنف . قذف به من فوق ظهر العجلة . ظل مورتيلوس يتدحرج على الأرض . ظل يتدحرج نحو شاطىء البحر . اندفع اندفاعا شديدا حتى غاص فى مياه البحر العميق . لايدرى أحد إن كان مورتيلوس قد مات غرقا ، أومات من شدة اصطدام جسده بالصخور ، لكنه ظل يردد قبل موته : عليك اللعنة يابلوبس عليك اللعنة يابلوبس ! عليك اللعنة وعلى ذريتك أجمعين ! !

بلوبس

ذبح تانتالوس ولده . قطعه إربا ، قدم لحمه طعاما للآلهة . فطنت الآلهة إلى ما فعل . ربة واحدة هى التى أكلت . رفض الباقى . قررت الآلهة أن تعيد ابن تانتالوس إلى الحياة . جمعت أجزاء جسده الممزق . وضعت كل جزء فى مكانه . لم يبق سوى الكتف ، التى أكلتها الربة المخدوعة ، صنع الآلهة كتفا من العاج . وضعوها فى مكان الكتف الناقصة(١) نفخوا الروح فى الجسد . عادت الحياة إلى ابن تانتالوس . فعلت الآلهة ذلك كى تحافظ على ذرية تانتالوس . فعلت ذلك كى تتوارث ذرية تانتالوس اللعنة . لم يكن ذلك الابن سوى بلوبس .

نما بلوبس وترعرع فى كنف والده تانتالوس . ثم لقى تانتالوس عقابه. كان تانتالوس ملكا على مملكة بافلاجونيا . ورث بلوبس العرش عن أبيه . أقام فترة فى منطقة أنيتى الواقعة على شاطىء البحر الأسود . امتد سلطانه حتى شمل منطقة لوديا وفروجيا . لكن الآلهة كانت له بالمرصاد ، واللعنة ظلت تطارده . طرد بلوبس من أرض بافلاجونيا . لجأ إلى منطقة جبلية فى لوديا . ثم طرد أيضامن لوديا ، أخذ يبحث عن أرض تجمعه ورفاقه . ظل يبحث عن ملجأ يأويه . ضربت عليه الذلة والمسكنة (٢) . لكن الآلهة

١ — راجع ص ١١٩ أعلاه

٢ — Apollonius Rhodius, Argonautica, II. 358 and 790 ; Sophocles, Ajax. 1292 ; Pausanias, II, 22, 4 and VI. 22.1 ; Pindar, Olympian Odes, I. 24.

تمهل ولاتهمل ، فجأة ، ابتسم له القدر ابتسامة خادعة . حدث ذلك عندما تزوج بلوبس . لكن لزواجه قصة تفوق الخيال ، قصة مليئة بالمغامرات ، ذاخرة بألوان المكر والدهاء .

أوينومايوس ، ملك أركادى ، كان يحكم بيزا وإيليس . اختلفت الروايات حول نسبه ، قيل إن والده الإله آريس ، أو ألكسيون ، أو هيبروخوس . قيل إن والدته هاربينا ابنة أسوبوس ، أو أستيرى ، أو أستيروبى ، أو يوروثوى ابنة داناؤوس(٣) . تزوج أوينومايوس يوآريتى ابنة أكريسيوس ، أو — فى رواية أخرى — ستيروبى . أنجب ثلاثة أبناء : ليوكيبوس ، وهيبوداموس ودوسيونتيوس . ثم أنجب ابنة واحدة هى هيبوداميا(٤) . كان أوينومايوس يهوى تربية الخيول ، خاصة خيول السباق ، كان بارعا فى سباق العجلات . عشق أوينومايوس ابنته هيبوداميا . أحس نحوها بحب لم يستطع أن يقاومه(٥) . لم يطق أن تفارقه ابنته لحظة واحدة . لم يقدر على أن يبوح بحبه الآثم . كتم أحاسيسه ومشاعره . تقدم الشبان يطلبون الزواج من هيبوداميا . ازداد غضب أوينومايوس . فرض شروطا قاسية على كل طالب للزواج . كان على كل طالب للزواج من هيبوداميا أن يكون بارعا فى سباق العجلات . كان عليه ان يتسابق مع أوينومايوس . كان عليه أن يسبقه (٦) .

* * *

فرض أوينومايوس مسافة طويلة للسباق . يبدأ السباق عند بلدة بيزا

٣ — Diodorus Siculus, IV, 73 ; Hyginus, fabula, 250 ; Idem, Poetica Astronomica, II, 21 ; Pausanias, V, 1, 5.

٤ — Hyginus, Poetica Astronomica, II, 21; fabula 84. Pausanias, VIII, 20, 2 and VI, 22, 2.

٥ — قيل — فى رواية أخرى — إن الآلهه حذرته بأن ابنته سوف تتزوج وتنجب طفلا يصبح خطراً على جده بلوبس . Apollodorus, Epitome, 4.

٦ — Diodorus Siculus, Loc. Cit.; Pausanias, V, 10, 2 and VI, 21, 6; Apollodorus, Op. Cit., II, 4.

الواقعة على شاطىء نهر ألفيوس فى المنطقة المواجهة لأولوميا . ينتهى السباق عند معبد بوسيدون ، الواقع على مضيق كورنثا . قيل إن كل عجلة متسابقة كان يجرها زوج من الخيول ، وقيل — فى رواية أخرى — زوجان . أصر أوينومايوس أن تقف هيبوداميا فوق عجلة السباق بجوار من يطلبها للزواج . فاذا وقفت هيبوداميا بجواره شدت انتباهه ، شغلته . بذلك ، أصبح مشغولا عن متابعة السباق ، سمح أوينومايوس لمنافسه أن ينطلق بعجلته أولا . سمح له أن يبدأ السباق قبله بحوالى نصف ساعة . كان فى ذلك إغراء للمتسابق الشاب . بعث الأمل فى نفس المتسابق ، جعله مطمئنا . لم يكن المتسابق الشاب يعرف السبب الحقيقى . لكن أوينومايوس كان يعرفه . بعد أن ينطلق المتسابق الشاب ، يذهب أوينومايوس إلى معبد زيوس المحارب ، الواقع فى أولومبيا . يصلى للإله أن يمنحه النصر فى نهاية السباق . يسترضى الإله بحمل وليد ، يذبحه قربانا للإله . كان أوينومايوس واثقا أن ذلك سوف يمنحه الفوز فى السباق (٧) .

وتمضى هذه الفترة من الزمن . نصف الساعة . يكون المتسابق الشاب قد انطلق فى طريقه ، وبجواره هيبوداميا ، يكون أوينومايوس قد استرضى الإله . ثم ينطلق أوينومايوس بعجلته السحرية . يقودها سائق محنك يدعى مورتيلوس . يجرها زوج من الخيول السريعة : أحدهما يدعى بسولا ، والآخر هاربينا ، منحهما الإله آريس هدية إلى ولده أوينومايوس . كانت خيول أوينومايوس أسرع من ريح الشمال . كانت أروع خيول عرفها الإغريق على مدى الزمان . كان أوينومايوس — إذن — واثقا فى الفوز . لديه سائق بارع ، وخيول سريعة ، وعجلة صنعت خصيصا للسباق . هذا بالإضافة إلى عناية الإله به ورعايته له . كان ينطلق بعجلته فى سرعة فائقة ، يلحق منافسه الشاب . يطلق نحوه حربة سامة تقضى عليه فى الحال . ثم يقهقه فى خيلاء ، وهو ينتزع ابنته هيبوداميا من بين

٧ — Lucian, Charidemus, 19 ; Pausanias, V, 14, 5.

أحضان منافسه الصريع . ثم لايلبث أن يعلن عن استعداده للاشتراك فى سباق آخر (٨) .

بهذه الطريقة فاز أوينومايوس فى السباق ثلاث عشرة مرة . انتصر على ثلاثة عشر منافسا ، صرع ثلاثة عشر أميرا من أشجع أمراء الإغريق . جمع جثث منافسيه المقهورين . علق رؤوسهم وأطرافهم فوق بوابات قصره . ألقى بأبدانهم على الأرض فى وحشية مروعة . صنع كومة عالية مخيفة من اللحم البشرى . لم يرحم منافسيه حتى بعد موتهم . لم يكن قاسيا فى معاملتهم فقط . كان قاسيا فى معاملة خيولهم أيضا . عندما قهر منافسه الأول مارماكس ذبح خيوله التى كانت تجر عجلته أثناء السباق . هكذا أصبح اسم أوينومايوس مثيرا للخوف والرعب فى نفوس أمراء الإغريق . أصبح أوينومايوس رمزا للقسوة والوحشية . أصبح اسمه يتردد على كل لسان . أصبحت قسوته موضوع كل حديث (٩) .

سيطر الغرور على أوينومايوس . ملأت صدره موجات متلاحقة من الكبرياء . أصبح متغطرسا ، متعجرفا ، دائم الحديث عن انتصاراته . تمادى فى غروره وكبريائه. ظل يعلن تحدياته ويبعث تهديداته إلى كل شباب الإغريق . أقسم أن يقيم معبداً من جماجم منافسيه . أراد أن يفعل كما فعل غيره من الملوك المغرورين المتغطرسين . فلقد سبقه أنتايوس (١٠) وديوميديس وإيفينوس فى إقامة معابد من الجماجم البشرية . تنبهت الآلهة إلى الخطر الذى أصبح يهدد بلاد الإغريق . أرادت أن تضع حدا لغطرسة أوينومايوس . قررت أن تحطم غروره . أرسلت إليه شابا إغريقيا جسورا يدعى بلوبس . فى أول الأمر ، استولى الرعب على بلوبس . ملأ الخوف

٨ – Servius on Vergil's Georgics. III. 7 ; Tzetzes. Lycophron, 166 ; Apollonius Rhodius. I, 756 ; Pausanias, VIII. 14,7.

٩ – Graves. Greek Myths. Vol. II. pp. 31 — 3.

١٠ – راجع ص ٤٠٩ أدناه .

صدره . لكنه صمم على مواجهة أوينومايوس . ذهب بلوبس إلى معبد الإله بوسيدون فى إيليس . قدم الذبائح . بعث بالدعوات . أقام الصلوات تكريما للإله . ناشده المعونة والعون . توسل إليه أن يقوم بعمل من اثنين : إما أن يمنحه زوجا من الخيول تسبق خيول أوينومايوس ، أو يحطم حربة الملك المتغطرس حتى لاتقضى على بلوبس عند نهاية السباق . انشرح صدر الإله . أبدى استعداده للمعونة . وعد بلوبس بالمساعدة . منحه أسرع عجلة سباق عرفها الإغريق حتى تلك اللحظة . منحه عربة سباق مجنحة ، تسبق الريح ، تجرى فوق سطح الماء دون أن تبتل عجلاتها ، يجرها طاقم من خيول ربانية . مجنحة لايدركها التعب ، ولا يغلبها المرض أو الشيخوخة (١١).

* * *

انطلق بلوبس بعجلته التى تسبق الريح ، وصل إلى جبل سيبولوس . توجه إلى معبد أفروديتا . قدم قربانا لربة الحب والرغبة . طلب منها أن تلقى بسهامها الدافئة فى صدر هيبوداميا . فإن تعشقه هيبوداميا تساعده على إحراز النصر . ثم بدأ يجرب عجلته ، ويتدرب على السباق . انطلقت عجلته عبر البحر الإيجى ، يقودها سائق بارع محنك يدعى كيلوس . اقترب بلوبس من جزيرة لسبوس . فجأة ، حدث شىء لم يكن يتوقعه . فاضت روح سائق عجلته . مات كيلوس . لم يتحمل قلبه السرعة الفائقة . توقف بلوبس فى جزيرة لسبوس . قضى الليل هناك . ظهر له فى المنام شبح كيلوس . رأى بلوبس كيلوس يبكى حظه العاثر . سمعه يطلق آهات الحسرة والأسف . كان كيلوس يتمنى أن يشارك بلوبس حلاوة النصر . صحا بلوبس من نومه مذعورا . أحضر جثة كيلوس . تلى عليها الصلوات والدعوات ، أحرقها ، دفن رفات صاحبه . أقام فوقها نصبا تذكاريا . أقام بجوار النصب محرابا مقدسا وهبه للإله أبوللون، ثم واصل الانطلاق

١١ – Pindar. Olympian Odes, I, 56 sqq. ; Pausanias, V 17.4; Tzetzes, Lycophron, 159.

بعجلته التى تسبق الريح . كان يقودها بنفسه هذه المرة (١٢) .

وصل بلوبس إلى بيزا ، حيث يوجد قصر أوينومايوس ، وحيث يبدأ السباق . رأى رؤوسا وأطرافا بشرية معلقة على بوابة القصر . رأى أبدانا بشرية مكدسة على الأرض بلا نظام . هاله ما رأى . أحس بموجات متتالية من الفزع تسرى فى جسده . استولى عليه الذعر ، هزه الخوف ، همَّ أن يتراجع ، لكنه كان يعلم أن الآلهة تقف فى جانبه . استعاد بلوبس بأسه. لمَّ أطراف شجاعته . أخذ يفكر ويتدبر الأمر . أدرك أنه مقدم على مغامرة يائسة . بدأ يطرق أبوابا أخرى ، قابل هيبوداميا . غازلها . طارحها الغرام ، تجاوبت معه على الفور ، فلقد وعدته الربة أفروديتا أن تبعث بسهامها الدافئة فى صدر هيبوداميا . أحست هيبوداميا بحب شديد نحو بلوبس . أعجبت به . ضاقت ذرعا بغرور والدها وغطرسته . قررت أن تتخلص من قيود والدها القاسى . صممت على مساعدة بلوبس .

ذهبت هيبوداميا إلى مورتيلوس ، السائق البارع المحنك ، الذى يقود عجلة أوينومايوس . كان مورتيلوس ابنا للإله هرميس من ثيوبولى . كان مورتيلوس — فى رواية أخرى — ابنا لزيوس من كليومينى . أعجب مورتيلوس بابنة سيده أوينومايوس . أحب مورتيلوس هيبوداميا . عشقها. هام فى حبها . لكنه كتم حبه ، ودارى عشقه . لم يستطع أن يبوح بمكنون قلبه ، خشية غضب سيده أوينومايوس . ظل يبعث بنظراته الجائعة نحو هيبوداميا . ظل يراقبها فى شوق أثناء روحاتها وغدواتها . كان قانعا بذلك (١٣) . لم يكن يطمع فى أكثر منه . ذلك ما جعل مورتيلوس متحمسا وهو يقود عجلة أوينومايوس أثناء كل سباق . كان يعلم أن الأمر متوقف عليه ، كان متأكدا أنه قادر على انتزاع معشوقته هيبوداميا من

---

١٢ - Scholiast On Homer's Iliad, I, 38 ; Theon, On Aratus, 21.

١٣ - Hyginus, fabula 244 ;Tzetzes, Lycophron, 156 and 162 ; Scholiast on Euripides' Orestes, 1002.

بين أحضان المتسابق الشاب الذى يطلبها للزواج . كانت هيبوداميا تلاحظ ذلك أيضا فى صمت . كانت تعلم أن مورتيلوس يعشقها . لكنها لم تكن تبادله الأحاسيس والمشاعر . تذكرت هيبوداميا كل ذلك . لذا ، ذهبت إلى مورتيلوس . سعت إليه . طلبت منه العون والمساعدة . توسلت إليه أن يكسر قيدها ، أن يخلصها من سطوة والدها أوينومايوس القاسى . لم يتردد مورتيلوس لحظة واحدة . لم يفكر فى رفض طلبها على الإطلاق . فمن يحب لايستطيع أن يكره ، ومن يعشق لايخيب رجاء لمعشوقه . وافق مورتيلوس على الفور . وعد هيبوداميا بالمساعدة . وعدها بأن يخلصها من سطوة والدها القاسى . وعادت هيبوداميا إلى القصر ، تنتظر بفارغ صبر موعد بدء السباق .

لم تهدأ نفس بلوبس . كان يعلم أن هيبوداميا قدوقعت فى غرامه . كان واثقا من أنها سوف تقدم له كل عون . كان متأكدا أنها سوف تفعل المستحيل من أجل إنقاذه . لكنه لم يكن يعرف كيف ستفعل هيبوداميا كل ذلك . لذا لم تهدأ نفسه . ظل قلقا ، مهموما ، مضطربا . طفق يبحث عن وسيلة يستطيع بواسطتها أن يقهر أوينومايوس، ظل يفكر فى حيلة يفوز عن طريقها بيد هيبوداميا — بعد أن فاز بقلبها . كان بلوبس قوى الملاحظة، داهية واسع الحيلة . لم يكن اليأس قادرا على أن يتطرق إلى نفسه . كان قادرا على تحقيق رغبته ، مهما كانت تلك الرغبة . لاحظ نظرات مورتيلوس . لاحظ هيامه بهيبوداميا . ارتاب فى وجود علاقة بين مورتيلوس وهيبوداميا . لذا ، ذهب بلوبس إليه . تبادل أطراف الحديث، ظل يحاوره ، ويناقشه ، حتى استطاع أن يكشف عن مكنون قلبه . تأكد من حب مورتيلوس لهيبوداميا . أدرك أنه يحبها فى صمت . تأكد أنه يعشقها خلسة . عرض عليه فكرة بدت على الفور فكرة رائعة . طلب بلوبس المساعدة من مورتيلوس ، طلب منه العون . طلب منه أن يخلص هيبوداميا من سطوة والدها القاسى . إن فعل ذلك ، فسوف تصبح هيبوداميا زوجة شرعية لبلوبس . لكن لابأس . سوف تكون لمورتيلوس

مكافأة عظيمة . سوف يموت أوينومايوس . سوف تئول مملكته إلى بلوبس.
سوف تصبح هيبوداميا زوجة لبلوبس . عندئذ ، سوف يمنح بلوبس نصف
مملكته إلى مورتيلوس ، وسوف يسمح له أن يقضى مع هيبوداميا الليلة
التالية لنهاية السباق . فغر مورتيلوس فاه . استولت عليه الدهشة . دهمته
المفاجأة . أغرته وعود بلوبس . وعده على الفور بالمعونة . وعده بأن
يخلص هيبوداميا من سطوة والدها القاسى . وعاد بلوبس إلى مسكنه ينتظر
بفارغ صبر موعد بدء السباق (١٤) .

* * *

اقترب موعد بدء السباق . فرغ بلوبس من تقديم الصلوات والأضاحى
للربة أثينة . ظهر شبح كيلوس أمام عينى بلوبس . وعده بأن يقدم إليه
كل معونة . حاول سفايروس أن يقود عجلة بلوبس . فضل بلوبس أن
يقودها بنفسه . وقفت هيبوداميا فوق العجلة بجوار حبيبها وعشيقها بلوبس.
أصدر أوينومايوس أوامره — انطلق بلوبس بعجلته التى تسبق الريح .
لم تشغله هيبوداميا . لم تشد انتباهه . لم تعرقله عن الانطلاق . بل أخذت
تحثه على الجرى . ظلت تقوى من عزيمته . طفقت تصب فى أذنية عبارات
الحب والهوى . أخذت تكيل له الوعود بالسعادة والهناء . صورت له حلاوة
النصر . انطلق بلوبس لايلوى على شىء(١٥) . انطلق فى سرعة رهيبة .
ظلت خيوله تواصل الجرى . اختفت العجلة بمن عليها عن الأنظار . جن
جنون أوينومايوس . انطلق خلف عجلة بلوبس . ظل يلهب ظهور خيوله
بالسوط . ظل يحث مورتيلوس على مواصلة الانطلاق . لكن مورتيلوس
كان قد اتخذ قرارا قبل أن يبدأ السباق . ونفذ مورتيلوس قراره فعلا
قبل أن يبدأ السباق . استبدل مورتيلوس المسمارين اللذين يثبتان العجلات

---

١٤ — Scholiast on Harace's Odes, I, 1 ; Pausanias; VIII, 14.7.

١٥ — Graves, Op. Cit., pp. 33 — 35.

بالقاعدة بقطع من الشمع (١٦) . وعندما ازدادت سرعة الخيول ،
انصهرت قطع الشمع . خرجت العجلات من أطراف القضبان . تطايرت
العجلات فى اتجاهات مختلفة . انقلبت قاعدة عجلة السباق . تدحرجت
فى سرعة رهيبة نحو شاطىء البحر (١٧) . قفز مورتيلوس فى خفة ورشاقة .
شبكت ملابس أوينومايوس بقضبان القاعدة . لقى الملك المتغطرس مصرعه.
فى نفس الوقت ، وصل بلوبس إلى نقطة النهاية . فاز بمملكة أوينومايوس .
فاز أيضا بهيبوداميا . لكن أوينومايوس ظل يردد فى أنفاس متقطعة وهو
يحتضر : عليك اللعنة يامورتيلوس : عليك اللعنة يامورتيلوس : فلتمت
بيدى بلوبس : فلتمت بيدى بلوبس : .

بدأ بلوبس على الفور رحلة العودة . اعتلى عجلته التى تسبق الريح .
اعتلى العجلة فى خيلاء المنتصر . وقفت بجواره زوجته هيبوداميا . احتضنته
فى سعادة وزهو . وقف الزوجان منتصبى القامة . شامخى الرأس ، سعيدين
بلذة الانتصار . أمسك مورتيلوس بأعنة خيول العجلة . كان يحس هو
أيضا بلذة الانتصار . انطلقت العجلة فى سرعة رهيبة عبر البحر . انطلقت
تشق طريقها عائدة إلى حيث بدأ السباق . قضى المنتصرون الليل فى
الطريق . بزغ الفجر بخيوطه الذهبية . أحست هيبوداميا بالتعب . شعرت
بالعطش . طلبت من بلوبس أن يتوقفا فترة قصيرة . لبى بلوبس رغبتها
على الفور . توقفت العربة فى منطقة صحراوية مقفرة . قفز بلوبس فى
خفة . هبط على التربة الرملية . ظل يبحث عن عين جارية أو سيل رائق .
طال غيابه . لم يجد زرعا ولا ماء . واصل تجواله فى المناطق المحيطة . عثر
على قليل من الماء . حمله فى خوذته . عاد سعيدا إلى زوجته . اقترب إلى
حيث تركها بصحبة مورتيلوس . لكنه رأى مشهدا أوقفه مشدوها . رأى
هيبوداميا مقبلة نحوه فى فزع . رآها تندفع نحوه باكية . لقد حاول

---

١٦ — Rose, Greek Mythology, p. 247.

١٧ — Apollonius Rhodius, I, 752 sqq. ; Pausanias, VI, 20, 8 ; Tzetzes, Lycophron, 156.

مورتيلوس أن يغتصبها أثناء غياب زوجها وحبيبها . غلت الدماء فى عروق بلوبس . ثارت ثورته . صفع مورتيلوس على وجهه. نهره ، عنفه ، وجه إليه أقذع العبارات ، ظن بلوبس أن الأمر قد انتهى عند هذا الحد . فجأة ، سمع مورتيلوس يصرخ فى وجهه : لقد وعدتنى أن أقضى مع هيبوداميا الليلة التالية لنهاية السباق . وهاقد انتهى السباق بالأمس . ألا تفى بوعدك ؟ (١٨) .

* * *

بهت بلوبس . لم ينبس ببنت شفة . لم ينطق كلمة واحدة . لم يجب على سؤال مورتيلوس . ناول هيبوداميا خوذته . عاونها على تناول الماء من الخوذة . قذف الماء الباقى على الأرض الرملية . اعتلى عجلته . اتخذ مكانه بجوار هيبوداميا . أومأ إلى مورتيلوس . أمسك بلوبس أعنة الخيول بيديه . قاد العجلة بنفسه . اطمأن قلب مورتيلوس . لم ينكر بلوبس شيئا . لم يحنث بعهده . لم ينس وعوده . لكنه ربما يخجل من مواجهة هيبوداميا بالحقيقة . هكذا فكر مورتيلوس . هكذا ظن . أو هكذا بدا له . انطلق بلوبس فى سرعة رهيبة ، ظل يسابق الريح . لم يكن مورتيلوس يفكر فى شىء سوى قضاء ليلة بين أحضان هيبوداميا . سرح بتفكيره وخياله . فجأة أحس بدفعة شديدة أطاحت به من فوق ظهر العجلة . ركله بلوبس بعنف . قذف به من فوق ظهر العجلة (١٩) . ظل مورتيلوس يتدحرج على الأرض . ظل يتدحرج نحو شاطىء البحر . اندفع اندفاعا شديدا حتى غاص فى مياه البحر العميق . لايدرى أحد إن كان مورتيلوس قد مات غرقا ، أو مات من شدة اصطدام جسده بالصخور . لكنه ظل يردد قبل

---

١٨ — Apollodorus, Epitome, II, 8; Scholiast on Homer's Iliad, II, 104; Pausanias, VIII, 14, 8; Hyginus fabula 84.

١٩ — قيل إن بلوبس كان يحقد على مورتيلوس بسبب حبه لهيبودا ميا ، قيل أيضا إنه لم يرض أن ينسب الفضل فى فوزه بيد هيبوداميا إلى مورتيلوس ، راجع
Oxford Classical Dictionary, s.v. Pelops.

موته : عليك اللعنة يا بلوبس — عليك اللعنة يا بلوبس (٢٠) . عليك اللعنة وعلى ذريتك أجمعين (٢١) .

واصل بلوبس رحلته ، وكأن شيئا لم يحدث . لم ينس فقط أن يطهر نفسه من الآثام على يد هيفايستوس . ثم استأنف رحلته حتى وصل إلى بيزا ، حيث بدأ السباق الرهيب . هناك استولى على مملكة أوينومايوس . ثم فرد سلطانه على المناطق المجاورة ، على المنطقة التى كانت تعرف باسم أبيا أو بيلاسجيوتيس . لكنه غير اسمها ، أسماها بلوبونيس ، أى جزيرة بلوبس (٢٢) . شن بلوبس الحروب على من حوله من الملوك . هزم الملك أبيوس . وفرد سلطانه على مملكة أولومبيا . حاول أن يهزم ستومفالوس ملك أركاديا . لم يستطع . عندئذ ، دعاه للقيام ببعض المفاوضات . ثم قتله . وقطعه إربا . لعنته الآلهة . أصابت بلاد الإغريق بمجاعة مروعة .

ظل بلوبس يرتكب الجريمة بعد الأخرى . ظلت الآلهة والبشر تصب اللعنة على بلوبس وذرية بلوبس . أنجب بلوبس الملعون ذرية لاحصر لها . ظلت ذريته تقاسى من لعنات الآلهة والبشر . دب النزاع بينهم . ظل يحارب كل منهم الآخر . ضربت على أغلبهم الذلة والمسكنة . لقى الباقى أسوأ المصائر .

* * *

تلك هى أسطورة بلوبس . المغامر العنيد . بلوبس ، الذى لم يفقد الثقة فى نفسه لحظة واحدة . وصفه الإغريق بالثراء . والكياسة . والبراعة .

---

٢٠ — Strabo, X, 1, 7; Sophocles, Electra, 508 sqq.; Pausanias, VIII,, 14.7.

٢١ — تروى بعض المصادر القديمة — كما يروى أيضابعض العلماء المحدثين — أن بلوبس هو الوحيد من بين ذرية تانتالوس الذى لم يلق مصيراً مظلما ، وأن ما أصاب ذرية بلوبس من كوارث ليس إلا نتيجة لما ارتكبه تانتالوس من خطايا ، راجع :
Hamilton, Mythology, pp. 237 — 8

٢٢ — Apollodorus, Epitome, II, 9 ; Diodorus Siculus, IV, 73 ; Thucydides, I, 9 ; Plutarch, Theseus, 3.

والحكمة . نسبوا إليه أعمالا إنشائية كثيرة . فى عهده أصبحت الألعاب الأولومبية أكثر فخامة وعظمة عن ذى قبل . أراد بلوبس أن يكفر عن جريمته التى ارتكبها فى حق مورتيلوس . كان يعلم أن والد مورتيلوس هو الإله هرميس . لذا ، خشى أن تغضب الآلهة منه . أقام معبدا للإله هرميس فى شبه جزيرة البلوبونيس . كان ذلك أول معبد أنشىء فى تلك المنطقة . أراد أيضا أن يمتص غضب شبح مورتيلوس . كان شبح مورتيلوس يظهر فجأة أمام راكبي العجلات والعربات . كان يثير الرعب والفزع فى صدور الخيول . كان يدمر كل عجلة تمر على المنطقة التى مات فيها مورتيلوس . أصبح شبح مورتيلوس عقبة فى سبيل كل راكب وفارس . أراد بلوبس أن يهدىء من ثورة ذلك الشبح المخيف . أقام قبرا فخما لمورتيلوس على الطريق الرئيسى الموصل إلى أولومبيا . أحاط روحه بهالة من التكريم والتبجيل . ظل يقدم له آيات التقدير والتقديس (٢٣) .

لم ينس بلوبس مغامرته المثيرة . لم ينس السباق الرهيب . الذى كاد أن يودى بحياته . لم ينس خيرة أمراء الإغريق ، الذين لقوا حتفهم أثناء اشتراكهم فى ذلك السباق المميت . جمع رفاتهم ، حفر لهم قبرا رحبا فسيحا بالقرب من شاطىء نهر ألفيوس . أقام فوقه نصبا تذكاريا شاهقا . أحاط ذكراهم بهالة من التبجيل والاحترام . بالقرب من ذلك النصب الشاهق أنشأ معبدا للربة أرتميس . أطلق عليه اسم معبد أرتميس كورداكس. هناك ، ظل أحفاد بلوبس يقيمون رقصاتهم الوطنية ، التى جاءوا بها من وطنهم لوديا . (٢٤)

أما بلوبس نفسه ، فقد حفظت رفاته فى صندوق من البرونز . ثم أنشىء محراب مقدس تكريما لروح بلوبس . وضع أتباع بلوبس الصندوق البرونزى داخل المحراب المقدس . ظل أتباع بلوبس يقيمون احتفالات

٢٣ Pausanias, V 1.5 and V, 8,1 and VI, 20,8 ; Apollodorus, III, 12; 6.

٢٤ – Pausanias, VI, 21 — 22.

سنوية حول ذلك المحراب . قدموا لروحه كبشا أسود . كان الشبان يتقدمون نحو المحراب. يجرحون أنفسهم ثم يقدمون دماءهم قرابين لصاحب المحراب . احتفظ الإغريق من بعده بعجلته التى تسبق الريح ، وبصولجانه الذى يشبه الحربة (٢٥) .

تلك هى أسطورة بلوبس ، بلوبس ابن تانتالوس . بلوبس والد أتريوس . بلوبس جد القائد الإغريقى المعروف أجاممنون . رواها أغلب الكتاب الإغريق والرومان . تناقلها من بعدهم كتاب وأدباء عديدون . اختلف الرواة حول التفاصيل . اختلفوا حول سبب معارضة أوينومايوس فى زواج ابنته . قال بعضهم إن السبب فى ذلك يرجع إلى نبوءة من عند الآلهة . حذرت النبوءة أوينومايوس . أخبرته أن هلاكه سوف يكون على يد زوج ابنته ، اختلفوا أيضا حول كيفية موت أوينومايوس . روى البعض أن بلوبس سبق أوينومايوس . ثم نفذ فيه حكم الاعدام . روى البعض الآخر أن أوينومايوس انتحر عندما هزمه بلوبس فى السباق . روى آخرون أن بلوبس قد حصل على تعويذة سحرية ، وأن هذه التعويذة كانت سببا فى إثارة الرعب فى صدور خيول أوينومايوس وتدمير عجلته (٢٦) . لكن اتفق الجميع على أن أوينومايوس — وهو يموت — قد صب اللعنة على رأس مورتيلوس .

تلك هى أسطورة بلوبس ابن تانتالوس ، التى تصور كيف اعتقد الإغريق فى توارث اللعنة . فقد أورث تانتالوس اللعنة لابنه بلوبس . ثم أورثها بلوبس بدوره لابنه أتريوس . ثم أورثها أتريوس أيضا لابنه أجاممنون . . . . وهكذا .

٢٥ – Pausanias, V, 13 ; VI, 19 and 22 ; II, 14 ; IX, 41; Apollodours, II, 7, 2 ; Pindar, Olympian Odes, 1, 90 sqq. ; Scholiast on Pindar's Olympian Odes, I, 146 ; Homer Iliad, II. 100 sqq.

٢٦ – راجع هذه الروايات المختلفه فى : Pindar, Op. Cit., I, 87 ; Lucian, Charidemus, 19; Diodorus Siculus, IV, 73; Apollodorus, Epitome, II, 7.

أتريوس

. . أمسك أتريوس بالحمل . فحصه عن قرب ، تحسس قرونه الذهبية الجميلة . أمسك بقرنيه الجميلين. إنه حمل نادر الوجود . كيف يضحى بمثل ذلك الحمل الرائع ! ! كيف يذبحه ! ! إنه ثروة هائلة منقطعة النظير . تردد أتريوس قليلا ، أحس أنه فى موقف لايحسد عليه . لم يكن يدرى أن ذلك من تدبير الآلهة . لم يكن يدرى أن الإله هرميس هو الذى بعث بذلك الحمل الرائع ، إنه هو الذى وضعه بين قطعان أتريوس . لم يكن يدرى أن هرميس إنما أراد بذلك أن يحدث وقيعة بين أتريوس وشقيقه ثويستيس . لم يكن يدرى أن هرميس إنما فعل ذلك انتقاما لولده مورتيلوس الذى قتله بلوبس ، والد أتريوس ، غدرا . لم يكن يدرى شيئا من كل ذلك، لكن الآلهة كانت تعلم كل شىء .

أتريوس

تمادى تانتالوس فى الاستهزاء بالآلهة ، حلت عليه اللعنة (1) . أورثها لابنه بلوبس . لعنة الآباء يتوارثها الأبناء . هكذا اعتقد الاغريق ، وكان اعتقادهم فى ذلك اعتقادا راسخا . تمادى بلوبس فى ارتكاب الجرائم . ارتكب جرائم الفسق . سلك طريق الخديعة والخيانة . هكذا شاءت الآلهة .

لفظ أوينومايوس أنفاسه الأخيرة وهو يلعن مورتيلوس . ثم لفظ مورتيلوس أيضا أنفاسه الأخيرة وهو يلعن بلوبس . هكذا حلت اللعنة على بلوبس المخادع الفاسق الخائن . لكن آثار اللعنة لم تظهر على بلوبس أثناء حياته فقط . أثرت على سلوكه وسلوك ذريته . أنجب بلوبس ذرية لاحصر لها . أنجب أبناء وبنات يفوق عددهم الحصر (2) . لكن ، مالبث أن دب النزاع بين الإخوة والأخوات . سرعان ماتفرقت الجماعة . تصارعوا فيما بينهم . نهب كل منهم ممتلكات الآخر . دنس كل منهم فراش زوجية الآخر . إغتال الشقيق شقيقه . إغتاب الأخ أخاه . تنازع أبناء الأعمام فيما بينهم . دب الصراع بين أبناء الأخوال . قضى النزاع على الجميع (3) .

1 – راجع ص 123 أعلاه .

2 – لمعرفة مزيد من المعلومات عن ذرية بلوبس راجع :

Graves, Greek Myths, Vol. II, p. 40.

3 – Graves, Op. Cit., pp. 41 — 2.

لم يبق سوى أتريوس وشقيقه ثويستيس . صبت الآلهة جام غضبها على هذين الشقيقين .

قتل أتريوس شقيقه الأصغر خروسيبوس ، أو هكذا ظن البعض . خشى أتريوس على حياته . هرب من إليس . لجأ إلى موكيناى . هناك كان يحكم ابن شقيقه يوروسثيوس . كان يوروسثيوس فى ذلك الوقت يستعد لمهاجمة أبناء البطل هيراكليس . عين يوروسثيوس خاله أتريوس نائبا عنه أثناء غيابه . أكتسب أتريوس ثقة أهل موكيناى . أعجب به نبلاء المملكة . أحبته طبقة العامة . وجد الجميع فيه حاكما عادلا . وجدوا فيه الوفاء والإخلاص . أسرهم بجرأته وشجاعته . أخضعهم بشهامته ونبله . ثم جاءت أنباء هزيمة الملك يوروسثيوس . ثم جاءت أنباء مصرعه . هتف أهل موكيناى بحياة أتريوس . ولّوه ملكا على عرش المملكة . رأوا فيه خليفة لمليكهم السابق . هكذا أصبح أتريوس ملكا على موكيناى (٤) .

هناك رواية أخرى تروى كيف أصبح أتريوس ملكا على موكيناى . رواية أكثر انتشارا ، وأشد تأثيرا ، وأدق تفصيلا .

هزم سثنلوس أمفيتريون ملك موكيناى . نفاه . استولى على عرشه . سثنلوس هو والد يوروسثيوس ، وهو أيضا زوج شقيقة كل من أتريوس وثويستيس . أما أمفيتريون فهو والد البطل هيراكليس . بعد هزيمة أمفيتريون ونفيه أصبح سثنلوس ملكا على موكيناى . عندئذ ، دعا سثنلوس كلا من أتريوس وثويستيس . منحهما حق الإقامة فى منطقة مجاورة لمملكته ، منطقة ميديا . عاش أتريوس وثويستيس فى منطقة ميديا . قضيا حياة خالية من مظاهر الترف والعظمة . أدرك الموت الملك سثنلوس . استولى ولده يوروسثيوس على العرش . لكن سرعان ما أدرك الموت يوروسثيوس أيضا . أصبح أهل موكيناى بلا ملك يحكم البلاد . لجأوا إلى نبوءة الإله . طلبوا الرأى والمشورة . نطقت النبوءة بمشيئة الإله : على أهل موكيناى

٤ - Scholiast on Euripides' Orestes, 813 ; Thucydides I, 9

أن يختاروا واحدا من أبناء بلوبس (٥) . تذكر أهل موكيناى أن مليكهم السابق كان يحب أتريوس وثويستيس . تذكروا أنه قد أسكنهما فى منطقة ميديا القريبة من موكيناى . استقر الرأى على دعوتهما . حضر الشقيقان . أعرب كل منهما عن رغبته فى الحكم . دب صراع بين الشقيقين . استولت الحيرة على أهل موكيناى .

ازداد الصراع بين الشقيقين . أخذ يكيد كل منهما للآخر . سلك كل منهما طريق الخديعة . عندما بلغ النزاع أشده ، تذكر أتريوس حادثا مرّ به منذ أعوام قليلة .

ذات مرة أراد أتريوس أن يكفر عن بعض جرائمه التى ارتكبها فى حق الآلهة والبشر (٦) . نذر للربة أرتميس أجمل حمل بين قطعانه . ظل أتريوس يتجول فى أراضيه الواسعة ، حيث كانت ترعى قطعانه التى ورثها عن والده بلوبس . وقع نظره على حمل وديع ، ذى قرنين جميلين ، ذى فروة من الذهب الخالص . أعجب أتريوس بالحمل أيما إعجاب . لم يجد أتريوس بين قطعانه حملا يضارعه فى الجمال والروعة . قرر أن يذبحه على الفور ، وأن يقدمه قربانا للربة أرتميس . فلقد نذر ذلك من قبل ، وعليه الآن أن يوفى بالنذر . أمسك أتريوس بالحمل . فحصه عن قرب . تحسس فروته الذهبية الجميلة . أمسك بقرنيه الجميلين . إنه حمل نادر الوجود . كيف يضحى بمثل ذلك الحمل الرائع ! كيف يذبحه ! إنه ثروة هائلة منقطعة النظير . تردد أتريوس قليلا . أحس أنه فى موقف صعب . لم يكن يدرى أن كل ذلك من تدبير الآلهة . لم يكن يدرى أن الإله هرميس هو الذى بعث بذلك الحمل الرائع ، أنه هو الذى وضعه

٥ - Apollodorus, II, 4 ; Idem, Epitome, II, 11 ; Euripides, Orestes, 12.

٦ - Apollodorus, Epitome, II, 10 ; Euripides, Op. Cit., 955 sqq. ; Seneca, Electra, 699 sqq. ; Tzetzes, Chiliades I, 433 sqq.

بين قطعان أتريوس (٧) . لم يكن يدرى أن هرميس إنما أراد بذلك أن يحدث وقيعة بين أتريوس وشقيقه ثويستيس . لم يكن يدرى أن هرميس إنما فعل ذلك انتقاما لولده مورتيلوس الذى قتله بلوبس — والد أتريوس — غدراً (٨) . لم يكن أتريوس يعلم أى شىء . لكن الآلهة كانت تعرف كل شىء . أحس أتريوس بالحيرة . لكنه كان واسع الحيلة . وجد لنفسه مخرجا ، أو هكذا ظن . ذبح أتريوس الحمل الذهبي الرائع . سلخه انتزع الفروة الذهبية . وضعها فى صندوق محكم . أودعها فى مكان أمين . ثم قدم الحمل قربانا للربة أرتميس . هكذا أنجز وعده . هكذا وفّى بنذره . وهكذا أيضا لم يفرط فى تلك الثروة النادرة .

ظن أتريوس أنه قد حظى برضاء الربة أرتميس . أحس فى الوقت نفسه بالفخر . إنه يملك ثروة لايملك مثلها أحد غيره . يملك فروة من الذهب . أخذ أتريوس يفخر بثروته النادرة . تعالى على رفقائه ومعارفه . تعالى على شقيقه ثويستيس أيضا . دبت الغيرة فى نفس ثويستيس . أوغر الحقد صدره . بات يحسد شقيقه أتريوس . قرر أن يحصل على ثروة شقيقه النادرة . حاول أن يعرف مكان الصندوق . لم يستطع . بدأ يطرق بابا خلفيا . سلك طريق الخديعة . ذهب إلى أيروبى . كان أتريوس قد تزوجها منذ فترة وجيزة . لم تكن تحبه . لم يكن هو أيضا يحبها . تزوجها بعد أن ماتت زوجته الأولى . كانت أيروبى تحب ثويستيس . لم يكن ثويستيس يبادلها الحب . كانت تحبه فى صمت . كان يتجاهلها فى الخفاء . فجأة ، بدأ ثويستيس يغير من سلوكه نحوها . جالسها . غازلها . طارحها الغرام . تظاهر بحبها . اندفعت أيروبى نحوه فى جنون . بادلته حبه الزائف بحب عميق . تقابلا خلسة . قضيا أوقاتا سعيدة . تأكد ثويستيس من إخلاص

---

٧ — قيل أيضا إن الربة أرتميس هى التى فعلت ذلك . أنظر — بالاضافه إلى المصادر المذكورة فى الحاشيه رقم ٦ أعلاه — : Scholiast on Euripides' Orestes, 812, 990, 998 ; Scholiast on Homer's Ilias, II, 106.

٨ — راجع ص ٢٨٤ أعلاه .

أيروبى له . تأكد من أنها تفضله على شقيقه أتريوس . بدأ يضرب ضربته . ادعى أن ثروة أتريوس النادرة إنما اغتصبها من شقيقه ثويستيس . قصّ عليها كيف كان الحمل بين قطعان ثويستيس التى ورثها عن أبيه بلوبس . قال لها إن أتريوس سرق الحمل الرائع ، ثم ادعى أنه ملك له . طلب منها أن تساعده من أجل استعادة ثروته المسلوبة . أقنعها بضرورة مساعدته . كان ثويستيس كاذبا فى كل كلمة نطق بها . كان يعلم ذلك . لكن أيروبى لم تكن تعلم ذلك . ساعدته أيروبى . مكنته من الحصول على فروة الحمل الذهبي — خلسة دون أن يعلم أتريوس . حصل ثويستيس على الحمل الذهبي . احتفظ به فى مكان أمين فى قصره ، بينما ظل أتريوس يفخر بثروته النادرة التى لايعرف مكانها أحد غيره (٩) .

أثناء الصراع بين الشقيقين تذكر أتريوس الحمل الذهبي . تذكر ثروته النادرة . تذكر أيضا أنه أول أبناء بلوبس . عندئذ ، جمع مجلس المدينة . أعلن أحقيته فى تولى حكم موكيناى . نظر إليه شقيقه ثويستيس فى خبث ومكر . سأله : هل حقا لديك حمل ذهبي نادر الوجود ؟ رد عليه أتريوس بالإيجاب . طأطأ ثويستيس رأسه . نظر نحو الأرض فى خجل مصطنع . طفق يقول : مادام الأمر كذلك ، فأنت أحق منى فى تولى حكم موكيناى . فليستعد أهل موكيناى . ليقيموا الأفراح . ليزينوا المعابد بالذهب . ليشعلوا المواقد فى محاريب الآلهة . ليطلقوا الأناشيد الصاخبة . لينطلق العامة والخاصة فى الطرقات . ليفتح الجميع أبواب منازلهم — احتفالا بتتويج الملك الجديد . وليذهب أتريوس إلى قصره مع كبار رجال الدولة ليحضر الحمل الذهبي ويعرضه على جميع طبقات الشعب . كان الخبث والدهاء يملآن عينى ثويستيس وهو يتحدث .

ذهب أتريوس إلى قصره . صاحبه شقيقه ثويستيس وكبار رجال الدولة . لم يجد أتريوس الصندوق . لم يجد ثروته النادرة . لم يجد الحمل

---

٩ — Graves, Op. Cit., pp. 43 — 5

الذهبي . وقف مهموما كسيرا . لم ينطق بكلمة واحدة . رفع ثويستيس يده إلى أعلى . لوح بها فى الهواء . فهم كبار رجال الدولة ما أراده . سار ثويستيس نحو قصره ، سار وراءه كبار رجال الدولة .

دخل ثويستيس قصره . خرج يحمل صندوقا ضخما . فتح الصندوق. أخرج فروة الحمل الذهبي . إنه هو صاحبها ، وليس شقيقه أتريوس . لقد حاول شقيقه أتريوس أن يسرقها منه.لكنه لم يستطع . هكذا ادعى ثويستيس . وهكذا أقنع أهل موكيناى بأحقيته فى تولى الحكم (١٠) .

اكتشف أتريوس أنه كان مخدوعا . اكتشف أنه كان يفخر بحيازته لثروة لم تكن فى حيازته . اكتشف أن شقيقه قد حصل على الحمل الذهبي خلسة . لكنه لم يستطع أن يعرف كيف حدث ذلك . سيطر عليه اليأس . أحس بالخجل أمام أهل موكيناى . بهت . امتقع وجهه . سرت موجات من الحزن فى عروقه . أصابه الذهول . هلل أهل موكيناى . هتفوا باسم ثويستيس . ولّوه ملكا عليهم .

كان من الممكن أن ينتهى الأمر عند هذا الحد . لكن الآلهة كانت ترغب فى تنصيب أتريوس ملكا . كانت تريد أن يستمر النزاع بين الشقيقين . كانت مصممة على أن يشتد النزاع بينهما ، فتجد اللعنة مجالا خصبا للانتشار بين ذريتهما . فكر كبير الآلهة زيوس فى الأمر . تدبر الموقف . توصل إلى فكرة . طفق على الفور فى تنفيذها . أرسل زيوس رسوله هرميس إلى أتريوس . أمر هرميس أتريوس أن يذهب إلى ثويستيس . شرح له ما يجب عليه أن يفعله . ذهب أتريوس على الفور إلى شقيقه ثويستيس . نفذ ما طلبه منه هرميس بالحرف الواحد . قدم أتريوس التهانى إلى شقيقه ثويستيس ، طلب منه العفو والمغفرة . وعده بأن يكون مساعده المخلص . أبدى له تحفظا واحدا فقط . عبر عن عدم اقتناعه بأحقيته فى الحكم . غضب ثويستيس . ثار لكرامته . انطلقت عبارات التأنيب هادرة من بين شفتيه . هدد شقيقه أتريوس .

١٠ - Tzetzes, Chiliades, I, 426 ; Apollodorus, Epitome, II, 11 ; Euripides, Electra, 706 sqq.

أعلن على أهل موكيناى أن الآلهة قد اختارته ملكا . أوضح لهم أن شقيقه أتريوس مازال يتحداه . عندئذ ، تحدث أتريوس فى هدوء الواثق من نفسه . لو أن شقيقه واثق من مساندة الآلهة له ، لما ثار ولا غضب . لو أنه متأكد من أحقيته فى تولى الحكم ، لما هدد ولا توعد. سوف يرضخ أتريوس لحكم الآلهة . سوف يعترف بشرعية حكم شقيقه ثويستيس . لكن لديه شرطا واحدا . إن الآلهة تأتى بالشمس من الشرق ، وتعيدها إلى الغرب . فلو حدث عكس ذلك ، لكان دليلا على عدم رضاء الآلهة . .

فكر ثويستيس فيما قاله أتريوس . تهلل وجهه . ابتسم . مستحيل أن يتغير اتجاه الشمس . مستحيل أن تعود الشمس فى آخر النهار إلى الشرق ، مستحيل ، إذن ، أن يتربع أتريوس على عرش موكيناى ، أعلن ثويستيس موافقته . سوف ينتظر الجميع حتى آخر النهار . النتيجة مؤكدة . سوف تتأكد أحقية ثويستيس فى تولى الحكم . قهقه كبير الآلهة زيوس . اهتزت أركان الكون الرحب . كان زيوس فى عليائه يتابع النقاش بين الشقيقين . على الفور ، عكس زيوس قوانين الطبيعة . غيّر إله الشمس هليوس اتجاهه فجأة . شد أعنة خيوله المطيعة التى تجر عربته الذهبية . تحولت الخيول نحو الاتجاه المضاد . انطلقت فى سرعة هائلة نحو مرقد ربة الفجر أورورا . سرعان ماعكست مجموعة البلياديس اتجاهها أيضا . شاركت باقى مجموعات النجوم والأجرام فى ذلك التغير المفاجىء . فى ذلك المساء حدث المستحيل . غابت الشمس — لأول ولآخر مرة — فى الشرق . تأكد للجميع افتراء ثويستيس ، ظهر للجميع خداعه وجشعه . سجد أهل موكيناى لكبير الآلهة زيوس . هتفوا باسم أتريوس . ولّوه ملكا عليهم(١١) .

استوى أتريوس على عرش موكيناى . أصدر أوامره بنفى شقيقه

١١ - Euripides, Orestes, 1001; Ovid. Ars Amatoria, 237 sqq. : Scholiast on Euripides Orestes, 812.

ثويستيس ، أمر واحد كان يشغل تفكيره . كيف حصل ثويستيس على فروة الحمل الذهبي (١٢) . كيف حصل على الثروة النادرة . ظل يبحث فيمن حوله . طفق يحقق مع تابعيه . اكتشف الحقيقة المذهلة . اكتشف العلاقة الدنسة التي نشأت بين زوجته أيروبي وشقيقه ثويستيس . استولى عليه الغضب .أخذ يجتر الذكريات . كانت أيروبي أبنة أمير كريتية. أنجبها الملك الكريتي كاتريوس . ذات يوم فاجأها والدها في قصره وهي تضاجع عشيقا لها . صمم الوالد على أن يتخلص منها . همّ بإلقائها في البحر . توسلت إليه . طلبت منه الغفران . إتخذ قرارا في الحال . باعها للملك ناوبليوس بثمن رمزي . بذلك تأكد أنها قد أصبحت جارية ، وأنها سوف لا تعود إلى كريت مرة أخرى . كانت الخيانة من طباع أيروبي . كانت الخيانة من طباع شقيقتها أيضا. كان لها شقيقة تدعى كلوميني . تآمرت هذه الشقيقة ضد والدها كاتريوس : أرادت أن تقتله . إكتشف جريمتها في الوقت المناسب . توسلت إليه .طلبت منه الغفران . باعها أيضا للملك ناوبليوس بثمن رمزي . تزوج ناوبليوس كلوميني . أنجب منها طفلين : أورياكس وبالاميديس . في ذلك الوقت كان أتريوس أرملا ، كانت زوجته الأولى كليولا قد ماتت منذ سنوات بعد أن أنجبت له طفلا مشوها . تزوج أتريوس أيروبي . أنجبت له أجاممنون ، ومنيلاووس ، وأناكسيبيا (١٤) . غاص أتريوس بوجدانه في أعماق تلك الذكريات. تذكر ماضي زوجته أيروبي . تذكر ولديه أجاممنون ومنيلاووس اللذين كان يعلق عليهما أملا عظيما في المستقبل . تذكر ابنته أناكسيبيا .

---

١٢ - Rose, Op. Cit., p. 247.

١٣ - Sophocles, Ajax 1295 sqq ; Scholiast on Euripides' Orests, 432; Apollodorus, III, 2 2 ; Idem, Epitome, II, 10 ; Lactantius on Statius' Thebais, VI, 306.

١٤ - Hyginus, falula 97 and 86 ; Euripides, Helena, 392 ; Homer, Iliad, II, 131.

أراد أن يقلل من حجم الفضيحة . فضل أن يداري أموره : تظاهر بالعفو عن زوجته الخائنة . أجل الانتقام منها إلى حين (١٥) .

* * *

قضى ثويستيس فترة في المنفى . ظلت فكرة الانتقام تراود أتريوس . أخيرا ، اتخذ أتريوس قرارا . بدأ تنفيذه في الحال . أرسل رسولا إلى ثويستيس . طلب منه العودة إلى موكيناي . أخبره أنه قد عفا عنه . وعده أن يمنحه نصف مملكته . تهلل وجه ثويستيس . أحس بسعادة مفاجئة . استعد للرحيل إلى موكيناي ، عاد الرسول يعلن عودة ثويستيس . عندئذ ، قبض أتريوس على أجلاووس ، وأرخومنوس ، وكاليون ، وبلاسثيتيس ، وتانتالوس الصغير . كانوا جميعا أبناء لشقيقه ثويستيس . قبض على الإخوة الخمسة . ذبحهم رغم توسلاتهم ولجوئهم إلى محراب الإله زيوس — قطعهم إربا . فصل أطرافهم عن أبدانهم . اختار أجزاء معينة من أبدانهم . وضع الأجزاء المختارة في قدر كبير . غمرها بالماء . أوقد تحت القدر نارا حامية . ثم ذهب لمقابلة شقيقه ثويستيس (١٧) .

وصل ثويستيس إلى موكيناي . قابله أتريوس بالترحاب . صحبه في موكب رائع إلى قصره . أمر باعداد وليمة احتفالا بعودته . أعدت الموائد . أكل ثويستيس حتى شبع . شرب حتى ثمل . فجأة . أومأ أتريوس إلى الخدم إيماءة ذات معنى . أحضر الخدم على الفور عددا من الصحاف ، عليها أطراف الأخوة الخمسة ورؤوسهم . وضعوا الصحاف أمام ثويستيس . أدرك ثويستيس بعد لحظات حقيقة الأمر . لقد التهم لحم أبنائه . أصيب ثويستيس بالذعر . اشتد هياجه . طفق

---

١٥ - Hyginus, fabula 86; Apollodorus, Epitome II, 13.

١٦ - Hamilton, Mythology, p. 239.

١٧ - Graves, Greek Myths, Vol. II, pp. 46 — 51.

يجرى هنا وهناك . فر من القصر ، وهو يردد فى صوت جهورى :
عليك اللعنة يا أتريوس .. عليك وعلى ذريتك أجمعين (١٨)

فر ثويستيس مذعورا . وصل إلى سيكيون . هناك كان يحكم الملك ثسبروتوس . هناك كانت تقيم ابنته بلوبيا . كانت تعمل كاهنة فى معبد الربة أثينة . قرر ثويستيس الانتقام من شقيقه أتريوس . ذهب إلى نبوءة دلفى ، يستطلع رأى الإله أبوللون . نصحه الإله أن ينجب طفلا من ابنته بلوبيا (١٩) . ولسوف تكون نهاية أتريوس على يد ذلك الطفل . أطاع ثويستيس نبوءة الإله . ذهب إلى معبد الربة أثينة . وجد ابنته تقود جماعة من النسوة حول محراب الربة . رآها تشرف على تقديم القرابين . اختبأ ثويستيس فى مكان خفى . انتظر الفرصة لتنفيذ أوامر الإله أبوللون . أثناء ذلك ، سقطت قطرات من دماء الضحية فوق ملابس بلوبيا . غادرت على الفور محراب الربة . ذهبت إلى الغابة المجاورة ، حيث توجد البحيرة المقدسة . خلعت ملابسها . انحنت على شاطىء البحيرة . بدأت تغسل رداءها الملطخ بدماء الضحية . كان والدها ثويستيس يراقبها خلسة . عندئذ ، هجم عليها فى خفة ورشاقة . قبض بيديه القويتين على ساعديها الرقيقتين . إنكفأ فوقها . طفق يقبلها قبلات محمومة . لم تستطع الابنة المسكينة أن تتخلص من قبضته. استسلمت . قاومت . ثم استسلمت . ثم قاومت . ظلت بين المقاومة والاستسلام حتى انتهى ثويستيس من تنفيذ مشيئة الآلهة . تركها هاربا بعيدا عن الغابة . اكتشف أنه قد فقد سيفه . تذكر أن ابنته قد انتزعته أثناء مقاومتها . أدرك أن ذلك السيف قد يصبح دليلا على جريمته . فر هاربا

١٨ - Scholiast on Horace's Ars Poetica ; Aeschylus, Agamemnon, 1590 sqq. ; Hyginus, fabulae 88, 246 and 258 ; Tzetzes, Chiliades, I. 18 sqq.

١٩ - Apollodorus, Epitome, II, 13 — 14 ; Servius. on Vergil's Aeneid, II, 262.

خارج حدود سيكيون . وصل إلى لوديا أرض أجداده الأوائل . أما بلوبيا فقد عادت كسيرة إلى المعبد . تحمل بين يديها سيفا مرصعا بالجواهر لاتعرف صاحبه . وتحمل بين جنبيها جنينا منكودا لا تعرف والده(٢٠) .

كما ذهب ثويستيس إلى دلفى . ذهب أيضا شقيقه أتريوس . ذهب كلاهما يستطلع رأى الإله . أصدر الإله أوامره إلى أتريوس . أمره باستدعاء ثويستيس من سيكيون . وصل أتريوس إلى سيكيون . لم يجد شقيقه . كان قد هرب إلى لوديا . لكنه رأى بلوبيا . لم يعلم حقيقة أمرها . ظن أنها ابنة الملك ثسبروتوس . عشقها . أعجب بها إعجابا شديدا . حاول أن يخرج من وحدته . التى عاش فيها بعد أن تخلص من زوجته الثانية أيروبى . عطف الملك ثسبروتوس على بلوبيا ابنة ثويستيس . تظاهر بأنها ابنته هو . وافق على زواجها من أتريوس . بعد الزواج وضعت بلوبيا طفلا منكودا . لم تكن بلوبيا تعرف من هو والده ، كانت تحتفظ بسيفه فقط . لذا ، ألقت الأم بالطفل فى العراء . التقطه راع من الرعاة . تعهده ورباه . عهد به إلى عنزة . أرضعته العنزة . عرف الطفل باسم أيجسثوس — أى قوة العنزة . علم أتريوس بقصة الطفل المنبوذ . لكنه لم يعلم حقيقة أمره . ظن أن الطفل ابنه . اعتقد أن زوجته بلوبيا أصيبت بحمى النفاس . ففقدت وعيها . فتركت طفلها فى العراء . ظن أيضا أن ثويستيس رحل إلى لوديا عندما علم بمجىء شقيقه أتريوس . لذلك ، استعاد أتريوس الطفل إيجيسثوس ، وأعلن أنه ابنه الشرعى .

* * *

ظن أتريوس أن متاعبه قد انتهت . أحس بالراحة والهناء . نعم بالجاه والسلطان والذرية . لكن سرعان ما اكتشف أنه كان واهما مخدوعا .

٢٠ - Athenaeus, III. 1 ; Hyginus ; fabulae 87 and 88, Apollodorus, Epitome, II, 13 ; Sophocles' Thyestes, frag. 18.

تعرضت مملكته للكوارث والنوائب . اهتزت أركان سلطانه . عندئذ . بعث أتريوس بولديه أجاممنون ومنيلاووس إلى دلفى ليستطلعا رأى الإله أبوللون . هناك قابل ولدا أتريوس عمهما ثويستيس . كان هو أيضا قد ذهب إلى هناك ليستطلع رأى الإله . عرضا عليه أن يعود معهما إلى موكيناى . وافق ثويستيس على الفور . قابله شقيقه أتريوس بالترحاب . تردد إليه . تظاهر بحبه . ثم مالبث أن ألقى به فى السجن . وأمر ولده إيجيسثوس أن يقتله .

تربص أيجيسثوس لثويستيس . انتهز فرصة نومه . تسلل إلى داخل السجن . وقف بجواره . هم أن يغمد سيفه فى قلب السجين النائم . فجأة . صحا السجين من نومه مذعورا . قفز من رقدته . انقض على أيجيسثوس . لوى ذراعه . هوى السيف من يد القاتل . أمسك السجين بالسيف . وضع حده المسنون فوق رقبة أيجيسثوس . لفت نظره شىء أفزعه . اكتشف أن السيف الذى فى يده كان سيفه ذات يوم . إنه السيف الذى فقده عندما اغتصب ابنته فى سيكيون . اندهش ثويستيس ، صرخ فى أيجيسثوس ، سأله من أين حصل على ذلك السيف . أجابه أيجيسثوس أنه أخذه من والدته بلوبيا . على الفور وعده ثويستيس بالعفو . سوف لا يقتله . سوف يبعد السيف عن رقبته . لكن عليه أن ينفذ أوامر ثلاثة . قبل أيجيسثوس . وعد بتنفيذ الأوامر الثلاثة . لم يكن أيجيسثوس يملك الرفض . كان تحت رحمة ثويستيس .

طلب ثويستيس من أيجيسثوس أن يحضر والدته بلوبيا . هذا هو الأمر الأول . ذهب أيجيسثوس . أحضر والدته بلوبيا إلى السجن . وقع نظرها على ثويستيس . تعرفت عليه . ارتمت فى حضنه . بكت بين يديه . سألها من أين حصلت على ذلك السيف . أخبرته أنها انتزعته من رجل اغتصبها ذات ليلة فى سيكيون . أجابها ثويستيس : ذلك الرجل الذى اغتصبك هو أنا ، والدك ثويستيس . لم تستطع بلوبيا أن تحتمل أكثر من ذلك . اختطفت السيف ، غرست نصله الحاد فى صدرها . ماتت على الفور .

انتزع ثويستيس السيف من صدر ابنته . قدمه إلى أيجيسثوس قائلا : خذ هذا السيف الذى يقطر دما . إذهب به إلى أتريوس . أخبره أنك قتلت ثويستيس . ثم عد إلىّ على الفور . هذا هو الأمر الثانى . نفذ أيجيسثوس أمر ثويستيس . إطمأن أتريوس . أحس بالسعادة والفرح . ثم عاد أيجيسثوس إلى ثويستيس مرة أخرى . عندئذ اعترف له ثويستيس بكل شىء . أخبره أنه ابنه الوحيد الذى أنجبته له بلوبيا . أخبره أنه ليس ابنا لأتريوس كما يظن الجميع . التأم شمل الأب والابن . عندئذ ، طلب منه أن يقتل أتريوس . هذا هو الأمر الثالث . ذهب أيجيسثوس على الفور إلى أتريوس . انقض عليه . قتله . وهكذا كتبت الآلهه نهاية . قصة حياة أتريوس المخادع الذى عاش بالخديعة ومات بالخديعة (٢١) .

تلك هى أسطورة أتريوس ، ملك موكيناى ، الذى انحدر من أسرة لم تعرف الشرف أو الإخلاص أو الوفاء . أتريوس الذى ورث اللعنة عن والده بلوبس . الذى ورثها بدوره عن والده تانتالوس . أتريوس الذى أورث اللعنة هو أيضا إلى ولده البطل الأسطورى المعروف أجاممنون (٢٢) .

* * *

٢١ – Hyginus, Loc. Cit.; Apollodorus, Op. Cit., II, 14.

٢٢ – تناولت عدة مصادر قديمه اللعنة التى أصابت أسرة بلوبس حتى أتت على جميع أفرادها : أتريوس ، أجاممنون ، أورستيس ، الكترا ، إيفيجينيا . من أهم تلك المصادر :
Aeschylus, Agamemnon, Choephoroe, and Eumemides ; Sophocles, Electra ; Euripides, Orestes, Electra, Iphigenia in Aulis, Iphigenia Among the Taurians ; Seneca, Thyestes, Agamemnon ; Apollodorus, Epitome II, 3 sqq. Hyginus fabula 83 sqq. .... etc.

أجامـمنون

. . تحرك موكب البطل الظافر أجاممنون . شق طريقه بين مظاهر التقدير والتبجيل . تهادى أجاممنون فى خيلاء وزهو . تبختر وأكاليل النصر تزين جبينه . وصل موكب النصر إلى قصر البطل الظافر . هناك ، كانت زوجته كلوتمنسترا فى انتظاره . أمرت أتباعها أن يفرشوا بساطا أرجوانيا على طول الطريق الموصل من البوابة الخارجية حتى مدخل القصر . رحبت الملكة بزوجها العائد . طلبت منه أن يمشى على البساط الأرجوانى . تردد البطل الظافر . أعرب عن خوفه من غضب الآلهة . لايريد أن يقلد ملوك الشرق المغرمين بمظاهر الأبهة والبذخ . لايريد أن يتعالى أو يتغطرس . ألحت عليه . تردد مرة أخرى . اشتد إلحاحها . لم يكن أجاممنون يشك فى نوايا زوجته . لذا ، تنازل عن رأيه. رضخ لإلحاحها . مشى على البساط الأرجوانى . لم يكن يعلم البطل ، الظافر ، العائد من ميدان القتال ، أن البساط الأرجوانى يوصل إلى عالم الموتى .

أجاممنون

مات أتريوس غدرا . إستوى شقيقه ثويستيس على عرش موكيناى . ظن أن الأمر قد انتهى عند هذا الحد . اعتقد أنه سوف ينعم بالسعادة والاستقرار . لكن الصراع بين الشقيقين لم يكن قد انتهى بعد . مازالت الآلهة تحمل فى جعبتها الكثير لأسرة بلوبس . مازالت اللعنة منتشرة بين أفراد الأسرة . قتل أيجيسثوس عمه أتريوس . قتله تحقيقا لرغبة والده ثويستيس . فر ولدا أتريوس – أجاممنون ومنيلاووس – من موكيناى . ذهبا إلى سيكيون . قضيا بعض الوقت هناك . ثم ذهبا إلى كالودون فى أيتوليا . قضيا سنوات شبابهما المبكر فى كنف الملك أوينيوس . ثم رحلا بعد ذلك إلى اسبرطة . شملهم الملك تونداريوس بعطفه ورعايته . وعدهم باسترداد ملك والدهما أتريوس .

جهز تونداريوس جيشا ضخما . سار بجيشه ضد موكيناى . حاصر المدينة . ضيق عليها الحصار . استولى الذعر على ثويستيس . لجأ إلى محراب الربة هيرا . طلب شروط الصلح . عرض عليه تونداريوس التنازل عن العرش . تنازل ثويستيس فى الحال . ولى تونداريوس أجاممنون ملكا على موكيناى . خرج ثويستيس من موكيناى بلا رجعة . ذهب إلى كوثيرا . خشى أيجيسثوس انتقام أجاممنون . غادر هو أيضا موكيناى . لجأ إلى ساحة الملك كولارابيس بن الملك الأرجوسى

ستثلوس . أصبح أجاممنون بلا منازع (١) . استقرت الأمور فى موكيناى . انتشر الأمن والسلام فى جميع أرجاء المملكة ، حل الرخاء هنا وهناك . دانت ممالك كثيرة بالولاء لأجاممنون . تدفقت الأموال والثروة إلى خزائن الملك الشاب . دفع له الجزية ملوك كورنثا ، كليوماى ، أورنياى ، أراثوريا ، سيكيون ، هوبيريسيا ، جونويا ، بيلينى ، أيجيوم ، أيجيالوس ، هليكى ، وغيرها من الممالك والدويلات الإغريقية (٢) .

شن أجاممنون الحروب ضد جيرانه ، استسلم لسلطانه ملوك كثيرون . رضخ لحكمه كل الحكام . كانت أولى حروبه ضد مملكة بيزا ، حيث كان يحكم تانتالوس الثانى . كان تانتالوس الثانى ابن عم أجاممنون . وكان أجاممنون يكره عمه بروتياس كرها شديدا . كانت كراهيته له لاتقل عن كراهيته لابنه تانتالوس الثانى . هاجم أجاممنون مملكة بيزا . مات الملك دفاعا عن شعبه وأرضه . خلف وراءه أرملة شابة رائعة الجمال . خلف وراءه أرملة تدعى كلوتمنسترا . أعجب أجاممنون بالأرملة الشابة . لم تبادله الأرملة الإعجاب . قابلت إعجابه بالرفض . لم يأبه برفضها . تزوجها رغم إرادتها . ثار شقيقاها . حاولا الهجوم على موكيناى . استنجد أجاممنون بمولاه الملك توندار يوس . لجأ إليه مستجيرا . وعده بالحماية . عفا عنه . بارك زواجه من كلوتمنسترا (٣) . كانت كلوتمنسترا شقيقة لأجمل فتيات الأغريق — هيلينا — أنجبتهما ليدا للملك توندار يوس . لذا كان من الطبيعى أن يلجأ أجاممنون إلى توندار يوس . كان من الطبيعى أيضا أن يطلب منه العفو . عفا توندار يوس عن أجاممنون . بارك زواجه

١ – Hyginus, fabula 88 ; Eusebius, Chronica, I. 175 — 6 ; Homer, Iliad, II, 107-8; Idem Odyssey, III, 263; Aeschylus, Agamemnon, 529 ; Pausanias, II, 18, 4 ; Tzetzes, Chiliades, I 433 sqq.

٢ – Homer, Iliad, III, 569 — 80.

٣ – Apollodorus, III, 10.6 ; Idem, Epitome, II, 16 ; Euripides, Iphigenia in Aulis, 1148 sqq.

من كلوتمنسترا . بعد فترة قصيرة ، تزوجت هيلينا من شقيق أجاممنون — مينلاووس .

عاش أجاممنون سعيدا مع زوجته كلوتمنسترا . أنجبت له ثلاث بنات : الكترا ، إفيجينيا ، خروسوثميس . ثم أنجبت له ولدا واحد : أورستيس (٤) . عاش باقى حكام الممالك والدويلات الأغريقية فى سعادة وهناء . عاش الجميع فى أمن وسلام . فجأة ، حدث مالم يكن فى حسبان أحد . اختطف باريس — أوسم شباب طروادة — هيلينا أجمل نساء الأغريق . ثارت ثائرة زوجها منيلاووس . لجأ إلى شقيقه أجاممنون . هب أجاممنون يحث ملوك الإغريق . تكونت الحملة الإغريقية تحت قيادة ملك الملوك أخيليوس . قامت الحروب الطروادية الشهيرة . دامت عشر سنوات (٥) . غاب أجاممنون عن زوجته كلوتمنسترا عشر سنوات كاملة . أبلى فى الحروب بلاء حسنا . قام بدور بطولى جبار . أما أيجيستوس فلم يشترك فى الحملة الإغريقية . فضل المكوث فى أرجوس . فقد وجد الفرصة سانحة للانتقام من ابن عمه أجاممنون واستعادة عرش والده ثويستيس (٦) .

* * *

كان بالاميديس واحدا من الأمراء المشتركين فى الحملة الاغريقية . نشأ خلاف بينه وبين أجاممنون والملوك الإغريق . حكم عليه بالإعدام . مات رميا بالحجارة . حزن من أجله والده ناوبليوس . صمم على الانتقام من القادة الإغريق . غادر طروادة . عاد إلى بلاد الاغريق . قرر الانتقام من قاتلى ولده . أخذ ينتقل من مملكة إلى أخرى . أغرى

٤ – قيل أيضا إن إفيجينيا لم تكن ابنة كلوتمنسترا بل ابنة شقيقتها هيلينا أنجبتها من البطل ثسيوس ، ثم تبنتها كلوتمنسترا فيما بعد .
Tzetzes, Lycophron, 183 ; Homer, Iliad, IX, 145 ; Apollodorus, Epitome, II, 16.

٥ – أنظر قصة حرب طروادة ، الجزء الثانى من هذا الكتاب .

٦ – Homer, Odyssey, III, 263.

زوجات قادة الحملة الغائبين على الفسق والفساد . شجعهم على الزنا . انتهز فرصة غياب أزواجهن . نشر الرذيلة بينهن . دفعهن فى طريق الخيانة . أقنعهن الواحدة بعد الأخرى . أقنعهن بأن لهن الحق فى أن يتخذن عشاقا أثناء غياب أزواجهن . كانت كلوتمنسترا أكثرهن استعدادا للاقتناع بفكرة ناوبليوس . علم أيجيسثوس بذلك . صمم أن يتخذها عشيقة له . إنه ابن عم زوجها ، والأقربون أولى . بل صمم على تنفيذ ماهو أكثر وأبعد من ذلك (٧) . قرر أن ينتهز فرصة كان ينتظرها منذ أمد بعيد ، أن ينتقم لوالده ثويستيس ، أن يستعيد عرش والده السليب . قرر أن يستعين بكلوتمنسترا فى قتل أجاممنون عند عودته من طروادة .

بدأ أيجيسثوس يلعب لعبته . طفق يضرب ضربته ، أخذ يتقرب إلى كلوتمنسترا . طارحها الحب . استجابت لحبه . تظاهر بعشقها . بادلته العشق . مارس معها كل ألوان الفساد والفسق . استعذبت معه الفسق والفساد . طلب منها مساعدته فى قتل أجاممنون عند عودته من طروادة . لم تتردد فى الموافقة . حدث كل ذلك بالرغم من تحذيرات أجاممنون لها . فلقد أرسل أجاممنون إليها من ميدان القتال يطلب منها أن تحذر من أيجيسثوس . حدث كل ذلك رغم أنف رجال القصر . كان أتباع أجاممنون يراقبون كل ذلك فى صمت . قابلت كلوتمنسترا معارضتهم ببرود تام . وقفت أمام تحدياتهم بقوة وثبات . حققت رغباتها على حساب كرامتهم وكرامة سيدهم أجاممنون .

كان كبير الآلهة زيوس يراقب من عليائه كل شىء . أرسل رسوله هرميس إلى أيجيسثوس . حذره . نصحه . هدده . توعده . إن قتل أجاممنون فسوف ينتقم له ولده أورستيس . لم يخف أيجيسثوس من تحذير زيوس . لم يعمل بنصائحه . لم يخش تهديده أو وعيده . وكانت الربة أفروديتا تشد من أزره . كانت تمهد له طريق الرذيلة . كانت

٧ - Apollodorus, Op. Cit., VI, 8 — 9.

تكره أجاممنون الذى ـ ذهب لمحاربة باريس . أفروديتا هى التى وعدت باريس بالحصول على هيلينا . هى التى ألقت بسهامها الدافئة فى صدر هيلينا . باريس هو الذى فضل أفروديتا على رفيقاتها الربات . هو الذى منحها التفاحة الذهبية . حذر زيوس أيجيسثوس . شجعته أفروديتا . لم يستطع زيوس أن يقنع أيجيسثوس بعدم قتل أجاممنون . لم تجد أفروديتا صعوبة فى إقناعه بضرورة تنفيذ مؤامرته (٨) .

طالت فترة الحروب الطروادية . طالت فترة غياب أجاممنون عن زوجته . ازدادت كلوتمنسترا اقتناعا بعدم حبها لزوجها أجاممنون . ليس هناك دافع واحد يدفعها إلى التمسك بحبه أو الإخلاص له . هناك أكثر من دافع يدفعها إلى كراهيته والتآمر ضده. قتل أجاممنون زوجها الأول تانتالوس . قتل أمام عينيها رضيعها الذى أنجبته من ذلك الزوج . اتخذها لنفسه زوجة رغم إرادتها . هجر فراشها واشترك فى حرب لم يكن أحد يعرف متى تنتهى . تركها عشر سنوات ليحقق لنفسه مجدا عسكريا . لم يتردد فى تقديم ابنتهما أيفيجينيا قربانا للآلهة لإنجاح الحملة المشئومة (٩) . علمت أنه قد تزوج أثناء غربته من الأميرة كاساندرا ابنة الملك الطروادى برياموس . عرفت أنه أنجب منها طفلين . أكدت الأنباء أنه سوف يصطحبها معه عند عودته إلى موكيناى ، من أجل كل ذلك ، لم تتردد كلوتمنسترا فى أن تتآمر ضد زوجها أجاممنون (١٠) .

لم تتردد كلوتمنسترا لحظة واحدة فى خيانة زوجها أجاممنون . وهبت قلبها وحبها وإخلاصها لابن عمه أيجيسثوس . اقترحت عليه أن تتسع دائرة المؤامرة . إتفقا على قتل كاساندرا أيضا . بدأت تنفذ الاتفاق فى حذر وحرص . أرسلت إلى زوجها مكتوبا . طلبت منه أن يحدد لها موعد

٨ - Homer, Op. Cit., I. 35 sqq. and III, 263 — 75.

٩ - راجع ص ٣٢٩ أدناه .

١٠ - Euripidus, Iphigenia in Aulis, 1148 sqq. ; Sophocles, Electra, 531 ; Hyginus, fabula 117.

عودته من ساحة القتال . أجابها بأنه لايعرف موعد عودته بالتحديد . أوهمته أنها سوف تستقبله استقبال البطل الظافر . اقترحت عليه أن يضىء شعلة فوق قمة جبل إيدا فور سقوط طروادة . كان أجاممنون يثق فيها ، ويطمئن لها . وعدها بتنفيذ اقتراحها . على الفور ، أمرت كلوتمنسترا مجموعات من الحراس بالانتشار فوق القمم الواقعة على طول الطريق بين طروادة وموكيناى . طلبت من كل مجموعة أن تلاحظ القمة التى تقع بالقرب منها . طلبت من كل مجموعة أن تضىء شعلة فور مشاهدتها لشعلة مضيئة فوق تلك القمة القريبة . ثم أمرت واحدا من الحراس أن يجلس القرفصاء فوق سطح القصر ليلاحظ أقرب قمة إلى القصر ، أصدرت أوامر مشددة بألا يغادر هؤلاء الحراس مواقعهم . أصدرت أوامر مشددة أن يكون الجميع متيقظين على الدوام .

* * *

قضت كلوتمنسترا عاما كاملا تنتظر وصول أجاممنون ، ظلت عاما كاملا تتمنى أن تنتهى الحرب . قضى أجيسثوس عاما كاملا فى قلق مستمر . ظل عاما كاملا يحلم بحلول ساعة الانتقام . ثم سقطت مدينة طروادة . انتصر الإغريق على الطرواديين . ذبحوا الأطفال والنسوة . أتوا على الأخضر واليابس . نشروا الخراب والدمار فى كل ركن من أركان المدينة . هلل القادة الإغريق . فرحوا بالنصر ونهاية الحرب . كان كل بطل يحلم بيوم العودة . لم يكن أجاممنون أقل شوقا من أحد . لم يكن أجاممنون أقل بهجة من أحد . كان يحلم هو أيضا بيوم عودته إلى أرض الوطن . كان متلهفا مشتاقا إلى لقاء زوجته كلوتمنسترا التى فارقها منذ عشر سنوات .

تذكر أجاممنون اقتراح كلوتمنسترا . تذكر الاستقبال الحافل الذى وعدته به فى مكتوبها . أمر على الفور واحدا من حراسه أن يعتلى قمة جبل إيدا . أمره أن يضىء شعلة ، ويلوح بها من فوق قمة الجبل . سرعان ما أضيئت الشعلات تباعا على القمم المتعددة الواقعة على طول الطريق .

أخيرا ، نهض الحارس الذى ظل عاما كاملا جالسا القرفصاء فوق سطح قصر أجاممنون .

هبط الحارس مسرعا من فوق سطح القصر . كان الليل قد انتصف . كان جميع سكان القصر نياما . إتجه الحارس مباشرة نحو جناح الملكة كلوتمنسترا . استيقظت الملكة على صياحه . أخبرها بما رأى . امتقع وجه الملكة . بهتت . لم تبد حراكا . لقد انتظرت هذه اللحظة بفارغ الصبر. لكنها الآن تحس بجسامة ما هى مقدمة عليه . حضر أجيسثوس على الفور. حاول أن يعيدها إلى صوابها . لم يستطع . لم يحتمل أن تضيع الفرصة التى ظل ينتظرها أعواما بعد أعوام . أرسل على الفور واحداً من أتباعه المخلصين نحو شاطىء البحر . أمره بمراقبة السفن الآتية نحو الشاطىء . ثم بدأ يتحدث إلى كلوتمنسترا . بدأ يردد أحاديثه المعسولة . أخذ يذكرها بعلاقاتها الماضية مع أجاممنون . عادت كلوتمنسترا إلى نفسها . تذكرت الاتفاق الذى تم بينها وبين عشيقها أجيسثوس . تذكرت القرار الذى اتخذته . بدأت تستعد لتنفيذ المؤامرة .

سقطت طروادة . استعد القادة الإغريق للعودة إلى أوطانهم ، جمع كل قائد رجاله ، حمّل أسطوله بالأسلاب والغنائم . بدأت الآلهة فى مضايقة القادة العائدين إلى أوطانهم . أخذت العواصف تدمر السفن العائدة . لقى بعض القادة مصرعهم أثناء العودة . جنحت سفن البعض الآخر نحو شواطىء غريبة . لكن الربة هيرا أنقذت أجاممنون . مهدت له طريق العودة . أمرت الرياح أن تكون أمنا وسلاما على سفنه . دفعت بسفينته فى رقة إلى شاطىء ناوبليا ، رست السفينة فى سلام . إنحنى أجاممنون يقبل أرض الشاطىء . رفع يديه نحو السماء شاكرا (١١) . كان تابع أجيسثوس يراقب كل ذلك . انطلق يعدو نحوسيده أجيسثوس . أخبره

١١ - Aeschylus, Agamemnon, 1 sqq. and 282 sqq.; Euripides, Electra, 1076 sqq. ; Homer Op. Cit., IV, 524-37 ; Pausanias, II, 16,5 ; Hyginus, fabula 117.

بوصول أجاممنون . اختار أيجيستوس عشرين من أشجع رجاله المسلحين . أمرهم أن ينصبوا كمينا داخل القصر . طلب منهم أن يكونوا على أهبة الاستعداد . أمر أتباعا آخرين أن يقيموا وليمة فخمة . ثم اعتلى عجلته الملكية ، وذهب لاستقبال البطل العائد أجاممنون .

* * *

تحرك موكب البطل الظافر أجاممنون . شق طريقه بين مظاهر التقدير والتبجيل . اصطف حرس الشرف على جانبي الطريق . تهادى أجاممنون في خيلاء وزهو . تبختر وأكاليل النصر تزين جبينه . وصل موكب النصر إلى قصر البطل الظافر . هناك . كانت زوجته كلوتمنسترا في انتظاره أمام القصر . تقدمت الملكة في جلال ووقار . رحبت بزوجها العائد . طلبت منه أن يطأ بقدميه البساط الأرجواني . تردد البطل الظافر . أعرب عن خوفه من غضب الآلهة . لايريد أن يتعالى أو يتغطرس . ألحت عليه زوجته . تردد مرة أخرى في السير على البساط الأرجواني . اشتد إلحاح الزوجة . لم يكن يشك في نوايا زوجته . لم يكن يشك في إخلاص أم أولاده . لم يكن يذكر أنه قدم لها أية إساءة . حقا ، لقد قتل زوجها الأول . لكنه قتله أثناء القتال . والقتال عمل مشروع في عرف الرجال . حقا ، لقد قتل ابنها الرضيع . لكنه كان يخشى أن ينتقم الرضيع فيما بعد لقتل والده . حقا ، لقد تزوجها رغم إرادتها . لكنه أحبها ، وعشقها ، وطلب العفو بعد ذلك من والدها . حقا لقد قتل ابنتهما لإنجاح الحملة الإغريقية . لكن ذلك قد تم تحقيقا لمشيئة الآلهة . حقا ، لقد تزوج كاساندرا وأنجب منها طفلين . لكنه لم يقصد بذلك أية إهانة لزوجته . فالزواج الثاني كان شائعا بين الإغريق . لم يقدم أجاممنون ، إذن ، أية إساءة لزوجته كلوتمنسترا . لذا ، لم يكن يشك في نواياها ، بل كان يحس فعلا بالشوق نحوها . كان ، ينتظر بفارغ الصبر لحظة العودة إليها . إلى ابنتيه الشابتين ، إلى ابنه الصبي أورستيس ، إلى شعبه المخلص ، شعب موكيناى . لذا ، تنازل أجاممنون عن رأيه . رضخ لإلحاح زوجته

كلوتمنسترا ، مشى على البساط الأرجواني حتى دخل القصر الملكي . بقيت خارج القصر زوجته الثانية كاساندرا . بقي في الخارج أيضا باقي أتباعه المخلصين . كان من الطبيعي أن يخلد الزوج العائد إلى زوجته . لم يكن يعلم البطل الظافر العائد إلى زوجته أن البساط الأرجواني يوصل إلى عالم الموتى .

اختفى أجاممنون عن الأنظار داخل القصر . بقيت كاساندرا عند الباب . كاساندرا هي ابنة الملك الطروادي العجوز برياموس . اصطفاها الإله أبوللون ، عالم الغيب . نفخ فيها من روحه المقدسة . أصبحت هي الأخرى قادرة على التنبؤ بالغيب [١٢] . عندما سقطت طروادة أصبحت كاساندرا من نصيب أجاممنون . لم يجد أفضل منها بين السبايا ، فتزوجها . لم يكن يعرف مصيره . لم يكن يدري أنها سوف تشاركه مصيره المحتوم . دخل أجاممنون القصر . بقيت كاساندرا خارج القصر . مكثت عند الباب . حلت فيها روح أبوللون . أستولى عليها الهوس والشرود . أصابها التشنج . إنها تشم رائحة دماء بشرية ، ترى لعنة ثويستيس وهي تحوم فوق قاعات القصر ، تشاهد شبح الموت يطوف بأرجائه . ظلت كاساندرا ترتعش ، تتأوه وتصرخ . كانت ترى بعيني أبوللون مايدور داخل القصر . كانت تعلم بإلهام من أبوللون مصير أجاممنون . كانت تعرف مصيرها أيضا . قد يعرف المرء مصيره . لكنه لا يستطيع الهروب منه ، قد يتنبأ المرء بما كتبته له الآلهة ، لكنه لايقدر أن يتحاشاه ، هكذا بقيت كاساندرا عند بوابة القصر ، بينما كانت الملكة كلوتمنسترا ترحب بزوجها العائد أجاممنون [١٣] .

---

١٢ – يذكر هوميروس كاساندرا دون أن يشير إلى قدرتها على التنبؤ بالغيب . أول مصدر يذكرها قادرة على ذلك هو بنداروس (Pindar, Pythian Odes, XI, 33) . اكتسبت كاساندرا هذه القدرة من الإله أبوللون (Aeschylus, Agamemnon, 1202 sqq) . لكن أبوللون لم يكن راضيا عن كاساندرا ، لذلك جعلها قادرة على التنبؤ بالغيب دون أن يصدقها أحد على الاطلاق (Rose, Greek Mythology, p. 143) .

١٣ – Hamilton, Mythology, pp. 240-44.

رحبت الملكة كلوتمنسترا بزوجها البطل العائد أجاممنون ، أبْدتْ له كل مظاهر الحب والشوق . اصطحبته إلى حمام القصر . اغتسل أجاممنون . أزال غبار الرحلة الشاقة . وقفت كلوتمنسترا بجواره رهن إشارته . انتهى الزوج العائد من الاستحمام . هم بمغادرة الحمام . تقدمت كلوتمنسترا نحوه فى رقة مصطنعة وحنان زائف . كانت تحمل فى يدها شيئا يشبه المنشفة . ألقت بذلك الشىء فوق رأسه وكتفيه ، سلم أجاممنون إليها رأسه ، ظن أنها سوف تجفف الماء من فوق رأسه وكتفيه . لكنه أحس على الفور أن حركته قد شلت . أحس بيد قوية تكتم أنفاسه . لم يكن الشىء الذى رآه بين يدى زوجته سوى رداء، بلا فتحة للأكمام، بلا فتحة للرأس . كان أشبه بكيس من القماش السميك . أصبح أجاممنون مشلول الحركة مثل صيد حبيس . أصبح فريسة سهلة لكلوتمنسترا وعشيقها أيجيستوس ، ظهر أيجيستوس فجأة من مخبئه . طعن غريمه بسيف حاد (١٤) . ثم طعنه طعنة ثانية . هوى أجاممنون على أرض الحمام جريحا . عندئذ ذبحته كلوتمنسترا . فصلت رأسه عن جسده (١٥) . ثم أسرعت نحو الخارج . قتلت كاساندرا بنفس السيف (١٦) .

امتلأت أرجاء القصر بالصراخ والصياح . سمع رجال القصر صراخ أجاممنون ، سمعوا صراخ كاساندرا . سمعوا عبارات الغضب التى كانت تطلقها كلوتمنسترا . ساد الهرج والمرج . نشب قتال عنيف بين أتباع الملك أجاممنون وأنصار الأمير أيجيستوس . حاول أيجيستوس القضاء على جميع ذرية أجاممنون . قتل ولديه اللذين أنجبتهما كاساندرا . حاول

١٤ – Aeschylus, Agamemnon, 1220, 1391 sqq. 1521 sqq. ; Idem, Eumenides, 631 — 5 ; Euripides, Electra, 157 ; Idem, Orestes, 26 ; Tzetzes, Lycophron, 1375 ; Homer, Odyssey, III, 193 sqq., 303 sqq. ; XI 529 — 537.

١٥ – Sophocles, Electra, 99 ; Aeschylus, Agamemnon, 1372 sqq., 1535.

١٦ – Sophocles, Op. Cit., 445 — 6.



شكل (١٦)

كلو تمنسترا تقف متحدية بعد قتل اجاممنون

أن يقتل الصبي أورستيس . لم يستطع . فشل فى العثور عليه . تخلص أجيستوس من أغلب معارضيه . فر الباقى خارج البلاد (١٧) . وقفت كلوتمنسترا فى كبرياء وخيلاء . لقد انتقمت من زوجها الخائن . اختارت لنفسها رجلا يحبها . يدافع عنها ، يبعد عنها طمع الطامعين . اختارت أجيستوس من بين جميع الرجال . اختارت لنفسها الرجل الأفضل . لم تكن تدرى الواقع المرير : أن أجيستوس هو الذى اختارها . أجيستوس هو الذى تظاهر بحبها . هو الذى ادعى الدفاع عنها . إنه فى الواقع هو الذى أفقدها عرشها ، وزوجها ، وأنوثتها ، وشبابها ، وأسرتها ، أجيستوس هو الذى نفذ لعنة الآلهة . هو الذى انتقم لوالده ثويستيس . لم يدفع عنها طمع الطامعين . بل كان هو نفسه على رأس الطامعين . لم تكن كلوتمنسترا تعلم شيئا . لكن أجيستوس كان يعلم كل شيء . وعاشت كلوتمنسترا مع أجيستوس . عاشت هى بجهلها ، وعاش هو بعلمه ، وهكذا تحققت لعنة الآلهة . تحققت اللعنة التى أورثها تانتالوس لابنه بلوبس ، ثم أورثها بلوبس لابنه أتريوس ، ثم أورثها أتريوس لابنه أجاممنون .

١٧ — Homer, Odyssey, XI, 400 — 402 ; Vergil, Aeneid, VII, 723 ; Ovid, Ars Amatoris, III, 13, 31 ; Pausanias, II, 16.

إلكترا

. . هكذا عاشت الكترا. محرومة من عطف والدها. محرومة من رؤية شقيقها . محرومة من ثقة شقيقتها . محرومة من حنان والدتها . لكنها لم تكن أبدا تخضع أو تلين . كانت تبعث بالرسل إلى شقيقها أورستيس ، تبث فيه من بعيد السخط والكراهية نحو قتلة والدها ، تحثه على مواصلة التدريب والمران حتى يصبح قوى البنية موفور النشاط . تطلب منه سرعة العودة حتى يخلص وطنه من الظلم والاستبداد .

ومرت السنون، وتوالت الأعوام . وازداد شقاء الكترا بمرور الزمان . وتوهج لهيب حقدها على كلوتمنسترا وأجيستوس. لكن أملها فى عودة أورستيس لم يتضاءل. ورغبتها فى الانتقام لم تضعف .

الكترا

حلت اللعنة على القائد الإغريقى أجاممنون . لقى حتفه . مات ميتة كريهة . مات غدرا . قتلته زوجته كلوتمنسترا . أجهز عليه عشيقها أيجيستوس . أصبح العشيق سيد القصر . أصبح حاكما على موكيناى . ظل يحكم مدة ليست بالقصيرة . جلس على عرش أجاممنون . تجول فى أبهاء قصره الفخم . لبس ملابسه الفاخرة . نام فى سريره الملكى . احتوى بين أحضانه زوجته . اعتلى عجلته الحربية السريعة . وضع تاجه فوق رأسه ، أمسك صولجانه فى يده . كل ما كان ملكا لأجاممنون أصبح متاعا لأيجيستوس[1].

لم يكن واحد من أهل موكيناى راضيا عن الغاصب القاتل . لم يكن واحد من شعب أجاممنون يستطيع أن يقف فى وجه الطاغية الآثم . حكم أيجيستوس موكيناى بالحديد والنار . لكن ، بالرغم من كل هذه الأبهة وذلك الجاه ، لم يكن أيجيستوس سوى عبد لكلوتمنسترا . يأتمر بأمرها ، يعمل بنصيحتها . ينفذ رغباتها . لم يكن يقدر على معارضتها . لم يكن يستطيع أن يعصى لها أمرا . كان قويا متعاليا ، لكنه كان أمامها كسيرا ذليلا . إذ كانت كلوتمنسترا قويه الشخصية . كانت فى مظهرها امرأة فاتنة رقيقة ، وفى جوهرها رجلا فظا غليظ القلب .

١ – Homer, Odyssey, III, 305; Euripides, Electra, 320 sqq. and 931 sqq. ; Sophocles, Electra, 267 sqq, and 651.

أحس أهل موكيناى بالكراهية نحوها . أحسوا بالضيق والحسرة أثناء حكمها . لكنهم لم يستطيعوا أن يجهروا بكراهيتهم أو يعبروا عن ضيقهم . لم تكن خروسوثميس — ابنة كلوتمنسترا من أجاممنون — تختلف فى مشاعرها عن بقية أهل موكيناى . لم تكن شقيقتها الكترا تختلف فى مشاعرها عن بقية شعب موكيناى . بل كانت الشقيقتان تشعران بكراهية أكبر وضيق أعظم . كانتا تريان فى والدتهما قاتل والدهما . كانتا تريان فى أيجيسثوس الخيانة ونكران الجميل . لم يكن سلوك خروسوثميس يختلف عن سلوك بقية أهل موكيناى . لكن سلوك الكترا كان يختلف تماما عن سلوك شقيقتها وسلوك بقية المواطنين. كانت الكترا على النقيض من خروسوثميس. كانت ثائرة لاتهدأ ، إيجابية ذات عزم وبأس ، مخلصة لوالدها الراحل أشد الإخلاص ، حريصة على الانتقام ممن قتل والدها وأتى على كيان أسرتها ، متلهفة إلى حلول ساعة الخلاص .

كثيرا ما كانت الكترا تعبر عن سخطها وكراهيتها . كثيرا ما كان كل من أيجيسثوس وكلوتمنسترا يعنفانها على جرأتها ووقاحتها . كثيرا ما كانت تقف أمامهما شاردة ، ذاهلة . كثيرا ما كانا ينهرانها بسبب شرودها وذهولها . غالبا ما كان يدب الخلاف والشجار بين خروسوثميس وشقيقتها الكترا . كانت الأولى تفضل المعاناة فى صمت واحتمال الظلم فى هدوء . كانت الثانية تحتج وتتحدى . إن الكترا مازالت تذكر ذلك اليوم الرهيب ، يوم أن قتل والدها ، وامتلأت ردهات القصر وأبهاؤه بأنين الجرحى وجثث القتلى . فى ذلك اليوم أراد أيجيسثوس أن يقتل الطفل أورستيس بن أجاممنون . فى ذلك اليوم قاومت الكترا رغبة أيجيسثوس فى صمت وهدوء. أخذت شقيقها الصغير ، أبعدته عن أيجيسثوس . سلمته إلى يد أمينة . أرسلته خارج موكيناى . فى ذلك اليوم كان يحدوها أمل عظيم. كانت تريد للطفل أن يعيش . أن يكبر ويصبح رجلا . أن يعود إلى وطنه شابا يافعا . أن تنتقم لوالده العظيم ، أن يصبح ملكا على موكيناى (٢) .

٢ – Hamilton, Mythology, p. 244

عاشت الكترا تنتظر عودة أوريستيس . عاشت تنتظر ساعة الخلاص . من أجل تحقيق ذلك الأمل احتملت الكترا ظلم أيجيسثوس وفظاظة كلوتمنسترا . لكن أيجيسثوس كان شديد الحرص بالغ الحذر . كان هو أيضا ينتظر عودة أوريستيس . كان ينتظر عودة الابن لكى يقضى عليه كما قضى على والده من قبل . بل كان يفعل ما هو أقسى من ذلك وأفظع . كان يبث العيون حول الكترا ، يرصد حركاتها وسكناتها ، يمنعها من الاختلاط برجال القصر . يرفض الموافقة على زواجها . لقد تقدم عدد كبير من الأمراء والملوك يطلبون يدها . لكنه كان يرفض بشدة . كان يخشى أن تنجب الكترا طفلا ، ثم يتربى فى بلاط ملكى ، فيعود بعد ذلك إلى موكيناى لينتقم لأجاممنون . كان يعشقها عدد كبير من عظماء موكيناى، لكنه كان يفرض عليها حراسة شديدة . ويمنع أى لقاء ، كان يخشى نتائج تلك اللقاءات ، كما كان يخشى نتائج زواجها .

هكذا عاشت الكترا . محرومة من عطف والدها ، محرومة من رؤية شقيقها ، محرومة من ثقة شقيقتها ، محرومة من حنان والدتها . لكنها لم تكن أبدا تخضع أو تلين . كانت تبعث بالرسل إلى شقيقها أورستيس . تبث فيه من بعيد السخط والكراهية نحو قتلة والدها . تحثه على مواصلة التدريب والمران حتى يصبح قوى البنية موفور النشاط ، تطلب منه سرعة العودة حتى يخلص وطنه من الظلم والاستبداد(٣) . فكرت كلوتمنسترا فى أمر ابنتها المتمردة . حاولت استمالتها إلى جانبها . فشلت . جاهدت من أجل إرضائها وإرغامها على قبول الأمر الواقع . فشلت أيضا . عندئذ . اتخذت قرارا ونفذته فى الحال . أحضرت فلاحا بسيطا . أجيرا من أجراء مزرعة القصر . أمرت أن يتم زواج الكترا فى الحال . زفت الأميرة المتمردة إلى ذلك الفلاح الأجير . اصطحبها معه إلى كوخه الحقير . بذلك أحست

٣ – Hyginus, fabula 122 ; Photius, 479 ; Euripides Op. Cit., 60 — 64; Aeschylus, Choephoroe, 130 sqq.; Sophocles, Op. Cit., 341 sqq., 379 sqq. and 516 sqq.

كلوتمنسترا بشىء من الراحة . قدمت إلى الكترا جميلا . لم تتركها دون زواج . بل إنها قد تأكدت أيضا من أن الكترا سوف تنكسر شوكتها . سوف تصبح مجرد زوجة لفلاح بسيط . سوف تنجب أطفالا يصبحون عبيدا فى قصر كلوتمنسترا . بذلك سوف تأمن شرهم . سوف تضمن ولاءهم وخضوعهم . سوف لا يكونون قادرين على الانتقام أو جديرين بتولى عرش موكيناى (٤) .

قبلت الكترا الزواج من ذلك الفلاح البسيط . لكنها لم تفقد الأمل فى عودة أورستيس . قبلت الزواج على مضض ، لم تكن تستطيع أن ترفضه . كان الفلاح البسيط دمث الخلق ، عفيف النفس ، طاهر الروح . كان يعرف قدر نفسه . كان يعلم سر زواجه من الكترا . كان يفوق فى شهامته ومروءته سليل المجد والشرف أيجيسثوس . بذل ذلك الفلاح البسيط كل الجهد لتوفير الراحة لزوجته الكترا . منحها حريتها كاملة ، وفر لها الوقت والجهد كى تفكر فى شقيقها أورستيس ، لم يمسسها بسوء ، لم يقترب منها فى الفراش . كان حريصا كل الحرص على سلامتها وأمنها . تظاهر أمام أهل موكيناى جميعا بأنه يمارس حقوقه الزوجية كاملة .

ومرت السنون ، وتوالت الأعوام . ازداد شقاء الكترا بمرور الزمان . توهج لهيب حقدها على كلوتمنسترا وأيجيسثوس . لكن لم يتضاءل أملها فى عودة أورستيس ، ولم تضعف رغبتها فى الانتقام .

ذات ليلة ، جاء كلوتمنسترا المخاض . استلقت على ظهرها وحيدة . أنجبت أفعوانا أرقط . رأت كلوتمنسترا الأفعوان يبتعد عنها شيئا فشيئا . ثم رأته يقترب منها شيئا فشيئا . زحف الأفعوان فى هدوء حتى اعتلى صدر كلوتمنسترا الناهض . كان صدرها عاريا . كان ثدياها يترجرجان نحو اليمين ونحو الشمال . صدرها يرتفع إلى أعلى وإلى أسفل . جسدها اللدن الطرى يرتعش من الرعب والفزع . لم تكن قادرة على الحركة . استسلمت للأفعوان القاتل وهو يعبث فى ثدييها ناصعى البياض . فغر الأفعوان فاه .

٤ - Euripides, Op. Cit. 19 sqq. and 253 sqq. and 312.

ظل يتجول بناظريه . وكأنه يبحث عن شىء فقده . فجأة . التقط حلمة الثدى فى فمه . طفق يرضع فى نهم وشراهة . لم تكن كلوتمنسترا قادرة على الحركة . شلت المفاجأة المذهلة تفكيرها . عقدت الدهشة لسانها . لم يكن ثديها يقطر لبنا خالصا . بل كان يقطر لبنا مختلطا بالدماء (٥) . بدت أمارات السعادة واضحة على ملامح الأفعوان وهو يرضع الدم المتدفق من ثدى كلوتمنسترا . فجأة صرخت كلوتمنسترا . دوت صرختها فى أبهاء القصر الضخم . ثم توالت صرخاتها مدوية فى جميع الأرجاء . صحت من نومها مذعورة . وجدت وصيفتها بجوارها . لم يكن ذلك سوى حلم رأته فى منامها . فى تلك الليلة ، لم تعرف كلوتمنسترا طعم النوم . ظلت ساهرة حتى الصباح .

عندما أرسلت الشمس أشعتها نحو الأرض ، دعت الملكة كلوتمنسترا عراف القصر . روت عليه ما رأته فى المنام . طمأنها العراف . هدأ من روعها . إن الحلم يعنى أن روحا من أرواح الموتى غاضبة . على الملكة أن تقدم القرابين ، وتبعث بالابتهالات . أصدرت كلوتمنسترا أوامرها على الفور . سوف تذهب جماعة من جوارى القصر إلى قبر أجاممنون . سوف يحملن القرابين السائلة والأضاحى . سوف تصاحبهن ابنتها الكترا . سوف يقمن بتقديم الأضاحى أرضاء لروح أجاممنون . سوف يسكبن القرابين السائلة على قبره . سوف يطلبن من روحه العفو والغفران . سوف تنوب الكترا عن والدتها . سوف تطلب من روح والدها أن تهدأ . وكان لكلوتمنسترا ما أرادت . وصلت النسوة إلى قبر أجاممنون . بدأن فى تنفيذ أوامر الملكة . لكن الكترا لم تكن راضية النفس . ما أن وصلت إلى القبر حتى طفقت فى البكاء . خاطبت روح والدها بالأصالة عن نفسها ، لا بالنيابة عن والدتها . لم تطلب من روح والدها أن تهدأ . لم تطلب منها أن تعفو عن والدتها . بل طلبت من الروح أن تنتقم من كلوتمنسترا ، أن تقتص

٥ - يروى هذا الجزء من الأسطورة بالتفصيل الكاتب التراجيدى أيسخولوس فى تراجيديا حاملات القرابين **Choephoroe** .

من القاتل ، أن تعيد الأمن والسلام إلى أهل موكيناى ، أن ترسل أورستيس إلى وطنه سالما .

ظلت الكتّرا تبكى وهى تبتهل إلى روح والدها أجاممنون . فجأة ، توقفت عن البكاء . لفت نظرها وجود خصلة من الشعر فوق القبر . لم يكن ذلك شيئا عاديا . لم يكن يجرؤ أحد على أن يقوم بمثل ذلك العمل. إن وجود تلك الخصلة يعنى أن شخصا قد قدم الابتهالات لروح ساكن القبر . إن وجود تلك الخصلة يعنى أن فردا من أفراد أسرة أجاممنون قد زار القبر. لم يكن أحد قط يجرؤ على القيام بمثل ذلك العمل . فجأة ، طرأت فى خاطر الكتّرا فكرة . كانت تلك الفكرة بعيدة عن خاطرها قبل ذلك اليوم . ربما يكون أورستيس قد عاد . ربما يكون قد زار قبر والده أجاممنون . تقدمت الكتّرا نحو خصلة الشعر . أمسكت بها بين أناملها الدقيقة . أخذت تفحصها بدقه . لون شعيرات الخصلة يشبه لون شعر الكتّرا . نوع شعر الخصلة هو نفس نوع شعر الكتّرا . لم تعد الكتّرا قادرة على إبعاد الفكرة عن ذهنها . تقدمت نحو الأمام . تراجعت نحو الخلف . أخذت تفحص المنطقة المحيطة بالقبر . توقفت فجأة . لاحظت وجود آثار أقدام . فحصت تلك الآثار . ضاعت بين تلك الآثار وآثار أقدامها . تبدد الشك . ازداد الأمل . تأكدت الفكرة فى ذهنها . لابد أن أورستيس قد حضر إلى موكيناى . إرتفع صوتها ، مهللة سعيدة ، منفرجة الأسارير .

فجأة ، إندفع من بين الأحراش المحيطة بالقبر شاب يافع . إندفع خلفه شاب آخر . إتجه الشابان نحو الكتّرا . إستولى الذعر على النسوة من حولها . حاولن أن يصرخن . لم يستطعن من شدة الفزع . لكن الكتّرا وقفت رابطة الجأش ، ثابتة الجنان ، اعترضت طريقهما فى شجاعة وجرأة. سألتهما مَنْ عساهما أن يكونا . إنهما أورستيس وصديقه المخلص بولاديس. لقد أمر الإله أبوللون أورستيس أن يعود إلى وطنه موكيناى ، أن يذهب مباشرة إلى قبر والده أجاممنون ، أن يصب قرابين سائلة بجوار القبر ، أن يترك فوق القبر خصلة من شعره . أمره أيضا أن ينتقم لوالده ، أن يقتل

القتلة ، وأن يعيد الحق إلى نصابه (٦) . لم تصدق الكتّرا أذنيها . تسرب الشك إلى نفسها . طلبت من الشاب الغريب أن يقدم مزيدا من الأدلة . أشار إلى رداء فوق كتفه . إنه الرداء الذى نسجته الكتّرا بيدها . ذلك الرداء الذى لفت فيه الطفل أورستيس قبل أن ترسل به إلى خارج موكيناى. كان ذلك يوم أن قتل أجاممنون . هكذا قال له من تعهدوه بالرعاية . فحصت الكتّرا الرداء . إنه نفس الرداء الذى نسجته الكتّرا بيدها .

ذهبت شكوك الكتّرا . تعرفت على شقيقها أورستيس وعلى صديقه المخلص بولاديس . أصبح الحلم حقيقة . صار الخيال واقعا . ارتمت الكتّرا بين ذراعى شقيقها العائد . إلتأم الشمل . تجمعت النسوة من حولهم . قصت على أورستيس ما رأته كلوتمنسترا أثناء نومها . قهقه أورستيس فى ثقة وثبات . ليس الأفعوان سوى أورستيس ، الذى أنجبته كلوتمنسترا والذى سوف يجعل الدماء تسيل من جسد كلوتمنسترا الدنس . سوف يسلك سلوك الأفعوان . سوف يستخدم الخديعة والدهاء . سوف يستخدم عنصر المفاجأة والمباغته . هكذا كان يتحدث أورستيس وهو يقهقه فى ثقة وثبات . ثم بدأ الجميع فى وضع خطة لتنفيذ فكرة الانتقام . سوف تعود الكتّرا إلى قصر والدها . سوف تقابل والدتها كلوتمنسترا . سوف لاتقص عليها شيئا مما حدث . سوف تحاول أن تعيد الطمأنينة إلى قلبها . سوف تخبرها أنها قد قدمت القرابين على قبر أجاممنون نيابة عنها . أما أورستيس فسوف يلحق بها . سوف يطرق باب القصر . سوف يدعى أنه غريب أتى إلى موكيناى يحمل أنباء هامة عن أورستيس (٧) .

وصلت الكتّرا إلى القصر . فعلت كما أشار عليها أورستيس . بعد قليل وصل غريب إلى قصر الملك الراحل أجاممنون . لم يكن الغريب سوى أورستيس . طلب الغريب مقابلة سيد القصر أو سيدته . لم يكن أجيسثوس

٦ - Sophocles, Op. Cit., 36 — 7 and 51 — 2 ; Euripides, Orestes, 268 — 70 ; Aeschylus, Choephoroe, 1038.

٧ - Hamilton, Mythology, p. 245.

فى القصر . قابلته كلوتمنسترا . لم تتعرف الملكة على ولدها الذى فقدته وهو طفل صغير . تظاهر الغريب بأنه مواطن أيتولى أتى من داوليس . ادعى أنه قابل فى الطريق شخصا يدعى ستروفيوس . ادعى أيضا أن ستروفيوس قد طلب منه أن يحمل إلى موكيناى أنباء غير سارة عن أورستيس بن أجاممنون . أخبره ستروفيوس أن أورستيس قد لقى حتفه ، وأن جثته قد أحرقت طبقا للتقاليد المتبعة . إن ستروفيوس يحتفظ الآن برماد رفاته فى وعاء برونزى . إنه يريد أن يعرف هل يقوم بدفنها فى مدينة كريسا أم يحضرها إلى موكيناى .

استمعت كلوتمنسترا إلى الغريب وهو ينقل النبأ المثير . استولى عليها ذعر شديد . شعرت بالحزن والأسى . لم تكن فى تلك اللحظة سوى أم فقدت ولدها . لم تكن فى تلك اللحظة سوى امرأة ثكلى يائسة بائسة . مست كلمات الغريب شغاف قلبها . لكن سرعان ما بدأت تسيطر على مشاعرها . بدأت تشعر بهدوء نفسى وسعادة دفينة . تخيلت ماذا كان يحدث لو أن أورستيس قد عاد حيا . أدركت على الفور أن الغريب قد أراح بالها وطمأن قلبها . لكنها فضلت ألا تبوح بسعادتها أو تفصح عن راحة قلبها .

تظاهرت كلوتمنسترا بالحزن . أجهشت بالبكاء . أعربت عن رغبتها فى استدعاء زوجها أيجيسثوس . تظاهرت بأنها فى حاجة إلى من يواسيها ، إلى من يخفف عنها وطأة الحزن . لكنها فى الواقع أرادت أن تعيد الطمأنينة إلى قلبه . أرادت أن تبعد عنه القلق الذى ظل يؤرقه سنوات عديدة . أرادت أن يشاركها فرحتها وأن يرتشفا معا كأس الانتصار . كلفت كلوتمنسترا مربيتها العجوز أن تستدعى أيجيسثوس . طلبت منها أن يعود بكامل عدته وعتاده . فلقد أرادت كلوتمنسترا أن ترى أيجيسثوس فى تلك اللحظة فارس الفرسان . أسرعت المربية نحو الخارج . وصلت على الفور إلى أيجيسثوس . فلقد كان موجودا فى معبد قريب من القصر . نقلت المربية رسالة كلوتمنسترا إلى أيجيسثوس . لكنها حورت قليلا فى

تفاصيلها . ادعت أن سيدتها تطلب منه أن يعود إلى القصر أعزل منفرداً . فلقد مات أورستيس ، ولم تعد هناك حاجة إلى استخدام السلاح أو الاحتماء بالحراس .

أسرع أيجيسثوس نحو القصر . وقف أمام كلوتمنسترا متسائلا . وقف مشدوها حائرا . لم يكن يدرى ماذا يقول . وقف صامتا . فضل الصمت على الكلام . انتظر حتى تبادره كلوتمنسترا بالحديث . لم يطل انتظاره . تحدثت كلوتمنسترا على الفور . مات أورستيس . لم يعد أورستيس على قيد الحياة بعد . هكذا يقول ذلك الغريب . كانت تشير نحو الغريب بيد مرتعشة . كانت تتحدث إلى أيجيسثوس بعبارات مقتضبة . لم ينطق أيجيسثوس بكلمة واحدة . أذهلته المفاجأة . ابتسم . وسرعان ما تلاشت ابتسامته . قهقه ملء شدقيه . . وسرعان ما كتم قهقهته . حاول أن يتحدث. وسرعان ما سكت عن الكلام . لم يكن يعرف ماذا يفعل .

فجأة ظهر غريب آخر . أفاق كل من أيجيسثوس وكلوتمنسترا . أتى الغريب الآخر يحمل بين يديه وعاء من البرونز . لقد أتى برفات أورستيس. لقد قرر ستروفيوس أن يرسل رفات أورستيس إلى موكيناى . مد الغريب الآخر ذراعيه نحو كلوتمنسترا وأيجيسثوس . أخبرها أنه يحمل بين يديه رفات أورستيس . إنفرجت أسارير كلوتمنسترا . إختفت شكوك أيجيسثوس . تأكدت أنباء موت أورستيس . لم يعد هناك مجال للشك . لم يكن يعلم أيجيسثوس وكلوتمنسترا أن الغريب الآخر هو بولاديس ، صديق أورستيس . لم يعرفا أن وصول بولاديس هو مرحلة من مراحل عملية الانتقام . لم يستطيعا أن يلاحظا ملامح السعادة على وجه الكترا ، التى كانت تقف فى صمت تراقب كل شىء . لقد أراد الإله أبوللون ذلك ، وكانت إرادته مصحوبة بمشيئة رب الأرباب زيوس .

مد الغريب الآخر ذراعيه . قدم الوعاء البرونزى إلى كلوتمنسترا . قدم إليها رفات أورستيس. تراجعت كلوتمنسترا على الفور. مد أيجيسثوس ذراعيه نحو الغريب الآخر . تناول الوعاء البرونزى . ضغط عليه بيديه . ضمه

إلى صدره . فى لمح البصر جرد الغريب الأول سيفه . انقض على أجيسثوس . ضربه ضربة قاضية . ترنح أجيسثوس . هوى على الأرض . صرخ الغريب صرخة عالية . أعلن أن أجيسثوس قد لقى حتفه على يد أورستيس . لفظ أجيسثوس أنفاسه الأخيرة وهو ينظر فى حسرة إلى أورستيس ابن أجاممنون . فى تلك اللحظة . اكتشفت كلوتمنسترا حقيقة الغريب . اكتشفت أنه أورستيس . اكتشفت ذلك بعد فوات الأوان . حاولت الفرار . أحاط بها أورستيس وبولاديس والكترا من كل جانب . حاولت المقاومة . وجدت نفسها غير قادرة عليها . إستولى عليها ذعر شديد . تفككت أوصالها . توقفت الدماء فى عروقها . جف اللعاب فى فمها . وقفت الكلمات فى حلقها . زاغت عيناها . أصبحت غير قادرة على الحركة (٨).

تقدم أورستيس نحو والدته كلوتمنسترا (٩) . تقدم فى بطء شديد ، كان يخطو نحوها فى خطوات بطيئة . السيف فى يده يقطر دما ، الشر فى عينيه واضح جلى . نظرت كلوتمنسترا فى عينى ولدها . رأت فيهما عينى والده أجاممنون . ظلت تدقق النظر فى وجهه . رأت فى وجهه وجه زوجها الراحل أجاممنون . ظلت تحملق فى قوامه الممشوق . رأت فى قوامه قوام أجاممنون . نفذت بنظراتها إلى أعماقه . أدركت كلوتمنسترا أنها هالكة لامحالة . توسلت إلى ولدها أورستيس . لم يستجب الابن لتوسلات أمه . ضربت صدرها براحتيها فى ذعر شديد . مزقت ثوبها بيديها فى عصبية ظاهرة . أخرجت ثديها الوجراج من بين طيات ثوبها الممزق . تقدمت فى استجداء نحو ولدها أورستيس وهى تمسك بيديها ثديها العارى . حاولت أن تثير فى نفسه عاطفة البنوة (١٠) .

« ولدى ، أنا التى أرضعتك ذات يوم من هذا الثدى . ولدى ،

---

٨ لقد حاولنا ان نتتبع فى الصفحات السابقه ماجاء عند أيسخولوس فى تراجيدية حاملات القرابين (راجع حاشية رقم ٥ أعلاه) .

٩ – أنظر الشكل رقم ١٧ .

١٠ – يروى هذه التفاصيل الكاتب التراجيدى يوريبيديس (الكترا ، ١٢٠٦ ومابعده) .



شكل (١٧)

اورستيس يقتل والدته كلوتمنسترا

أنا التى أنجبتك من رحمى . ولدى ، أنا التى ربيتك وأنت طفل صغير . كيف تقتل من أنجبتك ، وأرضعتك ، وتعهدتك بالرعاية ! » هكذا قالت كلوتمنسترا فى استجداء . إرتعشت يد أورستيس التى كانت تحمل السيف . لكن الكتّرا طفقت تشجعه على المضى فى عملية الانتقام ، وأيضا بولاديس . عندئذ انقض الولد على والدته . طعنها طعنة مميتة . سقطت جثة هامدة بجوار جثة عشيقها(١١) .

انطلقت الكتّرا تعدو فى ردهات القصر تذيع النبأ الذى كان ينتظره الجميع منذ أعوام . انطلقت تبشر بعودة الأمن والسلام إلى ربوع موكيناى. تجمع أهل موكيناى . عادت إليهم البهجة من جديد . إنطلقوا بدورهم فى جميع أرجاء المملكة ينشرون البهجة والسرور . إتجه الجميع نحو قصر الملك الراحل أجاممنون . إنطلقت الكتّرا من خلفهم . هتف الجميع باسم أورستيس . تجمعوا من حوله . فجأة ساد الذعر والرعب من جديد . لقد أصيب أورستيس بالذهول . ثم استولى عليه الجنون . ظل يهذى ويطلق عبارات غير مفهومة . إنفض الناس من حوله . لم يبق بجانبه سوى الكتّرا وصديقه بولاديس . لازمته الكتّرا ليلا ونهارا . تعهدته بالرعاية . حاولت أن تعيده إلى صوابه . لم تفارقه لحظة واحدة . لم تترك وسيلة لعلاجه إلا وجربتها .

حضر أشخاص عديدون إلى موكيناى . انتشر الشغب والفوضى . ثار أهل موكيناى ضد أورستيس . غضبت منه الآلهة . طاردته ربات العذاب فى صحوه ومنامه . اختل عقل الصبى القاتل . هام على وجهه فى كل مكان. ظلت ربات العذاب تطاردنه فى كل مكان يذهب إليه . بقيت الكتّرا وحيدة

١١ – Hyginus, fabula 119 ; Aeschylus, Eumenides, 592 ; Idem, Choephoroe, 973 sqq.

اختلفت الروايات حول طريقة قتل أورستيس لوالدته كلوتمنسترا وعشيقها أيجيستوس، راجع :
Euripides, Electra, 770 sqq.; Sophocles, Op. Cit., 417 sqq.

كما أن هناك مصادر أخرى تروى أن أورستيس لم يقتل والدته بنفسه بل قدمها للمحاكمة ، راجع Servius on Vergil's Aeneid, XI. 268.

فى موكيناى . بقيت تنتظر عودة أورستيس من جديد . طال تجوال الفتى المسكين . ظلت الكتّرا تنتظره عاما كاملا . ثم عاد الفتى . وصدرت أوامر الآلهة . سوف يقدم أورستيس للمحاكمة . حاولت الكتّرا أن تجد وسيلة لإنقاذه . صدر الحكم مبدئيا ببراءته . لكن ، كان عليه أن يكفر عن جريمته : أن يذهب إلى أرض بعيدة ، وأن يحضر تمثالا للربة أرتميس. رحل أورستيس . بقيت الكتّرا تنتظر من جديد عودة شقيقها . أخيرا عاد أورستيس وصديقه المخلص بولاديس . الذى لم يفارقه فى تجواله لحظة واحدة .

استقبلت الكتّرا أورستيس فى موكيناى. استقبلته بعد أن انتقم لوالده الذى هو والدها . استقبلته بعد أن انتقم من والدته التى هى والدتها . استقبلته بعد أن كفرعن جريمة فرض عليه أن يرتكبها . استقبلته بعد طول انتظار . ظلت الكتّرا مخلصة لوالدها أجاممنون أثناء حياته ، مخلصة لروحه بعد مماته . ظلت وفية لشقيقتها خروسوثميس رغم اختلاف طباع كل منهما . ظلت باقية على عهدها مع شقيقها أورستيس . حافظت عليه فى طفولته ، وشبابه . أخلصت له أثناء مرضه وسلامته . قضت شبابها فى عناد تنتظر عودته . ها هو قد عاد إليها بطلا . ها هو قد استعاد ملك والده . لقد أصبحت الكتّرا شقيقة لحاكم موكيناى بعد أن كانت أسيرة له.

عاشت الكتّرا فى سلام وأمان . تزوجت من الصديق المخلص بولاديس. أنجبت له ولدين ، ميدون ، وستروفيوس . منحتها الآلهة السعادة والهناء . عاشت فى موكيناى . ماتت فى موكيناى . ثم دفنت فى موكيناى .

تلك هى أسطورة الكتّرا ابنة أجاممنون وشقيقة أورستيس . الكتّرا التى أحبت شقيقها حب العبادة . ضحت من أجله بحياتها وسعادتها وهنائها . منحته قلبها وعقلها . عاشت له ومن أجله . الكتّرا التى أساء بعض علماء النفس تفسير قصتها . لقد تخيل بعض العلماء الكتّرا عاشقة لأخيها أورستيس ،

أو لوالدها أجاممنون ، فنشأت النظرية المعروفة فى علم النفس باسم « عقدة الكترا »[١٢] .

تلك هى أسطورة الكترا التى ذاعت شهرتها فى العالم القديم والحديث . تناولها معظم الكتاب والأدباء والشعراء . تعرضت الأسطورة لاضافات وتغييرات كثيرة ، لذلك ليس من السهل أن يتفق اثنان فى عرض تفاصيلها . فتفاصيل القصة مختلفة من كاتب إلى كاتب ، ومن أديب إلى أديب ، ومن فنان إلى فنان . لكن مهما اختلفت التفاصيل وتباينت الروايات ، فإن أسطورة الكترا سوف تظل إلى الأبد ترمز إلى اخلاص الشقيقة إلى شقيقها ، إلى إخلاص الابنة لوالدها فى عالم أصبح فيه الإخلاص نادرا .

١٢ — راجع نظرية التحليل السيكولوجى للأساطير الإغريقيه فى المقدمه ص ٥٩ أعلاه .

إيفيجينيا

. . كانت إيفيجينيا تراقب كل شىء حولها فى صمت . كانت تفكر هى الأخرى . عليها أن تختار بين الحياة والموت . لكن حياتها فى كفة ونجاح الحملة الاغريقية فى الكفة الأخرى. ماذا يحدث لو أنها قدمت حياتها فداء لوطنها الكبير ! ! هبت واقفة بين الجموع المتراصة . صاحت فى نبرات متقطعة . سوف تقدم حياتها راضية فداء لوطنها الكبير . سوف تصعد مذبح الربة طائعة مختارة حتى ينجح الاغريق فى الدفاع عن شرفهم وكرامتهم . أخذت تهدىء من روع والدتها . واسى والدها أجاممنون ، تستعطف ملك الملوك أخيليوس ، تبث العزم والشجاعة فى نفوس القادة الاغريق . تقدمت فى شجاعة وثبات . طلبت من العراف أن يصطحبها إلى معبد الربة . سألت الكاهن أن يساعدها فى الصعود فوق المذبح المقدس . ثم غابت إيفيجينيا عن الوعى — بعد أن ضربت مثالا رائعا فى التضحية والفداء .

ايفيجينيا

نزل الأمير الوسيم باريس ضيفا على الملك السعيد منيلاووس . أحب الضيف زوجة المضيف . بادلته الحب . اختطفها . اصطحبها إلى وطنه طروادة . لجأ منيلاووس إلى شقيقه أجاممنون . لجأ أجاممنون بدوره إلى ملك ملوك الإغريق أخيليوس . اجتمعت الجيوش الإغريقية من كل صوب . خرجت عن بكرة أبيها صوب طروادة . كان للإغريق هدف واحد ، إسترداد هيلينا . وصلت قوات الاغريق إلى ميناء أوليس . طفقت تنظم صفوفها ، وتضع خطة الهجوم . ثم بدأت تستعد لمواصلة الرحلة إلى طروادة. فجأة ، هبت ريح الشمال العاصفة . هاج البحر وثار . ارتفعت الأمواج هادرة . إشتدت حركات المد والجزر . عصفت الرياح بالسفن الاغريقية . حطمت عددا كبيرا منها . أغرقت عددا آخر . أصبح الأسطول الاغريقى فى خطر عظيم .

استولى الذعر على قادة الحملة . تأجل موعد الرحيل . طالت فترة الانتظار فى الميناء . ازدادت الخسائر يوما بعد يوم . لجأ قادة الاغريق إلى العراف كالخاس ، الذى كان يرافق الحملة . راقب كالخاس حركات الطيور فى السماء . لاحظ مواكب النجوم فى الفضاء . استخار الآلهة والربات . ثم عاد إلى قادة الاغريق يحمل معلومات خطيرة . السبب هو غضب ربة عذراء ، العلاج هو التضحية بفتاة عذراء . الربة الغاضبة هى أرتميس ، الفتاة المطلوبة هى أيفيجينيا . غضبت الربة أرتميس من الاغريق

أرسلت تلك العواصف المدمرة . لن يهدأ غضب الربة الا بعد أن يقدم القائد الاغريقي أجاممنون ابنته العذراء أيفيجينيا ضحية على مذبح الربة .

الربة الغاضبة هي أرتميس . الفتاة الضحية هي أيفيجينيا . اختلفت الروايات وتعددت الأقوال حول تعليل ذلك .

قيل إن أجاممنون خرج ذات يوم في رحلة صيد . لمح على البعد أيلا سمينا رائع المظهر . طفق يطارد الأيل . أطلق الأيل ساقيه للريح . ألهب أجاممنون ظهور خيوله بالسياط . انطلقت الخيول تسعى خلف الأيل . كانت الأيل أسرع من الخيول . اشتد غضب أجاممنون . صمم على اللحاق بالأيل . إزدادت المسافة بين أجاممنون والأيل أطلق أجاممنون سهما من بعيد . أصاب السهم الأيل المنطلق . أرداه قتيلا . قفز من الفرح ، أفقدته نشوة النصر عقله واتزانه . طفق يصيح في زهو وغرور . إن ربة الصيد أرتميس نفسها لاتستطيع أن تحقق ذلك النصر العظيم . سمعت الربة العذراء كلمات أجاممنون . غضبت منه (١) .

قيل إن أجاممنون قد عصى أوامر آرتميس . ذات مرة ، ذبح عنزاً مقدساً كان منذورا لها . غضبت منه الربة .

قيل إن أجاممنون كان قد نذر إلى الربة آرتميس في عام من الأعوام أجمل فتاة تولد في ذلك العام . حدث أن ولدت ابنته إيفيجينيا في ذلك العام . حدث أيضا أنها أصبحت أجمل الفتيات اللائي ولدن في نفس العام . ثم نسي أجاممنون أو تناسى ما كان قد نذر . لذا ، غضبت منه الربة آرتميس .

قيل أيضا إن الربة آرتميس لم تكن غاضبة من أجاممنون نفسه . بل غضبت من والده أتريوس . كان أتريوس قد نذر للربة حملا نادر الوجود (٢) . ثم نكث عهده ، وخدع الربة . لعنته الربة . ثم ورث أجاممنون اللعنة عن أبيه .

---

١ - Hamilton, Mythology, p. 249.

٢ - راجع ص ٢٩٤ أعلاه

اختلفت الروايات ، تعددت الأقوال ، والنتيجة واحدة . يجب أن يقدم أجاممنون ابنته العذراء إيفيجينيا قربانا على مذبح الربة أرتميس . إستنكر أجاممنون ما قاله كالخاس . رفض الاستجابة إلى مطلب الربة أرتميس . أشتدت قوة الرياح . إزدادت خسائر الإغريق . أصبحت الحملة الإغريقية مهددة بالفشل قبل أن تبدأ القتال . توسل القادة الإغريق إلى أجاممنون . لم يستمع إلى توسلاتهم . حاولوا أن يثنوه عن عزمه . لم تنجح محاولاتهم . هددوه بالانضمام إلى حلفاء آخرين وابعاده عن الحملة . لم يخضع لتهديداتهم ، تدخل شقيقه منيلاووس ، توسل إليه أن ينقذ شرف أخيه وأن يعيد للأسرة كرامتها . استحلفه برأس والدهما أتريوس . إنضم إليه أودوسيوس الماكر . صور لأجاممنون المجد الذي ينتظره عند عودته ظافرا من طروادة . بدأ أجاممنون يشعر بالحيرة . هل يذبح ابنته بيده إرضاء للربة أرتميس ! ! هل يذبح ابنته بيده دفاعا عن شرف أخيه ؟ هل يذبح ابنته بيده ليحقق المجد لنفسه ! ! هل يذبح ابنته بيده من أجل تحقيق كل ذلك ! (٣) .

وافق أجاممنون على التضحية بابنته إيفيجينيا . لكنه لم يكن مقتنعا اقتناعا تاما . أخذ يختلق المعاذير ويقيم العقبات . تقيم إيفيجينيا في موكيناي تعيش تحت رعاية والدتها كلوتمنسترا . سوف ترفض كلوتمنسترا إرسال ابنتهما إلى أوليس . سوف ترفض إيفيجينيا الذهاب للقاء حتفها . اقترح منيلاووس خطة . بدأ القادة الأغريق على الفور تنفيذها . أرسلوا الماكر أودوسيوس والشاب تالثوبيوس إلى موكيناي ، حمل الإثنان رسالة من أجاممنون . ادعى أجاممنون — في رسالته — أن ملك ملوك الإغريق أخيليوس قد طلب يد أيفيجينيا . تظاهر أجاممنون بالموافقة . طلب من زوجته كلوتمنسترا الحضور إلى أوليس . طلب منها إحضار ابنتها إيفيجينيا لاتمام الزواج . رحل أودوسيوس وتالثوبيوس إلى موكيناي . أحس أجاممنون

---

٣ - Genest, Myths of Ancient Greece And Rome, pp. 161 — 5.

على الفور بأنه قد ارتكب إثما . أرسل على الفور رسالة أخرى إلى زوجته كلوتمنسترا . كشف لزوجته عن حقيقة الأمر . طلب منها عدم الحضور إلى أوليس . إنطلق رسول أجاممنون فى طريقه إلى موكيناى . أحس الوالد المسكين بشىء من الراحة . لم يكن يعلم أن الآلهة تقف له بالمرصاد . لم يكن يعلم أن قادة الإغريق كانوا يلاحظون تردده ويراقبون حركاته . لم يكن يعلم أن رسوله قد وقع فى يد منيلاووس .

وصلت الرسالة الكاذبة إلى موكيناى. استولت الفرحة على كلوتمنسترا . زينت ابنتها إيفيجينيا . جهزت لها أفخر الثياب. اصطحبتها إلى أوليس . فوجىء أجاممنون بوصول زوجته وابنته . علم فى الوقت نفسه أن رسوله الثانى قد وقع فى يد منيلاووس وأن رسالته الثانية قد انكشف أمرها . وقع أجاممنون فى حيرة شديدة . وجد نفسه وجها لوجه أمام زوجته وابنته . أحس بالسرور يغمرهما . شعر بالفرحة تملأ قلبيهما . رأى السعادة بادية على وجهيهما . حاول أن يصارح زوجته بالحقيقة . لكن القادة الإغريق لم يتركوا له الفرصة . تظاهر الجميع بالسعادة . تظاهروا بإعداد العروس للزفاف . لم تكن تعلم إيفيجينيا أنهم يعدونها لتكون ضحية للربة أرتميس ، لكن فجأة حدث مالم يكن فى حسبان الجميع . علم أخيليوس بوصول كلوتمنسترا وإيفيجينيا . شاءت الأقدار أن يلتقى بهما . إكتشف الحقيقة كاملة . إكتشف الحقيقة التى لم يكن يعرفها . إكتشف أن القادة الإغريق قد أساءوا استغلال اسمه اللامع . غضب أخيليوس غضبا شديدا . لم يرض أن يكون اسمه طعماً يصطاد به القادة الإغريق تلك الفتاة البريئة إيفيجينيا . لم يسمح لشخصه أن يكون أداة فى أيدى الإغريق تساعدهم على إيقاع إيفيجينيا فى شباك الغدر والخيانة .

غضب ملك الملوك أخيليوس . ثار قائد الجيوش أخيليوس . هدد وتوعد . هدد بالانسحاب من الحملة . توعد القادة الإغريق . رفض تماما أن تساق عذراء بريئة إلى المذبح . استنكر الخدعة الدنيئة التى ابتكرها القادة الإغريق من أجل إنجاح الحملة . علمت كلوتمنسترا بالحقيقة .

ثارت هى الأخرى . اكتشفت إيفيجينيا حقيقة ما يدور حولها . انهارت . رفضت رفضاً تاماً أن تكون كبش فداء . وقع الجميع فى حيرة وارتباك . ازداد غضب الربة آرتميس . اشتدت سرعة الرياح فى ميناء أوليس . إزداد عدد السفن الإغريقية المحطمة . ازدادت أعداد القتلى والغرقى بين جنود الإغريق . أصبحت الحملة الإغريقية مهددة بالفشل . أصبح النصر شيئا بعيد المنال . تعقدت الأمور . لم يستطع أحد أن يجد طريقا للخلاص .

كانت إيفيجينيا تراقب كل شىء حولها فى صمت . كانت تفكر هى الأخرى . إنها تحب والدها حبا يفوق الحد . وتحب والدتها حبا جما . تخلص لوطنها الكبير أشد الإخلاص . تشفق على القادة الإغريق الذين لايجدون طريقا للخلاص . وظلت إيفيجينيا تفكر . عليها أن تختار بين الحياة والموت . ولكن حياتها فى كفة ونجاح الحملة الإغريقية فى الكفة الأخرى . ماذا يحدث لو أنها قدمت حياتها فداء لوطنها الكبير ! ! بدأت تقتنع بجمال الفكرة شيئا فشيئا . صممت على تنفيذها . هبت واقفة بين الجموع المتراصة . صاحت فى نبرات متقطعة . سوف تقدم حياتها راضية فداء لوطنها الكبير . سوف تصعد مذبح الربة طائعة مختارة حتى ينجح الإغريق فى الدفاع عن شرفهم وكرامتهم . أخذت تهدىء من روع والدتها كلوتمنسترا . تواسى والدها أجاممنون . تستعطف ملك الملوك أخيليوس ، تبث العزم والشجاعة فى نفوس القادة الأغريق . ثم تقدمت فى شجاعة . طلبت من العراف أن يصطحبها إلى معبد الربة . سألت الكاهن أن يساعدها فى الصعود فوق المذبح المقدس . ثم غابت إيفيجينيا عن الوعى ، بعد أن ضربت مثالا رائعا فى التضحية والفداء .

على الفور هدأت ثورة الربة أرتميس ، ذهب غضب الربة العذراء . على الفور هدأت ثورة الرياح فى الميناء . ذهب هياج البحر وسكنت الأمواج . جمع الإغريق شتات أسطولهم . أعادوا تنظيم صفوفهم . إستعدوا للرحيل من ميناء أوليس . صدرت الأوامر إلى الجنود بالاقلاع . عندئذ ، خرج الأسطول الإغريقى لينشر الدمار فى كل مكان . زحف

الجنود الإغريق لينشروا الرعب أينما ساروا . إستعد القادة الإغريق ليشعلوا حربا شعواء شاملة تحدثت عنها الشعوب والأمم على مدى الأجيال (٤) .

لم تنس الشعوب الإغريقية العذراء إيفجينيا . ولم يتجاهل الرواة والمنشدون تضحيتها . تعددت الروايات حول مصيرها . هناك رواية سادت منذ أقدم العصور — : ذبحت العذراء إيفيجينيا على مذبح الربة أرتميس . ظلت هذه الرواية سائدة حتى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد . حينئذ ، كان الأغريق قد هجروا فكرة تقديم الأضاحى البشرية . أصبح الإغريق حينئذ يستنكرون ذبح إيفيجينيا . استهجنوا تلك العادة الوحشية . ظهرت روايات أخرى . رفضت تلك الروايات فكرة ذبح إيفيجينيا (٥) .

قيل إن الآلهة أرسلت عاصفة رعدية فوق رأس إيفيجينيا . نشر الرعد الرعب بين جميع الموجودين حول المذبح . تدخل ملك الملوك أخيليوس . حاول إنقاذ العذراء البريئة . فعل ذلك استجابة لتوسلات الأم كلوتمنسترا . وتنفيذا لأوامر الربة أرتميس . نجح أخيليوس فى انقاذ إيفيجينيا . بعث بها إلى أرض بعيدة ، إلى صحراء سكوثيا . قيل أيضا إنه تزوجها ، ثم أنجب منها ولده الذى عرف باسم نيوبتوليموس .

قيل فى رواية أخرى إن الربة آرتميس نفسها هى التى أنقذت العذراء إيفيجينيا . إختطفتها من فوق المذبح المقدس . وضعت مكانها ضحية أخرى ، غزالة ، أو أيلة ، أو أنثى دب ، أو امرأة عجوز . بل هناك من الرواة من يؤكد أن أرتميس قد نقلت العذراء إيفيجينيا إلى أرض التاورين ، وأن ذلك قد تم دون علم أفراد أسرتها .

إنتشرت رواية طريفة تحكى تفاصيل ما حدث للعذراء إيفيجينيا أثناء وجودها بين التاورين . نجحت هذه الرواية فى الربط بين ما حدث للعذراء إيفيجينيا بعد أن نجت من الموت وما حدث لشقيقها أورستيس بعد أن قتل والدته .

---

٤ — Rose. Greek Mythology, pp. 119 — 20.

٥ — Hamilton. Op. Cit., p. 249.

كان هناك ملك يدعى ثوآس . عرف بالملك سريع القدمين . كان ثوآس ابنا للإله ديونوسوس من الآدمية أريادنى . كان ملكا على منطقة الخرسونيس . عرف شعب هذه المنطقة باسم التاورين . إنحدر التاوريون من أصل سكوثى (٦) . عاش التاوريون على قدر ضئيل من الزراعة . إعتمدوا اعتمادا كبيراً على السلب والنهب . كانوا مغرمين بسفك دماء الأجانب والغرباء . إذا أسر محارب تاورى أجنبيا أثناء القتال ، قطع رأسه ، وعلقه فوق منزله . اعتقد التاوريون أن رأس الأسير المعلق فوق سطح المنزل يحمى أهل المنزل جميعا من غضب الآلهة وحقد البشر . إذا جنحت سفينة أجنبية على شاطىء مملكة التاوريين ، قبضوا على بحارتها . كان الموت مصير كل بحار أجنبى يصل إلى شواطئهم . كانوا يقدمونه — فى احتفال شعبى — ضحية للربة أرتميس. يجلدونه حتى الموت . ثم يعلقون رأسه فى المعبد ويدفنون جثته ، أو يقذفون بها فى البحر . وإن كان الأجنبى نبيلا أو أميرا عاملوه معاملة خاصة . يستخدمون السيف فى ذبحه على مذبح الربة أرتميس . تتولى ذبحه وتقدمه كاهنة عذراء — كاهنة الربة نفسها . تلقى بجثته فى النار المقدسة ، التى تستمد لهيبها من نار تارتاروس ، والتى تشتعل أبداً حول المحراب المقدس (٧) .

تلك هى عادة التاورين الذين كانوا يعبدون الربة أرتميس . كان لها معبد فخم يحتوى على تمثال عتيق للربة مصنوع من الخشب . قيل إن ذلك التمثال قد هبط من السماء ، وإنه كان الوحيد من نوعه فى العالم القديم . كان معبد الربة ضخما فخما يشغل مساحة شاسعة من الأرض . كان مقاما فوق أعمدة ضخمة شاهقة (٨) . كان يصعد إليه بواسطة

---

٦ — Euripides, Iphigenia In Aulis, 32 ; Scholiast on Apollonius Rhodius, III, 997 ; Eustathius, on Dionysius, 306 ; Apollodorus, Epitome, VI, 26.

٧ — Graves, Greek Myths, Vol. II, pp. 73 — 79.

٨ — Herodotus, IV, 103; Ovid, Epistulae Ex ponto, III. 2; 45 sqq.; Apollodorus, Loc. Cit.; Euripides, Iphigenia Among The Taurians, 40 sqq., 88 sqq.

أربعين درجة من الحجر الصلب . كان مذبحه ، المصنوع من المرمر ، ملوثا بدماء الضحايا . أما صاحبة المعبد ، الربة أرتميس ، فكانت تعبد تحت ألقاب متعددة : أرتميس تاوروبولوس ، تاوروبولى ، ديكتونا ، أوريثيا ، ثوانتيا ، أو هيكاتى (٩) .

إختطفت الربة العذراء إيفيجنيا من فوق المذبح فى معبد أوليس . وضعت مكانها ضحية أخرى . إعتقد القادة الإغريق أن إيفيجنيا قد ماتت . حزنت كلوتمنسترا على ابنتها حزنا شديدا . صعدت الربة آرتميس فى الفضاء . لفت إيفيجينيا بسحابة داكنة . أسرعت تشق الفضاء على متن تلك السحابة . وصلت إلى أرض التاوريين . هبطت الربة بمصاحبة إيفيجنيا . هلل التاوريون . أحاطوا إيفيجنيا بهالة من التكريم والتقديس . عينوها كبيرة الكاهنات فى الدولة . عهدو إليها — دون غيرها — برعاية التمثال العتيق المقدس والتفانى فى خدمته . أصبحت مسئولة عن تقديم الاجانب والغرباء ضحايا على مذبح الربة . لم تكن إيفيجنيا راضية عن قتل هؤلاء الضحايا ، لكنها كانت تفعل ذلك على مضض ، تنفيذا لمشيئة الربة أرتميس (١٠) .

بعد أن قتل أورستيس والدته كلوتمنسترا ، ظلت ربات الانتقام تطاردنه من مكان إلى مكان . أصابته نوبات من الجنون . وعندما لجأ إلى معبد الإله أبوللون فى دلفى ، نصحته كاهنة المعبد أن يقوم برحلة طويلة . عليه أن يعبر مضيق البسفور ، ثم يبحر شمالا عبر البحر الأسود ، ثم يصل أخيراً إلى منطقة الخرسونيس التاورية . عليه أيضا أن يبحث عن

٩ — Diodorus Siculus, IV 44. 7 ; Sophocles, Ajax, 172 ; Pausanias, I, 23, 9 ; Servius on Vergil's Aeneid II, 116 ; Valerius Flaccus, VIII, 208; Ovid, Ibis, 384; Idem, Epistulae Ex Ponto, III, 2, 71.

١٠ — Euripides, Iphigenia Among the Taurians, 784, 1045; Ovid, Epistulae Ex Ponto, III, 2 ; 45 sqq. ; Herodotus, IV, 103; Pausanias, I, 34; Ammianus Marcellinus, XXII, 8, 34.

الربة أرتميس . ثم يحمل تمثالها الخشبى المقدس ويحضره إلى أثينا . لو استطاع أورستيس أن يفعل ذلك ، فسوف تنتهى متاعبه ، وتصفح عنه الآلهة . أطاع الصبى أورستيس أوامر الإله أبوللون . أعد له صديقه المخلص بولاديس سفينة ذات خمسين مجدافا . أبحر الجميع نحو أرض التاوريين . لم يكن يعلم أحد بوجود إيفيجينيا بين التاوريين . إعتقد الجميع أنها ذبحت فوق مذبح الربة أرتميس فى أوليس .

اقتربت سفينة أورستيس من شاطىء التاوريين ، نزل أورستيس وبولاديس إلى الشاطىء فى حماية بعض من رجالها (١١) تاركا بقية الرجال يحرسون السفينة . لجأ إلى كهف على شاطىء البحر . إختفيا داخل الكهف . قررا البقاء حتى يرخى الليل أستاره فيبحثان عن معبد الربة دون أن يراهما أحد . فجأة سمعا ضوضاء وضجيجا . تقدم نحو الكهف مجموعة من الرعاة . سجدوا . قدموا الصلوات والتوسلات . لقد اعتقد هؤلاء الرعاة أن ساكنى الكهف ليس إلا إلهين هبطا من السماء . فجأة ، أصابت نوبة من الجنون عقل أورستيس . خار مثلما يخور الثور . نبح مثلما ينبح الكلب . إستل سيفه وخرج من الكهف . هاجم قطيعا من الثيران . حسبها ربات الانتقام اللائى تطاردنه من مكان إلى مكان . أفاق الرعاة من غفوتهم . أدركوا أنهم كانوا مخدوعين . اكتشفوا أنهم أمام اثنين من البشر الغرباء . أبلغوا الأمر إلى الملك ثوآس . أمر الملك بإرسالهم إلى معبد الربة آرتميس . سوف يقدم الغريبان قربانا للربة العذراء . سوف تشرف على ذلك الاحتفال الدينى الكاهنة الكبرى العذراء إيفيجينيا (١٢) .

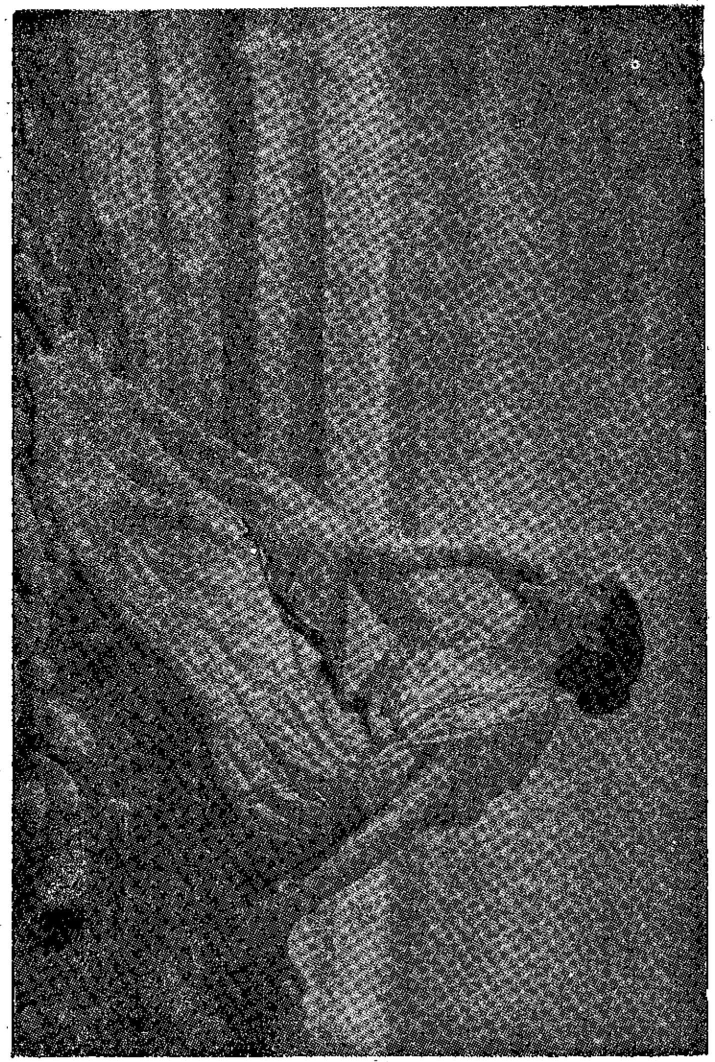
وقف أورستيس وجها لوجه أمام شقيقته إيفيجينيا ، كان أورستيس يعلم أن شقيقته الكبرى إيفيجينيا قد ماتت فى أوليس . كانت إيفيجينيا قد تعلم أن لها شقيقاً أصغر تركته طفلا رضيعا فى موكيناى قبل أن تذهب والدتها كلوتمنسترا إلى أوليس . لكن ، لم يكن يخطر ببال كل منهما أنه

١١ — Hamilton, Op. Cit. pp. 250 — 53.

١٢ — Hyginus, fabula 120 ; Apollodorus, Op. Cit., VI, 27.

يقف أمام شقيقه . لم يكن أورستيس – الضحية – يعلم أنه يقف أمام شقيقته إيفيجينيا . لم تكن الكاهنة الكبرى – إيفيجينيا – تعلم أنها سوف تذبح شقيقها أورستيس . لم يتعرف كل منهما على الآخر . وبدأت مراسم التضحية . بدأ خدم المعبد يزينون رأسى أورستيس وصاحبه بولاديس بالأكاليل . ثم بدأت إيفيجينيا تتلو فى هدوء الصلوات والدعوات وهى تمسك السيف المسلول فى يدها . أخفى أورستيس وجهه . استعد للموت . رفعت إيفيجينيا السيف إلى أعلى وبدأت تهوى به على رقبة الضحية .. أثناء اللحظات القليلة الباقية ، كان على الكاهنة أن تسأل الغريب بعض الأسئلة . سألته والسيف يتجه فى بطء نحو رقبته . أجابها على أسئلتها فى نبرات مرتعشة . فجأة ، تجمدت أطراف إيفيجينيا . توقفت حركة السيف . وصلت إلى أذنى إيفيجينيا كلمات إغريقية . لقد نطق الغريب بلغة الإغريق . إنه – إذن – إغريقى .

أحست إيفجينيا بحنين شديد نحو وطنها . سألت الغريب عن اسمه . اكتشفت الحقيقة التى لم تكن تعرفها منذ اللحظات . أخذ كل منهما يذكر الآخر بما يعرفه عنه . فجأة صاحت الكاهنة الكبرى . أمرت جميع الحاضرين أن يغادروا الساحة المقدسة . أطاع الجميع أوامرها . لم يكن أحد منهم يفهم اللغة الإغريقية . أخبر أورستيس شقيقته بسبب حضوره إلى أرض التاورين . شرحت إيفيجينيا لشقيقها كيف وصلت إلى هذا المركز العظيم . حملت التمثال الخشبى المقدس . همت باعطائه إلى أورستيس ، وهى تشير عليه بالرحيل . فى تلك اللحظة دخل الملك ثوآس . لم ترتبك إيفيجينيا . بل تظاهرت بأنها تقدم الصلوات إلى تمثال الربة آرتميس . أخبرت الملك ثوآس أن الربة آرتميس غاضبة غضبا شديدا . لقد اتضح أن الضحية الأولى شاب قتل والدته والثانية شاب عاونه على ذلك . كلاهما نجس لاتقبله الربة قربانا على مذبحها . يجب أن يتطهر كل منهما من الرجس الذى أتاه . يجب أيضا أن يطهر التمثال المقدس الذى دنس بواسطة نظرات هذين الشابين النجسين . عليها أن تذهب الآن إلى



شكل (١٨)
إيفيجينيا على شاطئ البحر

شاطىء البحر من أجل تطهير الشابين والتمثال . على الملك ثوآس أن يبقى فى المعبد بعد رحيلها إلى شاطىء البحر . عليه أن يطهر المعبد بألسنة اللهب حتى يذهب عنه ذلك الرجس العظيم . على أفراد المدينة أن يدخلوا مساكنهم وأن يغضوا أبصارهم وأن يفسحوا الطريق أمام هذين النجسين حتى لا ينتقل الرجس إلى أفراد الشعب .

كان ثوآس يثق فى إيفيجينيا ثقة تامة . لم يكن أحد من التاوريين يشك فى نوايا الكاهنة الكبرى . فعل الجميع كما أمرتهم إيفيجينيا . إتجهت نحو الشاطىء حيث تنتظر السفينة ذات الخمسين مجدافا . حملت معها التمثال الخشبى المقدس . إصطحبت معها الغريبين أورستيس وبولاديس . لم يكن يرافقها سوى عدد ضئيل من خدم المعبد . وصل الموكب إلى الشاطىء . إتجهت إيفيجينيا مباشرة نحو السفينة . إعتلى أورستيس وإيفيجينيا وبولاديس ظهر السفينة ومعهم التمثال المقدس ، اكتشف خدم المعبد الحيلة . حاولوا منعهم من الرحيل . تغلب رجال أورستيس على خدم المعبد . فر بعضهم نحو المعبد . وصلت أنباء الخيانة إلى الملك ثوآس . جمع رجاله ومحاربيه . إتجه نحو الشاطىء . إستولى عليه الغضب وهو ينظر إلى السفينة التى كانت تبتعد فى سرعة هائلة عن الشاطىء . أمر رجاله باعداد أسطول ضخم من السفن السريعة ليلحق بسفينة الغريب . ثم وقف على الشاطىء ينتظر تنفيذ أوامره .

كان البحر هادئا ، والرياح مواتية ، وسفينة الغريب تشق الماء فى خفة ورشاقة . فجأة ، هبت رياح عاصفة معاكسة ، علت الأمواج هادرة مزمجرة . هاج البحر واشتد هياجه . تهادت السفينة فى مشيتها. أخذت الأمواج تقذف بها نحو الشاطىء . ظلت السفينة تقترب شيئا فشيئا نحو رمال الشاطىء . هلل الملك ثوآس . أمر رجاله بالاستعداد للقبض على الغريب المغامر . وقع أورستيس مرة أخرى فى قبضة رجال الملك ثوآس. أصدر الملك أوامره . يجب أن يقبض على الكاهنة الخائنة . أن يذوق الجميع الموت جزاء جرأتهم وخيانتهم . أصبح الجميع قريبين

من الموت قاب قوسين أو أدنى . أصبحت ذرية أجاممنون بن أتريوس على وشك الزوال .

لم تستطع الآلهة أن تترك أورستيس ليقع فريسة سهلة فى قبضة الملك ثوآس. لم ترض أن تواجه إيفيجينيا ذلك المصير المؤلم بعد أن ضربت مثلا رائعا للتضحية والفداء فى أوليس . تدخلت الربة أثينة . تجلت فى هيئتها الربانية إلى الملك ثوآس . طلبت منه أن يسمح لإيفيجينيا بالرحيل . أمرته أن يتركها وشأنها . سوف تحمل إيفيجينيا التمثال الخشبى المقدس . إنه تعويذة . سوف تعيد السعادة والخير إلى ذرية أجاممنون بن أتريوس . سوف يصبح أورستيس وبولاديس أحرارا . سوف يرافق الشقيق شقيقته بعد فراق دام سنوات طويلة . سوف يلتئم شمل الأسرة . سوف يعود ثوآس إلى المعبد ليبحث عن كاهنة أخرى تقدم الضحايا البشرية على مذبح الربة العذراء . سوف يتم كل ذلك تنفيذا لأوامر الربة أثينة . (١٣)

إستمع ثوآس إلى الربة أثينة فى خشوع وخضوع . خضع على الفور لرغبتها ، نفذ مشيئتها ، زود سفينة أورستيس بالزاد والعتاد . صاحبته وشقيقته وصديقه حتى اعتلوا ظهر السفينة . سمح لوصيفات إيفيجينيا الاغريقيات أن يرحلن أيضا . ساعد إله البحر بوسيدون السفينة على السير وسط البحر . وصلت فى سلام إلى ميناء براورون . هبطت إيفيجينيا هناك ، أودعت التمثال الخشبى المقدس فى مكان آمن . أقيم معبد الربة أرتميس فوق ذلك المكان . انتقلت بعد ذلك مع شقيقها أورستيس إلى دلفى . هناك ، قابلت شقيقتها الكترا . ثم عاد الجميع إلى أثينا .

تلك هى أسطورة إيفيجينيا ، العذراء التى ضربت مثالا رائعا فى التضحية والفداء . تناول الأسطورة جميع الكتاب القدامى والمحدثين والمعاصرين . إنتشرت قصتها فى كل عصر وكل أوان . اختلفت

١٣ - Ovid, Loc. Cit.; Hyginus, fabula 120 and 121; Euripides, Iphigenia Among The Taurians, 1037 sqq., 1435 sqq.

تفاصيل الأسطورة اختلافا كبيرا من كاتب إلى كاتب . تعددت الروايات واختلفت الأقوال . وليس من السهل ترجيح رواية على أخرى . حتى نسب إيفيجينيا أيضا يكتنفه الغموض . تقول بعض الروايات إنها لم تكن ابنة أجاممنون وكلوتمنسترا ، بل كانت ابنة الفاتنة هيلينا أنجبتها من البطل ثسيوس (١٤) . فلم تكن إيفيجينيا بالنسبة إلى كلوتمنسترا سوى ابنة متبناه . قيل أيضا إن هيلينا ومنيلاووس ذهبا إلى أرض التاوريين (١٥) ، وقابلا إيفيجينيا هناك . وقيل أيضا إن الملك ثوآس لقى حتفه فى جزيرة سمنثوس بعد قتال مرير دار بينه وبين أورستيس الذى دافع عنه حاكم الجزيرة . قيل أيضا إن إيفيجينيا ليست سوى الربة أرتميس نفسها (١٦) .

تعددت الروايات ، إختلفت الأقوال . لكن إيفيجينيا مازالت حتى الآن رمزا للتضحية والفداء . مازالت إيفيجينيا رمزا للمواطن الصالح الذى يهب حياته طائعا مختارا فداء للوطن الكبير . مازالت إيفيجينيا رمزا للثواب العادل الذى يلقاه كل مواطن مخلص لوطنه . بالإضافه إلى ذلك ، فإن قصة نجاة إيفيجينيا واستبدالها بضحية غير بشرية لافتة للنظر ولاتحتاج إلى تعليق .

تلك هى أسطورة إيفيجينيا ابنة جاممنون ، شقيقة أورستيس . إيفيجينيا التى ولدت عذراء ، وقضت حياتها عذراء ، وتفانت فى خدمة ربة عذراء ، ثم فارقت الحياة ولم تزل عذراء .

* * *

١٤ – راجع حاشية رقم ٤ ص ٣٠٩ أعلاه .

١٥ – Photius, 479.

١٦ – Graves, Op. Cit., pp. 75 — 6.

أورستيس

تقابلت الشقيقتان فى معبد الإله أبوللون بدلفى . لم تكن تعلم إيفيجينيا بما يدور فى خلد الكترا . كانت الكترا حاقدة ، ساخطة ، ثائرة ، مزمجرة . أسرعت نحو من اعتقدت أنها قد قتلت أخاها . أمسكت بشعلة متوهجة . ظلت تطوح بها فى وجه إيفيجينيا . أخذت تقرب اللهب من وجه الشقيقة العائدة . اقتربت ألسنة اللهب من عينيها . أصبحت إيفيجينيا على وشك أن تفقد بصرها . أذهلتها المفاجأة . لم تستطع الدفاع عن نفسها . عندئذ دخل أورستيس المعبد . هاله ذلك المشهد العجيب . أذهله لقاء الشقيقتين . صاح أورستيس فى الكترا محذرا . احتضن إيفيجينيا بين ذراعيه . تراجعت الكترا فى الحال ، علمت الكترا بالحقيقة المذهلة . اجتمع شمل الإخوة بعد طول فراق ، أحسوا بالراحة والسعادة بعد طول عذاب وشقاء .

أورستيس

أورستيس ابن القائد الظافر أجاممنون ، شقيق الوفية المخلصة الكترا ، شقيق العذراء البريئة إيفيجينيا . نشأ أورستيس فى كنف جده لوالدته تونداريوس وجدته ليدا . كانا يحبانه حبا منقطع النظير . كانت والدته كلوتمنسترا تحبه أيضا . لا تطيق فراقه ، ولا تحتمل البعد عنه . اصطحبته معها إلى أوليس (١) . كانت تعتقد أن ابنتها إيفيجينيا سوف تتزوج من ملك الملوك أخيليوس (٢) . لم تستطع أن تترك ولدها الصغير فى أرجوس . شاءت أن لاتفوته رؤية شقيقته وهى فى ثوب الزفاف .

عادت كلوتمنسترا من أوليس تحمل أورستيس . عادت بعد أن فقدت ابنتها إيفيجينيا . عادت فى الوقت الذى غادر فيه زوجها أجاممنون أوليس متجها إلى طروادة . ظلت كلوتمنسترا عشر سنوات تنتظر عودة زوجها أجاممنون . ثم عاد . ثم لقى حتفه على يد زوجته بمساعدة عشيقها أيجيسثوس (٣) . مات أجاممنون . لكن شاءت الأقدار أن يحيا ولده أورستيس . اختلفت الروايات حول كيفية إنقاذه .

قيل إن كلوتمنسترا أبعدت ولدها أورستيس عن أرجوس قبل

---

١ – Euripides, Orestes, 462 ; Idem, Iphigenia In Aulis, 622.

٢ – راجع ص ٣٣٩ – ٣٤٠ أعلاه .

٣ – راجع ص ٣١٤ أعلاه .

عودة أجاممنون ، أرسلته إلى فوكيس . أرادت له الحياة بينما أرادت لوالده الموت .

قيل إن أورستيس كان قد بلغ العاشرة من عمره عندما عاد أجاممنون . أنقذته مربيته الطيبة الرحيمة . أنقذته ليلة مقتل والده . وضعت ولدها الصغير فى مهد أورستيس . حسبه أجيسثوس ضالته المنشودة . قضى عليه ظنا منه أنه قد قضى على أورستيس . اختلفت الروايات حول تسمية هذه المربية المخلصة . قيل إن اسمها أريسينوى ، لاؤداميا ، أو جيليسا (٤) .

قيل إن الكترا هى التى أنقذت شقيقها أورستيس . أنقذته ليلة مصرع والده أجاممنون . ساعدها فى ذلك المربى العجوز الذى ربى والدها أجاممنون . لفه فى رداء مطرز عليه منظر حيوانات مفترسة . طرزته الكترا بيدها . حمله خلسة إلى خارج أرجوس (٥) . ظل المربى العجوز مختبئا وسط المراعى . قضى فترة من الزمن يرعى الطفل أورستيس فى المنطقة الواقعة على ضفاف نهر تانوس . يفصل مجرى ذلك النهر بين منطقة أرجوليس ولاكونيا . شق المربى العجوز طريقه عبر نهر تانوس . وصل إلى بلاط الملك ستروفيوس (٦) . كان ستروفيوس حاكما على مملكة كريسا الواقعة عند سفح جبل بارناسوس . كان ستروفيوس حليفا صديقا لأسرة أتريوس . كان زوجا لشقيقة أجاممنون . قضى أورستيس سنوات صباه وشبابه فى مملكة كريسا . قضاها فى كنف ستروفيوس . هناك قابل شابا مغامرا يصغره بقليل . قابل بولاديس

٤ – Aeschylus, Agamemnon, 877 sqq. ; Idem, Choephoroe, 732; Euripides, Electra; 14 sqq. ; Pindar ; Pythian Odes, XI, 17 with Scholiast.

٥ – Apollodorus, Epitome, VI,24; Euripides, Op. Cit., 15 sqq. and 542 sqq; Aeschylus, Choephoroe, 232.

٦ – Euripides, Op. Cit., 409-12; Sophocles, Electra, 11 sqq; Pindar, Phythian Odes, XI, 34-6.

ابن ستروفيوس . نشأت صداقة وطيدة بينهما . أصبحت صداقتهما مضرب الأمثال (٧) .

قضى أورستيس سنوات صباه وشبابه صديقاً لبولاديس . قضاها فى كنف ستروفيوس . نشأ فى رعاية المربى العجوز . شرح له المربى كيف قتل والده أجاممنون غدرا . وصف له كيف ألقى جسد والده خارج القصر . كيف دفن جثمانه دون مراسم الجنازة التى تليق به . كيف منع أهل موكيناى من المشاركة فى دفن الجثمان (٨) . كيف عاش — ومـا زال يعيش — أهل موكيناى فى رعب وفـزع تحت وطأة الظالم أجيستوس ، كيف تتحدى كلوتمنسترا رغبات أهل القصر الملكى (٩) . رضع أورستيس — منذ طفولته — الكراهية نحو والدته كلوتمنسترا . تشبعت روحه بالبغض نحو قاتل والده . إزداد مع مرور السنوات تصميمه على الانتقام . ثم عاد أخيرا إلى وطنه موكيناى (١٠) . عاد ليلتقى بشقيقته الكترا ، التى ظلت تنتظر عودته عاما بعد عام . عاد لينتقم لوالده من والدته وعشيقها . وكان له ما أراد . قتل والدته كلوتمنسترا . وقتل عشيقها أجيسثوس . ساعدته فى ذلك شقيقته الكترا وصديقه المخلص بولاديس . شجعته مشيئة كبير الآلهة زيوس ووعود الإله أبو للون (١١) .

لم يرض أهل موكيناى بدفن كلوتمنسترا وأجسثوس داخل نطاق المدينة . صمموا على أن يكون قبرهما خارج الأسوار (١٢) . رضخ

٧ – Hyginus, fabula 117; Euripides, Iphigenia Among The Taurians, 921 ; Apollodorus, Epitome, VI, 24; Ovid, Epistulae Ex Ponto, III, 2, 95-8.

٨ – Euripides, Op. Cit., 289 and 323-5; Aeschylus, Choephoroe, 431.

٩ – Graves, Op. Cit., pp. 56-7.

١٠ – Hamilton, Op. Cit., p. 244.

١١ – راجع ص ٣٣٢ أعلاه .

١٢ – Pausanias, II, 16, 5.

أورستيس لمطلب أهل مملكته . قضى الليل ساهرا بجوار جثتى كلوتمنسترا وأيجيستوس . خشى أن يسرقها شخص ما . قضى أورستيس الليل بجوار شقيقته الوفية الكترا وصديقه المخلص بولاديس . رفض كل منهما أن يتخلى عن أووستيس فى محنته . أرخى الليل أستاره . ساد الكون صمت رهيب . بقيت عيون الجميع ساهرة لاتذوق طعم النوم . فجأة ظهرت أمام عينى أورستيس مخلوقات رهيبة . ظهرت أمام عينيه الإيرينيات . الإيرينيات مخلوقات ذوات منظر مخيف . شعورهن حيات سامة . رءوسهن رؤوس كلاب . أجنحتهن أجنحة وطاويط . ظهرت الإيرينيات أمام عينيه يلوحن بسياطهن اللاسعة . إنهن ربات العقاب . أتين لمعاقبة أورستيس لما ارتكبه من جريمة شنعاء . حاول أورستيس الدفاع عن نفسه . كان الإله أبوللون قد منحه قوسا مصنوعا من قرن حيوان . أخبره الإله أن ذلك القوس قادر على صد عدوان الإيرينيات . استخدم أورستيس القوس. ارتدت الإيرينيات نحو الخلف . لكنهن سرعان ماتقدمن نحوه فى شراسة ووحشية . طفق يستخدم القوس من جديد . اكتشف أن القوس غير قادر على صد هجومهن . ألقى القوس من يده . استسلم لشراستهن ووحشيتهن .

وقع أورستيس فريسة للإيرينيات . أصابته نوبة من الصرع والجنون . أصبح طريح الفراش . ظل يهذى مثلما يهذى المجانين . ينبح مثلما تنبح الكلاب. يعوى مثلما تعوى الذئاب . ظل ستة أيام طريح الفراش . يغطى وجهه . لايرى أحدا . لايذوق الطعام . لايقرب الماء . رفض بولاديس المخلص أن يفارقه لحظة واحدة . ظلت الكترا الوفية تلازمه طول الوقت .

وصل من اسبرطة توندا ريوس العجوز . أقام دعوى ضد أورستيس . اتهمه بقتل والدته . جمع وجهاء موكيناى ونبلاءها . استعدت موكيناى بأكملها لمحاكمة أورستيس . ظل أورستيس فترة طويلة ينتظر موعد المحاكمة . أثناء فترة الانتظار قاسى أورستيس والكترا العذاب المرير . منع الاثنان من أن يتحدث إليهما أحد، أو أن يقدم أحد لها المأوى أو الماء أو الطعام . كان كل شيء ممنوعا بالنسبة لها . لم يكن يستطيع أحد منها حتى

أن يغسل يديه . هكذا ظل أورستيس حائرا لايلوى على شيء . ظلت يداه ملطختين بدماء والدته . ظل مهددا بالقتل . محروما من أن ينظر إلى أحد ، أو أن يتحدث إليه أحد (١٣) .

عاد من طروادة شقيق أجاممنون منيلاووس . وصلت إلى علمه أنباء مقتل كلوتمنسترا ، زوجة أخيه أجاممنون وشقيقة زوجته هيلينا. أرسل زوجته هيلينا لتتأكد من صحة الأنباء . ذهبت هيلينا فى الخفاء خوفا من ثورة أهل موكيناى . كانت تخشى أقرباء الإغريق الذين لقوا حتفهم أثناء الحرب الطروادية. فقد كانت هيلينا سبب تلك الحرب الطاحنة . أرادت هيلينا أن تزور قبر كلوتمنسترا وأن تقدم القرابين إرضاء لروحها . خشيت عاقبة تلك المغامرة . طلبت من الكترا أن تقوم بالمهمة نيابة عنها . رفضت الكترا . فضلت البقاء بجوار شقيقها فى محنته . أرسلت هيلينا ابنتها هرميونى بدلا منها (١٤) .

وصل منيلاووس إلى قصر أجاممنون . هناك قابل توندا ريوس العجوز . لم يحاول منيلاووس أن يثنى توندا ريوس عن عزمه . لم يدافع عن أورستيس ابن شقيقه أجامنمون . لم يدافع عن أورستيس الذى انتقم لوالده . لم يكن والد أورستيس سوى شقيق منيلاووس . مع ذلك رضخ منيلاووس لرغبة توندا ريوس . لم يقف بجانب أورستيس. اجتمع وجهاء موكيناى ونبلاؤها. اجتمعوا فى هيئة قضاة لمحاكمة أورستيس وشقيقته الكترا . صدر الحكم ضدهما بالإعدام . استمات أورستيس فى الدفاع عن نفسه . حاول جاهدا من أجل تبرير فعلته (١٥) . تحدث بلباقة وطلاقة . كان على وشك التأثير على هيئة التحكيم . لكن توندا ريوس العجوز المهاب كان أكثر تأثيرا على هيئة التحكيم من الفتى أورستيس . فى النهاية ، اختارت هيئة التحكيم

١٣ - Euripides, Orestes, 36 sqq. and many other sources.

١٤ - Homer, Odyssey, III, 306 sqq.; Apollodorus, Epitome, III, 3; Euripides, Op. Cit., 780 sqq.

١٥ - Graves, Op. Cit., pp. 64-66.

أسهل طريقة للإعدام. سوف يزهق كل من أورستيس والكترا روحه بيده. سوف ينتحر كل منهما . بذلك يكون الموت نصيبهما ، وهيئة التحكيم بريئة من دمهما . ثار بولاديس . إحتج . إصطدمت ثورته واحتجاجه باصرار أعضاء هيئة التحكيم . قرر أن يربط مصيره بمصير أورستيس والكترا . قرر أن ينتحر (١٦) .

غادر أورستيس وبولاديس والكترا قاعة المحكمة . ساروا فى طريقهم خارج المدينة . استعد كل منهم ليزهق روحه بيده . فجأة طرأت فكرة جريئة فى خاطر بولاديس . قرر أن يعاقب منيلاووس على جبنه ونذالته. قرر أن يقتل زوجته هيلينا، سبب كل الكوارث التى حلت ببلاد الإغريق. بدأ الثلاثة فى تنفيذ الخطة الجريئة على الفور . إختبأت الكترا خارج أسوار موكيناى . انتظرت عودة هرميونى من قبر كلوتمنسترا . كانت تنوى احتجازها رهينة كى تأمن جانب مينلاووس . دخل أورستيس وبولاديس إلى قصر الملك الراحل أجاممنون . لجآ إلى المحراب المقدس . تظاهرا بأنهما لاجئين يريدان الحماية . كانا يخفيان سيفهما تحت ملابسهما . اقتربت هيلينا منهما . حاولت أن تواسيهما . هاجمها أورستيس . بينما هاجم بولاديس حراسها المسلحين . كان أورستيس على وشك أن يجهز عليها . تدخل الإله أبوللون فى اللحظة الأخيرة . لفها فى سحابة داكنة ، صعد بها إلى السماء حيث اختفت عن الأنظار .

فشل أورستيس فى إنجاز مهمته . نجحت الكترا . لم يستطع أورستيس القضاء على هيلينا. إستطاعت الكترا القبض على هرميونى. قادتها إلى داخل القصر . أغلقت أبواب القصر بالمزاليج . أصبحت هرميونى تحت رحمة أورستيس . هدد بقتلها ، بإشعال النار فى القصر ، ثم بالانتحار فى آخر المطاف . تدخل الإله أبو للون فى اللحظة الأخيرة ، أنتزع الشعلة المتوهجة من يد أورستيس . أصدر أوامره إلى رجال منيلاووس بالكف عن القتال . ثم وزع الإله أوامره يميناً ويسارا . على منيلاووس أن يبحث عن زوجة

١٦ - Euripides, Op. Cit., 810 sqq.

أخرى بدلا من هيلينا . عليه أن يزوج ابنته هرميونى إلى أورستيس . عليه أن يعود إلى اسبرطة حاكما كما كان من قبل . عليه أن لا يهتم بمقتل كلوتمنسترا . ولسوف تتولى الآلهة الحكم فى هذا الموضوع .

إستعاد أورستيس هدوءه . شعر بشىء من الطمأنينة . وضع أكاليل الغار حول رقبته . أحاط صدغيه بالأغصان والزهور . غادر موكيناى . إتجه نحو دلفى . وصل إلى معبد الإله أبو للون . لجأ إلى محرابه المقدس . سجد ضارعا مستجيرا . طلب الحماية من الإله . ظلت الإيرينيات تطاردنه حيثما حل وأينما سار . إستولى الذعر على كاهنة أبوللون . لم تر قبل ذلك مستجيرا ، ضارعا ، ملطخة يداه بالدماء ، مطـاردا من الإيرينيات . لم تر قبل ذلك منظرا مروعا مثل منظر أورستيس . حاولت الكاهنة أن تصرف أورستيس . أرادت أن تبعده عن المحراب المقدس . تدخل الإله أبو للون . أكد رغبته فى الدفاع عن أورستيس . كشف عن مستقبله وأيامه المقبلة . على أورستيس أن يتحمل الأيام الصعبة التى سوف يمر بها . عليه أن يقاوم العقبات التى سوف تقابله . عليه أن يقضى فترة وجيزة فى المنفى . ثم عليه أن يذهب إلى أثينا . هناك عليه أن يحتضن تمثال الربة أثينة العتيق . ولسوف تحميه الربة أثينة . وتبعد عنه الشرور . واسوف تنتهى اللعنة التى توارثها أورستيس عن أجداده جيلا بعد جيل . (١٧) .

هدأت الإيرينيات . أدركهن التعب من جراء مطاردتهن لأورستيس . إستولى عليهن النعاس . أغمضن عيونهن . رحن فى سبات عميق . عاد الهدوء من جديد إلى نفس أورستيس. بدأ يواصل السير فى طريقه المرسوم . بدأ رحلته إلى مدينة أثينا تحت قيادة رسول الآلهة هرميس . ترك وراءه الإيرينيات وقد استولى عليهن النعاس . لكن شبح كلوتمنسترا لم يكن يهدأ أو يحس بالراحة . كان يطالب بالانتقام من أورستيس . هب شبح

١٧ - Hyginus, fabula 120; Aeschylus, choephoroe, 1034 sqq; Idem, Eumenides, 34 sqq., 64 sqq., 166-7; Euripides, Electra, 1254-7.

كلوتمنسترا ثائرا . صاح فى الإيرينيات النائمات مزمجرا . ذكرهن بواجبهن. إن واجبهن هو الانتقام والعقاب . كم قدمت إليهن كلوتمنسترا القرابين السائلة وأقامت الولائم تكريما لهن ؟ عليهن الآن أن يطاردن أورستيس المجرم . هكذا صاح شبح كلوتمنسترا فى آذان الإيرينيات ، عندئذ ، صحت الإيرينيات من النوم . هبت ربات الانتقام مذعورات . طفقن يطاردن الفتى أورستيس من جديد غير آبهات بتهديدات الإله أبوللون (١٨).

استمر تجوال الفتى أورستيس عاما كاملا . ظل يتجول من مكان إلى مكان . يضرب على غير هدى فى جميع الاتجاهات . يصعد الجبال ويهبط الوديان . يركب البحار ويعبر الأنهار . لم تفارقه الإيرينيات لحظة واحدة . فى كل مكان ذهب إليه كان أورستيس يتطهر بدماء الخنازير والمياه الجارية . فى كل بقعة وصل إليها كان يقدم القرابين ويسأل الآلهة أن تحميه وترعاه . كان رسول الآلهة هرميس يصاحبه فى تجواله . لم يتركه لحظة واحدة . كان أبوللون يرعاه فى كل تحركاته . لم يتخل عنه أو يتجاهل متاعبه (١٩) . ذهب أورستيس إلى ترويزين ، إلى جزيرة كواناى ، إلى ريجيوم ، إلى أوزونتيس . إلى ميجالو بوليس . إلى ميسينى . ثم ذهب أيضا إلى بلاد الأزانيس والأركاديين حيث قضى فترة من الزمان . وربما ذهب أيضا إلى إبيروس (٢٠) .

إنتهى عام كامل . قضاه أورستيس طريدا شريدا . فى نهاية العام وصل الفتى الطريد إلى مدينة أثينا . كان يحكمها فى ذلك الوقت أحد أقربائه يدعى بانديون . إتجه أورستيس مباشرة نحو معبد الربة أثينة فوق قمة الأكروبوليس . جلس أورستيس بالقرب من المحراب المقدس . احتضن

١٨ – Aeschylus, Eumenides, 94 sqq., 106-9, 179 sqq.

١٩ – Scholiast on Euripides' Orestes, 1645; Aeschylus, Eumenides, 235 sqq., 445 sqq.; Pausanias, II, 31, 7 and 11.

٢٠ – Euripides, Orestes, 1645-7; Idem, Electra, 1254 sqq.; Pausanias, VIII, 3, 1; Strabo, VII, 7, 8.

تمثال الربة العتيق . نظر حوله . لم يجد الإيرينيات . عاد إليه الهدوء من جديد . سجد ضارعا مستجيرا . طلب العفو من الربة العذراء ، قابله الأثينيون بجفاء . لم يرحبوا به . لم يتحدث إليه أحد . أغلقوا الأبواب فى وجهه . نظروا إليه نظرتهم إلى طريد العدالة . إلى شخص مكروه لدى الآلهة . أثينيون قليلون أشفقوا عليه ، دعوه إلى منازلهم . قدموا له الطعام والشراب . لكنهم كانوا يعدون له مائدة خاصة به لايشاركونه إياها ، ويخصصون له كأسا يشرب فيه النبيذ وحده دون أن يلمسوا إياها (٢١) .

لم ينفد صبر الفتى الطريد أورستيس . لم يتسرب اليأس إلى نفسه الشابة . ظل يتعلق بالأمل . فجأة ، أحس بفحيح الأفاعى يصم أذنيه من جديد . اكتشف أن الإيرينيات قد أدركنه فى أثينا . لقد استطاع أن يفلت من مطاردتهن عندما كان يعبر مضيق الإسثموس . لكنهن أسرعن من خلفه . أتين إليه لاهثات . طفقن يحرضن الأثينيين ضده . إنضم إليهن العجوز تونداريوس . الذى حضر لتوه إلى أثينا . اصطحب معه حفيدته إريجونى — ابنة أجيسثوس من كلوتمنسترا . ازدادت متاعب أورستيس . أظلمت الدنيا فى وجهه . لكن الربة أثينة لم تتركه وحده . دافعت عنه . أصدرت (٢٢) أوامرها إلى أعضاء الأريوباجوس . إنعقد المجلس . عرضت عليه الربة أثينة قضية الفتى أورستيس . مثلت أكبر الإيرينيات سنا جانب الاتهام . مثل الإله أبوللون جانب الدفاع (٢٣) . وجه الاتهام إلى أورستيس تهمة قتل والدته ، إعتبرها جريمة تستحق العقاب . إستمات الدفاع محاولا تبرئة المتهم . ألقى الإله أبوللون خطابا رائعا . ليست الأم سوى التربة

٢١ – Scholiast On Aristophanes' Equites, 95; Aristophanes, Acharnae, 960; Tzetzes, Lycophron, 1374; Aeschylus, Op. Cit., 235 sqq. ; Euripides, Iphigenia Among The Taurians, 947 sqq.

٢٢ – Apollodorus, Epitome, VI, 25; Pausanias, VIII, 34, 2; Aeschylus, Eumenides, 397, 470 sqq; 681 sqq.

٢٣ – Hamilton, Op. Cit., p. 248.

التى يبذر فيها الزارع البذرة . الزارع هو صاحب الأرض . . الزارع هو الذى يختار التربة . . الزارع هو صاحب المحصول ، الزارع هو الأب . الأب هو الذى يمنح اسمه للابن . قتل الأب — إذن جريمة شنعاء . لكن قتل الأم عمل عادى .

انقسم مجلس الأريوياجوس على نفسه . وقف بعض الأعضاء فى صف أورستيس . وقف البعض الآخر ضده . طالبت الربة أثينة بأخذ الأصوات . تساوى عدد الأصوات فى كل من الجانبين . عندئذ ، وضعت أثينة حدا لمتاعب أورستيس . وقفت بجانبه . رجحت كفة أورستيس . حكم المجلس ببراءته . عاد الهدوء إلى نفس أورستيس . رجع إلى أرجوليس فرحا مسرورا . صاحت الإيرينيات فى احتجاج . ذهب احتجاجهن مع الرياح . إنتحرت إريجونى ابنة كلوتمنسترا . لم تعرها الآلهة أى اهتمام (٢٤) .

بدأ أورستيس رحلة العودة إلى وطنه موكيناى . ظن أن متاعبه قد انتهت . حسب أن الربة أثينة قد وضعت حدا قاطعا لعذابه . إعتقد أن الإيرينيات قد ذهبن بلا رجعة . لكنه كان واهما . لم يكن يعرف أن الإيرينيات مازلن مصممات على أداء واجبهن . هددت الإيرينيات بتخريب مدينة أثينا . سوف يجعلن أرضها بورا . سوف تهلكن محاصيلها . سوف تدمرن كل ينابيعها . سوف تنشرن الخراب والدمار فى مدينة أثينا ، المدينة المفضلة لدى الربة أثينة . حاولت الربة أثينة إفساد خطة الإيرينيات . وعدتهن بتقدير الآثينين لهن . ساومتهن لقاء الكف عن مطاردة الفتى أورستيس(٢٥) ، اقتنعت ثلاث منهن فقط . تحولن من ربات الانتقام إلى ربات الرحمة . أما بقية الإيرينيات فقد حاولن اللحاق بالفتى أورستيس(٢٦) .

وقع أورستيس من جديد فريسة للإيرينيات . استبد به اليأس فى هذه

٢٤ — Euripides, Op. Cit., 961 sqq.; Aeschylus, Op. Cit., 574 sqq., 734 sqq., 778 sqq.

٢٥ — Pausanias, I. 28. 5-6; Euripides, Electra, 1272; Aeschylus, Op. Cit., 778-1047; Aristophanes, Equites, 1312.

٢٦ — Graves, Op. Cit., pp. 70-72.

المرة . أسرع إلى نبوءة الإله أبوللون فى دلفى . ألقى بنفسه على أرض المعبد . دعا الإله أن يخلصه من ذلك الرعب القاتل ، أو يخلصه من الحياة ، إستجاب الإله لدعائه ، نصحه بالذهاب إلى أرض التاوريين (٢٧) ، طلب منه أن يحضر تمثال الربة أرتميس العتيق (٢٨) . أسرع أورستيس إلى أرض التاوريين . هناك قابل شقيقته إيفيجينيا ، هناك كاد أورستيس أن يلقى مصرعه على يد شقيقته إيفيجينيا(٢٩) . نجح أورستيس فى الحصول على التمثال العتيق . أسرع عائدا إلى مدينة أثينا . عندئذ ، توقفت الإيرينيات عن مطاردته . كفر أورستيس عما ارتكبه من إثم . رضيت عنه الآلهة ، رحب به البشر فى كل مكان .

واصل أورستيس رحلة العودة . وصل إلى دلفى بمصاحبة شقيقته إيفيجينيا وصديقه المخلص بولاديس . هناك اكتشف حقيقة لم يكن يعرفها من قبل . اكتشف أن اسمه فى سجل الأموات . نشر بعض المغرضين فى موكيناى إشاعة مؤاداها أن أورستيس وبولاديس قد لقيا حتفهما على مذبح الربة أرتميس الخرسونية . كانت الكترا تنتظر فى موكيناى عودة شقيقها أورستيس . هناك وصلتها الأنباء الزائفة عن موت أورستيس . استولى عليها الذعر والفزع . ساد الهرج والمرج جميع أنحاء موكيناى . انتهز أليتيس ابن أيجيسثوس من كلوتمنسترا الفرصة . استولى على العرش . أسرعت الكترا إلى دلفى تسأل عن مصير أورستيس . أراد المغرضون تأكيد صحة الأنباء الخاصة بموت أورستيس . انتهزوا فرصة وصول إيفيجينيا إلى دلفى . أشاعوا أنها هى التى قتلت أورستيس على مذبح الربة أرتميس فى الخرسونيس . لم تكن الكترا قادرة على التعرف على شقيقتها إيفيجينيا . فلقد افترقت كل منها عن الأخرى منذ نعومة أظفارها . لم يكن

٢٧ — Hamilton, Op. Cit., p. 250.

٢٨ — Apollodorus, Epitome, VI, 26; Euripides, Iphigenia Among The Tourians, 77, 970 sqq.; Hyginus, fabula 120.

٢٩ — راجع ص ٣٤٦ أعلاه .

يخطر ببالها أن شقيقتها ما زالت على قيد الحياة . فلقد كانت تعرف جيدا أنها قد لقيت حتفها منذ طفولتها على مذبح الربة أرتميس فى أوليس .

تقابلت الشقيقتان فى معبد الإله أبوللون بدلفى . لم تكن تعلم إيفيجينيا بما يدور فى خلد الكترا . أسرعت نحو من اعتقدت أنها قتلت أخاها .. أمسكت بشعلة متوهجة . ظلت تطوح بها فى وجه إيفيجينيا . أخذت تقرب اللهب من وجه الشقيقة العائدة . إقتربت ألسنة اللهب من عينيها . أصبحت إيفيجينيا على وشك أن تفقد بصرها . أذهلتها المفاجأة . لم تستطع الدفاع عن نفسها . عندئذ دخل أورستيس المعبد . هناك هاله ذلك المشهد العجيب . أذهله لقاء الشقيقتين . لم يكن يتوقع مثل ذلك اللقاء الرهيب . صاح أورستيس فى الكترا محذرا . احتضن إيفيجينيا بين ذراعيه . تراجعت الكترا فى الحال . علمت الكترا بالحقيقة المذهلة . اجتمع شمل الإخوة بعد طول فراق . أحسوا بالراحة والسعادة بعد طول عذاب وشقاء . إتجه الجميع نحو موكيناى . قضى أورستيس على الغاصب أليتيس . إستعاد عرش والده أجاممنون . إنتهى الصراع بين أسرة أتريوس وأسرة ثويستيس (٣٠) .

عاش أورستيس فى سعادة وهناء . تزوج من ابنة عمه هرميونى . أنجب منها ولدا أسماه ثيسامينوس . تمتعت موكيناى فى عهده بالطمأنينة والرخاء ، إتسعت رقعة البلاد . إمتد سلطانه ونفوذه إلى بعض البلدان المجاورة . ضم إليه جزءا كبيرا من منطقة أركاديا . أصبح يحكم كل منطقة أرجوس . أخضع أيضا منطقة أخايا . ثم مات عمه منيلاووس الذى كان يحكم اسبرطة . إختاره الاسبرطيون ملكا عليهم .. واصل أورستيس فتوحاته . استمر فى إصلاحاته . كان مثالا للحاكم الصالح ، نزح فى سنوات عمره الأخيرة إلى أركاديا . هناك أدركه الموت وهو فى السبعين من عمره . دفن فى مدينة تيجيا . ثم نقلت رفاته بعد ذلك إلى اسبرطة (٣١) .

تلك هى أسطورة أورستيس . أورستيس الذى كتب عليه أن يرتكب

٣٠ – Hyginus, fabula 122.

٣١ – Graves, Op. Cit., pp. 80-81.

جريمة رغم أنفه . لعنت الآلهة جده الأكبر تانتالوس . ثم ورث اللعنة عنه ولده بلوبس . ثم أورثها بلوبس بدوره إلى ولده أتريوس . ثم ورثها عن أتريوس ولده أجاممنون . ثم أورثها أجاممنون بدوره إلى ولده أورستيس (٣٢)

تلك هى أسطورة أورستيس . الذى ذاق العذاب والشقاء منذ نعومة أظفاره . أورستيس الذى ولد حائرا بين حبه لوالدته وإخلاصه لوالده . أورستيس الذى ظل رمزا لفكرة الثأر فى أبشع صورها . قد يستطيع المرء أن يثأر لأمه . قد يستطيع المرء أن يثأر لأبيه . ولكن .. كيف يستطيع المرء أن يثأر من أمه لأبيه ؟؟؟

٣٢ – راجع : (Rose, Greek Mythology, p. 274) حيث يتبع المؤلف أسرة أتريوس بالترتيب وفى إيجاز شديد ، ويعدد أغلب أفرادها حسب الترتيب الزمنى .

هيراكليس

أخذت الربتان تتجولان فى الحقول المجاورة لأسوار مدينة طيبة . توقفت الربة أثينة فجأة حيث يوجد الطفل ألكيديس . تظاهرت بالدهشة وهى تشير إليه . عبرت عن سخطها على والدة الطفل التى تركته فى العـراء . أثارت الربة أثينة بكلماتها شفقة الربة هيرا . كشفت هيرا على الفور عن صدرها الناصع . أخرجت من بين طيات ثيابها ثديها اللدن . حملت بين يديها الطفل الرضيع . على الفور ، التقط الطفل بفمه حلمة الثدى . امتص فى شراهة وعنف اللبن من ثديها . شعرت هيرا بألم شديد لم تشعر بمثله قط عندما كانت ترضع أطفالها . ألقت بالطفل بعيدا . أدركت على الفور الحيلة التى دبرها زيوس . لكنها قـد منحته الخلود . لم يعد الطفل ألكيديس بشرا بعد . أصبح خالدا . أنجبه زيوس كبير الآلهة . أرضعته هيرا زوجة كبير الآلهة . منذ ذلك الحين ، عرف الطفل باسم هيراكليس أى «مجد هيرا» .

هيراكليس

(١) مولده وشبابه

نشأ خلاف بين الكتريون ملك موكيناى وبتريلاؤس ملك التليبويين. اشتد الخلاف بينهما ، تحول إلى قتال عنيف. قتل أثناء القتال جميع أبناء الكتريون ماعدا ليكومنيوس . قتل أيضا جميع أبناء بتريلاؤس ، ماعدا يوآريس . لم يكن ليكومنيوس قد جاوز سن الطفولة بعد . لذا سلم الكتريون أمور الحكم إلى أمفتريون زوج ابنته ألكمينى . بعد ذلك لقى الكتريون مصرعه على يد أمفتريون (١) . هكذا شاعت الأقدار . وهكذا كان على أمفتريون أن يلقى جزاءه ، خشى أمفتريون عاقبة جرمه . هرب إلى طيبة ، إصطحب زوجته ألكمينى (٢) .

١ — Apollodorus, II. 4, 5-6; Hesiod, Shield of Heracles, 11 sqq.

٢ — روى أسطورة هيراكليس مصادر إغريقية ورومانية متعددة . رواها أوفيديوس ، لكنه — على غير عادته — لم يتناولها بالتفصيل إذا ما قورن عند تناوله للأساطير الأخرى الإغريقية . لم يكن يهتم أوفيديوس بالأعمال البطولية بقدر اهتمامه بالأحداث المثيرة للشفقة . ومما يلفت النظر أن أوفيديوس قد مر مرور الكرام على حادثة قتل هيراكليس لأطفاله (ص ٣٨٦ أدناه) وحادثة إنقاذ ألكستيس من براثن الموت (ص ٤٠٠ أدناه) . ولعلنا نجد سبباً لذلك ، وهو أن أوفيديوس لم يكن يروى بإسهاب ما سبق أن رواه كتاب التراجيديا الاغريق .فلقد تناول الحادثين الشاعر التراجيدى يوريبيديس ، الأولى (قتل الأطفال) فى تراجيديا جنون هيراكليس والثانية (إنقاذ ألكستيس) فى تراجيديا ألكستيس . كما تناول سوفوكليس أيضا قصة موت هيراكليس فى تراجيديا نساء تراخيس . أما قصة الحيتين اللتين قتلهما هيراكليس فى مهده (ص ص ٣٧٦—٣٧٧ أدناه) فقد رواها بالتفصيل=

كانت ألكميني تحب أمفتريون (٣) . كانت تعشقه . لم تكن تطيق البعد عنه . لم تقو على خصام زوجها بسبب قتله لوالدها. لكنها طلبت منه أن يكفر عن جريمته بطريقة غير مباشرة . طلبت منه أن ينتقم لأشقائها الثمانية الذين قتلوا أثناء الحرب بين والدها والملك بتريلاؤس . هددته . لن تعاشره إلا إذا نفذ مطلبها . وعدها أمفتريون بتلبية مطلبها . طلب من كريون ملك طيبة أن يجهز له جيشا لمهاجمة التليبويين . وافق كريون . كان له شرط واحد . على أمفتريون أن يقوم أولا بعمل من أجل مدينة طيبة . كان هناك ثعلب برى متوحش يثير الرعب والفزع بين أهل طيبة . بذل الجميع محاولات شاقة من أجل القضاء على ذلك الثعلب المروع . إجتمع الصيادون من كل صوب . فشلوا فى اصطياده . طلب كريون من أمفتريون أن يخلص البلاد من خطر ذلك الثعلب . إن نجح أمفتريون فى ذلك جهز له كريون جيشا لمهاجمة التليبويين .

طفق أمفتريون على الفور يعدو هنا وهناك . جمع متطوعين من كل مكان . إختار أمهر الصيادين . إستخدم أبرع كلاب الصيد . وعدهم جميعا بنصيب من الأسلاب والغنائم التى سوف يستولى عليها بعد أن يهزم التليبويين . كان من بين هؤلاء الصيادين شاب يدعى كفالوس . جاء من أثينا . كان يمتلك كلبا من كلاب الصيد يدعى لايلابس. كان لايلابس فريدا فى نوعه. منحه الملك مينوس لزوجة كفالوس . كان قادرا على اللحاق بأى حيوان يطلب منه أن يلاحقه . بدأ أمفتريون ورفاقه رحلة الصيد . أطلق كفالوس الكلب لايلابس خلف الثعلب المروع . لاحق الكلب الثعلب . . راوغ الثعلب الكلب . لحق الكلب بالثعلب . تدخل كبير الآلهة زيوس . حول كلا من الثعلب والكلب إلى صنم من الحجر . فقد كفالوس كلبه الفريد . لكن طيبة تخلصت

= كل من بنداروس وثيوكريتوس، أما أبوللودوروس فقد تناول أسطورة هيراكليس كاملة وبالتفصيل. ولعلنا نشير أيضا إلى التراجيديتين اللتين نظمهما الفيلسوف والكاتب التراجيدى الرومانى سينيكا بعنوان هيراكليس المجنون و هيراكليس فوق أويتا ، وإن كانتا لاتقدمان مادة أسطورية يمكن الاعتماد عليها . بالاضافة إلى كل تلك المصادر، فقد تناول الأسطورة عدد لاحصر له من المصادر الأخرى كما يظهر بوضوح فى الحواشى التالية . راجع ايضا:
Hamilton, Mythology, p. 159.

٣ – Rose, Greek Mythology, pp. 205-6.

من شرور الثعلب الشرير . هلل أهل طيبة . أوفى كريون بوعده . جهز لأمفتريون جيشا ضخما . خرج أمفتريون على رأس ذلك الجيش لمحاربة التليبويين والانتقام لأشقاء زوجته الحبيبة ألكميني . إنتهى أمفتريون من مهمته . هزم التليبويين وحلفاءهم التافيين . وزع أراضيهم على أصدقائه وحلفائه . ثم بدأ رحلة العودة إلى طيبة وملاقاة زوجته الحبيبة .

كان كبير الآلهة زيوس معجبا بزوجة أمفتريون ألكميني ، كان يهيم بها عشقا . لكنه كان يكن لها كل تقدير واحترام . لم يكن ينظر إليها نظرته إلى بقية نساء البشر اللاتى عشقهن وضاجعهن سراً دون علم زوجته الشرعية هيرا. كان دائم التودد إليها . كانت دائما تصده فى عفة وكبرياء . كان راغبا فيها ، كانت راغبة عنه . فكر فى اغتصابها ، لم يجد القدرة على ذلك . لم يكن اليأس بقادر على التسرب إلى نفس كبير الآلهة . لم يكن الأمل بقادر على أن يغيب عنه . لم تكن الحيلة تنقصه . كان يراقب حركاتها وسكناتها . كان يتتبع زوجها فى غدواته وروحاته . رآه يستعد للعودة إلى زوجته ظافرا . قرر أن يسبقه إلى هناك . صمم أن ينتهز الفرصة وأن يفوز بمعشوقته ألكميني .

زيوس كبير الآلهة . قادر على كل شىء . يستطيع أن يفعل ما يشاء . تقمص شخصية أمفتريون (٤) . إتخذ هيئته . لبس ملابس تشبه ملابسه تماما . سلك سلوكه . تحدث فى نبراته . طرق باب ألكميني . دخل عليها مرفوع الرأس . مكللا بأكاليل النصر . لم تستطع ألكميني أن تكتشف حيلته . حسبته زوجها أمفتريون . رحبت به . فردت له ذراعيها . احتضنته فى شوق وهيام . طفق يقص عليها روايات تفوق الخيال . شرح لها كيف انتقم لأشقائها الثمانية . ثمانية أشقاء فقدتهم ألكميني . إنتقم أمفتريون لهم جميعاً . كبد العدو خسائر جسيمة . واستولى على أراضيهم . حطم كمائنهم . دمر قلاعهم . سبا نساءهم. يتم أطفالهم . ذبح رجالهم . وزع الأسلاب والغنائم على حلفائه ورفاقه . جاء إليها لاهثا ، يطلب منها الرضا والحب . ليس له مطلب فى الدنيا سوى رضاها. ليس له رغبة فى شىء سوى وفائها وإخلاصها . يكفيه أن يقضى الليل بين

٤ – Hamilton, Op. Cit., p. 161.

أحضانها . لم يكذب كبير الآلهة زيوس . روى كل الصدق . روى كل ما قام به أمفتريون . فلقد كان يراقبه ويلاحظ حركاته وسكناته . كذبة واحدة كذبها زيوس . نسب كل شيء قام به أمفتريون إلى نفسه .

أتقن زيوس دوره تماما . لم تستطع ألكميني أن تكشف حيلته . قضت تلك الليلة فى أحضانه . استمتعت بأحضانه الدافئة . منحته الحب واللذة . أطفأت ظمأه . قضت بين أحضانه ليلة طويلة ، نعم . كانت ليلة طويلة . لم تكن ليلة عادية مثل كل الليالى . . زيوس هو الذى جعلها ليلة طويلة . ولم لا ! ! أليس زيوس قادرا على كل شيء ! ألا يستطيع أن يطيل الليل ويؤجل طلوع الفجر ! لقد فعل ذلك حقا . إن الليلة العادية طولها اثنتا عشرة ساعة . أما تلك الليلة فقد جعل زيوس طولها ستا وثلاثين ساعة . جعلها ثلاث ليال متصلة (٥) . فعل ذلك كى يستمتع بمعشوقته لأطول فترة ممكنة . لم تشعر ألكميني بالملل . استمتعت هى الأخرى بكل لحظة من لحظات تلك الليلة . إنقضت الليلة الطويلة وكأنها ساعة واحدة (٦) .

كيف استطاع زيوس أن يطيل تلك الليلة ! أصدر كبير الآلهة أوامره إلى رسول الآلهة هرميس . ذهب هرميس إلى مقر إله الشمس هليوس . أمره — باسم زيوس — أن يخمد ألسنة اللهب الشمسى . أصدر إله الشمس هليوس بدوره أوامره إلى ربات الساعات — هوراى — أن ترفع النير عن أعناق الخيول التى تجر عربة هليوس الذهبية . سحبت ربات الساعات الخيول إلى حظائرها. تركتها تقضى اليوم التالى داخل الحظيرة. أمر هرميس — باسم زيوس — ربة القمر أن تسير ببطء شديد فى الأفق . أمر أيضا إله النوم أن يسيطر على جميع أفراد البشر حتى لايلاحظ أحد بطء القمر أو تأخر طلوع الشمس . سحر هرميس — باسم زيوس — كل الظواهر الطبيعية كى

٥ — Hesiod, Shield of Heracles, 1-56; Apollodorus, II, 4, 7-8; Hyginus, fabula 28. Pindar, Isthmian Odes, VII, 5.

٦ — Graves, Greek Myths, Vol. II, p. 85 sqq.

يؤجل انتهاء الليل وحلول الفجر (٧) . حدث كل ذلك دون أن تدرى ألكميني . كانت غارقة فى أحضان زوجها العائد . لم يكن يخطر ببالها قط أنها تضاجع كبير الآلهة زيوس . لم يكن يخطر ببالها قط أن زوجها الحبيب أمفتريون يقضى تلك الليلة الطويلة فى العراء فى طريق العودة إليها .

إنقضت الليلة الطويلة . إختفى القمر بعد أن قطع الأفق فى بطء شديد . طلعت الشمس بعد طول غياب . غادر زيوس ألكميني وهو يضحك من الأعماق . استأذنها فى مغادرة القصر ليباشر أمور حياته . إنفردت ألكميني بنفسها تجتر ذكريات الليلة الماضية . تاهت فى غياهب الخيال . فجأة ، عادت إلى الحقيقة المؤلمة . عاد إليها أمفتريون . إرتمى فى أحضانها . طفق يشرح لها كيف انتقم لأشقائها الثمانية . فجأة توقف عن الحديث . طفق يحملق فى وجه ألكميني . لاحظ أنها لاترحب به الترحيب اللائق . لاتحس نحوه بالشوق الذى تحسه زوجة مخلصة نحو زوجها العائد من ميدان القتال . ليست متلهفة لمعرفة كيف انتقم زوجها لأشقائها الثمانية . أراد أن يناقشها فى كل ذلك. تردد . لم يعرف كيف يبدأ . أراحته من التفكير . قطعت عليه تردده . بادرته . أخبرته أنها قد استقبلته بالأمس الاستقبال اللائق . قضت فى أحضانه ليلة كاملة . علمت منه كيف انتقم لأشقائها الثمانية . إنه اليوم يكرر مافعله بالأمس . إنها تنتظر منه ألا يكرر نفسه اليوم .

لم يفهم أمفتريون كلمات ألكميني . بالطبع ، لم يكن من المتوقع أن يفهمها ، لم يكن يخطر بباله قط أن شيئا من ذلك قد يحدث . خرج أمفتريون لايلوى على شيء . إتجه مباشرة إلى المعبد . قصد العراف الضرير تيريسياس . سأله تفسيرا لما سمعه من كلمات مروعة . أخبره العراف الضرير بالحقيقة المروعة . لم يكن أمام أمفتريون سوى أن يقبل الأمر الواقع . لم يكن فى مقدوره أن يتحدى كبير الآلهة زيوس . لم يكن أمام ألكميني سوى أن تقبل الأمر الواقع . لم يكن فى مقدورها أن تتحدى كبير الآلهة زيوس . لم

٧ — Lucian, Dialogues of the Gods, X.

يكن أمام كليهما سوى أن يقبلا الأمر الواقع . لم يرتكب أحد منهما خطيئة يعاقب عليها . لم يكن أمامهما سوى أن يتناسيا ما حدث (٨) .

مرت الليالى . توالت الشهور . مازال زيوس يعيش فى ذكرى تلك الليلة الطويلة . ظل يعد الليالى ليلة بعد ليلة . ظل يحسب الشهور شهرا بعد شهر . لم يبق سوى ليلة واحدة ثم يكتمل الشهر التاسع . فى تلك الليلة وقف زيوس فوق جبل الأولمبوس . قهقه فى كبرياء وخيلاء . أعلن نبأ هاما اهتزت له أركان مملكة الأولمبوس . فى تلك الليلة سوف يولد طفل من أسرة برسيوس . سوف يسود كل الشعوب . سوف يصبح العاهل الأكبر لسلالة برسيوس . لم يكن يخفى شيء على هيرا . فلقد كانت زوجة زيوس الشرعية . ورفيقة حياته . كانت تعرف كل شيء عن سلوك زوجها . كانت تراقبه بوسائلها الخاصة . لكنها كانت تلوذ دائما بالصمت . كانت تعرف كل شيء عن تلك الليلة الطويلة . كانت تعرف أن الكمينى هى ابنة الكتريون . وأن الكتريون هو ابن برسيوس . كانت تعلم أن زوجها زيوس ينتظر فى هذه الليلة مولودا غير شرعى . لكنها لم تكن تتوقع أنه سوف يجعله العاهل الأكبر لأسرة برسيوس . أعلن زيوس النبأ الهام . اكتمل حقد هيرا وغضبها . لكنها كانت معروفة بهدوئها ورزانتها . كانت تعالج الأمور فى هدوء واتزان . تقدمت إلى زيوس فى هدوء ، طلبت منه أن يؤكد النبأ الهام . سألته أن يأخذ على نفسه عهدا بما يقول . سوف يولد فى هذه الليلة طفل من أسرة برسيوس . سوف يصبح هذا الطفل العاهل الأكبر لسلالة برسيوس . هكذا تحدث زيوس . ثم أخذ على نفسه عهدا بتنفيذ ما قال .

انطلقت هيرا مسرعة نحو عالم البشر . ظلت تحلق هنا وهناك . ظلت تتجول فوق ديار أسرة برسيوس ، اكتشفت أن امرأة تدعى مينيبى تحمل بين أحشائها جنينا منذ سبعة أشهر . مينيبى هى زوجة سثنلوس . وسثنلوس هو ابن برسيوس . لو أنجبت مينيبى فى هذه الليلة لأصبح ولدها العاهل

٨ - Hesiod, Loc. Cit.; Tzetzes, Lycophron, 33 and 932; Hyginus, fabula 29; Pindar, Loc., Cit.

الأكبر لأسرة برسيوس . ذلك هو الافتراض الذى افترضته هيرا . والآلهة قادرة دائما على تحويل الفرض إلى واقع . أسرعت هيرا نحو قصر سثنلوس . مارست مهام وظيفتها التى كانت تتقنها جيدا . فلقد كانت هيرا ربة الزواج والإنجاب . ساعدت مينيبى زوجة سثنلوس على أن تضع مولودها فى تلك الليلة . أنجبت مينيبى مولودا ذكرا أسمته يوروسثيوس . تأكدت هيرا أن يوروسثيوس سوف يصبح العاهل الأكبر لأسرة برسيوس (٩) .

لم ينته الأمر عند هذا الحد . قررت هيرا أن تؤجل وضع ألكمينى ابنة الكتريون (١٠) . أرسلت جنية من جنياتها — تدعى إيليثيا — إلى قصر أمفتريون . جلست الجنية إيليثيا على عتبة القصر فى وضع غير عادى . يداها متشابكتان ! ! ساقاها متقاطعتان ، ثيابها مربوطه على شكل عقد متفرقة حول جسدها . جلست فى ذلك الوضع سبع ليال وسبعة أيام . كانت هذه هى الطريقة التى يتبعها السحرة لمنع وقوع أى حدث . ظلت ألكمينى تعانى آلام الوضع سبع ليال وسبعة أيام . كانت تقوم بخدمتها مربية ذكية تدعى جالانتيس لاحظت جالانتيس أن سيدتها ألكمينى واقعة تحت تأثير السحر . حاولت أن تصل إلى مصدر السحر . خرجت تتجول فى ساحات القصر ، فى أبهائه ، فى حجراته ، فوق السطح . لمحت الجنية إيليثيا فى وضعها الغريب . اكتشفت المربية حقيقة الأمر . لم تكن تستطيع المربية جالانتيس أن تعترض طريق الجنية إيليثيا . لم تكن تستطيع أن تفشى السر الخطير إلى أهل المنزل . لم تحتمل أن تترك سيدتها تعانى آلام الوضع إلى مالا نهاية . فجأة طرأت فى ذهنها فكرة رائعة . تجاهلت المربية جالانتيس وجود الجنية إيليثيا . دخلت جالانتيس إلى القصر . ثم خرجت فجأة وهى تصيح فى صوت عال . خرجت تعلن — كذبا — أن سيدتها ألكمينى قد انتهت من آلام الوضع . خرجت تطلب من أهل المدينة أن يقدموا التهانى إلى سيدتها ألكمينى . لقد وضعت

٩ - Homer, Iliad, XIX, 95 sqq.

١٠ - Pausanias, IX. 11. 1-2; Ovid Metamorphoses, IX, 285 sqq.; Aelian, De Natura Animalium, XII, 5; Antoninus Liberalis, Metamorphoses, 29.

طفلها . أذهل ذلك النبأ الجنية إيليثيا . نهضت واقفة . رفعت يديها من فرط الدهشة . فى تلك اللحظة ذهب تأثير السحر . فى تلك اللحظة وضعت ألكمينى . اكتشفت الجنية إيليثيا حيلة المربية جالانتيس الذكية — لكن بعد فوات الأوان .

وصلت الأنباء إلى الربة هيرا . لقد وضعت ألكمينى مولودا ذكرا . ثم وضعت مولودا آخر بعد ساعة من الزمن . المولود الأول سمى ألكيديس — نسبة إلى جده لوالده ألكايوس (١١) . الطفل الثانى سمى إفيكليس . قيل إن الطفل الأول هو ابن كبير الآلهة زيوس . أما الطفل الثانى فهو ابن القائد أمفتريون . إذ أن زيوس قد ضاجع ألكمينى فى تلك الليلة الطويلة بينما ضاجعها أمفتريون فى الليلة الثانية — هكذا ولد ألكيدس بعد فوات الأوان . ولد بعد مولد يوروسثيوس . فشل كبير الآلهة زيوس فى أن يجعل ألكيديس العاهل الأكبر لسلالة برسيوس . تغلبت مشيئة هيرا على مشيئة زوجها زيوس . استطاعت المرأة برقتها وهدوئها أن تقهر الرجل بجبروته وسلطانه .

لم تشعر هيرا أن غليلها قد شفى بعد . كانت تعلم أن زيوس يكن لألكيديس حبا يفوق حبه لباقى أبنائه . كانت تخشى أن يصبح ألكيديس خطرا عظيما يهدد ذرية هيرا . بدأت تدبر المكائد للقضاء على الطفل الرضيع ألكيديس . ذات ليلة جلست ألكمينى تغسل جسدى الطفلين الرضيعين التوأمين ألكيديس وإيفيكليس . نظفتهما جيدا . ألبستهما ملابس نظيفة . أرضعتهما حتى شبعا . وضعتهما فى مهديهما المتجاورين . أطفأت نور الحجرة . ثم ذهبت إلى مخدعها لتنام كعادتها . فى تلك الليلة أرسلت هيرا حيتين ضخمتين إلى حجرة ألكيديس وشقيقه إيفيكليس (١٢) . زحفت الحيتان فى هدوء نحو مهديهما . أحس الطفلان بحركة بطيئة بالقرب منهما .

١١ — يشير هيرودوتوس (Herodotus, II. 43) إلى هيراكليس بعباره ابن أمفتريون ويلقب ألكيدس نسبة إلى جده ألكايوس .

١٢ — Guerber, Myths of Greece And Rome, p. 188.

سمعا فحيح الحيتين . هب إيفيكليس من نومه مذعورا . صرخ صراخا عاليا . شاهد الحيتين تتجهان نحو مهد شقيقه ألكيديس . اشتد ذعر إيفيكليس . علا صراخه . لكن الرضيع ألكيديس احتفظ بهدوئه وثباته (١٣) . مد يديه نحو الحيتين . قبض بكل من يديه على حية من الحيتين . اشتدت قبضته . حاولت الحيتان أن تلتفا حول جسده الضئيل . ضرب الطفل الرضيع الأرض بالحيتين . ظل يقبض عليهما بالقرب من رأسيهما . كتم أنفاسهما . ظل إيفيكليس يصرخ مذعورا وهو يشاهد ذلك المشهد المروع . صحت ألكمينى من نومها مذعورة . صحا أمفتريون من نومه مذعورا . خف الجميع نحو الطفل إيفيكليس . رأى الجميع مشهدا مذهلا . رأوا الطفل الرضيع ألكيديس يجلس فى مهده وهو يقبض على حيتين ضخمتين (١٤) . رأوه هادئا قرير العين يضحك من أعماقه وهو يمسك بالحيتين وقد أصبحتا جثتين هامدتين . تفككت أوصال الجميع . أصبحوا غير قادرين على الحركة . مد الطفل الرضيع يديه نحو والده أمفتريون . ناوله الحيتين الميتتين فى هدوء شديد (١٥) .

فى تلك الليلة ، لم ينم أهل المنزل . ظل الجميع يفكرون فيما فعله الطفل الرضيع ألكيديس . حاولوا أن يجدوا تفسيرا لذلك . فى الصباح ذهبت ألكمينى إلى العراف الضرير تيريسياس . سألته الرأى والمشورة . أبدى تيريسياس إعجابه الشديد بالطفل الرضيع . سوف يكون مجيدا فى حياته المستقبلة . سوف تنتشر شهرته فى كل بقاع العالم . سوف يأتى من الأعمال مالا يستطيع

١٣ — Hamilton, Op. Cit., pp. 161-2.

١٤ — اختلفت المصادر الإغريقية حول عمر هيراكليس فى ذلك الوقت : تروى بعض المصادر — مثل أبولودوروس — أنه كان قد بلغ الشهر الثامن ، بينما تروى مصادر أخرى — مثل بلاوتوس فى كوميديا أمفتريون — أن ذلك قد حدث فور ولادته .

١٥ — Apollodorus, II, 4, 8; Theocritus, Idylls, XXIV; scholiast on Pindar's Nemean Odes, I, 43.

أحد غيره أن يأتيه . سوف يحتل مركزا ممتازا بين الآلهة والبشر . سوف يتحدث العالم بأسره عنه وعن المرأة العظيمة التى أنجبته (١٦) :

أحست ألكمينى بقلق شديد من أجل رضيعها . خشيت عليه من مكائد هيرا . تركته خارج أسوار طيبة فى حقل من الحقول . تركته لوالده كبير الآلهة زيوس لبرعاه ، بقدرته وسلطانه . عندئذ أسرعت الربة أثينة إلى هيرا زوجة كبير الآلهة زيوس . طلبت منها — بتحريض من زيوس — أن ترافقها فى جولة بين المزارع . وافقت هيرا على الفور . لم تكن هيرا تعرف حقيقة مقصد الربة أثينة . أخذت الربتان تتجولان فى الحقول المجاورة لأسوار مدينة طيبة . توقفت الربة أثينة فجأة حيث يوجد الطفل ألكيديس . تظاهرت بالدهشة وهى تشير إليه . أبدت الشفقة نحوه . أخذت تفحص الطفل البائس المنبوذ . أعربت عن إعجابها بصحة الطفل وجماله . عبرت عن سخطها على والدة الطفل التى تركته فى العراء دون رعاية أو عناية . طلبت من هيرا أن تصنع معروفا فى ذلك الطفل البرىء . أن ترضعه ، أثارت الربة أثينة بكلماتها شفقة الربة هيرا . كشفت على الفور عن صدرها الناصع . أخرجت من بين طيات ثوبها ثديها اللدن الطرى . حملت بين يديها الطفل الرضيع . على الفور التقط الطفل بفمه حلمة الثدى . إمتص فى شراهة وعنف اللبن من ثديها . شعرت هيرا بألم شديد لم تشعر بمثله قط عندما كانت ترضع أطفالها . إرتفع عامود من اللبن حتى وصل إلى عنان السماء . قيل إن ذلك العامود مازال حتى الآن يظهر فى السماء ، وهو ما يعرف فى علم الفلك الآن باسم الطريق اللبنية أو درب اللبانة (١٧) .

---

١٦ — Servius on Veril's Aeneid, VIII, 288; Theorfius, Loc. Cit.; Pindar, Op. Cit., 35 sqq.; Apollodorus, II, 4, 8 بالاضافة إلى هذه الرواية ، هناك رواية أخرى (Apollodorus, II, 62; scholiast on Pindar's Nemean Odes, I, 65) تقول إن أمفتريون هو الذى وضع الحيتين فى حجرة هيراكليس وشقيقه إيفيكليس لكى يعرف من هو ابنه ومن هو ابن زيوس .

١٧ — هناك رواية أخرى تروى أن هرميس هو الذى حمل الطفل إلى أولومبوس ، وأن =

ألقت هيرا بالطفل بعيدا عنها . أدركت على الفور الحيلة التى دبرها زيوس . لكنها كانت قد منحت الطفل الخلود . لم يعد الطفل ألكيديس بشرا بعد . أصبح خالدا . أنجبه زيوس كبير الآلهة . أرضعته هيرا زوجة كبير الآلهة . حملت الربة أثينة الطفل إلى والدته ألكمينى . طلبت منها أن تسهر عليه وأن تهتم بتربيته ورعايته . منذ ذلك الحين عرف الطفل باسم هيراكليس (١٨) ، أى مجد هيرا . منذ ذلك الحين . عرف المكان الذى وجد فيه الطفل باسم سهل هيراكليس (١٩) .

تلقى هيراكليس منذ نعومة أظفاره جميع أنواع الفنون . علمه والده أمفتريون كيف يقود عجلة السباق . وكيف يسير فى المنحنيات دون أن يبطىء من سرعته . دربه كاستور على المبارزة . علمه استخدام جميع أنواع الأسلحة . دربه على ركوب الخيل والقيام بالمناورات وعمليات الكر والفر . لقنه أوتولوكوس ابن رسول الآلهة هرميس دروسا فى الملاكمة والمصارعة . علمه يوروتوس الرماية — إن لم يكن الإله أبولون نفسه هو الذى علمه

= زيوس وضع الطفل على صدر هيرا أثناء نومها ، وأنها صحت من نومها مذعورة بعد أن امتلأ فم الرضيع هيراكيس باللبن . راجع على سبيل المثال :
Eratosthenes, Catasterismoi, 44; Hyginus, Poetica Astronomica, II, 43; Photius, 477; Diodorus Siculus, IV, 10.

١٨ — يذكر ديودوروس الصقلى (Diodorus Siculus, III, 73) ثلاث شخصيات أسطوريه باسم هيراكليس : الأول مصرى والثانى كريتى والثالث هو ابن ألكمينى . كما يذكر الخطيب والفيلسوف الرومانى شيشرون (Cicero, De Natura Deorum, III, 16) ست شخصيات بنفس الاسم . أما فارو (Servius on Vergil's Aeneid, VIII, 564) فيذكر أربعا وأربعين شخصية . ويروى هيرودوتوس (Herodotus, II, 42) أن المصريين قالوا إن موطن هيراكليس الأصلى فينيقيا . أما عن العصر الذى عاش فيه هيراكليس فإن ديودوروس الصقلى (Diodourus Siculus, I, 17 and 24, III, 73) يقول إنه عاش — تحت لقب مختلف — قبل الحرب الطروادية بعشرة آلاف عام ، وإن أعماله ومآثره قد نسبت بعد ذلك إلى البطل هيراكليس الإغريقى .

١٩ — Diodorus Siculus, IV, 9; Tzetzes, Lycophron, 1327; Pausanias, IX, 25, 2.

ذلك (٢٠) . لكن هيراكليس فاق معلميه جميعا فى كل تلك الفنون . قيل إن شخصا يدعى ألكون هاجمته حية رقطاء . إلتفت الحية حول جسده فى لفات متشابكة . لم يستطع أحد الاقتراب منه أو إنقاذه . أدركه هيراكليس فى اللحظات الأخيرة . أطلق سهامه السامة نحوه . أصابت سهامه جسد الحية . لم يلمس سهم واحد جسد ألكون (٢١) . أما الموسيقى والغناء فقد تعلمهما هيراكليس على يد الموسيقى البارع يومولبوس . بينما ساعده الإله لينوس على تذوق الأدب والشعر . قيل إن يومولبوس اعتذر مرة عن عدم الحضور لتدريب هيراكليس على العزف على القيثارة . أناب عنه لينوس . ثار هيراكليس (٢٢) . رفض أن يمسك القيثارة . عندما أصر لينوس على تدريبه ، تناول هيراكليس القيثارة ثم ضرب بها لينوس ضربة واحدة قتلته على الفور (٢٣) . خشى عليه والده أمفتريون من ارتكاب جرائم أخرى . أرسله خارج طيبة (٢٤) حيث قضى وقتا طويلا فى مزرعة لتربية المواشى . ظل هناك حتى بلغ الثامنة عشرة من عمره .

فى الثامنة عشرة من عمره عاد هيراكليس من المزرعة إلى طيبة . عاد لينقذ وطنه من خطر جسيم كان يهدد المواطنين . كان يعيش فوق جبل كيثيرون فى طيبة أسد هصور (٢٥) . اعتاد ذلك الأسد أن يهاجم قطعان الماشية والأغنام . نشر الأسد الذعر والرعب بين رعاة طيبة (٢٦) . كبدهم

٢٠ – Theocritus, Idylls XXIV; Apollodorus II, 4, 9; Tzetzes,, Lycophron, 56; Diodorus Siculus, IV, 14.

٢١ – Servius on Vergil's Eclogues, V, 11; Valerius Flaccus, I, 399 sqq. ; Apollonius Rhodius, I, 97; Hyginus, Fabula 14.

٢٢ – Hamilton, Op. Cit., p. 162.

٢٣ – Pausanias, IX, 29; Theocritus, Loc. Cit.; Apollodorus, II, 49; Diodorus Siculus, III, 67.

٢٤ – Rose, Op. Citi p. 207.

٢٥ – Apollodorus, II, 4, 8-9; Pausanias, IX, 26, 4, 27, 1 and 31, 1 ; scholiast on Theocritus' Idylls, XIII, 6.

٢٦ – Rose, Op. Cit., pp. 207-8.

خسائر فادحة فى الأرواح . كان لذلك الأسد عرين آخر فوق جبل هيليكون حيث تقع عند سفحه مدينة تعرف باسم مدينة ثسبياى – نسبة إلى ملكها ثسبيوس . امتد نشاط ذلك الأسد حتى شمل أيضا مدينة ثسبياى . انتشر الفزع والرعب على طول الطريق بين جبل كيثيرون وجبل هيليكون .

استبد اليأس بالرعاة هنا وهناك . خف هيراكليس لنجدتهم . طفق يطارد الأسد على طول الطريق بين جبل هيليكون وكيثيرون . قضى فى مدينة ثسبياى خمسين يوما وليلة . كان يخرج فى الصباح ليصعد إلى الجبل بحثا عن الأسد المروع . ثم يعود فى المساء ليقضى الليل فى مدينة ثسبياى .

كان أهل ثسبياى يعبدون إله الحب إروس . كان هناك تمثال للإله عند سفح جبل هيليكون . اعتاد أهل ثسبياى إقامة احتفالات صاخبة ماجنة تكريما لربات الفنون – الموسيات – فوق قمة جبل هيليكون . اعتادوا أيضا أن يمارسوا المجون والفسق عند سفح الجبل حول تمثال الإله إروس . كانت تلك الاحتفالات الماجنة الصاخبة احتفالات دينية . كان الملك ثسبيوس أبا لخمسين فتاة (٢٧) ، أنجبتهن له زوجته ميجاميدى إبنة أرنيوس . كانت بناته الخمسون تشاركن فى تلك الاحتفالات الدينية . أعجب الملك ثسبيوس بشجاعة الشاب هيراكليس . خشى على بناته الخمسين من الفتنة . تمنى أن يكون له حفيد من سلالة هيراكليس . لكل هذه الأسباب ، أو لأحدها ، قرر أن يقدم بناته بنفسه إلى ذلك الشاب القوى اليافع . رحب الملك ثسبيوس بقدوم هيراكليس إلى المدينة . طلب منه أن يتخلص من الإحساس بالغربة ، منحه حق معاشرة بناته . قدم إليه فى الليلة الأولى كبرى تلك الفتيات . قضى هيراكليس الليلة الأولى بين أحضان ابنة الملك الكبرى . ثم كانت تزوره ابنة أخرى فى كل ليلة (٢٨) . قضى هيراكليس خمسين ليلة فى مدينة ثسبياى .

٢٧ – تذكر بعض المصادر (Hyginus, fabula, 162) أن ثسبيوس كان أبا لاثنتى عشرة فتاة فقط .

٢٨ – قيل إن هيراكليس التقى ببنات ثسبيوس الخمسين على مدى خمسين ليلة ، فى كل ليلة واحدة من البنات (Apollodorus, II, 66; Diodorus Siculus, IV, 29, 3 sqq.) . قيل أيضا إنه التقى بهن جميعا فى سبع ليال متوالية (Athenaeus, XIII, 556 F) ، قيل أيضا إنه قد التقى بهن جميعا فى ليلة واحدة (Pausanias, IX, 27,7) .

كان يصعد فى الصباح إلى قمة جبل هيليكون بحثا عن الأسد المصور . ثم هبط فى المساء إلى سفح الجبل يقضى الليل مع واحدة من بنات الملك ثسبيوس فى المدينة (٢٩) .

قضى هيراكليس خمسين يوما يطارد الأسد فوق جبل هيليكون . أخيرا ، اكتشف عرينه . لم يكن لدى هيراكليس سلاح أثناء وجوده فوق الجبل . ظهر الأسد أمامه فجأة . كشر الأسد عن أنيابه ، استعد هيراكليس للقائه . بحث عن شيء يضربه به . لم يجد حوله سوى شجرة زيتون باسقة . مد يده نحو ساق الشجرة . انتزعها من جذورها دون جهد أو مشقة . استخدمها كهراوة . تقدم نحو الأسد الهائج . ضربه ضربة واحدة فوق راسه ، سقط الأسد جثة هامدة . تقدم هيراكليس نحو جثة الأسد . اجتمع الرعاة حول هيراكليس . أمسك هيراكليس بالجثة . سلخها . . جفف جلد الأسد . خلع الشاب المغامر قميصه القصير من فوق جسده . وضع جلد الأسد فوق كتفيه . تدلى الجلد حتّى غطى أغلب أجزاء جسده . أمسك بفكى الأسد . وضعها فوق رأسه . أصبح هيراكليس منذ تلك اللحظة لا يضع على جسمه الا جلد أسد ، ولا يغطى رأسه إلا بفكى أسد . أصبح ينشر الرعب أينما حل وحيثما سار ، أصبح يزأر فيهتز العالم لزئيره .

عاد هيراكليس من مدينة ثسبياى الواقعة عند سفح جبل هيليكون (٣٠) . عاد إلى وطنه طيبة . هناك قابل مجموعة من الأجانب الأشداء . لاحظ — من أول وهلة — أن هؤلاء الأجانب يتحدثون إلى أهل وطنه فى عنف وشراسة . لاحظ أن كريون يستقبلهم فى ذلة ومسكنة . لم يكن يرضى هيراكليس الهوان لوطنه طيبة . كان غيورا على كرامة أهل وطنه . سأل هيراكليس عن سبب مجىء هؤلاء الأجانب .

٢٩ — قيل أيضا إن هيراكليس أنجب من بنات ثسبيوس واحداً وخمسين ابناً :
Apollodorus, II. 4, 10 and 7, 8; Pausanias, IX, 27, 5, Diodorus Siculus, IV, 29; scholiast on Hesiod's Theogony, 56.

٣٠ — Graves, Op. Cit. pp. 97-99.

منذ بضع سنوات كان أهل طيبة يحتفلون بعيد الإله بوسيدون فى مدينة أونخيستوس . أثناء الاحتفال قذف بربيريس بحجر أصاب كلومنوس إصابة مميتة ، بربيريس هو سائق عربة مينويكيوس والد ملك طيبة كريون . كلومنوس هو حاكم مدينة أورخومينوس . وهو ملك المينيين . نقل الملك كلومنوس الى أرخومينوس وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة . استقبله أكبر أبنائه أرجينوس . أوصاه كلومنوس أن ينتقم له من أهل طيبة (٣١) . ثم فارق الحياة متأثرا بجراحه . على الفور جهز أرجينوس جيشا ضخما . غزا مدينة طيبة . هزم جيشها . أخضع أهلها . عرض عليهم شروطه . على أهل طيبة أن لايفكروا فى غزو أرخومينوس . عليهم أن يدفعوا جزية سنوية إلى ملك أورخومينوس لمدة عشرين عاما . قيمة الجزية السنوية هى مائة رأس من الماشية . قبل أهل طيبة شروط أرجينوس (٣٢) . مازالوا يدفعون الجزية سنويا. واليوم ، جاء هؤلاء الرسل الأجلاف من قبل الملك أرجينوس. جاءوا يذكرون كريون ملك طيبة بحلول موعد دفع الجزية . جاءوا يهددون أهل طيبة . إذا لم تدفع الجزية فسوف يقطع الملك أرجينوس آذان وأنوف وأيادى أهل طيبة ، ويحصل عليها بدلا من الجزية (٣٣) .

توجه هيراكليس إلى رسل الملك أرجينوس . سألهم عما يريدون . أجابوه فى صلافة وخشونة . كرروا تهديدات الملك أرجينوس . ثارت ثائرة هيراكليس . غلت الدماء فى عروقه . لم يستطع أن يمالك نفسه من شدة الغضب. قطع آذان الرسل وأنوفهم وأياديهم . ربط الآذان والأنوف والأيادى المقطوعة وعلقها فى رقاب الرسل . ثم أعادهم إلى الملك أرجينوس (٣٤) .

وصل الرسل إلى الملك أرجينوس ، أنوفهم وآذانهم وأياديهم معلقة فى

٣١ — Rose, Op. Cit., p. 208.

٣٢ — Genest, Myths of Ancient Greece And Rome, pp. 101-2.

٣٣ — Apollodorus, II, 4, 11; Pausanias, IX, 37, 1-2; Eustathius on Homer, 1076; scholiast on Apollonius Rhodius, I, 185.

٣٤ — Diodorus Siculus, IV, 10.

رقابهم ، وهى تقطر دما . غضب الملك أرجينوس غضبا شديدا . طلب من الملك كريون أن يسلمه من قام بذلك العمل المروع .. استسلم الملك كريون لأوامر الملك أرجينوس . لم يكن يستطيع الرفض . فلقد قضى ملك المينين نهائيا على جيش طيبة . ولقد أخل أهل طيبة بواجب الضيافة واعتدوا على الرسل . لم يكن ملك طيبة يأمل فى مساعدة أحد من جيرانه . لكن هيراكليس لم يشعر باليأس . لم يفكر فى الاستسلام . أثار زملاءه الشبان . حرضهم على التمرد . اقتحم وزملاؤه المعابد . استولوا على ما فيها من دروع وخوذات وسيوف وحراب وحلل عسكرية . استولوا على كل الأسلحة التى اعتاد الإغريق أن يودعوها فى المعابد . اعتاد الإغريق أن ينذروا الأسلحة التى يسلبونها من العدو للآلهة ، ويحتفظوا بها فى المعابد كذكرى لانتصاراتهم . استولى هيراكليس وزملاؤه على تلك الأسلحة . شحذوها . أعدوها للقتال . أعجبت الربة أثينة بجرأة هيراكليس . باركت ثورته المسلحة . وزع هيراكليس الأسلحة على أهل طيبة . دربهم على استخدامها . جمع صفوفهم . كون منهم جيشا ضخما . تولى بنفسه قيادة ذلك الجيش الشعبى . وقف أهل طيبة على أهبة الاستعداد (٣٥) .

هاجم جيش المينين طيبة . أعد لهم هيراكليس الكمائن . حاصرهم فى ممر ضيق . فرق صفوفهم . قتل أعدادا كبيرة منهم . صرع ملكهم وقائدهم أرجينوس(٣٦) . صرع أيضا عددا كبيرا من قادتهم . واصل هيراكليس انتصاراتـه . تقدم نحو أرض المينين . حـاصر مدينتهم . دمر قلاعهم . اقتحم بوابات المدينة . استولى على القصر الملكى . واصل غزوه حتى وصل إلى المناطق الجبلية . قضى على فرسان المينين . دان له شعب أورخومينوس

٣٥ — Diodorus Siculus, Loc. Cit., Apollodorus Loc. Cit.; Pausanias IX, 17, 1.

٣٦ — تروى بعض المصادر أن أرجينوس ظل حيا ، واشترك فى رحلة السفينة أرجو ؛ Pausanias, IX, 37, 2-3 and 25, 4; Eustathius on Homer 272.

بالولاء . فرض عليهم جزية سنوية . بلغت الجزية ضعف الجزية التى كان يدفعها أهل طيبة إلى الملك أرجينوس(٣٧) .

عاد هيراكليس إلى طيبة مكللا بأكاليل النصر . فقد والده الذى رباه — أمفتريون — أثناء القتال . كسب رضاء الملك كريون . أصبح ساعده الأيمن . زوجه كريون ابنته الكبرى ميجارا . زوج ابنته الصغرى لشقيقه التوأم إيفيكليس . قيل إن هيراكليس أنجب من ميجارا طفلين . وقيل ثلاثة . وقيل أربعة . قيل أيضا إنه أنجب منها ثمانية أطفال (٣٨) . كان للملك أرجينوس حليف يدعى الملك بورانخموس . كان يحكم اليوبويين . أراد بورانخموس أن ينتقم لحليفه أرجينوس . جمع جيشا ضخما . هاجم مدينة طيبة . تصدى له البطل هيراكليس . هزمه شر هزيمة . أوقعه فى الأسر . قتله بطريقة وحشية . شق جسده نصفين حيا . ترك جثته فى العراء دون دفن . انتشر الرعب بين ملوك الإغريق . أصبح الجميع يخشون هيراكليس . ذاعت شهرته . توالت انتصاراته (٣٩) .

(٢) أعماله

كانت الربة هيرا تراقب من عليائها ما يحرزه هيراكليس من انتصارات . كانت تتابع ما يلاقيه من نجاح . غبطت عليه نجاحه وانتصاره . اشتد حقدها عليه . طفقت تدبر المكائد للنيل منه والقضاء عليه . سلطت عليه ربة الجنون (٤٠) . لاحقته بنوبات الهذيان . أعمت بصيرته . أفقدته

٣٧ — Euripides, Heracles, 220; Diodorus Siculus, Loc. Cit.; Strabo, IX, 11, 40.

٣٨ — راجع هذه الروايات المختلفة فى : Scholiast on Pindar's Isthmian Odes, IV, 114 and 61; Apollodorus II, 4, 11; Hyginus, fabula 31; Tzetzes, Lycophron 38.

٣٩ — Plutarch, Vitae Parallelae, 7.

٤٠ — Euripides, Op. Cit., 462 sqq; Apollodorus, II, 4, 12; Diodorus Siculus, IV, 11.

صوابه (٤١) . جعلته يهاجم فى شراسة الشاب يولايوس، ابن شقيقه إيفيكليس. جعلته يقتل ستة من أطفاله ويلقى جثثهم فى النيران(٤٢). لقد هيىء له أنه يقتل أعداءه . لكنه كان فى الواقع يقتل أطفاله . صرع اثنين آخرين من أبناء شقيقه إيفيكليس . ثم وقف يتباهى بأنه قتل أعداءه (٤٣) .

عاد هيراكليس إلى صوابه . تنبه إلى ما فعله من أعمال جنونية . اكتشف أنه قتل أطفاله وأطفال شقيقه . أحس بالحسرة والكآبة . عض بنان الندم . حبس نفسه فى حجرة مظلمة بضعة أيام . رفض مقابلة أى أنسان . أراد أن يكفر عما ارتكبه من جرائم مروعة . أخيرا حضر إليه الملك تسبيوس . قام ببعض الطقوس الدينية . طهر روحه من الآثام التى ارتكبها . نصحه بالذهاب إلى نبوءة الإله أبوللون . أسرع هيراكليس إلى هناك . قابلته كاهنة المعبد . تقول بعض الروايات إن النبوءة نادته لأول مرة حينئذ باسم هيراكليس . نصحته بأن يلجأ إلى مدينة تيرونس . طلبت منه أن يسلم نفسه إلى الملك يوروسثيوس . سوف يظل فى خدمة يوروسثيوس مدة اثنتى عشرة سنة (٤٤) . عليه أن يقوم بالأعمال التى يأمره بالقيام بها الملك يوروسثيوس . لم يكن هيراكليس يملك الرفض . كان عليه أن يطيع أوامر كاهنة الإله أبوللون(٤٥).

٤١ – Guerber, Myths of Greece And Rome, pp. 190-91.

٤٢ – تروى بعض الروايات أن هيراكليس قتل زوجته ميجارا أيضا أثناء جنونه (Rose, Op. Cit., p. 209). كما تروى مصادر أخرى أنه قد منحها إلى يولايوس ابن شقيقه إيفيكليس (Graves, Op. Cit., p. 158) .

٤٣ – تستنكر بعض المصادر أن يكون هيراكليس هو الذى قتل كل هؤلاء الضحايا الذين كان يحبهم حباً شديداً ، وتروى هذه المصادر أن من قام بعملية القتل هم ضيوف هيراكليس مثل لوكس Lycus أو أوجياس Augeias راجع : (Graves, Op. Cit., p. 101.) .

٤٤ – تروى بعض المصادر أن هيراكليس أصيب بالجنون بعد أن أنجز الأعمال الخارقه الإثنى عشر . أن هيراكليس كان يحب يوروسثيوس حباً عنيفاً و أنه قام بالأعمال الإثنىعشر من أجل إرضاء محبوبه ، أن هيراكليس قام بالأعمال الاثنى عشر بشرط أن يلغى يوروسثيوس الحكم الذى أصدره ضد أمفتريون والذى كان يقضى بنفيه :

Euripides, Heracles, 15 sqq. and 1000 sqq.; Tzetzes Lycophron 38 and 662-3; Athenaeus XIII, 8.

٤٥ – Diodorus Siculus, IV, 10-11; Apollodorus, II, 4, 12.

وصل هيراكليس إلى ساحة الملك يوروسثيوس . هناك قابله الملك . وضع هيراكليس نفسه تحت تصرف ذلك الملك العنيد الجبان . لقد نصحته الكاهنة أن يطيع أوامره . أخبرته أنه سوف ينال الخلود إذا استطاع أن ينجز كل مطالب يوروسثيوس . لكن كبير الآلهة زيوس لم ينس ولده هيراكليس. كما أن بقية الآلهة كانت تقف بجانبه. أغدقت الآلهة العطايا على هيراكليس. أمدته بكل أنواع الأسلحة كى يستطيع أن ينفذ مطالب يوروسثيوس. أعطاه هرميس سيفا حادا . أعطاه أبوللون قوسا ومجموعة من السهام السريعة المزودة برياش الصقور . منحه هيفايستوس إله الحديد والنار درعا للصدر مصنوعا من الذهب (٤٦) . وهبته الربة أثينة رداء فخما (٤٧) . أعطاه بوسيدون طاقماً من الخيول السريعة القوية . وهبه زيوس درعا فولاذيا رائعا متينا . لكن هيراكليس لم يكن مغرما باستخدام كل تلك الأسلحة . لم يكن فى حاجة إليها . كانت قوته لاتقهر . شجاعته ليس لها مثيل ، بطشه شديد . ضربته لاتخيب . لم يكن يستخدم فى معظم أعماله الخارقة سوى الهراوة والقوس (٤٨) .

بدأ هيراكليس أعماله الرائعة (٤٩) . بدأ أعماله التى عرفت فيما بعد باسم الأعمال الخارقة الاثنى عشر (٥٠) .

٤٦ – Apollodorus, II, 4, 11; Hesiod, Sheild of Heracles, 122 sqq. 141 sqq., 161 sqq. and 318-19; Pausanias, V, 8, 1.

٤٧ – تروى بعض المصادر أن الربة أثينة كانت تساعده دائما أثناء إنجازه لأعماله الخارقة Homer, Iliad, VIII, 362; XV, 369.

٤٨ – Euripides, Heracles 159 sqq.; Apollonius Rhodius, I, 1196; Diodorus Siculus, IV, 14; Theocritus, Idylls, XXV.

٤٩ – راجع هذه الأعمال الاثنى عشر موجزة ومبسطة فى Warner, Men And Gods, pp. 95-105; Genest, Myths of Ancient Greece And Rome, pp. 102-113.

٥٠ – تقسم بعض المصادر القديمة أعمال هيراكليس إلى ثلاث مجموعات :

(١) الأعمال الخارقه الاثنى عشر ἄθλοι .

(٢) الأعمال الرئيسية πράξεις .

(٣) الأعمال الثانوية πάρεργα .

راجع الفرق بين هذه المجموعات الثلاث فى: Rose, Op. Cit., pp. 210-11.

أمر الملك يوروسثيوس البطل هيراكليس أن ينجز العمل الخارق الأول (٥١) . أمره أن يقتل أسد نيميا وأن يسلخ جلده . لم يكن ذلك الأسد أسداً عادياً مثل بقية الأسود . كان أسدا ضخما ، شرسا ، ذا فروة غزيرة ، جلده لايتأثر بالحديد أو الصلب أو الحجر (٥٢) . قيل إن ربة القمر سيلينى قد خلقته من زبد بحرى كان يلتصق بجدار سفينة ضخمة . ثم ربطته ربة الوقيعة إيريس بحزامها ، وحملته إلى الغابات القريبة من مدينة نيميا . قيل إن ذلك تمّ بناء على رغبة الربة هيرا زوجة كبير الآلهة زيوس ، سكن ذلك الأسد فى كهف ذى مدخلين . ظل ذلك الأسد الجبار يفترس رعاة المناطق المجاورة (٥٣) . بدأ هيراكليس رحلته المميتة . وصل إلى مدينة كليوناى الواقعة بين كورنثا وأرجوس . نزل ضيفا على مزارع أجير أو راع يدعى مولورخوس . أقام فى منزله المتواضع . كان الأسد قد قتل ابن مضيف هيراكليس . استعد هيراكليس للخروج باحثا عن الأسد . عندئذ، همّ مولورخوس بذبح حمل وتقديمه قربانا للربة هيرا . استوقفه هيراكليس . طلب منه أن يؤجل تقديم قربانه ثلاثين يوما . سوف يخرج هيراكليس لملاقاة الأسد . إن عاد هيراكليس سالما ، فسوف يقدم مولورخوس القربان تقربا للإله زيوس المنقذ . إن لم يعد هيراكليس فسوف يقدم مولورخوس القربان تكريما لروح هيراكليس البطل . أذعن مولورخوس لطلب هيراكليس .

فى الصباح غادر هيراكليس مدينة كليوناى . وصل مدينة نيميا فى الظهيرة . لم يجد فى طريقه شخصا واحدا يرشده إلى مكان الأسد . كان الأسد

٥١ – Graves, Op. Cit., pp. 103-7; Guerber, Op. Cit., p. 191; Hamilton, Op. Cit., p. 164; Rose, Op. Cit., pp, 211-12.

٥٢ – Apollodorus, II, 5, 1; Valerius Flaccus, 1, 34, Diodorus Siculus, IV, 11.

٥٣ – قيل أيضا إن ذلك الأسد قد أنجبه المسخ توفون Typhon أو المسخ خيمايرا Chimaera من الكلب أورثروس Orthrus :
Hesiod, Theogony, 326 sqq.; Aelian, De Natura Animalium, XII, 7; Plutarch, De facie in orbe lunae, 24; Hyginus, fabula 30; Theoritus, Idylls, XXV; Pausanias, II, 15, 2-3.

قد نشر الذعر فى كل مكان . فهجر السكان جميع المناطق المجاورة . مرّ هيراكليس بجبل أبيساس . ثم جبل تريتوس . هناك لمح من بعيد الأسد عائداً إلى عرينه . رآه يلعق بلسانه الدماء المتجلطة حول فمه . دماء الضحايا التى افترسها فى ذلك اليوم . صوب هيراكليس سهما ساما نحو الأسد . ارتطم سن السهم المدبب بجلده . سقط السهم على الأرض دون أن يترك أثرا . واصل الأسد سيره متثائبا وكأن شيئا لم يحدث . استل هيراكليس سيفه الفولاذى. تقدم نحو الأسد . دفع السيف بقوة فى جنبه . إنثنى السيف الفولاذى ولم يترك أثرا فى جلده . رفع هيراكليس هراوته الضخمة الثقيلة . هوى بها بقوة بالغة فوق وجه الأسد . ضربه ضربة قوية فوق أنفه وفكيه الناتئين. تحطمت الهراوة الغليظة . انتفض الأسد ، هز رأسه . لم يفعل ذلك من الألم . لكن لأنه كان يتوجه نحو عرينه . دخل الأسد فى هدوء بالغ عرينه ذا المدخلين . اشتد غضب هيراكليس . لم يتطرق اليأس إلى نفسه .

ألقى هيراكليس بأسلحته العديدة . جاء بشبكة متينة سد بها أحد مدخلى الكهف . ثم دخل الكهف عن طريق المدخل الآخر. تقدم هيراكليس نحو الأسد فى ثبات وشجاعة . إعتمد على قوته الجثمانية اعتمادا كليا . كان أعزل لايحمل سلاحا . هجم على الأسد المفترس ، صارعه ، . أخذ كل منهما يلف حول غريمه . حاول كل منهما أن يمسك بالآخر . نشب الأسد أنيابه فى يد هيراكليس . عض أصبعه . لم يتألم هيراكليس ، لم يتراجع . إنقض على الأسد . أخذ رأسه بين ذراعيه. أحتضنه من الخلف . ظل يضغط على رقبة الأسد بذراعيه القويتين . إرتجت أركان الكهف من صدى زئيره ، ضرب الأرض بأرجله . هبت سحب داكنة من الرمال داخل الكهف . لم يترك هيراكليس الأسد إلا بعد أن أصبح جثة هامدة (٥٤) .

حمل هيراكليس جثة الأسد فوق كتفيه . بدأ طريق العودة . عاد إلى مدينة كليوناى بعد أن غاب عنها ثلاثين يوما . وجد مولورخوس على

٥٤ – Bacchylides, XIII, 53; Photius, 474; Euripides, Heracles, 153.



شكل (١٩)

هيراكليس يصارع هيدرا

وشك أن يقدم القربان تكريما لروح هيراكليس البطل. إشترك الاثنان فى تقديم القربان تكريما لزيوس المنقذ. حمل هيراكليس جثة الأسد فوق كتفيه مرة أخرى. وصل إلى موكيناى حيث يقيم الملك يوروسثيوس. نشر هيراكليس الرعب والفزع بين أهل موكيناى. أصيب يوروسثيوس بذعر شديد. زجر هيراكليس، نهره بشدة. أمره أن لايدخل المدينة مرة أخرى عند عودته من أعماله التالية(٥٥). أذعن هيراكليس لأوامر يوروسثيوس. منذ ذلك الحين لم يجرؤ هيراكليس على الدخول إلى المدينة بعد إنجازه لكل عمل يكلفه به الملك يورسثيوس. حاول هيراكليس أن يسلخ جلد الأسد، فشل فى القيام بهذه المهمة. لم يكن من السهل ذلك. لم يكن جلد الأسد يقطعه سكين أو سيف أو أى نوع من أنواع الأسلحة. أخيرا اهتدى هيراكليس إلى وسيلة ناجحة. توصل إليها بإلهام من الآلهة. أستخدم أظافر الأسد فى عملية السلخ. إذ كانت الأظافر تفوق فى حدتها كل أنواع الأسلحة. نجح هيراكليس فى سلخ الأسد الضخم. إتخذ من جلده رداء يستر به جسده. إتخذ من رأسه وأنيابه غطاء لرأسه.

بعدذلك لم يجرؤ يوروسثيوس على مواجهة البطل هيراكليس. أصدر يوروسثيوس أوامره إلى كل الحدادين فى البلاد. أمرهم أن يصنعوا صندوقاً ضخما من الفولاذ (٥٦). أمرهم أن يدفنوا ذلك الصندوق تحت الأرض. أمر بأن يعد الصندوق ليصبح ملائما لإقامة يوروسثيوس. ذهب الملك الجبان وأقام فى ذلك الصندوق. أصبح منذ ذلك الوقت يصدر أوامره إلى هيراكليس عن طريق رسول يدعى كوبريوس. منذ ذلك الحين لم يتقابل هيراكليس ويوروسثيوس وجهالوجه. عندما يعلم يوروسثيوس بعودة هيراكليس يهرع على الفور نحو مكان الصندوق الفولاذى ويقيم فيه، ثم يصدر الأوامر ويتلقى الأنباء عن طريق كوبريوس. (٥٧)

---

٥٥ - Apollodorus, II, 5.

٥٦ - Idem, II. 76.

٥٧ - Theocritus, Idylls, XXV, 272 sqq.; Diodorus Siculus, IV, 11; Euripidies, Op. Cit., 359 sqq.

وجه يوروسثيوس من خلف جدران الصندوق الفولاذى أوامره إلى هيراكليس . أمره أن ينجز العمل الخارق الثانى (٥٨) . أمره أن يقضى على أفعوان ليرنا ، هيدرا . أنجب التيتين توفون من التيتنة إخيدنى المسخ هيدرا. تعهدت الربة هيرا هيدرا بالرعاية خصيصا لتهدد به هيراكليس(٥٩). نشأ هيدرا على هيئة أفعوان بحرى . إتخذ لنفسه مقرا يقع على بعد بضعة أميال من أرجوس . أقام بالقرب من منبع أموموني تحت شجرة من أشجار الدلب . نشر الذعر بين سكان السهل الواقع بين نهرى بونتينوس وأموموني . ظل يصول ويجول فى مستنقع ليرنا الذى لايسبرغوره . ينشر الذعر بشكله البشع . له جسم يشبه جسم الكلب . له رأس تشبه رءوس الأفاعى. رأس منها خالد ، لاتفارقه الحياة أبدا. كل رأس من الرءوس الأخرى ينبت غيرها فور قطعها . قيل إن لذلك المسخ ثمانية أو تسعة رؤوس، خمسين أو مائة رأس ، قيل إن له عشرة آلاف رأس ، كل رأس من رءوسه ملىء بالسم الزعاف . دماؤه التى تجرى فى عروقه سم زعاف . أنفاسه سامة ، رائحته قاتلة . (٦٠)

أحست الربة أثينة بالقلق من أجل هيراكليس . خشيت عليه من خطر ذلك الأفعوان . انتظرته بالقرب من جحر الأفعوان . وصل هيراكليس بعربته السريعة التى يقودها يولايوس ابن شقيقه إيفيكليس . أرشدته الربة أثينة إلى مكان الأفعوان ، أرشدته إلى طريقة يخرج بها هيدرا من جحره . نصحته بأن يقذف الجحر بالسهام المشتعلة . أشارت عليه أن يمسك أنفاسه عند رؤية المسخ . خرج من جحره . هجم على هيراكليس . إنثنى حول قدميه . حاول أن يطرحه أرضا . إحتفظ البطل هيراكليس بتوازنه . رفع هراوته التى

٥٨ - Graves, Op. Cit., pp. 107-10; Guerber, Op. Cit., pp. 191-92; Hamilton, Op. Cit., p. 164, Rose, Op. Cit., p. 212.

٥٩ - Hesiod, Theogony, 313 sqq.

٦٠ - Euripides, Op. Cit., 419-20 ; Zenobius, Proverbs, VI, 26; Diodorus Siculus, Loc. Cit.; Hyginus, fabula 30.

أعدها من ساق شجرة زيتون ضخمة . هوى بها فوق رؤوس الأفعوان . كلما هشم رأسا واحدا نبت بدلا منه ثلاثة رؤوس أخرى . (٦١)

خرج سرطان بحرى من المستنقع . خف لنجدة الأفعوان. عض قدم هيراكليس . داس هيراكليس بقدمه فى عنف على السرطان البحرى. شعر بألم شديد . صاح يطلب العون من يولايوس . أشعل يولايوس النار فى أشجار الدغل المجاور . طفق يكوى بالنار مكان كل رأس يقطعها هيراكليس من رؤوس الأفعوان . استطاع بذلك أن يوقف تدفق دماء الأفعوان . استطاع أيضا أن يمنع رؤوسا جديدة من الظهور(٦٢) . أخيراً استطاع هيراكليس أن يبتر الرأس الخالد بسيفه . حفر حفرة عميقة . دفن الرأس المقطوع ومازال فحيحه يملأ جو الدغل . إنتزع أحشاء المسخ بسيفه الحاد . غمس سهامه فى الدماء المتدفقة . أصبحت سهاما سامة قاتلة . كافأت الربة هيرا السرطان الذى خف لنجدة الأفعوان البحرى . جعلته واحدا من الأبراج السماوية ، هو برج السرطان . عاد هيراكليس إلى يوروسثيوس سالما (٦٣) . رفض يوروسثيوس أن يحتسب ذلك العمل ضمن الأعمال الخارقة الاثنى عشر بحجة أن يولايوس قد ساعد هيراكليس (٦٤) .

وجه يوروسثيوس من خلف جدران الصندوق الفولاذى أوامره إلى هيراكليس . أمره أن ينجز العمل الخارق الثالث (٦٥) . أمره أن يحضر إليه أيلة كيرونيا حية دون جروح . كانت الربة أرتميس لم تزل طفلة بعد. كانت تتجول كعادتها فى الغابات . رأت خمس أيلات ترعى فى الغابة.

٦١ - Hesiod, Loc. Cit.; Hyginus, Loc. Cit., Apollodorus, II, 5—2.

٦٢ - Apollodorus, Loc. Cit., Hyginus, Loc Cit., Idem, Poetica Astronomica, II, 23; Diodorus Siculus, Loc. Cit.

٦٣ - Rose, Op. Cit., pp. 209-10.

٦٤ - Euripides, Ion, 192; Photius, 475.

٦٥ - Graves, Op. Cit., pp. 110-12; Guerber, Op. Cit., p. 192; Rose, Op. Cit., pp. 212-13; Hamilton, Op. Cit.; p. 164

أسرعت ربة الصيد أرتميس : طفقت تطارد الأيلات الخمس(٦٦) . إصطادت بيديها المدربتين على القنص أربعا فقط . ربطت الصيد فى عربتها الربانية . فرت الخامسة . عبرت نهر كلادون . وصلت إلى تل كيرونيا . ساعدتها على ذلك الربة هيرا . حافظت عليها . تعهدتها بالرعاية . دربتها على العدو والمراوغة . فعلت ذلك خصيصا للانتقام من هيراكليس . كان على هيراكليس أن يصطاد تلك الأيلة الفريدة من نوعها . كان عليه أن يحضرها إلى يوروسثيوس حية دون جروح .

وصل هيراكليس إلى تل كيرونيا . اختبأ وسط الغابة . ظل فى مخبئه حتى رأى الأيلة وهى تتجول هنا وهناك . كانت الأيلة مخلوقا غريبا ، سريعا ، أرقش ، له حوافر من البرونز تشبه حوافر الأيلة . له قرون من الذهب تشبه قرون الأيلة . لذا أطلقوا عليه اسم الأيلة.(٦٧). كان على هيراكليس أن يقتنص تلك الأيلة . لم يكن مسموحا له أن يقتلها ، أو حتى يصيبها بجرح . ظل هيراكليس يراقب الأيلة فى تجوالها. يطاردها تارة ، يقيم لها الكمائن تارة أخرى. ينصب لها الشباك مرة، يحاول أن يقبض عليها بيديه مرة أخرى . جرب جميع الوسائل . ظل عاما طويلا يطاردها فى صبر وأناة . ظل عاما كاملا يتجول من أقصى بلاد الأغريق إلى أدناها. أدرك التعب الأيلة . لم يشعر هيراكليس بالتعب . أخيرا وصلت الأيلة منهوكة القوى إلى جبل أرتميسيوم . ثم هبطت إلى وادى لادون . هناك وقفت لتسترد أنفاسها . أطلق هيراكليس سهما من سهامه نحو ساقيها الأماميتين . نفذ السهم فى خفة

٦٦ - Callimachus, Hymn to Delos, 103; Idem, Hymn to Artemis, 100 sqq.; Pausanias, II, 25, 3.

٦٧ - Diodorus Siculus, IV, 13; Euripides, Heracles, 375 sqq.; Vergil, Aeneid, VI, 802; Hyginus, fabula 30.
هناك رواية أخرى تقول إن هذه الأيلة قد نذرتها واحدة من البليايديس Pleiades. –تدعى تايجيتى Tygete – للربة أرتميس . قيل إن هذه الأيلة كانت فتاة أراد زيوس اغتصابها ، لكنها خدعته وتحولت إلى صورة أيلة . راجع :
Pindar, Olympian Odes, III, 29 sqq.; Apollodorus, II;10. 1.

بين عظمة الساق اليمنى ووترها . ثم نفذ بين عظمة الساق اليسرى ووترها . ربط السهم بين ساقيها دون أن تقطر نقطة دم واحدة ودون أن يؤثر السهم المسموم فيها . تقدم هيراكليس فى هدوء نحوها ، حملها فى خفة فوق كتفيه ، حية دون جرح . عاد بها إلى يوروسثيوس .

وجه يوروسثيوس من خلف جدران الصندوق الفولاذى أوامره إلى هيراكليس . أمره أن ينجز العمل الخارق الرابع (٦٩) . أمره أن يحضر إليه خنزير أرومانثوس دون جروح . كان خنزير أرومانثوس خنزيراً برياً، كاسرا، متوحشا، بشعا، مروعا، ينشر الفزع والرعب فوق مرتفعات جبل أرومانثوس المغطاه بأشجار السرو وأحراش جبل لاميا فى أركاديا والمنطقة المحيطة بمقاطعة بسوفيس (٧٠) . مر هيراكليس بمنطقة فولوى حيث نزل فى ضيافة المسخ فولوس . هناك قامت معركة حامية بين هيراكليس ومجموعة من المسوخ . استخدم المسوخ فى تلك المعركة الصخور الضخمة وسيقان أشجار الزان والمشاعل الملتهبة والفؤوس المشحوذة . أبلى هيراكليس فى تلك المعركة بلاء حسناء. قهر جماعة المسوخ . فرق شملهم . شتتهم . قتل البعض وأرغم البعض الآخر على الفرار . أتى بأعمال فائقة أخرى أكدت بطولته ، أعلت من شأنه . زادته شهرة على شهرته (٧١).

انتهى هيراكليس من صراعه ضد المسوخ . واصل رحلته لمطاردة الخنزير البرى الكاسر . اتخذ طريقه بحذاء نهر أرومانثوس . لم يكن من السهل على هيراكليس أن يحصل على مثل ذلك الوحش الكاسر حيا . اقترب هيراكليس من مأوى الخنزير . ابتكر طريقة لاخراجه من بين الأحراش . صرخ هيراكليس صرخات متوالية . دوت صرخاته فى الأفق البعيد . اهتزت

٦٨ - Apollodorus, II, 3; Pindar, Op. Cit., III, 26-7.

٦٩ - Graves, Op. Cit., pp. 113-16; Guerber, Op. Cit., pp. 192-3; Hamilton, Op. Cit., p. 164; Rose, Op. Cit., p. 212.

٧٠ - Ovid, Heroides, IX, 87; Apollonius Rhodius, 1, 127; Diodorus Siculus, IV, 12; Apollodorus, II, 5, 4.

٧١ - Pausanias, VI, 21, 5; Tzetzes, Lycophron, 670.

الأحراش فى عنف . خرج الخنزير من مكمنه . تقدم هيراكليس نحوه . فر الخنزير أمامه مذعورا . استدرجه هيراكليس حتى وصل إلى منطقة منخفضة مغطاة بالجليد . فجأة قفز فى خفة ورشاقة فوق ظهر الوحش الكاسر . كبله بالسلاسل . حمله حيا فوق كتفيه . عاد مسرعا إلى موكيناى . هناك علم أن أبطال السفينة أرجو يستعدون للذهاب إلى كولخيس . عندئذ ألقى بالخنزير من فوق كتفيه . أسرع مع البطل هولاس ليشارك الأبطال رحلتهم المليئة بالمغامرات . لم ينتظر هيراكليس حتى تصل أنباء عودته إلى يوروستيوس. لم ينتظر حتى تصله الأوامر من عند الملك يوروستيوس كى ينجز العمل التالى (٧٢) .

ليس من السهل فى هذه المرة معرفة كيف وجه يوروستيوس أوامره إلى هيراكليس . أمره أن ينجز العمل الخارق الخامس (٧٣) . أمره أن ينظف حظائر أوجياس . كان أوجياس ملكا على إيليس . قيل إنه كان ابنا للملك هليوس . قيل أيضا إنه كان ابنا للإله بوسيدون . كان يملك ثروة طائلة من الماشية . قطعانه محصنة ضد الأمراض . ترعاها قوة ربانية وتبعد عنها العدوى . الأناث كثيرات الإنجاب، غير قابلات للإجهاض ، كان لدى أوجياس مائتان من الثيران السوداء ذوى الأرجل البيضاء ومائتان من الثيران الحمراء . جميعهم كانوا ثيرانا للاستيلاد . كان لديه أيضا اثنا عشر ثورا فضية اللون موقوفة لوالده هليوس. كانت مهمة الثيران الإثنى عشر الدفاع عن باقى القطعان ضد حيوانات الغابة المفترسة (٧٤) . لم تكن حظائر أوجياس تجد من ينظفها منذ بضع سنوات . لذا كان روث الماشية يتراكم فوق أرضية الحظائر بصورة مقززة . كانت رائحة الروث تنتشر فى جميع أنحاء شبه جزيرة البلوبونيس . لم تكن صحة الماشية تتأثر بوجود تلك القاذورات . لكن سكان شبه الجزيرة ضاقوا بها وأصبحوا

٧٢ – Pausanias, VIII, 24, 2; Apollonius Rhodius, 1, 122 sqq.

٧٣ – Graves, Op. Cit., pp. 116-19; Guerber, Op. Cit., p. 193; Hamilton, Op. Cit., p. 164; Rose, Op. Cit., p. 213:

٧٤ – Apollodorus, II, 5, 5 and 7, 2; Diodorus Siculus, IV, 13; Hyginus, fabula 14.

مهددين بالإصابة بالأمراض . كما أن روث الماشية كان يتراكم فوق السهل بأكمله حتى أصبح من الصعب زراعته .(٧٥) قهقه يوروستيوس وهو يصدر أوامره إلى هيراكليس . تخيل ماسوف يقاسيه البطل هيراكليس من عذاب وتعب . تخيل كيف سيتقزز هيراكليس وهو يجمع الروث فى سلال يحملها فوق كتفيه .

فى الصباح وصل هيراكليس إلى ساحة أوجياس . إتجه على الفور نحو حظائر الماشية . ألقى عليها نظرة سريعة . تحدث إلى الملك أوجياس فى ثقة تامة . وعده أن ينتهى من تنظيف الحظائر قبل حلول المساء . ليس له سوى مطلب واحد . أن يعطيه أوجياس عُشْرَ ماشيته . قهقه أوجياس استخفافا بهيراكليس . شك فى قدرة هيراكليس على الوفاء بوعده . نادى أوجياس على ولده فوليوس ليكون شاهدا . طلب فوليوس من هيراكليس أن يقسم بالآلهة . أقسم هيراكليس . أشهد الآلهة على ماقال . هذه هى المرة الأولى والأخيرة التى أقسم فيها هيراكليس وأشهد الآلهة على ماقال . عندئذ . أقسم أوجياس أيضا أن يفى بوعده . أن يمنح عُشْرَ ماشيته لهيراكيس لو انتهى من تنظيف الحظائر قبل حلول المساء .

بدأ هيراكليس يستعد للعمل . فجأة ، هجم قائد الثيران الاثنى عشر على هيراكليس . ظن الثور القائد أن هيراكليس أسد جاء ليفترس الماشية . أمسك هيراكليس بيد واحدة القرن الأيسر للثور المهاجم . دفع رأسه حتى مست أرض الحظيرة . ثم بدأ فى تنظيف الحظائر وكأن شيئا لم يحدث (٧٦) . أحدث فجوتين فى جدران الحظائر . ذهب إلى نهر ألفيوس وبنيوس . حول مجراهما . إندفعت المياه بشدة من خلال إحدى الفجوتين . إكتسحت القاذورات والروث المتراكم أمامها . خرجت من الفجوة الأخرى . اندفعت

٧٥ – Pausanias, V, 1, 7; Servius on Vergil's Aeneid, VIII, 300.

٧٦ – Theocritus, Idylls, XXV, 115 sqq.; Plutarch, Quaestiones Romanae, 28.

بشدة فوق السهل الواسع . ثم عادت المياه أخيرا إلى مجرى النهرين بعد أن حملت القاذورات والروث المتراكم . حدث كل ذلك قبل حلول المساء .

استطاع البطل هيراكليس تنظيف الحظائر والسهل وتطهيرها دون جهد أو مشقة . إستولت الدهشة على الملك أوجياس .برّ هيراكليس بوعده . لكن أوجياس لم يبر بوعده . رفض أن يمنح هيراكليس عشر الماشية بحجة أن هيراكليس كان من الواجب عليه أن يفعل ذلك دون مقابل تنفيذاً لأوامر يوروسثيوس . رفع هيراكليس الأمر إلى القضاء . وقف القضاة فى صف هيراكليس . أمر أوجياس بنفى القضاة.عاد هيراكليس إلى ساحة يوروسثيوس يخفى حنين . لم ينته الأمرعندهذا الحد.أراد يوروسثيوس أنلا يحتسب تنظيف حظائر أوجياس ضمن الأعمال الخارقة الإثنى عشر . بحجة أن هيراكليس كان ينتظر أجرا من أوجياس نظير ماقام به من عمل .

وجه يوروسثيوس من خلف جدران الصندوق الفولاذى أوامره إلى هيراكليس . أمر بأن ينجز العمل الخارق السادس (٧٧) . أمره أن يطارد طيور ستومفالوس . كانت هناك مجموعة من الطيور لاحصر لها . مناقيرها من البرونز . مخالبها من البرونز ، أجنحتها من البرونز ، غذاؤها لحوم الحيوانات والبشر ، موقوفة لإله الحرب آريس (٧٨) . وصلت هذه الطيور المروعة واستقرت فى أحراش مستنقع ستومفالوس . بنت أعشاشها فى الأحراش الواقعة على ضفتى نهر ستومفالوس. غالبا ماكانت هذه الطيور المروعة تخرج فى جماعات ضخمة لتهاجم السهل . تقتل الإنسان والحيوان . تمطرهم بوابل من الرياش البرونزية فتقضى عليهم فى الحال . تفسد المحاصيل الزراعية . تقذف المزارع بفضلاتها السامة فتصيب المحاصيل الزراعية بالآفات . وصل البطل هيراكليس إلى مستنقع ستومفالوس.كان المستنقع محاطاً بأحراش كثيفة . فكر أول الأمر أن يطارد الطيور بسهامه السامة .

٧٧ - Graves, Op. Cit., pp. 119-121; Guerber, Op. Cit., pp. 195-96; Hamilton, Op. Cit., p. 164; Rose, Op. Cit., p. 213.

٧٨ - Pausanias, VIII, 22, 4-6; Apollodorus, II, 5; 6.

اكتشف أن أعدادها هائلة ، وليس من السهل القضاء عليها بسهامه . حاول أن يصل إلى داخل المستنقع . اكتشف أن سطح المستنقع ليس متماسكا لدرجة تسمح بأن يمشى رجل فوقه . اكتشف أيضاً أن سطح المستنقع ليس سائلا لدرجة تسمح بأن يخترقه قارب ويطفو فوقه .

أدركت الربة أثينة هيراكليس . أعطته خشخيشة ضخمة ذات خشخشة مجلجلة . صعد هيراكليس فوق إحدى قمم جبل كللينى التى تطل على المستنقع . هزّ هيراكليس الخشخيشة بقوة هزات رتيبة . دوت فى الفضاء خشخشات مجلجلة أثارت الذعر والفزع بين جماعات الطيور . انطلقت تحلق فى الفضاء فى فزع . حجبت قبة السماء عن الأنظار لكثرة أعدادها . أطلق هيراكليس سهامه نحوها ، أصاب أعداداً كبيرة منها ، فر الباقى إلى جزيرة آريس الواقعة وسط البحر الأسود . عاد هيراكليس إلى ساحة الملك يوروسثيوس . (٧٩)

وجه الملك يوروسثيوس من خلف جدران الصندوق الفولاذى أوامره إلى هيراكليس . أمره أن ينجز العمل الخارق السابع (٨٠). أمره أن يقبض على الثور الكريتى . كان يعيش فى جزيرة كريت ثور هائج جبار . يصول ويجول فى أنحاء الجزيرة ، وخاصة المنطقة التى يرويها نهر تثريس . يهاجم المزارع والحقول ، فيقتلع النباتات ويأتى على المحاصيل . يقتحم الحدائق والبساتين ، فيدمر الأسوار ويقتلع الأشجار (٨١) . كان ثورا ضخما ، جبارا ، قويا . يزفر ألسنة اللهب الحارق . لم يكن يستطيع أحد من أهل كريت أن يقف فى طريقه . أبحر هيراكليس إلى كريت . قابله مينوس ملك الجزيرة . عرض عليه أن يقدم إليه كل مساعدة ممكنة . رفض هيراكليس فى أدب جم . بدأ يقتفى أثر الثور . تقدم نحوه وهو أعزل .

٧٩ - Apollonius Rhodius, II, 1037-53 with scholiast; Diodorus Siculus, IV, 13; Hyginus, habula 30.

٨٠ - Graves, Op. Cit., pp. 121-22; Guerber, Op. Cit., p. 139; Hamilton, Op. Cit., pp. 164-5; Rose, Op. Cit., p. 213.

٨١ - Apollodorus, II, 5, 7; Diodorus Siculus, Loc. Cit.; Pausanias, I, 27, 9.

حاول كل منهما أن يتغلب على الآخر . اشتد الصراع بينهما . فى النهاية تغلب هيراكليس على الثور الجبار . قاده إلى موكيناى . أعجب يوروسثيوس بالثور . أطلق سراحه . نذره للربة هيرا . استنكفت الربة هيرا أن تقبل هدية تذكرها بعظمة هيراكليس وجبروته . طاردته حتى وصل إلى اسبرطة ، ثم إلى أركاديا ، ثم إلى ماراثون . ظل هناك حتى قاده ثسيوس فيما بعد إلى مدينة أثينا حيث قدمه قربانا للربة أثينة (٨٢) .

وجه يوروسثيوس من خلف جدران الصندوق الفولاذى أوامره إلى هيراكليس . أمره أن ينجز العمل الخارق الثامن (٨٣) . أمره أن يروض خيول ديوميديس . كان ديوميديس ملكا على تراقيا . كان لديه أربعة خيول من نوع نادر . كانت هذه الخيول فحولا متوحشة . أطلق عليها أسماء بودارجوس ، لاميون ، كسانثوس ، دينوس . كان ديوميديس يعقلها بسلاسل من الحديد . يقدم لها الطعام فى مزاود من البرونز . يطعمها لحم البشر (٨٤) . أصدر أوامره بالقبض على كل أجنبى يدخل تراقيا . فإذا كان الأجنبى نحيلا تعهده رجال ديوميديس بالعناية حتى يصبح بدينا ، ثم يقطعون لحمه ، ويقدمونه طعاما للخيول فى مزاودها البرونزية . هكذا كانت خيول ديوميديس تتناول لحوما بشرية طازجة على الدوام . لذا ، نشأت الخيول شرسة ، مفترسة ، ليس من السهل ترويضها .

أبحر هيراكليس قاصدا تراقيا . مر فى طريقه بمدينة فيراى ، حيث يحكم صديقه الملك أدميتوس . هناك علم بموت ألكستيس زوجة صديقه الملك . هبط هيراكليس إلى العالم السفلى . دخل فى صراع مع إله الموت ، تغلب عليه . أنقذ ألكستيس . أعادها إلى عالم البشر (٨٥) . ثم واصل رحلته حتى

٨٢ - Servius on Vergil's Aeneid, VII, 294.

٨٣ - Graves, Op. Cit., pp. 122-24; Guerber, Op. Cit., p. 194; Hamilton, Op. Cit., p. 165; Rose, Op. Cit., pp. 213-4.

٨٤ - Apollodorus, II, 5, 8; Hyginus, fabulae 250 and 30; Plinius, Naturalis Historia, IV, 18; Diodorus Siculus, IV, 15.

٨٥ - Euripides, Alcestis, 483 eqq.

وصل إلى مدينة تيريدا فى تراقيا . هناك تغلب على سائسى الخيول وقهرهم . طارد الخيول فى حرص شديد حتى شاطئ البحر . تركها هناك فى حراسة تابعه أبديروس . ثم عاد ليقهر شعب الملك ديوميديس الذى ظل يطارده . قهر هيراكليس الجميع ، بالرغم من كثرة عددهم . أرغمهم على التقهقر . إقتفى أثرهم . ضرب بهراوته الغليظة ملكهم ديوميديس على رأسه . فقد الملك وعيه . سحب هيراكليس جثته . إتجه نحو شاطئ البحر حيث ترك الخيول فى حراسة أبديروس . وجد أن شعب ديوميديس قد قدم لحم أبديروس – منذ لحظات – طعاما للخيول المفترسة . غضب هيراكليس غضبا شديدا . ألقى بجثة ديوميديس فى مزاود الخيول . إلتهمته الخيول فى الحال . أحست الخيول بالشبع . روضها هيراكليس دون مشقة كبيرة . قادها إلى موكيناى. هناك أطلق يوروسثيوس سراحها ونذرها للربة هيرا. عاشت الخيول فترة من الزمن فوق جبل أولومبوس ، ثم التهمتها الحيوانات الضارية .

وجه يوروسثيوس من خلف جدران الصندوق الفولاذى أوامره إلى هيراكليس . أمره أن ينجز العمل الخارق التاسع (٨٦) . أمره أن يحضر إليه حزام هيبولوتى ملكة الأمازونيات . كان الأمازونيون أبناء وبنات لإله الحرب آريس ، أنجبهم من حورية البحر هارمونيا (٨٧). كفر تانايسى الأمازونى بالربة أفروديتا . قاوم الحب ورفض الزواج . أرادت الربة أفروديتا أن تعاقبه . أمطرت قلبه بوابل من سهام الحب نحو والدته الملكة لوسيبى. ظل تانايس يقاوم تأثير أفروديتا . لم يستطع المقاومة حتى النهاية . إستولى عليه اليأس . فضل الانتحار على الارتباط بوالدته ارتباطا شائنا . ألقى بنفسه فى النهر . ظل شبحه يطارد والدته لوسيبى . جمعت لوسيبى بناتها وأبناءها ، هجرت وطنها

٨٦ - Graves, Op. Cit., pp. 124-132; Guerber, Op. Cit., pp. 194-5; Hamilton, Op. Cit., p. 165; Rose, Op. Cit., p. 214.

٨٧ - يروى أيضا أن والدتهم كانت الربة أفروديتا او أوتريرى Otrere ابنة إله الحرب آريس : Apollonius Rhodius, II, 990-92; Cicero, Pro Flacco, 15; scholiast on Homer's Iliad, I, 189; Hyginus, fabula 30; scholiast on Apollonius Rodius, II, 1033.

الواقع على شواطىء البحر الأسود . إستقرت فى سهل نهر ثرمودون . منذ ذلك الحين ، لم يقم شعب الأمازون وزنا للأبوة(٨٨) . أصبحت مملكة الأمازون مملكة نسائية . قررت الملكة لوسيبى أن يقوم الرجال بالأعمال المنزلية ، وأن تمارس النساء شئون الحكم والقتال . كانت كل أم تشوه ذراعى وقدمى كل مولود حتى ينشأ غير قادر على الحرب أو الترحال . لم تعرف النساء الأمازونيات العدالة أو حسن المعاملة . نشأن محاربات لا يعرفن سوى العنف. كن أول من استخدمن الخيول فى القتال(٨٩). أستخدمن الرماح والدروع المعدنية . لبسن خوذات وثياب وأحزمة مصنوعة من جلد الحيوان (٩٠) غزا جيش الأمازونيات القبائل المجاورة . إتسعت رقعة حكم الأمازونيات . أنشأن أمبراطورية واسعة امتدت من سهل نهر تانايس غربا حتى تراقيا ، وعبر نهر ثرمودون حتى فروجيا . إمتد حكمهن حتى شمل بعض أجزاء من آسيا الصغرى . توالت ملكات الأمازونيات على عرش مملكة الأمازون . تولت العرش امرأة تدعى هيبولوتى . كانت هيبولوتى تتمنطق بحزام أهداه إليها جدها الأكبر إله الحرب آريس . أمر يوروسثيوس البطل هيراكليس أن يذهب إلى مملكة الأمازون ، أن يحصل على حزام آريس الذى تتمنطق به الملكة هيبولوتى ، وأن يقدمه هدية إلى أدميتى ابنة الملك يوروسثيوس .

بدأ هيراكليس رحلته إلى مملكة الأمازونيات . مر بجزيرة فاروس . هناك لقى اثنان من بحارة هيراكليس مصرعهم . أضطر البطل إلى الاشتباك مع أهل الجزيرة . حاصرها ولم يفك الحصار إلا بعد أن رضى أهلها بالشروط التى فرضها عليهم . واصل هيراكليس رحلته البحرية عبر مضيق البوسفور

٨٨ - Servius on Vergil's Aeneid, XI. 659; Apollonius Rhodius, II, 976-1000.

٨٩ - Arrian, frag. 58; Diodorus Siculus, II. 45; Herodotus, IV. 110; Tzetzes, Lycophron, 1332.

٩٠ - Pindar, Nemean Odes, III. 38; Servius on Vergil's Aeneid, I. 494; Strabo, XI, 5. 1.

والدردنيل حتى وصل إلى مملكة بافلاجونيا (٩١) . هناك نشأت صداقة بينه وبين الملك لوكوس . فاضطر إلى مساندته فى حروبه ضد البروكيين . أبلى هيراكليس فى تلك الحروب بلاء حسنا . استعاد كثيرا من الأراضى التى كان قد فقدها الملك لوكوس .بعد أن استقرت الأمور فى المملكة، ترك هيراكليس صديقه لوكوس واتجه نحو مصب نهر ثرمودون . علمت الملكة هيبولوتى بقدومه. زارته فى مدينة ثمسكورا . أعجبت بقوامه المشوق ، بعضلاته المفتولة ، بحيويته المتدفقة . برجولته النادرة . نسيت طبيعتها الأمازونية الخشنة . عاد إليها الإحساس بالأنوثة . أحبته . قدمت له دليلا قاطعا على حبها له . أهدته حزامها الذى منحه إليها الإله آريس .

لم ترض الربة هيرا عن ذلك النصر الذى أحرزه هيراكليس دون مشقة . تنكرت فى زى إحدى الأمازونيات . روجت إشاعة مؤداها أن هيراكليس قد دبر خطة لاختطاف هيبولوتى . ثارت ثورة الأمازونيات . نظمن صفوفهن ، هاجمن سفينة هيراكلس. ظن البطل أن هيبولوتى هى التى دبرت له هذه المكيدة . ظن أنها استدرجته إلى ذلك المأزق . غضب هيراكليس . هاجم فلول الأمازونيات . قتل قائداتهن . صرع أعدادا غفيرة منهن . قتل الملكة هيبولوتى . إستولى على حزامها وأسلحتها (٩٢) . بدأ رحلة العودة . قام بمعارك ضارية فى أغلب المناطق التى مر بها . عاد أخيراً إلى موكيناى . سلم حزام هيبولوتى إلى يوروسثيوس ، الذى سلمه بدوره إلى ابنته أدميتى (٩٣) .

٩١ - Diodorus Siculus, V, 79; Herodotus, VII. 72; scholiast on Apollonius Rhodius, II. 754.

٩٢ - Diodorus Siculus, IV, 16; Apollodorus II. 5. 9; Plutarch, Quaestiones Graecae, 45. هناك تفاصيل أخرى لهذا الجزء من الأسطورة تجدها فى Apollonius Rhodius, II, 966-69 with scholiast; Tzetzes, Lycophron, 1329; Diodorus Siculus, Loc Cit.

٩٣ - Euripides, Heracles, 418; Idem, Ion, 1145; Tzetzes, Lycophron, 1327.

وجه يوروسثيوس من خلف جدران الصندوق الفولاذى أوامره إلى هيراكليس . أمره أن ينجز العمل الخارق العاشر (٩٤) . أمره أن يحصل على قطيع جريون دون أن يستأذن صاحبه أو يدفع له ثمنا . كان جريون ملكا على تارتسوس الواقعة فى أسبانيا . عرف جريون بقوته وجبروته . كان مسخا ضاريا شديد البأس . كانت له ثلاثة رؤوس ، وست أذرع ، وثلاثة أجساد تتفرع من عند الوسط . أما نصفه الأسفل فكان لايختلف عن باقى أجساد البشر . كان جريون يملك قطيعاً فريدا من نوعه . كان قطيعا أحمر اللون ، متثاقل الحركة . جميل المنظر . كان يحتفظ بالقطيع فى جزيرة إروثيا . كان يرعى القطيع واحد من أبناء الإله آريس يدعى يوروتيون . وكان يحرسه المسخ أورثوروس الذى أنجبه التيتن توفون من التيتة إخيدنى . كان أورثوروس مفترسا ، شرسا ، على هيئة كلب ضخم ذى رأسين (٩٥) . كان على هيراكليس أن يستولى على القطيع دون أن يستأذن صاحبه جريون أو يدفع له ثمنا .

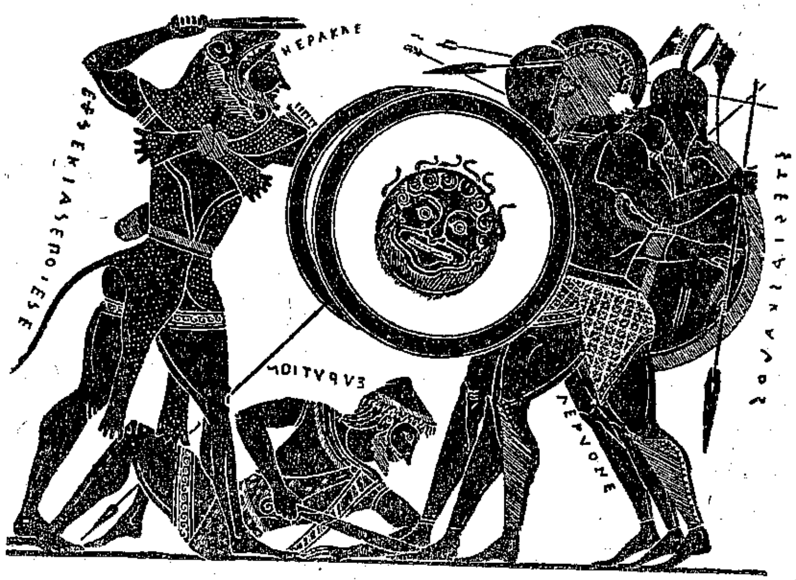
بدأ هيراكليس رحلته إلى أسبانيا مارا بوسط قارة أوربا . صرع أثناء رحلته عددا لاحصر له من الحيوانات الضارية . ثم وصل إلى مدينة تارتسوس فى أسبانيا . هناك أقام هيراكليس عمودين ضخمين متقابلين ، أحدهما على الشاطىء الأسبانى والآخر على الشاطىء الأفريقى (٩٦) . عرف هذان العمودان فيما بعد باسم « أعمدة هيراكليس » (٩٧) . بدأ هيراكليس فى الإبحار

٩٤ — Graves, Op. Cit., pp. 132-44; Guerber, Op. Cit., p. 196; Hamilton, Op. Cit., p. 165; Rose, Op. Cit., pp. 214-15.

٩٥ — Pausanias, IV, 36, 6; Apollodorus, II, 5, 10; Hesiod, Theogony, 287 sqq. and 981; Servius on Vergil's Aeined VI, 289 and VIII, 300; Livy, I, 7.

٩٦ — Diodorus Siculus, IV, 18; Apollodorus, II, 5, 10.

٩٧ — اختلفت الروايات حول أعمدة هيراكليس : من أقامها ، وأين ، ومتى ، ولماذا ؟ واجع كل هـذه الروايات المختلفـة فى : Plinius, Naturais Historia, III, proem and 3; Strabo, III 1,7 and 5, 5; Scholiast on Pindar's Nemean Odes, III, 37; Aelian, Varia Historia, V, 3; Erasmos, Chiliades, 1, 7; Aeschylus, Prometheus Bound, 349 and 428; Tacitus Germania, 34; see further: Graves, Op. Cit., pp. 134-5.



شكل (٢٠)

هيراكليس يصارع جريون

إلى جزيرة إروثيا . أحس بحرارة الشمس الحارقة . استولى عليه الغضب . طفق يؤنب إله الشمس هليوس ويعنفه . سحب سهما من جعبته . شد وتر قوسه فى غضب . كان على وشك أن يصيب إله الشمس هليوس بسهمه المسموم . صاح فيه إله الشمس . عاد هيراكليس إلى هدوئه . اعتذر لهليوس . عفا هليوس عنه . أهداه كأساً ذهبية ضخمة تشبه فى شكلها زهرة زنبق الماء . قفز هيراكليس داخل تلك الكأس الذهبية الضخمة . ظل يجدف كما لو كان فوق ظهر قارب . أحس هيراكليس بأمواج المحيط تماوج بشدة من حوله . استولى عليه الغضب مرة أخرى . وجه سهما من سهامه نحو إله المحيط أوكيانوس . استولى الرعب على أوكيانوس . أمر أمواج المحيط أن تهدأ . عاد هيراكليس إلى هدوئه مرة أخرى . ظلت الكأس الذهبية تشق ماء المحيط حتى وصل هيراكليس إلى جزيرة إروثيا (٩٨) .

صعد هيراكليس جبل أباس . هناك قابله الكلب أورثوروس . إندفع نحوه فى وحشية . ظل ينبح نباحا مدويا . لم يتراجع هيراكليس . تقدم نحو الكلب الشرس فى جرأة وثبات . رفع ذراعيه إلى أعلى ، ثم هوى بهراوته الغليظة فوق رأس الكلب . ثم رفع ذراعيه مرة أخرى ، وهوى بهراوته الغليظة فوق رأسه الآخر . سقط الكلب أورثوروس فاقد الحياة على الفور . سمع الحارس يوروتيون نباح أورثوروس . أسرع نحوه يستطلع الأمر . هاجمه هيراكليس فى خفة وبراعة . صرعه بهراوته الغليظة فى الحال . بدأ هيراكليس فى مطاردة القطيع الهائل . عندئذ ، كان جريون قد علم بما حدث . أسرع جريون إلى حيث يوجد هيراكليس . حاول أن ينقض عليه . لم يمهله هيراكليس أطلق ثلاثة سهام متتالية فى سرعة هائلة . أصابت السهام السامة الثلاثة أبدان جريون الثلاثة . خرَّ جريون صريعا . إستولى الغضب على الربة هيرا ، التى كانت تراقب كل شيء من بعيد . خفت لنجدة جريون . أطلق هيراكليس نحوها سهما أصابها إصابة غير خطيرة . لاذت الربة هيرا بالفرار . إستولى

٩٨ – Athenaeus, XI, 39; Serevius on Vergil's Aeneid, VII, 662 and VIII, 300.

هيراكليس على القطيع دون أن يستأذن صاحبه أو يدفع له ثمنا . حمل القطيع فى الكأس الذهبية الضخمة . شقت الكأس المحيط حتى وصلت إلى مدينة تارتسوس (٩٩) . أعاد هيراكليس الكأس إلى إله الشمس هليوس (١٠٠) . ثم واصل رحلته حتى عاد إلى الملك يوروسثيوس ومعه قطيع جريون (١٠١) .

وجه يوروسثيوس من خلف جدران الصندوق الفولاذى أوامره إلى هيراكليس . أمره أن ينجز العمل الخارق الحادى عشر (١٠٢) . أمره أن يحصل على تفاحات الهسبيريديات . أهدت الربة الأرض — الأم الكبرى — إلى الربة هيرا بمناسبة زواجها شجرة تفاح تثمر ثمرات من ذهب . فرحت الربة هيرا بالهدية . حافظت على الشجرة النادرة . غرستها فى حديقتها الربانية الخاصة . وضعتها تحت رعاية بنات المارد أطلس — الهسبيريديات . فوضت أمر حراستها إلى المسخ لادون (١٠٣) . خرج هيراكليس يبحث عن مكان التفاحات الذهبية النادرة . إخترق منطقة إللوريا حتى وصل إلى حوض نهر البو . أثناء رحلته أضطر لقتال المارد الجبار كوكنوس — ابن إله الحرب آريس . وقف آريس فى صف كوكنوس . أضطر كبير الآلهة زيوس

٩٩ – Hyginus, fabula 30; Euripides, Heracles, 423; Pausanias, X, 17, 4.

١٠٠ – هناك رواية أخرى تختلف تفاصيلها اختلافا جوهريا – يذكرها المصدر التالى Diodorus Siculus, III, 55 and IV, 17-19.

١٠١ – اختلفت الروايات حول الطريق الذى سلكه هيراكليس أثناء العودة وعن الطريقة التى نقل بها قطيع جريون حتى وصل إلى ساحة الملك يوروسثيوس . من ناحية أخرى ، تتفق جميع الروايات بصفة عامة فى أن هيراكليس قد قام بأعمال خارقة ومغامرات جريئه وتعرض لصعاب لاحصر لها أثناء العودة . راجع على سبيل المثال العرض السريع لهذه النقاط فى : Graves, Op. Cit., pp. 135-140.

١٠٢ – Graves, Op. Cit., pp. 145-52; Guerber, Op. Cit., pp. 196-99; Hamilton, Op. Cit., p. 165; Rose, Op. Cit., p. 216

١٠٣ – Apollodorus, II, 5, 11; Euripides, Heracles, 396; scholiast on Apollonius Rhodius, IV, 1396; Eratosthenes, Catasterismoi, III; Hyginus, Poetica Astronomica, II, 3. راجع أيضا ص ٧٦ أعلاه لمعرفة بعض معلومات أخرى عن المسخ لادون .

إلى إنهاء القتال . عندما وصل هيراكليس إلى نهر البو وجد عجوز البحر نريوس نائما . سأله الرأى فى كيفية الحصول على التفاحات الذهبية . حاول نريوس أن يراوغه . أضطره هيراكليس إلى الكلام (١٠٤) . نصحه نريوس أن لا يقطف التفاحات بنفسه . أشار عليه أن يتطلب ذلك من المارد أطلس ، الذى يحمل قبة السماء فوق كتفيه . والذى يتخذ لنفسه مقرا بالقرب من حديقة هيرا الربانية .

طفق هيراكليس يسعى حتى وصل إلى الطرف الأقصى من العالم . هناك قابل المارد أطلس . وجده — كالعادة — يحمل قبة السماء فوق كتفيه . شرح له الأمر . توسل إليه أن يحضر إليه بعض التفاحات الذهبية . أبدى أطلس استعداده لتلبية طلب هيراكليس . لكنه أعرب عن خوفه من المسخ لادون . إتجه هيراكليس نحو الحديقة . صعد فوق السور المرتفع . أرسل سهما قاتلا نحو المسخ لادون . أرداه قتيلا فى الحال . عاد هيراكليس إلى أطلس . طلب منه أطلس أن يحمل قبة السماء بدلا منه . وافق هيراكليس على الفور . حمل فوق كتفيه قبة السماء . ذهب هيراكليس إلى حديقة هيرا الربانية . قطف ثلاث تفاحات ذهبية بمساعدة بناته الهيسبريديات . أحس أطلس بطعم الحرية والراحة أثناء عودته إلى هيراكليس . رفض أن يستعيد قبة السماء فوق كتفيه . سوف يوصل التفاحات الذهبية الثلاث بنفسه إلى الملك يوروستيوس ، ثم يعود ليحمل قبة السماء فوق كتفيه . سوف يستريح من ذلك العبء القاتل فترة من الزمن . تظاهر هيراكليس بالموافقة . لكنه استأذن أطلس لحظة واحدة . إن جلد كتفيه يؤلمه . سوف يبحث عن وسادة يضعها فوق كتفيه . صدقه أطلس . وضع التفاحات الذهبية الثلاث على الأرض بين قدميه . تناول قبة السماء من فوق كتفى هيراكليس . حملها فوق كتفيه كما كان يفعل من قبل . طلب منه أن يسرع فى البحث عن وسادة . إنحنى هيراكليس نحو الأرض فى خفة ورشاقة . إلتقط التفاحات الثلاث من بين قدمى أطلس ..

١٠٤ — تروى بعض المصادر أن هيراكليس لجأ إلى بروميثيوس الذى أرشده إلى مكان التفاحات
Apollodorus, II, 5; Herodotus, VIII, 124-7; Hyginus, Poetica Astronomica, II, 15.

قهقه فى سخرية بالغة . فر هاربا . لم ينس أن يشكر أطلس على ماقدمه له من معونة .

حصل هيراكليس على تفاحات الهيسبريديات . بدأ طريق العودة إلى موكيناى . مرَّ بليبيا . هناك أضطر لمقابلة الملك أنتايوس . أنتايوس هو أحد أبناء الأرض ، قوى البنية ، شديد البأس . يتحدى كل غريب يمر بمملكته . يصرعه . تراكمت جماجم ضحاياه . أراد أن يقيم بها قاعة فى معبد بوسيدون . (١٠٥) لم يتردد هيراكليس . قاتل أنتايوس . أشبعه ركلا ولكما ، أنهك قواه ، طرحه أرضا ، هب أنتايوس على الفور وقد استعاد قوته . أعاد هيراكليس الكرَّة بعد الكرة . كان أنتايوس يستعيد قواه المنهوكة كلما طرحه هيراكليس أرضا . لاحظ هيراكليس أن أنتايوس يتعمد أن يلمس الأرض . إكتشف السر الخطير بعد صراع مرير . إكتشف أن أنتايوس قد أنجبته الأم الأرض . إكتشف أنه يستمد قوته بملامسة أمه الأرض . عندئذ ، رفعه بيديه واحتضنه ، حطم ضلوعه ، كسر عظامه ، كتم أنفاسه . فعل ذلك دون أن يتيح له الفرصة ليلمس الأرض (١٠٦) . بعد ذلك اتجه هيراكليس نحو نبوءة الإله آمون . هناك طلب من والده زيوس أن يطل عليه بوجهه الربانى . رفض زيوس فى بادىء الأمر . أخيرا أطل عليه بعد أن أخفى وجهه خلف رأس حمل مذبوح (١٠٧) . بعد ذلك اتجه هيراكليس نحو الجنوب . مرَّ بمصر ، حيث أراد المصريون أن يقدموه قربانا للآلهة ، لكنه كسر قيده . وقهر أعداءه ، وقتل الملك وولى عهده . ثم فر هاربا (١٠٨) . وصل هيراكليس إلى آسيا . هناك حرر بروميثيوس من سجنه الأبدى (١٠٩) . ثم واصل طريقه

١٠٥ — Apollodorus, Loc. Cit.; Hyginus, fabula 31; Diodorus Siculus, IV, 17.

١٠٦ — Pindar, Isthmian Odes, IV, 52-55; Lucanus, IV, 589-655.

١٠٧ — Herodotus, II, 42; Strabo, XVII; 1,43.

١٠٨ — Apollodorus; II, 5, 11; Hyginus; fabula 31 and 56; Ovid, Ars Amatoria, I, 649.

١٠٩ — Aeschylus, Prometheus Bound, 1025; Idem, frag. 195; Plinius, Naturalist Historia; XXXIII, 4 and XXXVII, 1

حتى وصل إلى موكيناى . هناك سلم التفاحات الذهبية إلى الملك يوروسثيوس .

وجه الملك يوروسثيوس من خلف جدران صندوقه الفولاذى أوامره إلى هيراكليس . أمره أن ينجز العمل الخارق الثانى عشر (١١٠) . أمره أن يحضر الكلب كربيروس من عالم الموتى – تارتاروس . لم يكن من السهل الهبوط إلى عالم الموتى . لذا بحث هيراكليس عن منفذ يهبط منه إلى أعماق الأرض . ساعدته فى ذلك الربة أثينة والإله هرميس (١١١) . كان عليه أن يعبر نهر ستوكس الذى يفصل بين عالم الأحياء وعالم الموتى . لم يكن يسمح بعبوره إلا للموتى . كان هناك المعداوى خارون الذى يحمل فى قاربه العتيق الموتى فقط . وصل هيراكليس إلى شاطىء نهر ستوكس . إستولى الفزع على المعداوى عند رؤيته لهيراكليس . لم يجرؤ على منعه من العبور . حمله فى قاربه العتيق . أوصله إلى عالم الموتى . نزل هيراكليس إلى الشاطىء . استولى الذعر والفزع على جميع الموتى . فرّ الجميع من شدة الفزع . اقترب هيراكليس من بوابة الجحيم ، هناك قام بأعمال عديدة شهدت له بالقوة . حرر ثسيوس من عذابه الأبدى . أنقذ أسكالوفوس من العذاب الذى فرضته عليه الربة ديميتر . أضطر لقتال راعى ماشية الإله هاديس وكان على وشك أن يقضى عليه . (١١٢)

استقبل إله العالم السفلى هاديس وزوجته هيراكليس بالترحاب . طلب البطل من الإله هاديس أن يسمح له باصطحاب الكلب كربيروس. تظاهر الإله هاديس بالموافقة . سوف يكون كربيروس ملك يدى هيراكليس لو أنه استطاع أن يخضعه ويرغمه على أن يتبعه. هكذا أخبره هاديس ثم فرض عليه شرطا واحدا : أن لا يستخدم هراوته الضخمة أو سهامه القاتلة .

١١٠ – Graves; Op. Cit., pp. 152-58; Guerber Op. Cit., p. 200; Hamilton; Op. Cit., pp. 165-67; Rose, Op. Cit; PP. 215 — 16.

١١١ – Apollodorus, II, 5, 12; Xenophon, Anabasis, VI. 2, 2; Homer, Odyssey, XI 626; Iden; Iliad VIII 362 sqq.

١١٢ – Apollodorus, II; 5.12; Bacchylides, Epinicia V; 71 sqq. and 165 sqq. ; Tzetezes, Chiliades, II, 396 sqq.



شكل (٢١)

هيراكليس يحمل كربيروس

وافق هيراكليس دون تردد . تقدم فى ثبات نحو كربيروس . لم يكن كربيروس كلبا عاديا مثل جميع الكلاب . كان له جسم كلب ، يتفرع من رقبته ثلاثة رؤس مزودة بالحيات السامة ، له ذيل ملىء بالأشواك. ضرباته تشبه ضربات السوط . كانت مهمة كربيروس حراسة بوابة الجحيم . منظره بشع يثير الذعر فى نفوس الناظرين . تقدم هيراكليس نحو المسخ المخيف فى حرص وثبات . إنقض بقبضته القوية على عنق المسخ . هبّ المسخ المخيف واقفا . ظل يطوح بذيله الرهيب فى كل اتجاه ، يحرك رءوسه الثلاثة فى وحشية ، يحاول التخلص من قبضة منافسه والانقضاض عليه . لم يستطع كربيروس مقاومة قبضة هيراكليس القوية . لم تتراخ عضلات هيراكليس لحظة واحدة . أخيرا استسلم المسخ المخيف لإرادة البطل هيراكليس (١١٣) . وعاد هيراكليس يجر وراءه الكلب كربيروس حتى وصل إلى ساحة الملك يوروسثيوس .

(٣) تأليهه

أنجز هيراكليس الأعمال الخارقة الاثنى عشر التى كلفه بها الملك يوروسثيوس . أصبح البطل حرا طليقا . قضى فترة من الزمن فى مدينة فينيوس الواقعة فى شبه جزيرة البلوبونيس . ثم رحل إلى أيتوليا . هناك التقى بفتاة جذابة تدعى ديانيرا . عشقها ، أراد أن يتزوجها . إكتشف أن هناك من ينافسه فى الزواج بها . تغلب البطل على كل منافسيه(١١٤). أصبحت ديانيرا زوجة له (١١٥) . بعد فترة وجيزة رحل هيراكليس

١١٣ – Apollodorus; Loc. Cit. .

١١٤ – Diodorus Siculus, IV, 34-35; Apollonius Rhodius, I, 8, 1 and II, 7, 5, Bacchylides, Epinicia, V, 165 sqq.; Ovid, Metamorphoses, IX, 1-100; Sophocles, Trachiniae, 1 sqq. Hyginus, fabula 31.

١١٥ – Guerber, Op. Cit., pp. 201-3; Genest, Myths of Ancient Greece And Rome, pp. 114-15.

مع ديانيرا إلى تراخيس . استمر زواج هيراكليس وديانيرا . أنجبت له أربعة أبناء – هولوس وكتسيبوس وجلينوس وهوديتيس – وابنة واحدة تدعى ماكاريا (١١٦) .

لم يهدأ البطل هيراكليس قط . ظلت حياته مليئة بالمغامرات . ظل ينتقل من مكان إلى مكان ، يشن الحروب هنا وهناك . ينصر المظلوم ، ويقهر الظالم . يقف فى وجه الطغاة، ويتحالف مع المدافعين عن وطنهم وكرامتهم (١١٧) . يسعى وراء الأعمال الخارقة الجريئة ، ويبحث عن المتاعب والمبارزات الفردية المثيرة . يجمع الجيوش الضخمة ، ويغشى المعارك الحامية . فى كل مرة كان يعود إلى زوجته وأطفاله سالما غانما (١١٩) . ذات مرة جمع جيشا ضخما . سار نحو مدينة أوخاليا . أراد الانتقام من الملك يوروتوس . ترك زوجته ديانيرا فى تراخيس كعادته . حاصر مدينة أوخاليا . شدد الحصار حولها . إقتحمها . دمرها . أتى على مبانيها ومعابدها . خرب حقولها ومزارعها ، قتل ملكها . كسر شوكة قادتها وزعمائها ، سلب المدينة ونهبها ، سبى نساءها . احتفظ لنفسه بجارية فاتنة . لم تكن تلك الجارية سوى الأميرة إيولى ابنة الملك يوروتوس (١٢٠). لم تستسلم إيولى فى سهولة لهيراكليس. قتل أمام عينيها جميع أفراد أسرتها . تركته يفعل ذلك دون أن تستسلم له . ثم غافلته وقفزت من فوق أسوار المدينة، لكن الآلهة أرادت لها

١١٦ – Apollodorus, II, 7, 8; Diodorus Siculus, IV, 37; Pausanias, I, 32, 5.

١١٧ – راجع Hamilton, Op. Cit., pp. 167 — 171 حيث يوجد عرض سريع موجز لمجموعة الأعمال التى قام بها هيراكليس قبل – أو أثناء أو بعد – أن يقوم بالأعمال الخارقة الإثنى عشر .

١١٨ – راجع مجموعة من هذه الأعمال فى Rose, Op. Cit., pp. 216 — 19. .

١١٩ – تمتلئ المصادر القديمة والحديثة بعدد لاحصر له من الأعمال الجريئة والمغامرات والمعجزات التى حققها هيراكليس، والتى لايتسع المجال لذكرها بالتفصيل . يمكن الرجوع إليها فى : Graves, Op. Cit, pp. 135 — 199.

١٢٠ – Athenaeus, XI, 461; Apollodorus, II, 7, 7.

الحياة . أرسلت الرياح لتنقذها . امتلأ ثوبها بالهواء ، فتحول إلى مايشبه المظلة . عندئذ هبطت إيولى على الأرض سالمة . أرسلها هيراكليس مع بقية السبايا إلى زوجته ديانيرا فى تراخيس . (١٢١) . طلب من زوجته أن ترسل إليه ثيابا خاصة كان يرتديها أثناء صلاة الشكر التى يقيمهابعد كل انتصار (١٢٢) .

استقبلت ديانيرا الأسيرة إيولى . بهر الملكة جمال الأسيرة الأخاذ . شعرت بالغيرة الشديدة . لقد اعتاد هيراكليس أن يعود إليها بعد كل غزوة بأسيرة فاتنة . لكن ديانيرا شعرت فى هذه المرة بمرارة لم تشعر بها من قبل . لكنها كانت تحب هيراكليس حبا يفوق الحد . لم تشأ أن تسيء استقبال إيولى حتى لا تغضب زوجها هيراكليس . لم تشعر بالحقد نحو زوجها لأنها كانت تحبه وتعشقه . شعرت برغبة شديدة فى انتزاع حب هيراكليس . عندئذ ، تذكرت ديانيرا حادثة مرت بها منذ فترة طويلة(١٢٣).ذات مرة أراد الوحش نيسوس اغتصابها. لكن هيراكليس خفّ لنجدتها . أطلق سهما قاتلا نحو الوحش أرداه قتيلا . أسرّ الوحش نيسوس — وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة — إلى ديانيرا أن تحتفظ بدمائه التى سالت على الأرض . أخبرها أن قلب هيراكليس قد يتحول عنها فى يوم من الأيام . نصحها أن تستخدم دماءه دواء لاستعادة حب هيراكليس . عملت ديانيرا بنصيحة الوحش نيسوس. احتفظت بكمية من دمائه . لم تبح بشيء إلى زوجها هيراكليس (١٢٤) .

١٢١ - Sophocles, Trachiniae, 283 sqq; Hyginus, fabula 35; Plutarch, Vitae Parallelae, 13.

١٢٢ - Sophocles, Op. Cit., 298 and 752 — 4; Apollodorus, II, 7, 7; Diodorus Siculus, IV, 38.

١٢٣ - Guerber, Op. Cit., pp. 203—205; Genest, Op. Cit. pp. 116 — 119.

١٢٤ - Apollodorus, II, 7, 6; Sophocles, Op. Cit., 555—61; Ovid, Metamorphoses, IX, 101 sqq.; Diodorus Siculus, IV, 46.

تذكرت ديانيرا تلك الحادثة عندما أتى الرسول ليخاس يطلب ثيابا لهيراكليس (١٢٥)بحثت عن كمية الدماء التى مازالت تحتفظ بها. أحضرت الثوب المطلوب . لطخته بدماء الوحش ، طلبت من الرسول ليخاس أن يسلمه إلى هيراكليس ويطلب منه أن يعود إليها فى أسرع وقت . لم يعلم أحد بما فعلته ديانيرا(١٢٦) . ترك الرسول ليخاس تراخيس يحمل الثياب إلى هيراكليس . خرجت ديانيرا إلى أهل تراخيس تنقل إليهم البشرى . سوف يعود هيراكليس فى التو واللحظة . سوف يعود إليها عاشقا ولهانا . سوف ينسى كل عشيقاته . سوف يرتمى بين أحضانها . فلقد لطخت الثياب التى أرسلتها إليه بدماء الوحش نيسوس . لكن فجأة، يتحول أملها يأساً ، ويصبح فرحها حزنا ، وينقلب ابتهاجها إلى هم وقلق . تكتشف أن دماء الوحش نيسوس ليس إلا سما زعافا . تكتشف أن الوحش نيسوس أراد أن ينتقم من هيراكليس ، أراد أن يجعل منها أداة لانتقامه(١٢٧). أرسلت ديانيرا رسولا آخر ، عسى أن يلحق بالرسول ليخاس قبل أن يسلم الثوب القاتل إلى هيراكليس . لكنها تعلم أن أمر الآلهة قد نفذ . فتفارق الحياة بيدها — لا بيد شخص آخر .

وصل ليخاس إلى هيراكليس . سلمه الثوب القاتل (١٢٨) . على الفور ارتدى هيراكليس الثوب . بدأ فى إقامة الصلاة . أحس البطل بحرارة تسرى فى جسده .أخذت تزداد شيئا فشيئا . أحس بالثوب يحرق جلده . فى تلك اللحظة وصل رسول ديانيرا . طلب من هيراكليس أن يخلع الثوب القاتل . حاول هيراكليس أن يخلع الثوب . لم يستطع . التصق الثوب بجلده . انتزع الثوب انتزاعا . انفصل عن جسده بصعوبة

١٢٥ - Warner, Men And Gods, pp. 171 — 2.

١٢٦ - Hamilton, Op. Cit. pp. 106 — 111.

١٢٧ - Sophocles, Op. Cit., pp. 460 — 751; Hyginus, fabula 36.

١٢٨ - Guerber, Op. Cit., pp. 206 — 7.

هائلة . لكن جلده كان ما زال ملتصقا بالثوب . ظهرت عظام هيراكليس بعد أن انتزع الجلد واللحم من حولها . أخذت الدماء تتدفق من كل أطراف جسده . بدأ السم القاتل ينخر فى عظامه . أحس بنخاع عظامه يذوب من شدة الحرارة (١٢٩) . لكن البطل هيراكليس لم يئن ، ولم يصرخ . تذكر نبوءتين سمعهما ولم يعرهما اهتماما من قبل . النبوءة الأولى : سوف تفارق ديانيرا مدة إثنى عشر شهرا ، ثم تعود إليها فتلقى مصيرك المحتوم . النبوءة الثانية : سوف يقتلك أحد أعدائك — لكن بعد موته .

أدرك هيراكليس أنه ميت لا محالة . استدعى ولده هولاس . طلب منه أن يصطحبه إلى زوجته ديانيرا فى تراخيس . وصل موكب البطل هيراكليس إلى تراخيس . أمر ولده أن يضعه فى محرقة . طلب منه أن يشعل النار (١٣٠) . تردد هولاس . رفض فى أدب جم أن يلبى طلب والده . اشتدت آلام هيراكليس . توسل إلى كل من حوله أن يشعل النار فى المحرقة . لم يجد الحاضرون مخرجا ، لم يقدروا على أن يخيبوا رجاء هيراكليس . أشعل البطل فيلوكتيتيس النار فى المحرقة (١٣١) . بدأت النار تسرى فى الأخشاب التى يرقد فوقها هيراكليس . أوصى ولده أن يتزوج من الأميرة إيولى . بدأ يلفظ أنفاسه الأخيرة . لكن كبير الآلهة زيوس أراد لابنه هيراكليس الخلود . أخذ يتوسل إلى زوجته الشرعية هيرا أن ترضى عنه. رضيت عنه هيرا ، قبلت أن يصبح هيراكليس ابنا لها . عندئذ ، صعدت روح هيراكليس إلى جبل أولومبوس . أصبح إلهاً خالدا بين آلهة الإغريق الخالدين . لم يحترق سوى جسده الفانى .

---

١٢٩ — Sophocles Op. Cit., 756 sqq. ; Tzetzes, Lycophron, 50 — 51.

١٣٠ — Sophocles, Op. Cit., 912 sqq. ; Apollodorus, II, 7, 7.

١٣١ — Graves, Op. Cit., pp. 200 — 206.

تلك هى أسطورة هيراكليس ، قصة البطل الشجاع ، القوى ، المغامر ، القاهر ، الظافر ، طيب القلب ، طاهر الروح ، نظيف الذيل . قصة البطل الذى صمد أمام أقداره الغادرة ، الذى لم تزده العواصف إلا قوة فوق قوته . لم تمنحه الشدائد إلا صلابة فوق صلابته . تلك هى أسطورة هيراكليس الذى تحول — من خلال ما لاقاه من متاعب — من بشر فان إلى إله خالد (١٣٢) . تلك هى أسطورة هيراكليس الذى أصبح « مجد هيرا » بعد أن كان محط حقدها وغضبها .

* * *

---

١٣٢ — اختلفت المصادر القديمة — كما اختلفت الآراء الحديثة والمعاصره أيضا — حول وضع هيراكليس فى الأساطير الإغريقية : يرى البعض أنه شخصية حقيقية (تاريخية) ، ملكا أو أميرا كان يحكم تيرنس Tiryns ، بينما يرى البعض الآخر أنه كان بطلا أسطوريا . ولقد انقسم البعض الآخر إلى فريقين : فريق يرى أنه ظل بطلا والدليل على ذلك أنه قد لقى حتفه وذاق الموت ، أما الفريق الآخر فيرى أنه قد تحول إلى إله من الآلهة الأولومبيه . راجع : Farnell, Hero — Cults, pp. 95 sqq. ; Rose, Op. Cit., p. 205.

قائمة المراجع

أ ـ المراجع الأجنبية

Apuleius (Lucius),
The Transformations of Lucius, Otherwise is known as the Golden Ass, (translated by Robert Graves), Harmondsworth, Middlesex 1950.

Baldry (H. C.),
Ancient Culture And Society (The Greek Tragic Theatre), London 1971.

Ancient Greek Literature in Its Living Context, London 1968.

Banier (Abbé),
La Mythologie et les fables expliquées par l'histoire, Paris 1938.

Bopp (Franz),
Comparative Grammer, (translated from German by Eastwick), London 1862.

Bowra (C. M.),
The Greek Experience, Mentor Books 1959.

Landmarks In Greek Literature, London 1966.

Bryant (E),
A New System, or an analysis of Ancient Mythology, London 1774.

Butler (Samuel),
The Authoress of The Odyssey, University of Chicago Press, 1967.

Camus (Albert),
Le Mythe de Sisyphe, essai sur l'absurde, Paris 1942.

Cary (M.) (editor),
The Oxford Classical Dictionary, Oxford 1949.

Comes (Natalis),
Du Culte de dieux fetiches, ou parallile de l'ancienne religion de l'Egypte avec la religion actuelle de Nigritie, Paris 1760.

Cook (A. B.),
Zeus, A study In Ancient Religion, Cambridge Vol. I (1914), Vol. II. (1925), Vol. III (1940).

Cornish (F. W.),
Catullus, Heinemann 1913.

Cox (Sir George William),
An Introduction to Mythology and Folklore, London 1881.

The Mythology of the Aryan Nations, London 1870.

Creuzer ( ),
Symbolik und Mythologie, Leipzig 1810-1812.

Earp (F. R.).
The Way of The Greeks, Oxford 1929.

Evelyn — White (Hugh G.),
Hesiod, The Homeric Hymns And Homerica, Heinemann 1959.

Farnell (Lewis Richard).
The Cults of the Greek States (5 Vols.), Oxford 1896-1909.

Frazer (Sir James George),
*The Belief in Immortality and the worship of the

Dead*, London Vol. I (1913), Vol. 2 (1922), Vol. 3 (1924).

Folk-Lore in the Old Testament (Studies in Comparative Religion, Legend and Law), 3 vols., London 1919.

The Golden Bough (one-volume abridged edition), New York 1940.

The Golden Bough (a Study in Magic and Religion) 12 Vols., London 1911-1915.

Totemism and Exogamy (a treatise on certain early forms of Superstition and society) 4 vols, London 1909.

The Worship of Nature, London 1926.

Greek Hero-cults and Ideas of Immortaility, oxford 1921.

Freud (Sigmund),
A General Introduction to Psychoanalysis, (translated into English by J. Riviere), New York 1943.

Genest (Emile),
Myths of Ancient Greece And Rome, London (Burke Books) 1963.

Godley (A. D.),
Herodotus, Vol. I. Heinemann 1946.

Graves (Robert),
The Greek Myths, 2 vols. Penguin Books 1955.

Guerber (H. A.),
The Myths of Greece And Rome, (their stories signification and origin) London 1931.

Guthrie (W. K. C.),
Orpheus And Greek Religion, Cambridge 1935.

The Greeks And Their Gods, Methuen 1950.

Hamilton (Edith),
Mythology, Timeless Tales of Gods and Heroes, New York 1959.

Harrison (Jane E.).

Epilegomena To The Study of Greek Religion. Cambirdge 1921.

Prolegomena To The Study of Greek Religion. Cambridge 1903.

Themis, A study of the Social Origins of Greek Religion. Cambridge 1912.

Havelock (E. A.).

Lyric Genuis of Catullus London 1939.

Highet (Gilbert),

The Classical Tradition (Greek and Roman Influences on Western Literature) Oxford 1949.

Jevons (F. B.),

Introduction to the History of Religion, London. 1916.

Jung (C. G.),

Integration of the Personality (The English translation), New York, 1950.

Psychology and Religion. New York 1945.

Psychology and the Unconscious. New York 1948.

Kupfer (Grace H.),

Legends of Greece And Rome. London 1929.

Laestrin (   ),

Des Rathsel der Sphinx, Berlin 1889.

Nebelsagen. Berlin 1879.

Lang (Andrew),

Custom and Myth. London 1884.

The Making of Religion, London 1898.

Modern Mythology, London 1897.

Myth, Ritual and Religion, 2 vols. London 1887.

Lesky (Albin),

Greek Tragedy. London 1965.

A History of Greek Literature (translated into English by James Willis and Cornelis de Heer), Methuen 1966.

Mannhardt (   ),

Antike Wald-und Feldkulte. Berlin 1877.

Marret (R. R.),

The Threshold of Religion. London 1909.

Müller (Max).

German Myths (English translation). Lodon 1858.

Lectures upon Language. London 1895.

Müller (O. K.),

Prolegomena Zu einen Wissenschaftlichen Mythologie (The English translation by Leitch, London 1844), Leipzig 1820.

Selected Essays (English translation,) London 1886.

Murray (Gilbery),

The Literature of Ancient Greece, University of Chicago Press 1956.

The Rise of Greek Epic. Oxford 1967.

Reinach (Salomon),

Cults, Myths et Religions (translated into English London 1912), Paris 1905.

Orpheus, Paris 1909.

Rose (H. J.),

Handbook of Greek Literature (from Homer to the Age of Lucian), Methuen 1950.

Handbook of Greek Mythology (including its extension to Rome), Methuen 1953.

Handbook of Latin Literature, (From the earliest times to the death of St. Augustin), Methuen 1954.

Sandys (J. E.),

Dictionary of Classical Antiquities, New York-1962.

The Odes of Pindar (including the principal fragments), Heinemann 1957.

Selincourt (Aubrey De),
Herodotus, The Histories, Penguin Classics 1954.

Sinclair (T. A.),
A History of Classical Greek Literature, (from Homer to Aristolle), London 1939.

Smith (William Robertson),
Religion of the Semites, London 1893.

Spence (Lewis),
A Dictionary of Mythology, London 1919.

An Introduction To Mythology, London 1931.

The Myths and Legends of Ancient Egypt, London 1910.

The Myths of Mexico and Peru, London 1912.

The Myths of the North American Indians, London 1918.

Spencer (Herbert),
Principles of Sociology, London 1898.

Stanford (W. B.),
Aristophanes, The Frogs, Macmillan 1963.

Taylor (A. E.),
Plato, The Man And His Work, Methuen 1960.

Taylor (E. B.),
Primitive Culture, London 1871.

Researches into the Early History of Mankind, London 1865.

Tiele (Carnelius Petrus),
Revue de l'Histoire de Religions (The English translation), London 1878.

Toynbee (Arnold J.),
Greek Historical Thought, Mentor Book 1964.

Warner (Rex),
Men And Gods, London 1967.

Zimmerman (J. E.),
Dictionary of Classical Mythology, Bantam Book 1965.

ب – المراجع العربية

أوفيديوس ، فن الهوى ، ترجمة د. ثروت عكاشة ، دار الشروق ، بيروت القاهرة بدون تاريخ .

— ، مسخ الكائنات ، ترجمة د . ثروت عكاشة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٢ .

عبد المعطى شعراوى (دكتور) . المأساة اليونانية ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

— ، النص الكامل لتراجيديا الفرس (ترجمة وتقديم) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٨ .

— (وآخرون) ، فرجيليوس ، الانيادة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، الجزء الأول ١٩٧١ ، الجزء الثانى ١٩٧٧ .

— ، « قصة الحمار الذهبى » ، مجلة المجلة ، العدد ١٥١ (يوليو ١٩٦٩) ص ص ٥٢ – ٦٤ ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة .

— ، «كيوبيدوسايكى» ، مجلة الجديد ، العدد رقم ١٥ (أغسطس ١٩٧٢) ص ص ٨ – ١١ ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة .

— هوميروس ، شاعر الالياذة والأوديسا ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، ١٩٧١ .

محمد صقر خفاجة (دكتور) وعبد اللطيف أحمد على (دكتور) ، أساطير اليونان ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٩ .

وهيب كامل (دكتور) ، هيرودوت فى مصر (القرن الخامس قبل الميلاد) ، (ترجمة وتقديم) ، دارا المعارف ، القاهرة ، ١٩٤٦ .

الثبت العام

أباس	Abas
أبديروس	Abderos
أبو الهول (أنظر : سفنكس)	
أبوللودوروس	Apollodoros
أبوللون	Apollon
أبوللونيوس الرودى	Apollonius Rhodius
أبوليوس	Apuleus
أبيا	Abia
ابيروس	Epiros
أبيساس	Apisas
ابيكاستى	Epikaste
أبيميثيوس	Epimetheus
أبيوس	Abios
أتالانتا	Atalante
أتريوس	Atreus
أتوس (جبل)	Athos
أتيكا	Attike
اتيوكليس	Eteokles
أثينا	Athenai
أثينة	Athene
اتيوبيا	Ethiopia
أجاممنون	Agamemnon
أجلاووس	Aglaeus
أخايا	Achaia
اخيدنى	Echidne
أخيلوس (نهر)	Achilous

أخيليوس	Achileus
اخيوس	Achios
ادراستوس	Adrastos
ادميتى	Admete
ادميتوس	Admetos
أدون	Adon
أدونيس	Adonis
أراتوس	Aratos
أراثوريا	Arathuria
ارتميس	Artemis
أرتميسيوم	Artemissieum
ارجوس	Argos
أرجوليس	Argolis
الأرجوناوتيكا (رحلة السفينة أرجو)	Argonautica
أرجيا	Argeia
أرجينوس	Arginous
أرخومنوس	Archomenos
أرخيلوخوس	Archilochos
أرسطو	Aristoteles
أرسينوى	Arsinoe
أركاديا	Arcadia
أرنيوس	Arnios
اروثيا	Erutheia
اروس	Eros
أروكوس	Arokos
ارومانثوس	Arymanthos

أريادني	Ariadne
اريبوس	Erebos
اريجوني	Erigone
أريخثيوس	Erichtheus
آريس	Ares
أريستايوس	Aristaeus
أريستوفانيس	Aristophanes
اريفولي	Eriphule
الأريوباجوس (مجلس)	Areopagos
الأزانيس (بلاد)	Azanes
أسبانيا	Hespania
اسبرطة	Sparte
أستومدوسا	Astumedusa
أستيروبي	Asterope
أستيري	Asterie
اسثموس (مضيق)	Isthemos
اسكالوفوس	Eskalophos
أسكرا	Askara
الاسكندرية	Alexandreia
أسوبوس	Asopos
الأسود (البحر)	
آسيا (قارة)	Asia
آسيا الصغرى	Asia Minor
أطلانتيس (مملكة)	Atalantis
أطلس	Atlas
أفلاطون	Platon
أفروديتي	Aphrodite
افوروس	Ephoros
افوروي	Ephoroi
أكروبوليس	Akropolis
أكريسيوس	Akrisios
اكو (أنظر : ايخو)	
ألابون	Alabon
ألثايا	Althaia
ألفيوس	Alpheios
ألفييري	Alfieri
ألكايوس	Alkaios
الكترا	Elektra
الكتريون	Elektryon
ألكستيس	Alkestis
ألكسيون	Alexyon
ألكميني	Alkmene
ألكون	Akon
ألكيديس	Alkeides
ألكيوني	Alkyone
اللوريا	Illuria
المينيون (شعب)	Minyades
الالياذة (أنظر هوميروس)	
اليس	Elis
أليتيس	Aletis
اليوسيس	Eleusis
أمازونيات	Amazone
أمبروجيني	Angelo Ambrogini
أمبروسيا	Ambrosia
أمفتريون	Amphitryon
أمفياراوس	Amphiaraos
أمفيداماس	Amphidamas
أمفيدامانتيس	Amphidamantis
أمومونى	Amymone
آمون	Amon
اناريتي	Enarete
أناكسيبا	Anaxippe
أنتايوس	Antaios
أنتيجوني	Antigone
أنتيكليا	Antikleia

أنوي (جان)	Jean Annouilh
أنيتي	Anete
انيوس	Ennius
أوتولوكوس	Autolykos
أوجسطين (القديس)	St. Augustin
أوجياس	Augeias
أوديب (= أوديبوس)	Oidipous
أوديسا (= أودوسا ، انظر هوميروس)	
أوديسيوس (= أودوسيوس)	
أورانوس	Ouranos
أوربا (قارة)	Europa
أورثروس	Orthros
أورستيس	Orestes
أورفيوس	Orpheus
أوركوس	Orkos
أورنوتيون	Ornytion
أورورا	Aurora
أورونتيس	Orontis
أورياكوس	Oreakos
أوريثيا	Oreithyia
أوريناى	Orenai
أوريوروثوي	Oreorythoi
أوفلتيس	Opheltes
أوفيديوس	Ovidius
أوفيديوس (التقاويم)	(Fasti
أوفيديوس (التغيرات)	(Metamorphoses
أوفيديوس (فن الحب)	(Ars Amatoria
أوفيديوس (قصائد البطلات)	(Heroides
أوكيانوس	Okeanos
أولوس جيلليوس	Aulus Gellius
أولومبوس	Olumpos
ألومبيا	Olumpeia
أوليس	Aulis
أونخيستوس	Onchestos
أوياجروس	Oeagros
أوينومايوس	Oinomaios
أويخاليا	Oichalia
أوينيوس	Oineus
أياكوس	Aiakos
أياس	Aias
أيتوليا	Aitolia
الايجي (البحر)	
ايجيسثوس	Aigisthos
أيجيالوس	Aigialeus
أيجينا	Aigina
أيجيوم	Aigaion
ايخو	Echo
ايدا	Ide
أيروبي	Aerope
ايريس	Iris
الايرينيات	Erinnyes
أيسخولوس	Aischulos
ايسميني	Ismene
ايطاليا	Italia
ايفيجنيا	Iphigeneia
ايفيكليس	Iphikles
ايفينوس	Iphenos
ايكاروس	Ikaros
ايكاريا	Ikaria
ايكسيون	Ixion
ايليثيا	Eileithyia
آينياس	Aineias

ايو	Io
ايولى	Iole
ايون	Ion
ايونيا	Ionia
أيولوس	Aiolos
ايوليس	Aioles
بابل	Babylonia
باخوس (أنظر ديونوسوس)	Bakchos
باخيات (= عابدات باخوس)	Bakchai
باخيليديس	Bakchylides
بارثينوبايوس	Parthenopaios
بارثينيون	Parthenyon
بارناسوس	Parnassos
باروس	Paros
باريس	Paris
باسيفاى	Pasiphae
بافلاجونيا	Paphlagonia
بافوس	Paphos
باكتولوس	Paktylos
بالاميديس	Palamedes
بان	Pan
باندورا	Pandora
بانديون	Pandion
بانيه (القديس)	Abbé Banier
باوسانياس	Pausanias
بتريلاؤس	Petrilaos
براورون	Brauron
البيبروكيون	Bebrykes
بربيريس	
برج السرطان	
برديكس	Perdix

برسيس	Perseis
برسيفونى	Persephone
برسيوس	Perseus
بروتياس	Proteus
بروديكوس	Prodicus
بروس (دى)	De Brosses
بروميثيوس	Prometheus
بريابوس	Priapos
برياموس	Priamos
بريانت (ا)	E. Bryant
بريبويا	Periboea
بسوفيس	Psophis
بستولا	Psylla
البسفور (مضيق)	Bosporos
بلاسثيتيس	Plasthetis
بلاسجيوتيس	Pelasgiotes
بلوبس	Pelops
بلوبيا	Pelobeia
بلوبونيس	Peloponesos
بلوتارخوس	Plutarchos
بلوتو	Plouto
البلياديس	Pliades
بندازوس	Pindaros
بنداريوس	Pandareos
بنيوس	Pneus
بو (نهر البو)	Po
بوب (فرانز)	Franz Bopp
بودارجوس	Podargos
بولودوكيس	Polydeukes
بورا	Pyrrha
بورايخموس	Boraichmos
بورفيرى	Porphyrios
بوسيدون	Poseidon

بوللوكس	Pollux
بولاديس	Pylades
بولوبوس	Polybos
بولوفيموس	Polyphemos
بولوبيا	Polybia
بولوكاستى	Polykaste
بولونيكيس	Polyneikes
بونتينوس	Pontinos
بيريثوس	Peirithos
بيرينى	Peirene
بيزا	Piza
بيكون (فرانسيس)	Francis Bacon
بيلينى	
بيوتيا	Boiotia
بيجماليون	Pygmalion
بيون	Bion
تارتاروس	Tartaros
تارتسوس	Tartessos
تارتوس	Tartos
التافيون	Tapheioi
تالثوبيوس	Talthybios
تايلور (ا . ب)	E. B. Taylor
تايلور (توماس)	Thomas Taylor
تالوس	Talos
تانايس	Tanais
تانتالوس	Tantalos
تانوس	Tanos
تاوروبولوس	Tauropolos
تاوروبولى	Tauropole
التاوريون (شعب)	Taurioi
تايجيتى	Taygete

تثريس	Tethrys
ترابانى	Trapani
تراخيس	Trachis
تراقيا	Thrake
ترويزين	Troizen
تريثوس	Trythos
التليبوييون	Teleboai
تمسكورا	Themiskura
تموز	Tammuz
تمولوس	Tmolos
تورو	Tyro
توفون	Typhon
توفيق الحكيم	
توندايوس	Tyndareos
توينبى (أرنولد)	Arnold Toynbee
تيتن (الجمع تياتن)	Titanes
تيثوس	Tethys
تيديوس	Tydeus
تيرونس	Tyrons
تيريدا	
تيريسياس	Teiresias
تيسامينوس	Tesamenos
تيل (كورنيليوس بتروس)	Cornelius Petrus Teile
ثاموراس	Thamyras
ثاناتوس	Thanatos
ثرمودون	Thermodon
ثروت عكاشه	
تساليا	Thessalia
تسبروتوس	Thesprotos
ثسبياى	Thespiai
ثسبيوس	Thespios

تسيوس	Theseus
تميس	Themis
ثوانتيا	Thyantia
ثوآس	Thoas
توكوديديس	Thucudides
ثويستيس	Thyestes
ثياجينيس	Theagenes
ثيتيس	Thetis
ثيوبولى	Theopole
ثيوكريتوس	Theokritos
جالاتيا	Galateia
جالانتيس	Galantis
جانيميديس	Ganymedes
جايا	Gaia
جريون (قطيع)	Geryon
جلاوكوس	Glaukos
جلبرت (و . س .)	W. S. Gilbert
جلينوس	
جونويا	Gonoyia
جيد (أندريه)	André Gid
جيفونس (ف . ب)	F. B. Jevons
جيليسا	Gelissa
حب (اله الحب ، أنظر اروس)	
حدائق أدونيس	
خارون	Charon
خاريتيس	Charites
خاؤوس	Chaos
خرسونيس	Chersones
خروسوثميس	Chrysothemis
خروسيبوس	Chrysippos
خيونى	Chione
داناؤوس	Danaos
داوليس	Daulis
دايدالوس	Daidalos
دايدالوس (آل)	Daidalidai
درب اللبانة	
الدردنيل (مضيق)	
دلفى	Delphoi
دودونا	Dodona
دوروس	Doros
دوسبونتيوس	Dysponteios
ديانيرا	Deianeira
ديبولا	Deipyla
ديثورامبوس	Dithurambos
ديكتونا	Dictynna
ديلوس	Delos
ديميتر	Demeter
دينوس	Deinos
ديوس	Deios
ديوكاليون	Deukalion
ديوميديس	Diomedes
ديوميديس (خيول)	
ديونوسوس	Dionusos
ديونى	Deione
ربات الانتقام (أنظر = الايرينيات)	
ربات الرحمة (أنظر = الايرينيات)	
ربات العقاب (أنظر = الايرينيات)	
رغبة (= ربة الرغبة ، أنظر أفروديتا) .	
روما	Rhomè
ريا	Rea

ريجيوم	Rhegium
ريناش (سالومون)	Salomon Reinach
زيوس	Zeus
ساكفيل	Sackvill
سالمونيوس	Salmoneus
ساموس	Samos
سبنس (لويس)	Lewis Spence
سبنسر (هربرت)	Herbert Spencer
ستاتيوس	Statius
سترافنسكى	Stravinsky
ستروفيوس	Stropheios
ستوكس	Styx
ستومفالوس	Stumphalos
ستومفالوس (طيور)	
ستيروبى	Sterope
ستنلوس	Sthenelos
سردينيا	Sardinia
سفايروس	Sphairos
سفنكس	Sphinx
سقراط	Sokrates
سكوثيا	Skythia
سمنثوس	Smenthos
سمورنا	Smyrna
سميث (وليام روبرتسون)	Willian Robertson Smith
سنيكا	Seneca
سوريا	Syria
سوفوكليس	Sophokles
سيبولوس	Sipylos
سيراكوز	Syrakousai
السيرينيات	Seirenes
سيسيفوس	Sisyphos
سيكيون	Sikyon
سيلينى	Silene
سينون	Sinon
شو (برنارد)	Bernard Shaw
شيلنج (فريدريك)	Friedrich Schelling
صقلية	Sikelia
طيبة	Thebai
طروادة	Troia
عشتار	Ishtar
فاروس	Pharos
فاليرى (بول أمبرواز)	Paul Ambroise Valéry
فرجيليوس	Vergilius
فروجيا	Phrygia
فرونيخوس	Phrynichos
فرويد (سيجموند)	Sigmund Freud
فريزر (جيمس جورج)	Sir James George Frazer
فريكوديس	Pherekydes
فوركوس	Phorkys
فولتير	Voltaire
فولوس	Pholos
فولوى	Pholoi
فوليوس	Phyleus
فوكيس	Phokis
فيراى	Pherai
فيلامون	Phillamon
فيلوكتيتيس	Philoketes
فيكس (أنظر : سفنكس)	Phix
فيكيوم	Phikium

فينيوس	Phineus
قبرص	Kupris
كاتريوس	Katreus
كاتوللوس	Catullus
كادموس	Kadmos
كاساندرا	Kassandra
كاستور	Kastor
كالخاس	Kalchas
كالودون	Kaludon
كالودونيا	Kaludonia
كاليماخوس	Kallimachos
كاليون	Kalyon
كاليوبى	Kalliopeia
كامى (ألبرت)	Albert Camus
كاميكوس	Kamikos
كتسيبوس	Ktesippos
كراناى	Kranaë
كربيروس	Kerberos
كروزر	Creuzer
كرونوس	Kronos
كرويسوس	Kroisos
كريت	Krete
الكريتي (الثور)	
كريسا	Chrysè
كريسبوس	Chrysippos
كريون	Kreon
كسانثوس	Xanthos
كسوثوس	Xuthos
كسينوفانيس	Xenophanes
كفالوس	Kephalos
كفيسوس	Kephisos
كلادون	Kladon
كلليني	Kyllenè

كلوتمنسترا	Klutaimnestra
كلوتيا	Klutie
كلومنوس	Klumenos
كلوميني	Klumene
كليولا	Kleiolla
كليوماى	Kleomai
كنوسوس	Knossos
كوبريوس	Kupreos
كوبيلي	Kubele
كوثيرا	Kuthera
كورنى (بيير)	pierre Corneille
كورنثا	Korinthos
كوك (أ . ب)	A.B. Cook
كوكالوس	Kokalos
كوكتو (جان)	Jean Cocteau
كوكلوبس (الجمع كوكلوبيس)	Kuklops
كوكنوس	Kuknos
كولارابيس	Kolarabes
كولخيس	Kolchis
كوم (ناتاليس)	Natalis Comes
كومى	Komè
كيتو	Kito
كيثيرون	Kithairon
كيرونيا	Keruneia
كيرونيا (أيلة)	
كيلاينو	Kelaino
كيلوس	Killos
كينوراس	Kinuras
كينوسكفالاى	Kinuskephalai
لائرتيس	Laertes
لاؤداميا	Laodameia

لادون	Ladon
لافيتو	Lafitau
لاكونيا	Lakonia
لاميا	Lameia
لاميون	Lameion
لانج (أندرو)	Andrew Lang
لايلابس	Laelaps
لايوس	Laios
لبداكوس	Labdakos
لبنان	Lebanon
لسبوس	Lesbos
لوديا	Ludia
لوسيبى	Leusippe
لوكاؤون	Lukaon
لوكورجوس	Lukourgos
لوكوس	Lukos
لوكوفرون	Lukophron
لوكيانوس	Lucianus
ليبيا	Libué
ليخاس	Lichas
ليدا	Leda
ليرنا	Lurna
ليريوبى	Leiriope
ليكومنيوس	Lykomneus
لينوس	Linos
ليوكيبوس	Leukippos
ماراثون	Marathon
مارد (الجمع مردة)	Gigantes
مارستون	Marston
مارماكوس	Marmakos
ماريت (ر . ر .)	Dr. R.R. Marret
ماكاريا	Makaria

مايا	Maia
ميثارمى	Metharme
مسخ (الجمع مسوخ)	
مصر	Aiguptos
ميلانيون	Melanion
ملياجروس	Meleagros
ممفيس	Memphis
منيثيوس	Menestheus
منيلاووس	Menelaos
مورا	Myrrha
مورتيلوس	Murtilos
موريس (وليام)	Willian Morris
موسخوس	Moschos
الموسيات	Mousai
موكيناى	Mykenai
موللر (ك . أ .)	K.O. Müller
موللر (ماكس)	Max Müller
مولورخوس	Molorchos
ميتيس	Metis
ميثولوجيا	Mythologeia
ميجارا	Megara
ميجاروس	Megaros
ميجالوبولوس	Megalopolos
ميجاميدى	Megamede
ميدوسا	Medusa
ميدون	Medon
ميديا	Medeia
ميروبى	Merope
ميسينى	Messene
ميسينيا	Messinia
مينوتاوروس	Minotauros
مينوريكيوس	Minorikeus
مينوس	Minos

مينويكوس	Menoekos
ميناس	Minyas
مينيبي	Menippe
مينويتوس	Menoetos
نابلي	Naples
ناوبليا	Naupleia
ناوبليوس	Naupleios
ناكسوس	Naxos
ناوكراتي	Naukrate
ناوكراتيس	Naukratis
نرجس (أنظر : نركسوس)	
نركسوس	Narkissos
نريوس	Nereus
نستور	Nestor
نكتار	Nektar
نوح	Noah
نورتون	Norton
نوكس	Nux
نيسوس	Nessos
نيميا	Nemea
نيميا (أسد)	
نيوبتوليموس	Neoptolemos
نيوبي	Niobe
هاديس	Hades
هاربينا	Harpina
هارمونيا	Harmonia
هاليكارناسوس	Halikarnassos
هايمون	Haemon
هرمان (ج .)	G. Herman
هرميس	Hermes
هرميوني	Hermione
هسبيروس	Hesperos
هليكي	Helike
هوبرفاس	Huperphas
هوبسيبولي	Hupsibole
هوبيريسيا	Huperisseia
هوراتيوس	Horatius
هوراي	Horai
هوديتيس	Hodites
هولاس	Hyllas
هوميروس	Homeros
هوميروس (الياذة)	
هوميروس (أوديسا)	
هيبروخوس	Hyperochos
هيبروس	Hipros
هيبوداموس	Hippodamos
هيبولوتي	Hippolyte
هيبومينيس	Hippomenes
هيبي	Hebe
هيدرا	Hydra
هيرا	Hera
هيراكليس	Herakles
هيراكليس (أعمدة)	
هيرودوتوس	Herodotos
هيسبيريديات	Hespirides
هيسيودوس	Hesiodos
هيفايستوس	Hephaestos
هيكاتايوس	Hekataios
هيكاتونخيريس (مسخ ذو مائة يد)	Hekatoncheris
هيكاتي	Hekate
هيللين	Hellen
هيليكون	Helikon
هيلينا	Helené
هيليوس	Helios
وايلد (أوسكار)	Oscar Wilde

وهيب كامل (دكتور)	
يابيتوس	Iapetos
ياسوس (أو ياسيوس)	Iasios
ياسون	Iason
يامبي	Iambe
يوآريتي	Euarite
يوبالاموس	Eupalamos
يوبويا	Euboia
يوروبا	Europe
يوروتوس	Eurytos
يوروتيون	Eurytion
يوروثميستا	Eurythemista
يوروثيون	Eurytheion
يوروجانيا	Euryganeia
يوروديكي	Eurydike
يوروستيوس	Eurystheus
يورياناسا	Euryanassa
يوريبيديس	Euripides
يوكاستا	Iokasté
يولايوس	Iolaleus
يومولبوس	Eumolpos
يونج	C.B. Jung
يونكس	Iynx
يوهيميروس	Euhemeros

فهــرس الصــور

المحتويات

صفحة

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٤٦٦٣/١٩٨٢
ISBN ٩٧٧ _ ٠١ _ ١٠٥ _ ٢

SHIHEET

PDF 2010

